حاشية العلوي على

تفسير البيضاوي

للعلامة الشيخ وجيه الدين العلوي الأحمد آبادي

المتوفى سنة ٩٩٨ هجرية عليه رحمة الملك الهادي

بيضه وحققه

محمد حنيف خان الرضوي البريلوي

رئيس المدرسين بالجامعة النورية الرضوية الواقعة ببريلي الشريفة

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

DKi

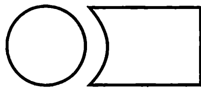
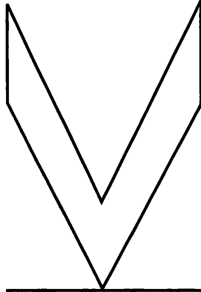
بيروت - لبنان

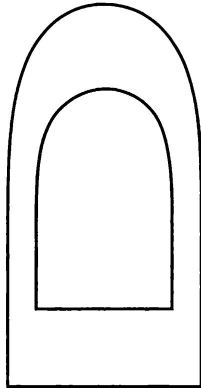


حَاشِيَةُ العلوِي

عَلَى

تفسير البيضاوي



http://www.al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

sales@al-ilmiyah.com

الكتاب: حاشية العلوي على تفسير البيضاوي

Title: ḤĀŠIYAT AL-'ALAWĪ 'ALĀ TAFSĪR AL-BAYḌĀWĪ

التصنيف: تفسير قرآن

Classification: Exegesis Of Qur'an

المؤلف: الشيخ وجيه الدين العلوي الأحمد آبادي (ت ٩٩٨ هـ)

Author: Al-Shaykh Wajih Addin Al-Alawi Al-Ahmad Abady (D. 998 H.)

المحقق: محمد حنيف خان الرضوي البريلوي

Editor: Mohammad Haneef Khan Al-Radawi Al-Bareillwy

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah - Beirut

Pages	(3Parts/3Vols.) 1248 (٣أجزاء/٣مجلدات)	عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2021 A.D. - 1442 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon لبنان	بلد الطباعة
Edition	1st الأولى	الطبعة

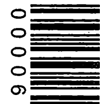
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun

1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠




ISBN 978-2-7451-9779-5

حَاشِيَةُ العلوِي

عَلَى

تَفْسِيرِ البَيْضَاوِي

للعلّامة الشّيخ وجيه الدّين العلوي الأحمد آبادي

المتوفّى سنة ٩٩٨ هجريّة عليه رحمة الملك الهادي

بيّضه وحقّقه

محمّد حنيف خان الرّضويّ البريلوي

رئيس المدرّسين بالجامعة النّوريّة الرّضويّة الواقعة ببريلي الشّريفة

الجزء الأوّل

المحتوى:

من أوّل سورة الفاتحة حتى آخر سورة البقرة



دار الكتب العلمية®

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKI

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



للتحقيق والترجمة والطباعة والنشر

كلمة مجمع الإمام أحمد رضا

بِسۡمِ اللّٰهِ الرَّحۡمٰنِ الرَّحِيۡمِ

الحمد لله الفتاح المنّان، الذي أنزل القراٰن، والصلوة والسلام على من بعثه الله لهداية الإنس والجان، وعلى اٰله وأصحابه ما اختلف الملوان. وبعد:

فلما كان تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ"تفسير البيضاوي" الذي دبّجته يراعةالعلامة الكبير المفسر البارع الأصولي المتكلم عبد الله بن عمر بن محمد قاضي القضاة ناصر الدين أبي الخير البيضاوي الشافعي ـ تغمده الله بواسع رحمته ـ المتوفٰى سنة ٦٨٥هـ من أجلّ كتب التفسير نفعًا وأغزرها علمًا وأكثرهاغررًا وفوائد بألخص عبارة وألطف اشارة عُني به أرباب العلم والفضل عناية فائقة تدريسًا وتعليقًا وتحشيةً في كل عصر ومصر ـ لا سيماعلماء القرنين: العاشر والحادى عشر الهجري ـ حتى ذاع صيته وعلا نجمه في مشارق الأرض ومغاربها و كثر من حشى عليه و علّق كثرة تستعصي على عددالخمسين.

ومن أمتع ما كتب عليه من حواشي وتعليقات ما يلي :

١ . حاشية شيخ زاده للعلامة المفسر الفقيه محمد محي الدين بن مصطفى مصلح الدين الحنفي القوجوي الأستنبولي المتوفٰى١٠٥١هـ طبعت في ثمانية مجلدات من دار الكتب العلمية في بيروت ـ لبنان

قال عنها الحاجي خليفة صاحب كشف الظنون:وهي أعظم الحواشي فائدةً وأكثرها نفعًا وأسهلها عبارةً.

٢ . حاشية عناية القاضي و كفاية الراضي الشهيرة بـ"حاشية الشهاب" للعلامة المتفنن الأديب الناقد القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخَفاجي الحنفي المصري صاحب التصانيف السائرة المتوفٰى ١٠٦٩هـ طبعت في تسعة مجلدات من دار الكتب العلمية في بيروت ـلبنان

٣ . حاشيتنا هذه الجليلة القيمةللإمام الهمام والبدرالتمام أوحد العصر قريع الدهر الذي اعترف بعلوكعبه القاص والداني والذي كان له قدم راسخ في العلوم الاسلامية و باع طويل فيحل المعضلات و المسائل الشائكة، ألا وهو الشيخ وجيه الدين العلوي الأحمد

آبادي الغجراتي الهندي المتوفٰى (٩٩٨هـ)ـ رحمه الله وبلّ بالمغفرةثراه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ـ.

قال عنه إمام أهل السنة والجماعة في شبه القارة الهندية العارف بالله وأحد المبعوثين لتجديد الدين الإسلامي على رأس القرن الرابع عشرالهجري أحمد رضاخان القادري البريلوي المتوفٰى(١٣٤٠هـ) :

ولد العلامة الشيخ وجيه الدين العلوي في سنة إحدى عشر و تسع مائة من الهجرة(٩١١هـ) وهي السنة التي توفّي فيها الإمام الأجل خاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وبايع على يد أحد من أقطاب عصره الشيخ محمد غوث الغوالياري ـعليه رحمة الملك الباري ــ وكان من جملة مشائخ الشيخ عبد الحق الدهلوى محدث الهند ، له مناقب جليلة ومصنفات كثيرة ماتعة وضع حواشي نافعة على كتب كثيرين من العلماء الأفاضل. منها :

١ .حاشيةعلى تفسير البيضاوي ٢ .حاشيةعلى الهدايةللمرغيناني
٣.حاشيةعلى شرح الوقاية لصدرالشريعة ٤ . حاشيةعلى المطول لسعد الدين التفتازاني
٥.حاشيةعلى المختصر له ٦.حواشي على شروح العقائد
(منها:على شرح المواقف للسيد الشريف الجرجاني وغيرها)

(الفتاوى الرضوية للامام أحمد رضا خان البريلوى ـ ج٧ص٥٧٢)

وصف المخطوطة:

ظلت حاشيتنا هذه مخطوطة على امتداد حوالي خمسة قرون تتناقلها الأيدى من مكتبة إلى أخرى وبعد فترة من الزمن توقفت سلسلة النقل أيضًا ومن هنا فلا ندرى بشيء من حال النسخة التي كتبها الشيخ بيده أما ما عثرنا عليه من النسخ التى انتسخها النساخ من تلك النسخة فمتقادمة جدًا فضلاً عن كونها لم يراع نساخها فيها أصول الكتابة بما جعلها عديمة النفع.

الباعث على عملنا في هذه الحاشية:

قبل ستة أعوام انتدبني فضيلةالأخ الجليل نظام الدين المصباحي الغجراتي ـأمتعه الله بصحة وعافية ـ المقيم حاليا بـ"بولطن" [بريطانيا] لتبييض هذه الحاشية وتحقيقها لترى نورالطبع والنشر، وينهل الناهلون من منهله الصافي، فلبيت لدعوته ـ وتكلاني على الله وهو المستعان ــ تقديرًا لمشاعره الدينية وإخلاصه لأعمال الخيرغيرأنني ـ نظرًا لضيق الوقت وكثرة الأشغال ـ واجهتني مشاكل شتى في توفيرالوقت لإنهاء هذا العمل.

على كل حال فقد تفضل الأخ الفاضل السالف الذكر بإرسال مخطوطتين إلينا

كما تم الحصول ـ عن طريقه ـ على مخطوطتين أخريين إحديهما من علي جره ، والثانية من حيدرآباد دكن ،إذن فاجتمعت لدينا أربع مخطوطات، وإليكم تفصيلها فيما يلى :

١ . مخطوطة المكتبة الآصفية بحيدراباد دكن .الهند

هذه المخطوطة أحسن خطًا بيد أن أمارات المحو بادية في غير موضع منها إلى جانب تسوسها لبعد ما مر عليها من زمن.

٢ . مخطوطة متحف سالارجنك بحيدرابا دكن. الهند

هذه المخطوطة أجلى خطًا إلى حد ما ، غير أنها مليئة بأخطاء الكتابة فضلا عن سوء الترتيب في التقديم والتاخير الذي كلفنا ببذل جهد أكثر في التبييض.

٣ . مخطوطة مكتبة آزاد في علي جره بمحافظة اترابراديش. الهند:

هذه المخطوطة خطها دقيق جدًا إضافة إلى كثرة الحذف والتشطيب في عدة مواطن مما لم تتأت لنا الاستفادة منها كما ينبغي.

(٤) مخطوطة مكتبة عبد العزيز بالمدينة المنورة زادها الله شرفًاوتعظيماً :

هذه المخطوطة رغم كونها ذات خط مليح إلا أن الناسخ بخسهاحقها في الترتيب حيث إنه يخلط في النقول ينقل أحيانا حاشيةالجزء الأول فيالجزء الثاني والثاني في الأول وهكذا بما أعدم الانتفاع بها.

بالإضافة إلى ما مضى فقد مررنا ـ خلال التبييض ـ بعشرات من المواضع التى لم يتم لنا استيعابها رغم إمعان النظر في المخطوطات الأربع وبالتالى فقد لجأنا ـ تجليةً لتلك المواضع ـ إلى المراجعة لحاشية شيخ زاده وحاشية الشهاب .

وكذلك قمنا في بعض المواطن بمقابلة نصوص الحاشية بأصول المصادر التي استفاد منها المحشي في حاشيته: مثل الصحاح للجوهري، والكشاف للزمخشري، وشرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني، فوجدنا الفارق كبيرا بينهما حتى ترجح لدينا كونه من تصرف النساخ فقمنا بتصويب ذلك من أصل الكتب المشار إليها من ذى قبل.

قصارى القول أن عدم العثور على نسخة المحشي ـ رحمه الله تعالٰى ـ تسبب في تعرضنا لضروب من الصعاب غيرأن المعايشة الدؤب للكتب ذات الصلة بالموضوع والعكوف على الحواشي السابق ذكرها ليل نهارجعل الأمر سهلا ميسورا، فالحمد لله على ذلك.

ميزات الحاشية :

تتميز حاشيتنا هذه بأكثر من ميزة نكتفي ببعضها في النقاط التالية :

١ . عالج المحشي عبارة تفسير البيضاوي بأسلوب علمي يفيض سهولة ورصانة.

٢ . السمة الغالبة على التفسير هي الايجاز أطال المحشي في بسطه إطالة غير مملة تيسيرًا على الدارسين.

٣ . أحيانا يكتفي المفسر بالإشارة إلى الجواب عن اعتراض فيأتي المحشي و يتناول الاعتراض والإجابة عنه بشيء من التفصيل.

٤ . قام المحشى ببيان الربط والتناسب بين الجمل في كلام المفسر ليفهم الدارسون مراده على وجهه.

٥ . قد يقتصر المفسر على عرض مجرد الدعوى ولايسوق عليها دليلاً فيأتي المحشي ويدعم دعواه بالأدلة والبراهين، وذلك من خلال أسلوب رائق ممتع .

زبدة الكلام أن المحشي- رحمه الله تعالىٰ - استفرغ وسعه بصفته باحثًا واسع الاطلاع ومدرسًا ذامهارة نادرة؛ ليقدم لطلاب العلوم الإسلامية متعة معرفية وزادًا علميًا يكون معوانًا لهم على حياتهم المستقبلية، فلله دَرّه عالمًا.

مصادر الحاشية :

استمد المحشي العلام مادته العلمية في حاشيته من أمهات الكتب الإسلامية التي سطّرتها أقلام العلماء الأعلام كما استفادمما فتح الله عليه من علوم وأسرارلما شب عليه من نقاء سريرة وصفاء قلبي وها نحن نكتفي بذكربعض منه وذلك على النحو الآتي :

(١) تفسير الكشاف للزمخشري (٢) قاموس اللغات

(٣) الصحاح للجوهري (٤) شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني

(٥) حاشية على تفسير الكشاف للتفتازاني، ومالى ذلك.

ولما انتهينا ـ بحول الله وفضله ـ من عملية التبييض والتحقيق للحاشية عرضناها باشارة الأخ الاستاذ محمدنظام الدين المؤقر على بعض من أرباب العلم والفضل ـ بشكل خاص ـاستطلاعًا لآرائهم في إنجاح هذا العمل جاء ت أسمائهم كما يلي:

(١) سيادة الشيخ عبد السلام الرضوى الأستاذ في الجامعة النورية بمدينة بريلي.

(٢) سماحة الأديب اللبيب نفيس أحمد المصباحي الأستاذ في الجامعة الأشرفية بمباركفورأعظم جره.

(٣)فضيلة العالم النابِه محمد سليم المصباحي الأستاذ في الجامعة الرضوية منظر الاسلام بمدينة بريلي.

فتناولوها بدراسة متأنية وتكرموا علينا برصد بعض ثقوب ملأناها وزيادة حذفناها مع سكوت المخطوطا ت عنها تماما، أوأن مردها إلى تصرف النساخ .

وقد تم تنضيد تفسير البيضاوي وهو الآخَر إلى جانب تنضيد الحاشية مع العلم بأن تنضيده كان من الصعوبة بمكان. وذلك فإنه كان لدينا أربع نسخ منه تختلف اختلافا كثيرًا في عدة مواضع ، ولذا فاذًا قابلنا النسخة المنضّدة مِن قِبَلنا بتلك النسخ وجدنا بينها فارقًا كبيرًا فلم نجد مناصًا إلا أن نرجح إحديها على الأخرى ـ اعتمادًا على ما بَدا لنا بعد إعمال الفكر ـ وذلك في التفسير فحسب دون ما نقله المحشي رحمه الله في حاشيته رغم اختلافه في عدة مواطن عماجآء في النسخ كلها، ومن هنا، فكأن نسختنا هذه بمثابة نسخة سادسة مقابَلة بخمس نسخ لتفسير البيضاوي.

وأخيرا نتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى أولئك الأفاضل الذين تعاونوا معنا على تصويب الأخطاء و سدّ الفُرَج لتظهر حاشيتنا هذه في أحسن صورة و أبهى حلة كما نتوجه بالشكر والتقدير إلى إخوتنا الأحبة الذين قا موا بمساعدتنا في هذا العمل وكما لايفوتني أن أخص بأجزل الشكر وأغلاه أخانا الفاضل المحترم الأستاذ نظام الدين المصباحي الغجراتي النزيل حاليا بـ"بولطن" [ببريطانيا] حيث إنه هو الذي حفزني إلى البدء في هذا العمل كما أنه بفائق جهده استطعت تقديمه إلى سادة القراء. فجزاهم الله خير الجزاء في الدارين.

وقد توخيت الصواب ـ ما استطعت ـ من وراء هذا الجهد المتواضع فان وُفِّقت فمن الله وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان؛ ومن ثم فإن عَثر أهل الحل والعقد على خطأ أوزلة وقعتُ فيها ــــ وهذا ممكن بكثير؛ فإن الإنسان دائما عرضة للخطأ والنسيان إلا الصَفوة المختارة ـ فالرجاء التكرم باطّلاعنا عليها لنقوم بإصلاحها في طبعة لاحقة. وفي الختام أرجو من حضرات القراء ألا ينسوني في دعواتهم المستجابة.

والله أسال و بنبيه ﷺ أتوسل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن ينفعنا به يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلى الله تعالى وسلم على خير خلقه سيدنا محمد واله وصحبه أجمعين.

العبد ا لفقير إلى رحمة ربه الغني

محمد حنيف خان الرضوي البريلوي

الأمين العام: مجمع الامام أحمدرضا، صالح نكر

بلدة بريلي الشريفة ــ ولاية أترابرديش ــ الهند.

١٧/محرم الحرام ١٤٣٣هـ .

المصادف

٢١-١٢-٢٠١١م يوم الثلاثاء

عطف على اترك مع انه ليس فيه ضمير [illegible]

حاصل بعود الضمير الى العبد المتصاعد الى [illegible]

قول الشاعر وعزة مطول معنى [illegible]

وقد اربط احدهما يعود الضمير الى [illegible]

لما قيل في وجه الربط ان الفاء السببية قوله مساقع الخطباء [illegible]

مصقع بليغ مجهر بخطبته. حاجة الى بن صقع الديك اذا اذن [illegible]

الصقع اي الجانب من لانه ياخذ في كل صقع اي جانب من الكلام [illegible]

الغضاة اي الخلص منهم [illegible] كليل الليل وظل ظليل قوله [illegible]

تعيب [illegible] بالتحدي [illegible] على الاتيان باقصر سورة قوله ولكنهم عطف على

لا عجمية من افحمه اذا قطع كلامه ماخوذ من فحم الصبي اذا بكى حتى ينقطع صوته

وعدنان بفتح العين و[illegible] الدال المهملتين ابو معد وقحطان بفتح القاف

وسكون الحاء المهملة [illegible] هو قحطان بن هود النبي عليه السلام

قوله ثم بين عطف افحم قوله ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب منهم

يعني ان التذكر انما يحصل لمن [illegible] العقل [illegible] عن آيات

محكمات قال فيما نقل عنه وكذا ان في تفسير قوله تعالى منه آيات محكمات

هن ام الكتاب واخر متشابهات [illegible] المحكمات هي التي احكمت عبارتها عن

الحجب اي الاحتمال والاشتباه وحاصله المتضح المعنى كما يفهم من نفسه

مطابقة كما صرح [illegible] التفتازاني [illegible] المتشابهات بناء على مذهبه من

[illegible] الوقف على الا الله وان الراسخين يعلمون تاويل المتشابهات [illegible]

وافحم

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة مكتبة عبد العزيز بالمدينة المنورة

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة مكتبة عبد العزيز بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي [illegible]

الحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد العالمين محمد وآله وصحبه اجمعين [illegible]

تعالى انزل القرآن دفعة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا لتحفظه الملائكة او كتبة الكتبة

[illegible] ثم نزله منجما الى النبي صلى الله عليه وسلم نجوما على حسب المصالح [illegible]

[illegible] ذلك بالتنزيل دون الانزال لما فيه من الدلالة على [illegible]

[illegible] مع حسن الاقتباس من قوله [illegible]

[illegible] لان المجموع فارقة بين الحق والباطل [illegible]

[illegible] صفة التنزيل المنبئ عن التكرير والتنجيم لان [illegible]

[illegible] فاسب القرآن لا ينبئ عن الجمعية [illegible]

[illegible] ان كان هو صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] بخلاف الانذار فانه يعم المومنين والكافرين

[illegible] وانت تعلم [illegible]

[illegible] عطف على [illegible]

[illegible] حاصل بعود الضمير [illegible]

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة المكتبة الآصفية بحيدراباد

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة المكتبة الآصفية بحيدرأباد

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت [illegible]

رب العالمين والصلوة على رسوله [illegible] سيد الأنام [illegible] وعلى آله وصحبه [illegible]

قوله نزل روي ابن عباس أن الله تعالى أنزل القرآن دفعة من اللوح [illegible]

سماء الدنيا [illegible] الكتبة في الصحف ثم نزله [illegible] النبي

منجما هو نجوما على حسب المصالح [illegible] ولهذا عبر عن ذلك بالتنزيل

دون الانزال لما فيه من الدلالة على التدريج [illegible]

عبده بالفرقان [illegible] الاقتباس [illegible] قوله تبارك الذي نزل الفرقان على

عبده وذلك لأن المعجزة فارقة بين الحق والباطل والصدق والكذب [illegible]

هذا العنوان صفة التنزيل المنبئ عن التكثير والتدريج لأن [illegible]

وهو المنزل والأنزال [illegible] القرآن لأنه ينبئ عن الجمعية قوله ليكون

للعالمين نذيرا أي للجن والإنس [illegible] بالنذير وإن كان هو صلى الله

عليه وسلم بشيرا ونذيرا لأن البشارة مخصوصة بالمؤمنين [illegible]

[illegible]

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة متحف سالارجنك بحيدرآباد

عن [illegible] انه في ينفك منه قوله وتذكير ضمير [illegible]
يعني ذكر ضمير امة حملا على المعنى لان الامة مذكورة [illegible]
تبعه لها ولو حمل على لفظ الامة لانث كما انث تسبق وقال
تسبق من امة اجلها وما تستأخر قوله لمصيبة اي على سبيل
البدل فاف قوله لولا علي لهلك عمر لسبب فيها [illegible] الى
كما ان قوله لو ما تأتينا [illegible] فيه سوى التحضيض قوله [illegible]
مسندا الى ضمير اسم الله هذه القراءة شاذة وفي [illegible]
على خلاف ما اسناده قوله اذن جواب لهم وجزاء لشرط [illegible]
اما كونه جوابا لهم فظاهر واما كونه جزاء لشرط مقدر فلانه
لما قالوا لما تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك اجيبوا بانا
ان قيل لنا ان جاءتكم الملائكة تشهد بصدقي فلم [illegible]
عذابكم قوله ولذلك اكده من وجوه حيث صدر الجملة بان
ضمير [illegible] الدال على التعظيم وضمير الجمع الدال على التعظيم
ايضا قوله وهذا على حكاية الحال الماضية لان المضارع
ليس بمعنى الحال ولا قريبا منه بل ماضيا [illegible]
له انا للذكره تمت تمام نسخ كاتب حروف [illegible]
[illegible] شهر ذو القعدة [illegible]
وعشرين [illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة متحف سالار جنك بحيدراباد

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة مكتبة آزاد في علي جره

تم شد حاشیه میان شیخ وجیه الدین بر تفسیر بیضاوی

بتاریخ ٢٢ شهر ذی حجه روز دوشنبه سنه ١٠٧٨ هجری

در احمدآباد گجرات

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة مكتبة آزاد في علي جره

ترجمة المفسر الإمام البيضاوي

هوالإمام العلامة قاضي القضاة ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشافعي البيضاوي. [٥٨٥ ــ ٦٨٥هـ]

مولده:

أجمع المؤرخون على أنه ولد بالبيضاء ، هي قرية من بلاد فارس.

ولا يوجد لهم كلام في تحديد زمان ميلاده إلارواية واحدة ولوكانت على وجه التقريب، وهي لابن حبيب الدمشقي فعندما تحدث عن وفاته قال:إنها كانت بمحلة تبريز عن ماة سنة. [درة الأسلاك في دولة الأتراك لابن حبيب الدمشقي ج١ ص٧٥]

وإذا كان الأرجح في تأريخ وفاته أنها كانت سنة ٦٨٥هـ فإنه يمكن أن نقول:إن مولده كان سنة ٥٨٥ هـ تقريبًا ـ مادام قد عاش مائة عام ـ

دراسته الابتدائية:

تلقى الدروس الأولى على يد والده الذي كان يحترمه ويكّن له كل حب وعزاز حيث يقول نفسه في كتابه" الغاية في درايه الفتوى" لاطريق للفقه سوى النقل والرواية. وإذاعرفت ذلك فاعلم أني أخذت الفقه عن والدي مولى الموالي الصدر العالي أبي القاسم عمر قدس الله وجهه.

أساتذته:

١ .أول أستاذ له كان والده أبا القاسم عمر بن محمد بن على البيضاوي

٢ . الشيخ محمد بن محمد الكتحتاني أو الكيخاني

تلاميذه:

مع أن البيضاوي ألقى دروسا في عدة مدن وفي فروع مختلفة من العلم واستمع إليه الكثيرون من طلاب العلم وتتلمذوا على يديه ورغم كثرة البحث والتنقيب عن هؤلاء التلاميذ فانا لم نهتد إلا إلى تلميذين فقط وهما كما يلى:

١ . فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجار بردي (٦٦٤هـ ــ ٧٤٦هـ)

٢ . زين الدين الهبكي أو تاج الدين الهنكي

ذكر التاج السبكي في الطبقات الكبرى : إن البيضاوي لما صُرِف عن قضاء "شيراز" رحل إلى "تبريز" وصادف دخوله إليها مجلس درس لبعض الفضلاء ،فجلس في أخريات القوم بحيث لم يعلم به أحد ، فذكر المدرس نكتة زعم أن أحداً من الحاضرين لايقدر علىٰ جوابها، وطلب من القوم حلها والجواب عنها، فإن لم يقدروا فالحل فقط ، فإن لم يقدروا فإعادتها ، فشرع البيضاوي في الجواب فقال: لاأسمع حتى أعلم أنك فهمت فخيره بين إعادتها بلفظها ، أو معناها ، فبهت المدرس فقال : أعدها بلفظها، فأعادها ثم حلّها وبيّن أن في ترتيبه إياها خللاً، ثم أجاب عنها وقابلها في الحال بمثلها ودعا المدرس إلى حلها ، فتعذرعليه ذلك ، وكان الوزيرحاضراً فأقامه من مجلسه وأدناه إلى جانبه وسأله، من أنت ؟ فأخبرأنه البيضاوي، وأنه جاء في طلب القضاء بشيراز فأكرمه وخلع عليه في يومه ورده انتهىٰ.

وقيل:إنه طال مدة ملازمة فاستشفع من الشيخ محمد بن محمد الكحتائي، فلما أتاه علىٰ عادته قال:إن هذا الرجل عالم فاضل يريد الاشتراك مع الأمير في السعير : يعني أنه يطلب منكم مقدار سجادة في النار، وهي مجلس الحكم ، فتأثر الإمام البيضاوي من كلامه وترك المناصب الدنيوية ولازم الشيخ إلى أن مات ، وصنف التفسير بإشارة شيخه ، ولما مات دفن عند قبره .

مؤلفاته:

أتحف الإمام البيضاوي إلى الأمة الإسلامية بمصنفات كثيرة تزخربها المكتبات الإسلامية عبر التأريخ وتدل على غزارة علمه وسيلان ذهنه وتمكنه من العلوم المختلفة و تضلعه من المعارف المتنوعة وها نحن نجتزىء بعرض بعض منها وذلك فيما يأتي:

(١) أنوار التنزيل وأسرار التاويل

(٢) تحفة الأبرار

(٣) رسالة في موضوعات العلم وتعريفها

(٤)طوالع الأنوار من مطالع الأنظار

(٥)منهاج الوصول إلى علم الأصول

(٦)منتهى المنى في شرح أسماء الله الحسنى

(٧)الغاية في درايه الفتوى

(٨) الإيضاح

(٩) تعليق على مختصر ابن الحاجب

(١١) تهذيب الاخلاق

(١٢) شرح الكافية

وماإلى ذلك

وفاته:

وكما اتفق المؤرخون في تحديد مكان ميلاده اتفقوا أيضًا على تحديد مكان وفاته فقد كانت وفاته بـ"تبريز" وذلك على أرجح الأقوال ـ عام ٦٨٥هـ .

كلمات الثناء :

قال ابن الشهبه في طبقاته: صاحب المصنفات، وعالم أذر بيجان، وشيخ تلك الناحية. ولّى قضاء شيراز.

كان إمامًا، مبرزًا، نظارًا، خيرًا، صالحًا، متعبدًا.

وقال ابن حبيب: تكلم كل من الأئمة بالثناء على مصنفاته، ولو لم يكن له غير "المنهاج" الوجيز لفظه المحرر، لكفاه. ولى أمر القضاء بشيراز،وقابل الأحكام الشرعية بالاحترام والاحتراز. توفى بمدينة تبريز.

[شذرات الذهب في أخبار من ذهب]
للإمام شهاب الدين أبي الفلاح
عبدالحي بن محمد الحنبلي.١٠٨٩هـ)

أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ"تفسير البيضاوي"

تفسيره هذا كتاب عظيم الشان غني عن البيا ن، لخّص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير مايتعلق بالحكمة والكلا م، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق، وغوامض الحقا ئق، ولطائف الإشارات، وضم إليه ما ورى زنا د فكره من الوجوه المعقولة، والتصرفات المقبولة ، فجلارَين الشك عن السريرة، وزاد في العلم بسطة وبصيرة، كما قا ل مو لانا المنشى:

أولوالبا ب لم يأتوا ... بكشف قناع مايُتلى

ولكن كا ن للقا ضي ... يد بيضاء لا تبلى

ولكونه متبحرًا جال في ميدان فرسان الكلا م، فأ ظهر مها رته في العلو م حسبما يليق بالمقام ،كشف القناع تارة عن وجوه محا سن الاشارة، وملح الاستعارة، وهتك

الاستا ر أخرى عن أسرار المعقولات بيد الحكمة ولسانها وترجمان الناطقة وبنانها، فحلّ مـاأشـكل على الأ نا م ، وذلل لهم صعب المرام وأورد من المبا حث الدقيقة مايؤمن به عن الشبـه الـمضلة، وأوضح له منا هج الأدلة. والذي ذكره من وجو ه التفسير ثانيًا أوثالثًا أورابعًا بـلـفـظ" قيـل" فهـو ضـعيف ضعف المرجو ح أوضعف المردود، وأما الوجه الذي تفرد فيه وظـن بـعـضـهـم أنـه مـمـا لا يـنبغي أن يكو ن من الوجو ه التفسيرية السنية، كقوله: وحمل الـملائكة العرش وحفيفهم حوله، مجا ز عن حفظهم وتدبيرهم له ونحوه، فهو ظن من لعله يـقـصر فهمه عن تصور مبا نيه ولا يبلغ علمه إلى الإحا طة بما فيه؛ فمن اعترض بمثله على كـلا مـه كأنه ينصب الحبا لة للعنقا ء ويروم أن يقنص نسر الشما ء؛ لأنه ما لك زما م العلو م الـديـنية والـفنو ن اليقينية على مذهب أهل السنة والجما عة، وقد اعترفوا له قا طبة با لفضل الـمـطـلـق وسـلموا إليه قصب السبق، فكان تفسيره يحتوى فنونًا من العلم وعرة المسالك، وأنـواعا من القواعد مختلفة الطرائق، وقل من برز في فن إلاوصده عن سواه وشغله، والمرء عـدو مـا جهـلـه، فـلا يصل إلى مرامه إلا من نظر إليه بعين فكره وأعمى عين هواه واستعبد نـفسـه في طاعة مولاه حتى يسلم من الغلط والزلل ويقتدرعلى رد السفسطة والجدل. وأما أكثـر الأحـاديـث التـي أوردهـا في أواخر السور فإ نه لكو نه ممن صفت مراة قبله وتعرض لـنـفـحـات ربـه تسـامـح فيـه وأعـرض عـن أسبا ب التجريح والتعديل ونحا نحو الترغيب والتأويل عا لما بأنها ممافاه صاحبه بزور،ودلى بغرور، والله عليم بذات الصدور.

[كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:المجلد الأول ١٨٧ .١٨٨]

ثـم إنه أعمل فيه عقله،فضمنه نكتًابارعةً، ولطائف رائعة،واستنباطات دقيقة، كل هـذا فـي أسـلـوب رائع موجز، وعبارة تدق أحيانًا وتخفي إلا على ذي بصيرة ثاقبة. وفطنة نيـرـة.وهـو يهتـمّ أحيـانًا بذكر القراء ات، ولكنه لايلزم المتواتر منها فيذكر الشا ذ، كما أنه يعرض للصناعة النحوية، ولكن بدون توسع واستفاضة، كماأنه يتعرض عند آيات الأحكام لبـعـض الـمسـائـل الفقهية بدون توسع منه في ذلك وإن كان يظهر لنا أنه يميل غالبًا لتأييد مـذهبــه وتـرويـجــه،فـمثـلا عـنـد تـفسيـره لـقولـه تعالىٰ في الآية (٢٢٨)من سورة البقرة ﴿والْمُطَلَّقٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾يقول مانصه: وقروء جمع قرء، وهو يطلق للحيض كـقـولـه عـليـه الـصلاة والسلام: دعي الـصـلاة أيــام أقـرائك،ولـلـطهـر الـفـاصل بين الحيضتين، كقول الأعشىٰ:

مورثة مالاًوفي الحي رفعه لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وأصله الانتقال من الطهر إلى الحيض، وهو المراد في الآية؛ لأنه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية، لقوله تعالىٰ ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾أي وقت عدتهن، والطلاق المشروع لا يكون في الحيض، وأما قوله عليه الصلاة والسلام: طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ، بفلا يقاوم مارواه الشيخان في قصة ابن عمر:" مره فليراجعها،ثم ليمسكها حتى تطهر،ثم تحيض،ثم تطهر،ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس،فتلك العدة التي أمر الله تعالىٰ أن تطلق لها النساء الخ"

كذلك نجد البيضاوي كثيراً ما يقرر مذهب أهل السنة ويبطل مذهب المعتزلة، عندما يعرض لتفسير آية لها صلة بنقطة من نقط النزاع بينهم.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالىٰ فى الآيتين (٢،٣) من سورة البقرة ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الذين يؤمنون با لغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ نراه يعرض لبيان معنى الإيمان والنفاق عند أهل السنة والمعتزلة والخوارج. بتوسع ظاهر، وترجيح منه لمذهب أهل السنة .

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالىٰ في أول سورة البقرة أيضًا﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ نراه يتعرض للخلاف الذي بين أهل السنة والمعتزلة فيما يطلق عليه اسم الرزق، ويذكر وجهة نظر كل فريق؛مع ترجيحه لمذهب أهل السنة.

ثم إن البيضاوي إذا عرض للآيات الكو نية، فإنه لايتركها بدون أن يخوض في مباحث الكون والطبيعة، ولعل هذه الظاهرة سرت إليه من طريق التفسير الكبير للفخر الرازي، الذي استمد منه كما قلنا. فمثلا عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآيات(١٠)من سورة الصافات ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾نراه يعرض لحقيقة الشهاب فيقول:الشهاب مايرى كأن كوكباً انقض،ثم يرد على من يخالف ذلك فيقول:وما قيل: إنه بخار يصعد إلى الأثير فيشتعل فتخمين، إن صح لم يناف ذلك..." إلى آخر كلا مه في هذا المو ضوع.

ويقول في آخر الكتاب مانصه:"وقد اتفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فوائد فوائد ذوي الألباب.المشتمل على خلاصة أقوال أكا برالأئمة ، وصفوة آراء أعلام الأمة، في تفسير القرآن وتحقيق معانية.والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه، مع الإيجاز الخالي عن الإخلال والتلخيص العاري عن الإضلال،المرسوم بـ"أنوار التنزيل وأسرار التأول".

ويقول الإمام جلال الدين السيوطي ـ رحمه الله ـ في حاشيته على هذا التفسير المسماة بـ"نواهد الأبكار وشوارد الأفكار" مانصه: وإن القاضي ناصر الدين البيضاوي

لخص هذا الكتاب فأجاد، وأتى بكل مستجاد، وماز فيه أماكن الاعتزال، وطرح موضع الدسائس وأزال، وحرر مهمات، واستدرك تتمات، فظهر كأنه سبيكة نضار، واشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار، وعكف عليه الأكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكب عليه العلماء تدريساً ومطالعةً، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارعة"(١). [التفسير والمفسرون: للدكتور محمد حسين الذهبي، المجلد الأول ٣٠٠، ٣٠١ ملتقطًا]

ثم إن هذا الكتاب رزق من عند الله سبحانه وتعالىٰ بحسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية؛ فمنهم من علق تعليقه على سورة منه، ومنهم من حشّى تحشية تامة، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه .

أما الحواشي التامة عليه فكثيرة. منها:

حاشية العالم الفاضل محي الدين محمد بن الشيخ مصلح الدين مصطفى القوجوي المتوفىٰ سنة إحدى وخمسين وتسعمائة(٩٥١هـ)؛ وهي أعظم الحواشي فائدةً وأكثرها نفعًا وأسهلها عبارةً، كتبها أولاً على سبيل الإيضاح والبيان للمبتدىء في ثماني مجلدات، ثم استأنفها ثانيًا بنوع تصرف فيه وزيادة عليه؛ فانتشرت هاتان النسختان وتلاعب بهما أيدى النُساخ حتى كاد أن لايفرق بينهما. ولبعض الفضول منتخب تلك الحاشية. ولا يخفى أنها من أعز الحواشي وأكثرها قيمةً واعتبارًا، وذلك لبركة زهده وصلاحه.

وحاشية العالم مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم المشهور بابن التمجيد معلم السلطان محمد خان الفاتح وهي مفيدة جامعة أيضا لخصها من حواشي الكشاف في ثلاث مجلدات.

وحاشية الفاضل القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المصري المتوفىٰ سنة عشر وتسعمائة (٩٢٦هـ) وهي في مجلد سمّاها "فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل" أولها: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب الخ. نبه فيها على الأحاديث الموضوعة التي في أواخر السور.

وحاشية الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي المتوفىٰ سنة إحدى عشرة وتسعمائة؛ وهي في مجلد أيضًا، سماه" نواهد الأبكار وشوارد الأفكار".

وحاشية الفاضل أبى الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني المتوفىٰ في حدود سنة أربعين وتسعمائة (٩٤٥هـ) وهي حاشية لطيفة في مجلد أورد فيها

من الدقا ئق والحقائق مالايحصى، أولها: الحمد لله الذي أنزل اٰيا ت بينا ت محكمة الخ.

وحاشية شمس الدين محمد بن يو سف الكرما ني المتوفٰى سنة ست وثمانين وسبعمائة (٧٧٥) في مجلد أيضا، أولها الحمد لله الذي وفقناللخوض الخ.

وحاشيةالعالم الفاضل محمد بن جما ل الدين بن رمضان الشرواني فيمجلدين، أولها: قال الفقير بعد حمد الله العليم العلا م الخ.

وحاشيةالشيخ الفا ضل صبغة الله، وهي كبرى وصغرى، جمع من ثما ني عشرة حا شية.

وحاشية الشيخ الفاضل جما ل الدين اسحا ق القراماني المتوفٰى سنة ثلا ث وثلاثين وتسعمائة، وهي حاشية مفيدة جامعة.

وحاشيةالعالم المشهور بروشني الآيديني.

وحاشيةالشيخ محمود بن الحسين الأفضلي الحاذقي الشهير بالصادقي الكيلاني المتوفٰى في حدود سنة سبعين وتسعمائة، وهي من سورة الاعراف إلى آخر القرآن، سما ها"هداية الرواة إلى الفاروق المداوي للعجز عن تفسير البيضاوي" وفرغ من تحرير ها سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة.

وحاشيةالشيخ بابا نعمة الله بن محمد النخجواني المتوفٰى في حدود سنة تسعمائة.

وحاشية العالم مصطفى بن شعبان الشهير بالسروري المتوفٰى سنة تسع وستين وتسعمائة، وهي كبرى وصغرى، أول الكبرى: الحمد لله الذي جعلني كشاف القرآن الخ. ذكر العا شق في ذيل الشقا ئق أنه كا ن يكتب كل مايخطر بالبال في با دى النظر والمطالعة ولا ينظر إليه بعد ذلك.

وحاشيةالمولى الشهير بمناعوض المتوفٰى سنة أربع وتسعين وتسعمائة، وهو في نحو ثلاثين مجلدا.

وحاشية الشيخ أبى بكربن أحمد بن الصائغ الحنبلي المتوفٰى سنة أربع عشرة وسبعمائة، وسما ه "الحسام الماضي في إيضاح غريب القاضي" شرح فيه غريبه وضم إليه فوائد كثيرة.

وأماالتعليقات والحواشي الغيرالتامة فكثيرة جدًا، فنذكر منهاما وصل إلينا خبره ونقدم الأشهر فالأشهر، فمنها:

حاشية المولى المحقق محمد بن فرامرز الشهير بـ"ملا خسرو" المتوفٰى سنة

خمس وثما نين وثمان مائة، وهي من أحسن التعليقات عليه بل أرجحها إلى قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ سيقول السفهاء﴾ وذيلها إلى تما م سورة البقرة لمحمد بن عبد الملك البغدادي الحنفي المتوفى بد مشق سنة (١٠١٦هـ) ذكره خلاصة الأثر، ألّفه سنة اثنتي عشرة وألف، أوله: الحمد لله هادى المتقين الخ.

وحاشيةالعالم الفاضل نور الدين حمزة بن محمود القراماني المتوفى سنة إحدى وسبعين وثمان مائة، وهي على الزهراوين سماها" تقشير التفسير".

وتعليقة سنان الدين يوسف البردعي الشهير بعجم سنان المحشي لشرح الفرائض كتبهاإلى قوله سبحانه وتعالىٰ﴿وماكادوا يفعلون ﴾ وهي كالخسروية حجما عبر فيها عن ملا حمزة بالأستاذ الأوسط وعن ملا خسرو بالأستاذالأخير .أوله:الحمد لله الذي نوار قلوبناالخ.

وحاشية الفاضل المحقق عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عربشا ء الأسفرائني المتوفّى سنة ثلاث وأربعين وتسعمائةوهي مشحونة بالتصرفات اللائقة والتحقيقات الفائقة من أول القرآن إلى الأعراف ومن أول سو رة النباء إلىٰ اٰخر القراٰن إهداها إلى السلطان سليمان خان.أوله: الحمد للّٰه الذي عما بإرفاد إرشاد الفرقان الخ.

وحاشية المولى العلامة سعد اللّٰه بن عيسٰى الشهير بسعدي اٰفنديالمتوفى سنة خمس وأربعين وتسعمائة وهي من أول سورة هود إلى اٰخر القراٰن، وأما التي وقعت على الأوائل فجمعها ولده پير محمد من الهوامش فألحقها إلى ماعلقه وفيها تحقيقات لطيفة ومباحث شريفة ، لخّصها من حواشي الكشاف وضم إليها ما عنده من تصرفاته المسلمة فوقع اعتماد المدرسين عليها ورجوعهم عند البحث والمذاكرة إليها وقد علقوا عليها رسائل لا تحصٰى.

وحاشية الفا ضل سنان الدين يوسف بن حسام المتوفّى سنة ست وثمانين وتسعمائة وهي أيضًا حاشية مقبولة من أول الأنعام إلى آخر الكهف، وعلق على سورة الملك ، والمدثر، والقمر. وألحقها وإهداها إلى السلطان تسليم خان الثاني.

حاشية المولى محمد بن عبد الوهاب الشهير بعبد الكريم زاده المتوفّى سنة خمس وسبعين وتسعمائة وهي من أول القراٰن إلى سورة طه ولم تنتشر.

وتعليقة المولىٰ مصطفى بن محمد الشهير ببستان اٰفنديالمتوفّى سنة سبع وسبعين وتسعمائة وهي على سورة الأنعام خاصة.

وتعليقة المولىٰ محمد بن مصطفى بن الحاج حسن المتوفّٰى سنة إحدى عشرة وتسعمائة وهي أيضًا على سورة الأنعام.

وتعليقة العالم الفاضل مصلح الدين محمداللاري المتوفّٰى سنة سبع وسبعين وتسعمائة وهي إلى اٰخر الزهراوين مشحونة با لمباحث الدقيقة.

وتعليقة نصر اللّٰه الرومي.

وتعليقة الشيخ الأديب غرس الدين الحلبي الطيب.

وتعليقة المحقق الملاحسين الخلخالي الحسيني من سورة يٰس إلى اٰخر القراٰن أولها: ألحمد للّٰه الذي تولّٰه العرفاء في كبرياء ذاته الخ.

[كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون،المجلد الأول: ١٨٩تا١٩١]

وحاشيةالشيخ

العلامة وجيه الدين العلوي الأحمداٰبادي الغجراتي المتوفّٰى سنة ثمان وتسعين وتسع مائة(٩٩٨ه)

هذه الحاشية التي بين أيدينا في ثلاثة أجزاء:من سورة الفاتحة إلى اثنتي عشرة اٰية من سورة الحِجر.

وقد فرغت أنا من تبييض هذه الحاشية في شهر محرم الحرام سنة [١٤٣٣ه]ثلاث وثلاثين وكنت شرعت في شهر رمضان المبارك سنة سبع وعشرين وأربع مائة بعد الألف من الهجرة النبوية[١٤٢٧ه]-على صاحبها الصلاة والسلام ألف ألف مرة وعلى اٰله وأصحابه أجمعين برحمتك ياأرحم الراحمين-

وأنا الفقيرإلى اللّٰه الغني

محمد حنيف الرضوي البريلوي

٢٢/محرم الحرام ١٤٣٣ه ــ ١٨دیسمبر ٢٠١١م

وقفة مع حياة المحشي

أستاذ الهند العلامة الشيخ

وجيه الدين أحمد العلوي الغجراتي

رحمه اللّٰه تعالیٰ [٩١١هـ-٩٩٨هـ]

أعدّها: الأستاذ نفيس أحمد القادري المصباحي، أستاذ الجامعة الأشرفية،
مبارك فور، أعظم جراه، ولاية أترابرديش، الهند

إنّ القرن العاشر الهجري يحتلّ مكانة مرموقة في تاريخ شبه القارة الهندية من شتى النواحي - الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية - ففي ناحية ترى هناك صراعاً عنيفاً متواصلاً بين الملك المغولي همايون بن الملك ظهير الدين بابر و شير شاه السوري للسيطرة على سرير الحكومة، والسلطة على بلاد الهند، و تجد وقائع حاسمة وحروباً دامية بين الملك المغولي محمد أكبر بن همايون و ملوك غجرات، ذهب ضحيّتها عدد كبير من الجنود والجماهير الأبرياء.

و في جانب آخر ترى هناك علماء أجلّة و مشايخ ربّانيين يقومون بما يليق أن يكتب بحروف ذهبية من الخدمات الجليلة والمآثر القيّمة في مجال العلم والدين والدعوة والإصلاح والإرشاد، تتلألأ أسماء هم في سماء العلم والدين، وتنوّر رُبُوعَ الهند بأنوارها المضيئة. ولخدماتهم سلسلة ذهبية متواصلة تعطي أهل الهند حقّ المفاخرة بها إن كان الفخر حقّا، كالشيخ إلٰه داد الجون فوري [ت٩٢٣هـ]، والشيخ محمد طاهر الفتني [ت٩٨٦هـ] ، والشيخ عبد الوهاب المتقي الهندي [ت١٠٠١هـ]، والشيخ أحمد السرهندي مجدّد الألف الثاني [ت١٠٣٥هـ]، والشيخ المحقق عبد الحق بن سيف الدين الدهلوی [ت ١٠٥٢هـ].

ومن هٰؤلاء الأعلام شخصية علمية جليلة لأستاذ الهند في زمانه العلّامة الشيخ وجيه الدين أحمد العلوي الغجراتي الهندي- رحمه اللّٰه تعالیٰ- و هي شخصية بارزة ممتازة من

نـواحـي شتىٰ وجوانب مختلفة، قلّما ينجب الزمان مثله، فهو مفسّر جليل، و محدّث كبير، وفـقيـه خبيـر، وعـالـم يـجـمـع بين العلوم النقلية والعقلية، وشيخ رباني صاحب كشوف و كرامات.

اسمه و لقبه:

اسـمـه أحـمـد، ولـقبه"وجيه الدين"، وقد طار صيته به في ربوع المعمورة وبلغ قمة الشهـرة والـذيـوع حتـى غلب على اسمه، فهناك كثير من الناس لا يدرون اسمه ويزعمونه اسماً له.

وقـد لـقّـب بـه لـعـلوّ كعبه و طول باعه في العلوم الشرعية مع التضلّع التام من العلوم الـعـقلية والأدبية، وقد تمسك الشيخ – رحمه اللّٰه تعالىٰ– بالدين الإسلام الحنيف والعقيدة الإسـلامية الـقـويمة والعمل بما تقتضيه الشريعة الغرّاء البيضاء حتى حصل على الوجاهة في الأوسـاط الـديـنية والـعـلـمية بحيث يشيرون إليه بالبنان فصار وجيهاً في الدين حقّا، وذٰلك فضل اللّٰه يؤتيه من يشاء.

مولده:

تـولّـد الشيـخ في الثاني والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ٩١١ من الهجرة وقت الـفـجـر في مدينة "محمد آباد" المعروفة بــ "جابانير" **(Chapanir)** وكانت تقرب من مـديـنة "أحمد آباد" عاصمة ولاية "غجرات" حاليّا، وانضمّت الآن بأحمد آباد، وصارت حارةً من حاراتها.

نسبه:

يـنتـمـي الشيـخ إلـى أهـل البيـت النبوي الطاهر، حيث يتصل نسبُه إلى سيدنا الإمام الحسين الشهيد بكربلاء– رضي اللّٰه تعالٰى عنه– بأربع و عشرين واسطة، وبالنبيّ صلى اللّٰه تعالٰى عليه وسلم بستّ وعشرين واسطة، وسلسلة نسبه كما يلي:

"السيـد وجيـه الدين أحمد، ابن السيّد نصر اللّٰه، ابن القاضي السيّد عماد الدين، ابن القاضي السيّد عطاء الدين، ابن القاضي السيّد معين الدين، ابن السيّد بهاء الدين، ابن السيّد كبيـر الـديـن، ابن القاضي السيّد ظهير الدين، ابن القاضي السيّد شمس الدين، ابن القاضي السيّـد بـدر الـدين، ابن القاضي السيّد علم الدين، ابن القاضي السيّد بهاء الدين، ابن السيّد جـمـال الـديـن، ابن السيّد أحمد، ابن السيّد منتخب، ابن السيّد مرتضٰى، ابن السيّد محمد الـعـريض، ابن السيّد أحمد المبرقع، ابن السيّد موسىٰ، ابن الإمام محمد الجواد التقي، ابن

الإمام علي رضا، ابن الإمام موسىٰ الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين علي، ابن سيدنا الإمام الحسين الشهيد بكربلاء، ابن سيدنا أمير المؤمنين علي المرتضىٰ- كرّم الله تعالىٰ وجهه، ورضي الله تعالىٰ عنهم- زوج السيّدة فاطمة الزهراء- رضي الله تعالىٰ عنها- بنت سيدنا و مولانا محمد رسول الله- صلى الله تعالىٰ عليه وسلّم- (تذكرة الوجيه، للسيد حسيني پير العلوي، ص:۳۲)

يتجلّى للقارئ الكريم بعد مطالعة ماسردنا من نسبه مسلسلاً أن عديداً من أجداده تولّوا منصب القضاء في زمنهم، ومازالت أسرته تمارس العلم والدين.

لمحة عن أسرته:

قد هاجر من أجداده الشيخ الشريف بهاء الدين المكي - رحمه الله تعالىٰ- من مكة المكرمة إلى الهند، وكان يعيش في حضر موت باليمن، ثم ارتحل إلى مكة المكرمة وأقام بها، ومن هنا اشتهر بـ "المكي".

يروى أنه كان مشتغلا بذكر الله تعالىٰ في بيت الله الحرام، منقطعاً إليه عن الناس في يوم من الأيام إذ غلبه النوم فرأى النبي- صلى الله تعالىٰ عليه وسلم- يقول: "يا بنيّ! سافِر إلى الهند". وقد بادر الشيخ إلى امتثال أمره - صلى الله تعالىٰ عليه وسلم- فأمر ابنه أن يرافقه في هذه الرحلة الميمونة، فلما سمع به بعضُ مسترشديه و خدمه التمسوا منه أن يذهب بهم في هذا السفر المبارك، فقبل طلبهم فغادروا جميعاً متجهين إلى الهند، و انتهى بهم المطاف إلى مدينة "پاتري" **(Patri)** بمنطقة "گُجُرات" وكانت تلك المدينة عاصمة ولاية "جهالاوار"**(Jhalawar)** آنذاك، وكان هناك حصن حصين متين قد حفرت حوله خنادق عميقة للحفاظ عليه، يسكن فيه ملك هندوسي، فنزل الشيخ مع أصحابه هناك بجوار ذٰلك الحصن، فلمّا غربت الشمس و حان موعدُ الأذان أذّن بعضهم لصلاة المغرب بصوت عال جهوري سمعه أهل الحصن، و أقيمت الصلاة بالجماعة.

ولما سمع أهل الحصن هذا الأذان ثار غيظهم وبلغ غضب الملك قمته الأخيرة، وأمر جنده بالهجوم على هؤلاء الوافدين وقتلهم أجمعين بلا رحمة ومهلة، فقد خرج طليعة خاصّة من الجنود لتنفيذ هذه المهمة، فلمّا بحثوا عنهم لم يعثروا إلا علىٰ اثنين من خدمه يحرسان المخيم فقتلوهما، ورجعوا في ظلمة الليل إلى الحصن، وهم يحسبون أنّهم قتلوهم جميعا.

فلما طلع الفجر وحضر وقت الصلاة أذّن الشيخ- رحمه الله تعالىٰ- وهو لا يخاف

إلّا اللّٰه عزّ و جلّ فسمع الأذان جميع من في الحصن، فاستحضر الملك جنده، وسأل عنهم فأخبروا قائلين: "بحثنا فلم نجد إلّا رجلين وقد قتلناهما."

وهناك لمّا رأى الشيخ الاثنين من أصحابه قد قُتِلا أصابته كآبة شديدة، وبلغ به الحزن كل مبلغٍ فحفروا لهما قبرين ودفنوهما في ذٰلك المكان، وارتحل الشيخ إلى مدينة مجاورة اسمها "پٹن" (Patan) وشكا ظلم ذٰلك الملك الهندوسي الغاشم واعتداء جنوده على أصحابه إلى حاكم هذه المنطقة، وكان الحكومة آنذاك بدهلي للمسلمين، وكان حاكمُ ولاية غجرات ومديرُ شؤونها من جانب ملك دهلي الشيخ ظفر خان و الذي اشتهر فيما بعد بلقب السلطان مظفّر خان وهو جدّ السلطان أحمد شاه مؤسّس مدينة أحمد آباد.

فأصدر هذا الحاكم الشجاع أمراً بمحاصرة ذٰلك الحصن ومعاقبة الظالمين المعتدين، وبالفعل تمّ محاصرة هذا الملك الغُاشم وأعوانه في الحصن، واستمرت محاصرة الحصن زهاء ستّة أشهر. وقد تقع الحرب بين الجيشين خلال تلك الفترة، واتفق أن خسف القمر ذات ليلةٍ فاستأذن الملك الهندوسي المحاصر لفكّ الحصار عنه لفترة قصيرة، ليخرج من الحصن ويستحمّ (ومن تقاليد الهندوس المذهبية المتوارثة الاغتسالُ لا سيما في نهر من الأنهار حين خسوف القمر وكسوف الشمس) فوافق الشيخ على إطلاق سراحه موقّتا، وأذن له للاستحمام خارج الحصن.

فخرج الملك الهندوسي في جماعة من جنوده و أعوانه للاستحمام، فصادفه اثنان من الجنود المسلمين في الطريق وقد خرجا للاصطياد، وكانا يرجعان إلى الجنود المسلمين، ولا يعلمان بأمر العهد الذي قدتمّ بين الملك الهندوسي ورئيس الجنود الإسلامية، فبدا لهما أن يقتلاه بسهم يرميه أحدهما به، غير أنّه استقر رأيهما على التريّث في هذا الشأن إلى أن تتمّ الاستشارة مع الشيخ، فلما وصلا إلى حضرته وطلبا إذنه في قتله بسهمٍ يُرمى به منعهما الشيخ قائلاً: "من أَمَّنّاه فلا يجوز قتله غيلةً." فراعى الشيخ– رحمه اللّٰه تعالٰى– مراعاة تامّة ما أوجب علينا دينُنا الحنيف من الإيفاء بالعهود حتى مع الأعداء.

هذا، وقد منّ اللّٰه تعالٰى على المسلمين بفتح هذا الحصن بعد فترة غير طويلة من هذه الواقعة، فاختار الشيخ تلك المدينة، للإقامة واتخذها مقرّاً للدعوة الإسلامية ونشر تعاليم الإسلام النقيّة البيضاء بين أهاليها المشركين بالحكمة والموعظة الحسنة، فما لبث أن طفقوا يدخلون في دين اللّٰه أفواجًا بعد ما عاينوا أخلاقه الإسلامية الفاضلة وسمعوا كلماته المخلصة ونصائحه الغالية، ورأوا ما يصدر منه بعون اللّٰه تعالٰى ونصرته من خوارق وكرامات وكشوف

صادقة.

كـان الشيـخ- رحـمه الله تعالىٰ- عالماً جليلاً و عاملاً بما تأمره الشريعة الإسلامية، وكان يـجـمع بين جمال الظاهر وصفاء الباطن، وارتحل إلى جوار رحمة الله تعالىٰ في تلك المدينة و دُفِنَ فيها.

وبـعـد رحـلة الشيـخ بهـاء الدين- رحمه الله تعالىٰ- اشتغل ابنُه الصالح **السيّد معين الدين** فـي الـدعوة والإصلاح والإرشاد إلى سواء الطريق وبذل جهوداً جبّارة في هذا السبيل، فـأثـمـرت دعـوتـه ودخـل كثيـر مـن الهندوس من سكّان هذه المدينة في دين الله ، وسعد و بالإيمان والإسلام.

وبعد وفاته ولّي الملِك، **السيّد عطاء الدين** ابن الشيخ معين الدين منصب القضاء فـي مـديـنة"بـاتـري" تـلك، وكـان عـالما عاملاً، جامعاً بين الشريعة والطريقة، قد صحب الشيخ الربَّاني أحمد گنج بخش المغربي ولازمه إلى مدّة طويلة، واستفاد منه كثيرا.

جدُّه القاضي عماد الدين:

وكان جدُّ الشيخ وجيه الدين أحمد العلوي- رحمه الله تعالىٰ- القاضي السيد عماد الـديـن- قـدس سره-، عـالـمـا جليلاً عبقرياً، له صلة قويّة بالتصوف الإسلامي النزيه مع التـضـلّـع التـام بـالعلوم الدينية، وكانت مخايل السعادة والنجاح تتلألأ في جبينه منذ نعومة أظـفـاره، تـلقّى الدراسةَ الإبتدائية على أبيه الكريم القاضي عطاء الدين، ثمّ سافر إلى مدينة "بتن"(Patan)، وأخذ يتعلّم في مدرسة يُشرفُ عليها زوجُ أخته.

وذهـب مـرّة إلى طالبٍ ليأخذ منه بعض الأوراق لكتاب، فشكا أحدٌ من زملائه إلى أستـاذه أنّـه يـذهـب ليتـلـقى الدروس على أستاذ غيرك، فسأله الأستاذ عما شكا إليه ذٰلك الـطـالـبُ فـأجـابـه قـائلاً: مـا ذهبـتُ إلى الطالب الفلاني إلّا لأخذ بعض الأوراق للكتاب الـفـلاني ، واشتدّ حزنهُ بهذه الشكاية التي لا تمُتّ إلى الواقع بصلةٍ، وذهب توًّا إلى ضريحٍ، ونـام فـي ظلّ قُبّته، فلمّا هبّ من نومه رأى هناك شيخًا جليلاً بين يديه، فسأله الشيخُ قائلاً: من أنت؟ و أيّ كتابٍ بيدك؟ فأجابه بأني من طُلّاب العلم، وهذا الكتاب "كشف الأسرار" لـلبـزدوي. قـال الشيـخ: أَعِـدْ عَلَيَّ ما قرأت منه، فأعاده السيّدُ عليه، ثمّ أوضح الشيخ ذٰلك الـدرس و أتـى بـنـكـت عـلمية و دقائق عجيبة تعجّب منها السيّد؛ لأنه ما سمع من أستاذه درسـا مـمـلـوءًا بالمعارف والدقائق مثله قطّ، ثمّ قال ذٰلك الشيخ الجليل: لك أن تجيء إليّ كـلّ يـوم لـلتعـلّـم، ولكن عليك أن لا تبوح بهذا السرّ. فلم يمض أيام إلّا وقد ختم الكتاب

قراءةً عـليه، ثمّ قال الشيخ له: إنّك لستَ في حاجةٍ إلى أن تذهب إلى أحد لتلقّي الدروس، وتجلّى له جميعُ العلوم السائدة في ذٰلك الأوان ببركة روحانية ذٰلك الشيخ الرباني الجليل.

بـايـع السيّـدُ عـمـادُ الدين على يد الشيخ گنج أحمد المغربي، ونال الخلافة والإجازة مـنـه، وصـاحبَ السيّدَ الحسين المعروف بالشاه "قاضن" الجشتي، وحصل منه على الإجازة في الطريقة الجشتية. وكان السيّد الحسين يحبّه حبّاً جَمًّا، ويقول: " إنَّ أولاده أحبّ إليّ مثل أولادي."

وكان السلطان محمود بيكره يحبّه ويكرمه غاية الإكرام، وعهد إليه بمنصب القضاء فـي بـلـدة "بـنـدر كهـمبـايـت". فـرح به السلطان مرّة فرحاً بالغًا وقدّم إليه إقطاعةً وخلعةً فرفضهما قائلاً: "إنّ هذا الفقير مسرور في ناحية العزلة والوحدة، ويدعو فيها للملوك."

تـوفـي الشيـخ عماد الدين – رحمه اللّٰه تعالىٰ– بمدينة "باتري" في ١٠/ذى القعدة سنة ٩١٦هـ، و دُفن فيها.

له ثلاثة أبناء:

١– القاضي السيّد شمس الدين العلوي

٢– السيّد فتح اللّٰه العلوي

٣– الـقاضي السيّد نصر اللّٰه العلوي– والدُ الشيخ وجيه الدين أحمد العلوي صاحب الترجمة–.

أبوه الكريم:

هـو الشيـخ الـعـالـم الـعـارف، السيّد نصر اللّٰه ابن السيّد عماد الدين– رحمهما اللّٰه تـعـالىٰ– كـان مـن كبـار مشـايخ الهند في أوانه، وكان متّبعا للقرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة، وكانت ملامح التقوىٰ والزهد تلمع على محيّاه، وأنوار الولاية تتألق علىٰ جبينه.

كـان لـه تـضـلّـع بـعلوم الشريعة والطريقة، قد بايع في صغره على يد السيّد الحسين المدعو بالشاه قاضن الجشتي– رحمه اللّٰه تعالىٰ– وتلقى منه الخلافة في الطريقة الجشتية، ومن أبيه السيّد عماد الدين في الطريقة المغربية.

والسلطان محمود بيكره يبالغ في تبجيله، وكان له حظوة ومكانة سامية لدى الملك الـحـليم. وهو الذي كان استقدمه إلى مدينة "أحمد آباد" من بلدته "محمد آباد" المعروفة بـ "جابانير"، وأسكنه بجوار قصره، وكان السلطان يحبّ أن يعيش في مكان قريب منه.

وكـان قـد تـقـلّـد مـنصب القضاء في عهد السلطان محمود في مدينة "محمد آباد"

ولكن كان آنذاك أيضا على قدم السلف الصالح، يلتزم أحكام الدين، وقد بلغ حين تقلده منصب القضاء في الحزم والاحتياط والورع بحيث يهجر كل ما يريب أو فيه أدنى شبهة، وذٰلك يقوم به عملاً بما قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– "دَعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك."

توفي الشيخ نصر الله العلوي في العشرين من محرم الحرام عام ٩٥٨ھ في أحمد آباد، ودُفن هناك.

له خمسة أبناء: ١– الشيخ وجيه الدين أحمد–صاحب الترجمة– و هو أكبر أبنائه. سيأتي ترجمته بشيء من البسط والإسهاب.

٢– الشيخ نجم الدين: كان عالما عاملاً زاهداً، يشتغل بالذكر والعبادة في الجبال والصحارى.

٣– الشيخ ظهير الدين: كان يتقلّد منصبا عاليا في دار الضرب الملكية.

٤– الشيخ بهاء الدين: كان من الصالحين الأتقياء، يجمع صفاء الباطن إلى جمال الظاهر، توفي في حياة والده في السابع عشر من شوال، سنة ٩٤٦ھ و هو ابن سبع و عشرين سنة.

٥– الشيخ برهان الدين: هو أصغر أبناء والده، توطن مدينة برهان فور، كان على وظيفة في العسكر الملكي، لهٗ اشتغال بالعبادة والرياضة والمجاهدة، يعيش عيشا ساذجًا، و يُحسن إلىٰ الناس إحسانا كاملاً، يؤثر الناس على نفسه، توفّي ودفن في برهان فور.

أمه الكريمة:

أما أمُّ صاحب الترجمة الشيخ وجيه الدين أحمد العلوى فلم أقف على أسمها، ولا على ترجمة لها مبسوطة رغم بذل المجهود في سبيل استطلاعها، غير أنّها كانت بنت الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ محمود ابن الشيخ على شير الصديقي، وكانت من العابدات الصالحات حتى أنّها ما كانت ترضعه إلا وهى علىٰ طهارة ووضوء، ولا شك أن مثل هذا الالتزام التطوعى من الأم كان يتوقع أن ينفخ في طفلها روح الطهارة والنقاء، ويطبعه بطابع النزاهة والسمو، وهذا ماحدث فعلاً في شخصية الشيخ وجيه الدين أحمد حتى أتته البشرى من حضرة الرسول– صلى الله عليه وسلم– .

دراسته و أساتيذه:

وقد فتح الشيخ وجيه الدين عينيه في الجو العلمي المزدهر والمناخ العلمي الطيب

وبـدأ يتـلـقى العلم منذ عمره الباكر، وهو في السنة الخامسة من سنه بالضبط، واستمر على هذا النحو من الإفادة والاستفادة إلى أن بلغ الثالثة والثلاثين من عمره.

وقف أتـقـن الشيخ في هذه الفترة جميع العلوم الرائجة في ذلك العصر، وقد قيل إنه أجاد أكثر مـن ستيـن عـلـمـا من العلوم الإسلامية الأصلية والفرعية كما أتم حفظ القرآن الكريم في صغره أيضا.

وبـعـد مـاحـفـظ الـقرآن الكريم أخذ يتعلّم من عمّه القاضي السيّد شمس الدين ابن السيّـد عماد الدين العلوي وقرأ عليه الكتب في أكثر العلوم والفنون، و درس كتب الحديث مـن خـالـه الشيـخ شـاه برا ابن الشاه أبي القاسم الصديقي. ثم اشتغل بطلب العلوم والفنون على غيرهما.

مـن أسـاتـذته كبار العلماء، ومشاهير الفقهاء، فكان من أساتذته في الحديث النبوي الشـريف وعـلـومـه شيـخ الـمـحدثين أبو البركات البنباني العباسي، ومن شيوخه في العلوم الـعـقـلية الشيـخ الـعلامة عماد الدين محمود بن محمد الطارمي (ت ٩٤١هـ) ، من تلاميذ العلامة المحقق جلال الدين الدواني.

كـما نال الإجازة في رواية الأحاديث النبوية الشريفة من الشيخ المحدّث محمد بن محمد المالكي (ت ٩٢٩هـ) تلميذ الشيخ المحدث الشهير العلامة السخاوي المصري.

وقـد استـفـاد الشيـخ وجيـه الدين كثيرا من الشيخ الخطيب أبي الفضل مظهر الدين الـكـاذروني، من تلاميذ الشيخ العلامة جلال الدين المحقق الدواني، ويذكره الشيخ وجيه الدين بلقب "المولى المحقق" في مؤلفاته، إلى غير ذلك من العلماء والمشايخ.

وكـان الشيـخ أشـرب حـب الـعـلـوم، والاستـزادة منه، وكان خير المنهومين الذين لايشبـعـان: طـالـب عـلـم، وطالب الدنيا، كما ورد في الحديث النبوي الشريف. (مجمع الزوائد ١٣٥ /تذكرة الوجيه سيد حسيني بير علوي .

وأرى مـن الـمـنـاسب أن أقدّم إليكم تعريفًا وجيزًا لأساتيذه الكرام وشيوخه الفخام، وهو كمايلي.

(١) القاضي السيّد شمس الدين العلوي:

هـو ابـن القاضي السيّد عماد الدين العلوي وعمّ الشيخ وجيه الدين أحمد العلوي، كان مـن العلماء الكبار والأفاضل الأجلّاء، له رغبة صادقة إلى الزهد والعبادة والورع والتقوى. تولى مـنـصب القضاء بمدينة أحمد آباد، له مكانة مرموقة في العلوم والفنون، وله شعر جيّد في اللغة

العربية.

(٢) الشيخ شاه بَڑا ابن الشيخ أبي القاسم:

هو الشيخ شاه برا ابن الشيخ أبي القاسم ابن الشيخ الرباني علي شير الصديقى، وهو ابن أخي جدّه من الأمّ، كان من العلماء الربانيين والمشايخ

الصوفية المعروفين في ولاية "غجرات"، له قدم راسخة في التصوف والمعروفة حتى قال فيه الشيخ العارف الكبير الشاه محمد غوث الگواليري. رحمه الله تعالىٰ:

"ما رأى هذا الفقيرُ شيخًا عارفاً بالله تعالىٰ مثله."

(٣) الشيخ عماد الدين الطارمي:

هو الشيخ الفاضل العلّامة محمد بن محمود الطارمي الملقّب بعماد الدين، أحد العلماء المشهورين في الهند، وُلِد بطارم من قرى خراسان، ونشأ بها وانتقل في الجهات، واشتغل بطلب العلوم على الأئمة، أجلّهم العلّامة المحقق جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدوّاني صاحب المصنّفات المشهورة، ثم وصل إلى غجرات بكتبه، وسكن بـ "نهرواله" مدرّسا مفيضا، تخرّج عليه العلماء الأجلّة مثل الشيخ وجيه الدين أحمد العلوي الغجراتي، والقاضي علاء الدين عيسى وخلق كثير من أهل الهند، وانتهت إليه الرئاسة العلمية بولاية غجرات.

وكان والده محمود تاجرًا، واصطنع خيمةً أنفق في إعدادها مبلغًا كثيرا من المال، ولم يجد بالروم من يبتاعها، فوصل بها إلى گجرات، وعرضها على السلطان محمود بيكره، فاستكثر الثمن، فاتفق أنّه دخل الجامع الكبير للصلاة، وقد حضره الشيخ الكبير محمد بن عبد الله الحسيني البخاري، فلما قام لينصرف قبّل محمود يدهٗ، وسأله الدعاء لتبتاع خيمته التي كسد سوقها، فأشاره بحمل الخيمة إلى منزله، ونصبها هناك، ففعل، فاشتراها منه بما كانت لاتبتاع به بمغالاته في الثمن، و صرفه لوعده إلى الغد، فاتفق من قال له: كيف تعامل بهذا المبلغ الكبير من لا يملكه؟ و متى يجتمع من فتوح الغيب هذا المبلغ؟ و متى يُنجِزُ وعدَكَ؟ و حيث كان رجلا غريبا لايعرفه حق المعرفة، أثّر فيه كلامُه، و عمل فيه الوهم، فرجع إليه وهو لايدري ما يصنع، فلما قرب من المنزل رأى الخلق هجوما على الخيمة ينتهبونها، وذلك لأنّ الشيخ المذكور لمّا دخلها رأى فيها شيئًا كثيرا من الزينة لأبناء الدنيا خرج منها، وأذن الناس في انتهابها، فتسابق القريب، وتلاحق البعيد، فوقف محمود يعضّ على يده ندما، و تضاعف وهمه، فالتفت إليه الشيخ، فأشار إلى بساط

فـرش لـه فـي مجلسه، و قال له: خُذ ما هو لك من تحته، فثناه من حيث أشار، و أخذ مبلغه عن غير نقص ولا زيادة، فقبّل

البسـاط، واعتـذر إليـه، وسـألـه الدعاء، فإنّه لا ولد له يخلفه، فبشّره به، فولد محمد الطارمي صاحبُ الترجمة بقرية "طارم".

مـات فـي إحـدى و أربعين وتسع مائة من الهجرة في أيام بهادر شاه الگجراتي قبل حادثة نهرواله. ذكره الآصفي في "ظفر الواله".

(٤) الشيخ محمد بن محمد المحدّث المالكي المصري:

هو الشيخ العلّامة محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن بن حسن المالكي المصري، تولد فـي السادس عشر من شعبان سنة ستّ و خمسين وثمان مائة من الهجرة، و أمّهٗ امّ ولد، ونشأ فـي كـنف أبيـه فـحفظ القرآن الكريم، و ألفية ابن مالك في النحو وبعض كتب ابن الحاجب وغيـرهـا، و بـعـد وفـاة أبيه ورث شيئا كثيرا، ولكنّه أتلفه في أسرع وقت، ثمّ أملق وذهب إلى الصعيد، ثمّ إلى مكّة المكرمة، وقرأ هناك على الحافظ شمس الدين السخاوي الموطأ و مسند الشـافـعي وسـنن الترمذي و ابن ماجة، و سمع عليه شرحه للألفية (فتح المغيث) و غير ذلك مـن تـصانيفه، ولازمه مدّة، ثمّ توجّه إلى اليمن، ودخل زيلع و درس و حدّث، ثمّ إلى "كنبايه" وأقبل على صاحبها.

قال الشيخ جار اللّٰه بن فهد: قد عظم هذا الشيخ في بلاد الهند، وتقرّب من سلطانها محمود شاه، ولقّبه بـ "ملك المحدّثين" لِما هو مشتمل عليه من معرفة الحديث والفصاحة، وهـو أول مـن لقب به، وعظم بذٰلك فى بلاده، وانقادت إليه الأكابر في مراده، و صار منزلُه مـرجـعاً للطالبين، و صِلاتُه واصلة لأهل الحرمين، واستمرّ ذلك مدّة حياة السلطان محمود شـاه، ولـمّـا تـولـى ولدُه السلطان مظفر شاه، وأخرج بعض وظائفه عنه بسبب معاداة بعض الوزراء فتأخّر عن خدمته، إلى أن مات.

وكـانـت وفـاتـه سنة تسع وعشرين وتسع مائة من الهجرة بمدينة أحمد آباد، ودُفِن بها.

(٥) الشيخ الخطيب أبو الفضل مظهر الدين الگاذروني:

الشيـخ الـعـالـم الـكبيـر الـعلّامة أبـو الـفـضـل الـخطيب الگـاذروني، أحد الأسـاتذة الـمشهـوريـن، ولـد ونشأ بمدينة شيراز، وقرأ العلوم على الشيخ جلال الدين محمد بن أسعد الـصـديـقـى الـمعروف بالمحقق الدوّاني وعلى غيره من العلماء والشيوخ، ثمّ قدم الهند ودخل

"غجرات" في أيام السلطان محمود بن محمد الغجراتى، فسكن بها و درس وأفاد، و أخذ عنه في إلقاء كثير، وله تعليقات نفيسة على تفسير البيضاوى، وقد نسبه المندوي إلى "شيراز" و ابنُ المبارك إلى "گاذرون".

على كرسي التدريس والإفادة:

ولـمّا استقى الشيخ من نمير أساتذته وتملّأ من عيونهم الثرّة الصافية وحصل له باع طويل وبراعة ومهارة في جلّ المعارف والعلوم الإسلامية السائدة ، شرع فى بلقاً الدروس وشرح الكتب لتلاميذه، فقام بهذا الواجب الدينى خير قيام و بمهارة فائقة قد حببته إلى قلوب الطلبة المتعطشين. ولم يتوان في أداء هذه الفريضة يوما من الأيام ، ولم يأل جهدا في تأدية هذه الخدمة الجليلة في وقت من الأوقات، بل أصبح في ذلك نموذجا يحتذى، ومثالا يقتدي.

ودوى صيته العلمي في مختلف الأوساط العلمية في عموم الهند، وبدأت تتوافد قوافل متعطشي العلوم والمعارف، وجموع طلبة العرفان والهداية من شتي أرجاء الهند ينهلون من منابعه الصافية الجياشة، ويرتوون من مناهله الرائقة الفياضة، كل على حسب نهمه وغلته.

ولم تقتصر دروسه قط على شرح الكتب المدرسية التقليدية، وحشو أدمغة الطلبة بالمعلومات- كما نرىٰ في أيامنا هذه- بل اقترنت هذه الدروس الشفوية بالتربية الروحية والتزكية القلبية.

وكان تلاميذه يتربون على أساس التخلية والتحلية، و من هنا تخرج على يديه علماء صلحاء هداة مهديون يحملون مشاعل الهداية يستنيرون بها أولا وينيرون الدروب للآخرين ثانيا.

ومن أعجب ما تميز به دروسه أنه لم يوقف دروسه طول حياته إلا أربع مرات فقط وذلك بعروض الضرورات الملجئة، وحدوث الظروف الشديدة.

ولا شك أن مثل هذا الالتزام الصارم يندر نظيره في تاريخ العلم والعلماء، وذلك غير خاف على المشتغلين بالعلم.

تلاميذ الشيخ وخلفائه:

لابدهنا من ذكر بعض أشهر تلاميذه الذين تألقت أسمائهم في سماء العلم والمعرفة، والذين أدوا دورا بارزا في نشر المعارف الإسلامية في ربوع البلاد،

بـل كـرّسـوا حيـاتهـم لـخـدمة الإسلام والمسلمين، ووقفوا كل لحظة من لحظات عـمـرهـم الـغالي في إحياء السنة النبوية المطهرة، والذود عنها، وبذلوا غاليهم ونفيسهم في تبـليغ رسالة الإسلام إلى كل بقعة من بقاع البلاد و إلى كل قطر من أقطار المدن والقرى، التـي قـد لا تتيسـر لـلـوصـول إليهـا وسائل المواصلات بسبب الجبال، والوديان، والأنهار، والبوادي.

وقـد مثـل كـل تلميذ من تلاميذه داعية نشيطا، ومبلغا متحسما في صفوف الدعاة و المبلغين لرسالات الله – عز و جلّ– التي أنزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– مخرج الناس جميعا من الظلمات إلى النور.

ولا شك أن هـؤلاء التـلاميـذ إنما ورثوا هذه الروح الدعوية والحماس الإسلامى من أستاذهم ومربيهم، وشيخهم الشيخ وجيه الدين– رحمه الله تعالىٰ.

وكـان مـنهـم مـن زيّـن كـرسـي مـنصب القضاء والإفتاء، وكان منهم من أضاء شموع الـدرس والتـعـليـم، وكـان مـنهـم مـن نـوّر منابر الدعوة والإرشاد بالموعظة الحسنة، والنصح الـجـميـل، وكـان مـنهم من أحيا قلوب الناس بتزكية النفوس وتحليتها بمكارم الأخلاق التي بـعث لأجل تتميمها سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم–، ولم تحل بيـن انتشـار أنوارهم وضياء هم حدود الزمان والمكان فقد تألقت شموس معارفهم في الشرق والغرب في العرب والعجم.

وأود أن أذكر بعض المشاهير منهم لأن التلاميذ جزء من سيرة الأستاذ فمنهم:

١ –الشيخ الشريف العلامة صبغة الله الحسيني المدني:

تـولد في مدينة "بروج"(**Bharuch**) بـولاية غجرات. وهو من أجل تلاميذ الشيخ وجيه الدين وأرشد خلفاء ه.

تـلـقـى الثقافة الإسلامية في مدرسة شيخه قرابة تسع سنوات وكان مقيما بمساكن الطلبة التابعة للمدرسة.

وقـد أكـرم بـالإجـازـة والإذن فـي رواية الأحـاديث النبوية الشريفة من الشيخ وجيه الدين – رحمه الله تعالىٰ– مع شرف الخلافة منه في الطريقة.

وظل يقوم بتأدية الواجب الإسلامي من التعليم وإلقاء الدروس في الهند بأمر شيخه– رحمه الله تعالىٰ– ثم نشأت فيه رغبة شديدة لزيارة الحرمين الشريفين فذهب إلـى الحجاز وتشرف بزيارة الحرمين الشريفين ثم رجع إلى وطنه، بعد ذٰلك ارتحل إلى مدينة

"مالوه" سنة ٩٩٩هـ.

ثـم تـاقـت نـفسـه لزيارة الحرمين الشريفين، فارتحل إلى مدينة "أحمد نگر"بولاية الـدكـن، وأقـام فيهـا عاماً، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، وبعد الفراغ من الحج والزيارة عـزم عـلـى الإقـامة فـي المدينة المنورة– بلد حبيب الله – عليه الصلاة والسلام– ولـم يزل يفيد الناس في هذا البلد الكريم فترة طويلة.

وكـان مـن الـصـالـحيـن ظاهر الصلاح، وقد أظهر المولى– عز و جل– كرامته بين الناس.

ويـذكـر أنه كان من عادته أن يصلي ويسلم على النبي– صلى الله عليه وسلم– كل يوم وهو واقف أمـام الـقبـر الـنبـوي الشـريف، وقـد خاطبه النبي – صلى الله عليه وسلم– "وعليك السلام يا ولـدي!" وقـد سـمـع هـذا الـرد الـكـريم كل من كان حاضرا في هذه البقعة الطيبة في ذٰلك الوقت المبارك.

وكـان الشيـخ وجيه الدين– رحمه الله تعالىٰ– يكنّ لهذا التلميذ الرشيد تقديرا كبيرا وحبـا بـالـغـا حيـث كـان يـكتب في خطاباته إليه ملقبا إياه بلقب "مجد الدين" و "مخدوم العالم".

توفي في المدينة المنورة– زادها الله شرفاً و تعظيماً – وذٰلك يوم الجمعة ٢٨/ جمادى الأولىٰ عام ١٠١٥هـ وكان عمره ذٰلك الحين ثلاثة و ستّين عاما، ودفن بالبقيع المبارك، رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة.

٢–الشيخ ملا حسن الفراغي:

هو من كبار تلاميذ الشيخ وجيه الدين العلوي،رحمه الله تعالىٰ.

وكـان صـاحـب هـمة عـالية، وعـزم أكيد، كان له مقام رفيع في التقوى، والتوكل، والكمالات الربانية.

أقام في بداية الأمر بمكة المكرمة قرابة اثنتي عشرة سنة، وقد قرأ خلال هذه الإقامة عـلـى الشيـخ عـلـي الـمتـقـى الهندي (مؤلف كنز العمال) ثم عاد إلى مدينة "أحمد آباد" وواصـل الـدراسة فـي مـدرسة الشيـخ وجيـه الـدين– رحمه الله تعالى– حوالي ثلاثة عشر عاما.

وكـان لـه إسهـامـات فـي إثراء المكتبات الإسلامية بالمؤلفات النافعة، فمنها شرح "لوائح جامي"، و كتاب "المعراج" و "الوسيلة إلى شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم–"،

وتلخيص كتاب "الشفا" للقاضي عياض و تلخيص "الشمائل" للترمذي، وغيرها من الكتب.

توفي في أوّل رمضان الكريم عام ١٠٢٩ﻫ ودفن في برهان فور (الهند) وقبره معروف هناك.

٣–الشيخ ضياء الدين الشطاري:

هو نجل الشيخ محمد غوث الكواليري شيخِ الشيخ وجيه الدين العلوي – رحمهما اللّٰه تعالىٰ– في الطريقة.

ولد عام ٩٣٦ﻫ وكانت سنه ثلاثة عشر عاما عند زيارته الأولى لمدينة "أحمد آباد" مع والده الكريم الشيخ محمد غوث.

قد حفظ القرآن الكريم أولا ثم شرع في دراسة العلوم الشرعية الأخرى، وقد فوض والده الكريم أمر تعليمه وتثقيفه إلى الشيخ وجيه الدين ليتحلّى منه بالعلوم السائدة آنذاك، وظل يدرس عنده وتحت إشرافه التفسير، والحديث والفقه، والأصول، والمنطق وغيرها من فنون المعرفة تسع سنوات.

وكان مغرما بفن تفسير القرآن الكريم، وقد ساعده في ذٰلك حفظه للقرآن الكريم منذ صغره، كما تتلمذ على الشيخ المحدث محمد طاهر المكي صاحب التصانيف الرائقة والمؤلفات الجليلة، من مؤلفاته "مجمع الأنوار" و "المغني" في أسماء الرجال و "تذكرة الموضوعات".

نال الإذن وأكرم بالخلافة من والده الكريم الشيخ محمد غوث ، وبعد أن توفي أبوه عام ٩٧٠ﻫ عاد إلى مدينة "كواليار" للإقامة الدائمة غير أن الملك أكبر أبدى رغبته في رجوعه إلى مدينة "أكره" ليقيم في جواره.

وقد أقام– حسب رغبة الملك– بها وقضى قرابة ٣٥عاما.

ويذكر أن مجلسه كان عامرا بالعلوم النافعة، والمواعظ الحسنة. وكان يسعى في قضاء حوائج الناس وهو من شيم الصالحين، وكان ملتزما بالشريعة الإسلامية ، يتحرى تطبيق كل حكم من أحكامها بكل دقة وأمانة.

وكان يتقرب إلى اللّٰه – عز و جل– بكثرة النوافل، ويلتزم بها ولا يتواني فيها.

توفي ٣/ رمضان الكريم عام ١٠٠٦ﻫ ودفن في بلدة "أكره".

٤- الشيخ كمال محمد العباسي الغجراتي:

ولد الشيخ كمال محمد عام ٩٥٨هـ في "أحمد آباد" بولاية "غجرات". قرأ على الشيخ وجيه الدين حتى أتقن العلوم المتداولة في ذٰلك العصر وكان أميل إلى الحديث النبوي الشريف وعلومه فكانت مهارته فيه أبين وكانت جهوده العلمية فيه أغزر.

سافر من "أحمد آباد" إلى مدينة "مالوه" عام ٩٨٩هـ واشتغل في نشر الثقافة الإسلامية فيها ثلاثين عاما بنشاط وهمة كما تقلد منصب القضاء والإفتاء فيها.

كان حافظا، عالماً، محدّثا، عابداً، صالحاً، مبتعداً عن الأعمال اللاغية و الأمور الخرافية كلّ الابتعاد، توفي في ١٠/ شعبان، عام ١٠١٣هـ ودفن في مدينة "أجين" **(Ujjain)** بولاية مادهيا برديش بالهند و قبره هناك يزار ويتبرك.

٥- الشيخ يٰس الساماني الغجراتي:

ولد الشيخ يٰس في مدينة "جونا كره" ولا تعرفنا المراجع تاريخ ولادته، تلقى العلوم الإسلامية أولا لدى الشيخ وجيه الدين المترجم، ثم أكرم بالخلافة والإجازة من شيخه الكريم، وقد اشتاق بعده إلى زيارة الحرمين الشريفين فسافر إليهما، والتقى بكبار شيوخ هذه البلاد الطيبة، وحصل منهم على الإجازة في رواية الأحاديث النبوية الشريفة ثم عاد إلى "بنجاب" في الهند وعكف على التعليم وشرح الدروس للطلبة لفترة، ثم انتقل إلى مدينة "سرهند"**(Sarhind)** وانشغل بتوجيه الناس وإرشادهم ودعوتهم إلى اللّٰه عز و جل.

و انتهى به المطاف العلمي إلى "بهاكل فور" في ولاية "بهار" حيث توفي هناك.

ومن خلفاء ه في هذه المدينة الشيخ الرّبّاني الشهير "شهباز محمد بهاكل فورى" ولا تزال هذه الزاوية ترشد الناس إلى يومنا هذا في محافظة "بهاكل فور"

٦- قاضي القضاة الشيخ جلال الدين الملتاني:

هو الشيخ الفقيه، العالم الجليل جلال الدين الملتاني. لازم الشيخ وجيه الدين- رحمه اللّٰه تعالىٰ- والشيخ جلال الدين الأنصاري الأكبرآبادي، وعني بدراسة العلوم العقلية والنقلية حتى تعمق فيهما.

وكان يعد من نوابغ عصره، وعجائب دهره، وكان يشار إليه بالبنان لعظم شأنه في العلوم والمعارف، وكان جريئا في الجهر بالحق ولا يخاف في ذٰلك لومة لائم، ولا شك أن هذه هي شيمة العلماء الربانيين وعادة أسلافنا الأمجاد.

قد نهل الناس من ينابيع علمه في "أكره" حين إقامته فيها، وكان الملك أكبر من المعجبين بمهارته الفقهية، وكان يُكِنُّ له احتراما بالغا لِمَا ذاع في الآفاق من صيته العلمي وسمعته الطيبة، وكان في موضع تكريم منه لوجاهته الدينية والثقافية.

وقد نصبه هذا الملك قاضيا، في "أكره" لإجادة الفقه، وامتلاكه ناصية الإجتهاد، غير أنه لم يطب عيشه فيها وتكدّر خاطره، لما كان يتعرض له من الإنتقادات اللاذعة، من قبل خصومه من العلماء وقد تضايق من هذه المناقشات والمشادات المستمرة التي كانت تشتد بينه و بين معارضيه من حين لآخر، فاضطر للسفر ومغادرة هذه المدينة وانتقل إلى "بيجافور" بولاية "الدكن"

وتنفس الصعداء في هذه المدينة، وحظي بتكريم الولاة والأمراء، وتيسر له الهدوء المنشود ليتفرغ للعبادة والتقرب إلى الله– عز و جل– بعيدا عن الغوغاء والتشويش.

توفي الشيخ عام ٩٩٩هـ، رحمه الله تعالىٰ ونفعنا ببركاته.

٧– الشيخ الشريف عبد الغفور:

هو من ألزم التلاميذ بالشيخ وجيه الدين العلوي وأطولهم صحبة له.

كانت جلّ همته مبذ ولة صوب الحديث النبوي الشريف والفقه، قد جعل أكبر همه حفظ الأحاديث والخوض في أغوار معانيها، ولم تصرفه هذه الرغبة عن استيعاب المتون الفقهيّة ودراستها.

قد أكرمه الشيخ وجيه الدين – رحمه الله تعالىٰ– بالخلافة والإجازة لما كان يتوسم فيه من الخير والصلاح، والهداية والرشد.

لزم الشيخ عبد الغفور عتبة شيخه مدى الحياة ولم يفارقها طيلة عمره.

كرّس عمره الغالي في الشواغل التعليمية في مدرسة شيخه بـ "أحمد ّباد"، توفي هناك ودفن بجوار الشيخ وجيه الدين، فكأنه رافقه في حياته ولم يفارقه حتى بعد وفاته، رحمهما الله تعالىٰ وجزاهما خير الجزاء.

٨– الشيخ عبد الغنى العباسي الجونفوري:

ولد الشيخ عبد الغني الجونفوري في مدينة "جون فور" ومن هنا قيل "الجون فوري" ولكنه انتقل في طريق طلب العلم من مدينة إلى مدينة حتى انتهى به النهم العلمي إلى مدينة "أحمد آباد" وتتلمذ على الشيخ وجيه الدين– رحمه الله تعالىٰ– وتربى تحت إشرافه حتى أكرم بشرف الخلافة والإجازة من شيخه.

ثم عني بالتعليم و إلقاء الدروس في مدرسة شيخه، وظل يخدم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هناك إلي آخر حياته.

كان له يد طولىٰ في التصنيف والتاليف، وقد خلّف عديداً من المؤلفات القيّمة.

توفّي في ٢٩/ ربيع الآخر، سنة ١٠٢٥ھ، ودفن على مقربة من ضريح شيخه العلّامة وجيه الدين أحمد العلوي-رحمهما اللّٰه تعالىٰ.

في ميدان الطريقة والتصوف:

كان للشيخ وجيه الدين العلوي صلة عميقة بالطريقة والتصوف، وكان يحبّ رجالها، ويلتزم بأوراد الصوفية ورواتبهم، ويداوم على الوظائف والأدعية.

إنه بايع في البداية على يد الشيخ قاضي خان الجشتي النهروالي المعروف بالشيخ قاضن- رحمه اللّٰه- ، ولبس الخرقة منه، ثم أخذ الطريقة العشقية الشطارية عن الشيخ محمد غوث الگواليرى صاحب الجواهر الخمسة، واشتغل عليه بالأذكار والأشغال زمانا.

في جناب الشيخ محمد غوث الگواليري:

قبل أن أتحدّث عن صلة الشيخ وجيه الدين العلوي بالشيخ محمد غوث الكواليرى- رحمه اللّٰه- ينبغى لي أن أذكر هٰهنا نبذة من أحوال الشيخ الكواليري، وهي كما يأتي:

هو الشيخ الكبير محمد بن خطير الدين بن عبد اللطيف بن معين الدين بن خطير الدين بن أبي يزيد بن الشيخ فريد الدين العطّار، الشطّاري الكواليري المشهور بالشيخ محمد غوث، كان من كبار المشايخ الشطّارية، تولّد ونشأبمدينة "كوالير" **(Gwaliar)** (وهي مدينة في ولاية ماديا براديش بالهند، شهيرة بقلعتها) وتلقّى العلم عن صنوه فريد الدين أحمد العطاري، وأخذ عنه علم الدعوة والتكسير، واشتغل ببادية، "چُنار گڑھ" وسكن بمغاراتها اثنتي عشرة سنة، يغتذي بها من أوراق الأشجار، وأخذ الطريقة الشطارية عن الحاج المعمر حميد بن ظهير الشطّاري، ولازمه مدّة، ثم تولّى الشياخة، وقرّبه همايون شاه التيموري أحد الملوك المغول إليه، وكان يأخذ عنه علم الدعوة.

فلما خرج همايون شاه إلى إيران وتولى المملكة شير شاه السوري أحسّ الشيخ محمد غوث منه شرًّا، فخرج إلى غجرات، وافتتن به الناس، وأنكر عليه العلماء في بعض ما صدر من ادّعاء المعراج لنفسه، وأخرج من بلد إلى بلد حتى قام بنصرته العلّامة الشيخ وجيه الدين العلوي الغجراتي، فسكن الضوضاء وحصل له القبول العظيم في گجرات فأقام

بها سنين. وبعد رجوع همايون شاه من إيران رجع إلى كواليار سنة (٩٦٣هـ)، وتوفي همايون شاه قبل وصوله إلى بلاده، فمكث ببلدته زمانا، ثم دخل مدينة "آغره" فأكرمه الملك المغولي أكبر بن همايون شاه، ولكنّه رجع إلى "كواليار" لأجل إنكار العلماء عليه ومخاصمة الشيخ عبد الصمد بن الجلال الدهلوي.

وكان شيخا جليلا، وقوراً، عظيمَ الهيبة، ذاسخاء و إيثار و تواضع للناس، وكان يسلّم عليهم ويقوم لهم ، وكان لا يعبّر عن نفسه بـ "أنا" وقتَ التكلم، بل يقول: الفقير يقول كذا و يفعل كذا . هكذا ذكر البدايوني. وقد دخل بأخلاقه الكريمة كثير من المشركين في حظيرة الإسلام.

له مصنّفات عديدة:

١- الجواهر الخمسة: وهى من أشهر مصنفاته، صنّفها في بادية "چُنار گڑھ" عام تسعة وعشرين وتسع مائة من الهجرة [٩٢٩هـ]و هو ابن اثنتين و عشرين سنة، ثم رتبها ترتيباً جديداً أحسن من الأول سنة ستّ و خمسين و تسع مائة هجرية [٩٥٦هـ] وقد جمعت هذه الرسالة أغلب معمولات الصوفية، وكان قد ترجم هذا الكتابَ إلى اللغة العربية قديما الشيخُ صبغة الله البهروجي، و نشر مع تعليقات بعض العلماء من تلاميذه وكان هذا الكتاب قد حظي بقبول عام في أوساط رجال العلم والدين.

٢- كليد مخازن (مفتاح الخزائن): هذا الكتاب باللغة الفارسية، وقد شرحه الشيخ العلامة وجيه الدين العلوي-رحمه الله تعالىٰ-

٣-البصائر	٤-الضمائر
٥-كنز الوحدة	٦-الأوراد الغوثية
٧-الجواهر السبعة	٨-رفيع الدرجات

٩-سبيل المحققين والمجذوبين ١٠- شرح التسعة والتسعين من أسماء اللّٰه الحسنىٰ

١١-حسن الأخلاق

توفي يوم الأثنين لثلاث عشرة ليلة بقين من رمضان سنة سبعين وتسع مائة من الهجرة بمدينة "آگره" فنقلوا جسدَه إلى گواليار. (الإعلام بمن في الهند من الأعلام، ٤/٢٦١، بحذف وتغيير)

يقول الشيخ غلام علي آزاد البلجرامي الهندي:

"لما ورد الشيخ محمد غوث الگوالياري صاحب الجواهر الخمسة بغجرات تلاشى الشيخ وجيه الدين في جماله، وسلك إلى منتهى الطريقة في ظلاله، ومتّع الطلبة بجلائل الإفادات، وملأ شرق العالم وغربه من لوامع البركات.(انظر سبحة المرجان في آثار هندوستان، ص:٤٥)

كان الشيخ العلوي يحبّه حبّا جمّا، ويعترف بمكانته الروحية، ويُثني عليه ثناءًا بالغا. ومما يدلّ عليه ما نقله الشيخ محمد غوثي في كتابه "گل زار أبرار" وهو كما يأتي:

"قال الشيخ وجيه الدين العلوي لمولانا عالم گل بهاري: قد نشأت في نفسي رغبةٌ إلى تحصيل المقدمات التي يتوقف عليها كشفُ الحقائق الإلٰهية و إدراكُها حينما كُنتُ مشتغلاً بالدراسة والتعليم، وإذا جذبتِ الشيخَ غوثُ الرحمن من گواليار إلى غجرات مشيئةُ اللّٰه التي فى مقدوراتها مئاتٌ من النكت والدقائق والعجائب، وهذا هو الذي بعثني على التشرف بتقبيل قدميه، وما لبث أن تحوّل إيماني إيمانا خالصا، تحوُّلَ النحاس الأصفر إلى الإبريز الخالص بتربيته اليكيمياوية، وطفقتُ أتجوّل في جنة الإيمان الحقيقي الخالص بعد ما حرّرتُ من قيود المعتقدات التقليدية، وبعد أيام قلائل تكرّمت بنيل الإجازة والخلافة المطلقة." (گل زارِ أبرار، ص:٤٠٦، طبعة عام ١٣٢٦هـ)

وقال مرّة:

"قبل لقاء الشيخ (محمد غوث) لم يكن لي معرفة باللّٰه أصلاً، والذي أوصلني إلى اللّٰه تعالٰى هو الشيخُ محمد غوث–رضي اللّٰه تعالٰى عنه–." (ملفوظات شيخ وجيه الدين گجراتي، مخطوطة، باللغة الفارسية، مكتبة الكلية الإسلامية، پشاور، پاكستان)

الشيخ العلوي مجدّدًا للأمّة:

إن الشيخ العلامة وجيه الدين له فضائل جمة، ومناقب شتى، ومن جملة ذٰلك ما روي أن الشيخ المحدث علي المتقي– رحمه اللّٰه تعالٰى– وهو من العلماء الأفذاذ، والأفراد النوادر في العلم والعمل قد اشتهر بلقب "شيخ مكة المكرمة" وهو صاحب المؤلفات القيمة في الحديث النبوي الشريف، قد هاجر من الهند عام ٩٥٣هـ إلى مكة المكرمة واستقر فيها.

يذكر أنه كان يشرح الأحاديث النبوية الشريفة في الحرم الشريف، وفي يوم من الأيام في أثناء شرحه لهذا الحديث الشريف "إن اللّٰه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجددلها أمر دينها." (سنن أبى داؤد ١٠٩) وجّه أحد الحاضرين سؤالا طريفا حيث

قال: "من القائم بأداء هذه المهمة في هذه الأيام؟" وقد أعجب بهذا السؤال جميعُ الحاضرين، وكأنّه كان سؤالا يختلج بخواطرهم جميعا.

غير أن الشيخ لم يقل في هذا الأمر شيئاً في ذلك الدرس، واستمهلهم فرصة حتى يلهم بعلم اليقين ، وطلب منهم الإنتظار، وقد انتظر كل واحد منهم بلهفة وشوق.

وفي نفس الليلة، بعد أن انتهى الشيخ من قيام الليل، توجّه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بقلبه، وجمع خاطره إليه، فما لبث أن تلقى منه – صلى الله عليه وسلم – ما يشير إلى الشيخ وجيه الدين، فانبسط وانشرح صدره بهذه البشارة.

فلما اجتمع الطلبة للدرس أخبرهم بهذا الأمر ، وقد عزم بعد ذلك على السفر إلى غجرات ليخبره بفضله، ويتشرف بلقائه فما لبث أن غادر إلى الهند

فلما التقى بالشيخ وجيه الدين، وأخبره بهذا الخبر السار أخذ على الشيخ علي المتقي عهدا ألا يبوح بهذا السر لأحد.

وهذا هو سمة العلماء الربانيين، فإن علو مقامهم لايزيدهم إلا تواضعا وقد تأكد هذا الفضل للشيخ وجيه الدين ببشارة مماثلة من الشيخ محمد البكري – رحمهم الله تعالى جميعا ونفعنا ببركاتهم.

المحدث الدهلوي في حضرة الشيخ وجيه الدين:

إن الشيخ الشريف وجيه الدين – رحمه الله تعالى – من أولئك الشخصيات البارزة التي نالت تقدير العلماء الهنود العظماء واحترامهم الفائق، فها هو الشيخ المحقق صاحب المؤلفات الكثيرة، العلامة عبد الحق المحدث الدهلوي قد نال من الشيخ وجيه الدين الإذن في بعض الأذكار، والأدعية القادرية.

وأظهر سعادته بلقائه مع الشيخ، وذلك عام ٩٩٥هـ حيث كان المحدث الدهلوي قد تأخر عن اللحاق بقافلة الحج في هذا العام فنزل في مدينة "أحمد آباد" مؤطن الشيخ وجيه الدين كما ذكره هذا كله الشيخ عبد الحق نفسه في كتابه "أخبار الأخيار" – رحمهما الله تعالى.

الملك أكبر و احترامه للشيخ:

يذكر أن الملك أكبر قام بزيارة "أحمد آباد" فرغب في لقاء الشيخ وجيه الدين – رحمه الله تعالى – وسرّ بلقاء ه مع أن حساده قد حاولوا إحداث سوء الظن بالشيخ من الملك.

وقد انتهز الملك هذه الفرصة للاستفادة من الشيخ في بعض القضايا الدينية، التي كانت تختلج في صدره، فاستفسر الملك في هذه المناسبة عن المذاهب الفقهية الأربعة وأيها أحق بالاتباع؟

فأوضح للملك حقيقة المذاهب الأربعة ببساطة بالغة وضرب مثلا حيث قال: نفترض أن لقصر الملك أربعة أبواب فمن أيها دخل القاصد ظفر بزيارة الملك، فكذٰلك حال المذاهب الأربعة فهي كلها طرق موصلة إلى طاعة الله– عز و جل– وطاعة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فانشرح صدر الملك بهذا التوجيه الجميل، وازداد حبه وتكريمه للشيخ، جزاه الله خير الجزاء.

وقد ذكر أن الملك جهانكير نزل في مدينة "أحمد آباد" مرة للتنزه،

وأبدى رغبته في زيارة مقامات الصالحين في هذه المدينة، فزار ثلاثة أضرحة وقرأ الفاتحة لأصحابها وكان من بينها مقام الشيخ الشريف وجيه الدين– رحمه الله تعالىٰ.

من شيمه و أخلاقه:

لقد أكرم الله تعالىٰ الشيخ العلوي– رحمه الله تعالىٰ– بكثير من الخصال الحميدة، والأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة، وكان من بينها أنه كان قنوعا بما أعطاه الله من المال والثروة، وكان يلبس ما تسير، وما لا يميزه بين الناس وكان يكتفي من الثياب ما خشن، ويعيش عيشة بسيطة، بعيدا عن ترف المترفين والمترفهين من علماء البلاط.

وكان يتجلى من هيئته كمال الصلاح وسمات التقوى، وكان حديثه للناس في المجالس ينم عن كمال الحكمة، وعمق الفهم والدراية، وكان كلامه وجيزا بصفة عامة ولكن جامعا على طريقة العلماء الراسخين والحكماء الحصفاء.

وكان متواضعا حسن الأخلاق طيب المعاملة، يعطي كل ذي حق حقه.

وكان عطوفا رقيق القلب، رحيما بخلق الله كما هو معهود من عادة السادة الصوفية عامة، وشيمة الصالحين من هذه الأمة، أمة رحمة الله للعالمين.

وهذا ما يتجلى من هذه القصة، فقد نقل أن الشيخ وجيه الدين العلوي – رحمه الله تعالىٰ– كان يمر بقصر أحد الملوك مرة فرأى أن أحد المجرمين يقاد إلى المشنقة لاتهامه بجريمة من الجرائم الكبرى فلما وقع نظر هذا المتهم على الشيخ ناداه للعون واستغاث به، وقال: "بالله عليك يا سيدي! خلصني من هذا البلاء والله إني لبريء مما يتهمونني و إن شنقوني شنقوني بريئًا" لما كان يعرف من مكانة الشيخ لدى الملك.

فأخذته الرأفة بهذا المتهم، وجاء إلى الملك، وطلب منه إيقاف الحكم و إعادة النظر في قضيته، والإستئناف في تحقيق جريمته فلما أعيد البحث تبين فعلاً أنه بريء والمجرم غيره فطلب الشيخ من الملك إطلاق سراحه فخلى سبيل هذا البريء المسكين.

وفي ذٰلك الوقت قال الملك للشيخ العلوي: "كيف لا يخلّى سبيل هذا المسكين وهو بريء ، واللّٰه لو أنك شفعت في المجرم الذي تأكدت جريمته لأطلقتُ سراحه." وذلك تقديراً لمكانة الشيخ وإجلالاً لشأنه.

كان منقطعاً إلى اللّٰه تعالىٰ، مشتغلاً بالدرس والإفادة، متجرّداً عن أسباب الدنيا، لم يتردد إلى بيوت الأمراء والملوك والأغنياء إلّا مرّة أو مرّتين في عمره مُكرَها، فما رآه أحدٌ إلّا في بيته أو المسجد مشتغلاً بالإفادة والعبادة.

من شذراته القيّمة:

ينبغي لنا بهذه المناسبة الطيّبة أن نقدّم إليكم بعض الفرائد من نصائحه الغالية و إرشاداته العالية وتوجيهاته السامية، وهو كما يلي:

١. اجتنبوا عن العادات التي تلهي عن اللّٰه عز و جل، واهجروا كل ما ينسي ذكر اللّٰه عز و جل.
٢. قد أراد اللّٰه– عز و جل– أن يعرفه الجميع (يريد اطلبوا معرفته تُوَفَّقوا فيها).
٣. اطلبوا العلم! واجتهدوا في المجاهدة فإن الغرض منهما واحد.
٤. لا تنتظروا الإلهام والكرامة، أو الكشف، خلال المجاهدة والرياضة الروحية.
٥. اهجروا الدنيا تجدوا اللّٰه– عز و جل– وابتعدوا عن الدنيا تقتربوا من اللّٰه عز و جل.
٦. إن الرياضة الروحية، والمجاهدة في وقت الشباب نافعتان جدا، وكلما كانت المجاهدة في وقت الشباب أكثر كانت أنفع.
٧. إن النفس لعرضة للأخطار، فاذكروا اللّٰه تندفع به الأخطار.
٨. إن ذكرك للنبي–صلى اللّٰه عليه وسلم– يقربك إليه، وذٰلك مع الفتوحات التي تأتيك بذكره صلى اللّٰه عليه وسلم.
٩. إن مساعدة الفقراء والمحتاجين، وحسن التعامل معهم عبادة من عبادات اليد، والمشي إلى لقاء الأقارب، أو زيارة العلماء والصالحين عبادة من عبادات القدم، والنظر في مظاهر القدرة الإلٰهية (في النفس والكون) وسكب العبرات من الخوف والوجل من المثول بين يدي اللّٰه–عز و جل– عبادة من عبادات العين، والاستماع

إلى ذكر اللّه– عز و جل– والإصغاء إلى موعظة العلماء والصالحين عبادة من عبادات الأذن، وقطع الصلات

عن الدنيا (تطهير القلب من حبها) وتذكير النفس بالرجوع إلى الآخرة عبادة من عبادات القلب، وتلاوة القرآن الكريم وترديد الأدعية المأثورة عبادة من عبادات اللسان، والرغبة في لقاء اللّه – عز و جل– والشوق فيه عبادة من عبادات الروح.

١٠. اذكروا اللّه دائما؛ فإن الذكر يدفع الوسوسة، وينير القلب، و إنّ علامة صفاء القلب وطهارته حدوثُ الشوق في القلب إلى اللّه –تعالىٰ– والحبّ له.

أولاده:

رُزق الشيخ العلوي – رحمه اللّٰه– تسعة بنين و بنتين.

أبناء ه فكما يلي:

١–السيّد شاه محمد:

تولّد في سنة ٩٢٨هـ ، كان حافظًا للقرآن الكريم، و من العلماء الأفاضل، تولّى منصباً عاليا من الحكومة آنذاك وهو شابّ، نال الخلافة والإجازة في جميع سلاسل الصوفية من أبيه الكريم، توفي في الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ٩٩١هـ في مدينة برهان فور، و هو ابن ثلاث و ستّين سنة.

٢–السّيد عبد اللّه الحسيني:

تولد بأحمد آباد في سنة ٩٣٠هـ، قرأ جميع العلوم السائدة آنذاك على أبيه الكريم وتخرّج على يديه، كان من العلماء الأفاضل والرجال الصالحين، يقوم بالليل ويصوم بالنهار، له رغبة زائدة وشغف تام بالقرآن الكريم، وكان على قدم والده في الأخلاق الفاضلة والعادات النبيلة، قام أبوه الكريم بإلقاء الدروس إلى مدّة مديدة تُقَدَّر أربعة و ستين عامًا فلازم خدمته في هذه الفترة الطويلة، وما زال يتمتع بعلمه و روحانيته، ولما حان ارتحالُه منحه الإجازة في جميع ما عنده من سلاسل الصوفية وألبسه خرقة خلافته، وولّاه خليفةً له، قضى حياته في الصلاح والتقوىٰ والعبادة والمجاهدة في سبيل اللّٰه تعالىٰ و هداية الخلق إلى الطريق القويم. وارتحل إلى جوار رحمة اللّٰه تعالىٰ في السابع من محرّم الحرام سنة ١٠١٧هـ بأحمد آباد، ودُفن في مقبرة والده الكريم.

٣– السيد حبيب اللّٰه:

كان جواداً كريماً ينفق مالديه في وجوه الخير ، ومن الأبطال الشجعان، هاجر من

أحمد آباد إلى برهان فور، وتوطّن فيها.

٤- السيّد عبد الشكور الحسيني:

ارتحل إلى جوار رحمة ربّه في حياة أبيه الكريم. ولم أقف على أحوال حياته سوى هذا.

٥- السيّد عبد الحق الحسيني:

كان عالما عاملاً، صالحاً، حافظاً للقرآن الكريم، طارصيته الآفاق في الشجاعة والشهامة، ساهم في عديد من المعارك والحروب وانتصر فيها، ولكن حدث في حياته تحوّل كبيرٌ بغتةً فهجر كلّ مالديه واختار طريق الزهد و والتصوف، ونال الإجازة والنعمة الروحية من أبيه ، ولم يزل يلقي الدروس على الطلّاب في مدرسة أبيه الكريم، ويواظب على الأذكار والرواتب والأشغال الروحية، توفي في الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٠٤٠هـ بمدينة أحمد آباد، ودُفن في مقربة من نهر "سَابَرْمَتيْ" فيها.

٦- السيد عبد الواحد الحسيني:

كان عالما فاضلاً حافظاً للقرآن المجيد، رزقه اللّٰه تعالىٰ الفضل والشرف والكمال، ومن صفاته التوكل والرضا بما يرضاه اللّٰه تعالىٰ ، كان متواضعًا مجاملاً مع خلق اللّٰه تعالىٰ، قضى حياته كلّها في العبادة والأعمال الصالحة والذكر والدعاء والابتهال إلى الحق.

٧- السيّد غالب الحسيني:

كان منجذبا إلى الحق منذ صغره، وتوفي في السادس عشر من ربيع الأوّل، سنة ١٠٣٣هـ.

٨-السيّد حامد الحسيني:

كان جيّد الخطّ، حافظاً للقرآن الكريم.

٩- السيّد غضنفر الحسيني:

ارتحل إلى جوار رحمة اللّٰه تعالىٰ في الصغر.

أمّا بنتاه فهما:

١-راجي پارسا:

لم أقف على شيء من أحوالها.

٢- أمة الحبيب:

توفّيت بمكة المكرّمة، ودُفنت في مقربة من قبر أم المؤمنين خديجة الكبرىٰ رضي

اللّٰه تعالىٰ عنها.

مصنّفاتُه و آثاره العلمية:

كان الشيخ العلوي– رحمه اللّٰه– من أشد الناس غراماً بالعلم وتحقيقه و نشره، والتأليف والتصنيف والتدوين، فقد قضى عُمُرَه الشريفَ كلَّه في نشر العلم النافع تعلّمًا و تعليمًا وتصنيفًا، وكانت حياته حافلةً بجهوده العلمية و إفاداته السَّنيَّة، حيث دبَّجَت يراعتُه مجلدات عديدة من التصنيفات الزاكيات، وقد تنوّعت تآليفه في فنون عديدة من تفسير القرآن، و أصول الحديث، والفقه وأصوله، والعقيدة والكلام، واللغة العربية وعلومها، والمنطق والحكمة، والهيئة، والتصوف والتزكيه.

كانت له اليد الطولى في حسن التصنيف والتأليف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم و التبيين، ترك خلفه آثاراً علميّة جليلة تدلّ على غزارة علمه وعلوّ كعبه و تضلّعه من شتى العلوم والفنون ، وقد اختلف العلماء والمؤرخون في عدد مؤلفاته، فقد أورد الشيخ عبد الشكور المعروف بـ "رحمٰن علي" في كتابه "تذكرة علماء الهند" في اللغة الفارسية أسماء ثلاثة و عشرين كتاباً، والبروفيسر محمد مسعود أحمد المجدّدي في كتابه "شاه محمد غوث گوالياري" باللغة الأردية، والبروفيسر خليق أحمد النظامي في كتابه "حيات الشيخ عبد الحق المحدّث الدهلوي" بالأردية أسماء أربعة و عشرين كتاباً، و ذكر الشيخ غلام علي البلجرامي الهندي عدد مؤلفاته و شروحه و تعليقاته ستة و عشرين، وقد أورد الفقيرُ كاتب هذه السطور في مقدّمة "شرح نزهة النظر" للشيخ العلوي صاحب الترجمة بمعونة كتب عديدة أسماء سبعة وعشرين كتاباً.

وقد صرّح تلميذه الشيخ عبد العزيز الخالدي في قصيدة– مدح بها الشيخ العلوي– أنّ كتبه ومؤلفاته أكثر من أربعين، وهو يقول:

له في كلِّ علمٍ اقتدارٌ   وتصنيفٌ تجاوزَ أربعينا

وقد ذكر السيّد حسيني پير العلوي أسماء مؤلّفاته في كتابه "تذكرة الوجيه" في اللغة الأردية فبلغ عدّدها ستّة و أربعين.

نقدّم إليكم في هذه الكلمة أسماء بعض مؤلفاته ، و هي كما يلي:

١– شرح نزهة النظر: هذا الكتاب شرح جيّد نفيس لنزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلاني– رحمه اللّٰه تعالىٰ–، له نسخة خطّية في المكتبة الآصفية بحيدرآباد، الدكن (الهند)، هي نسخة قديمة جدّا، منقولة من نسخة

المصنف، وله نسخة مخطوطة أخرى في مكتبة حبيب گنج بمدينة علي جراه بالهند، تمّ كتابتُها عام ١٠٧٨هـ، و أيضًا له نسخة مخطوطة في مكتبة رضا بمدينة رامفور بالهند، تحت رقم ٦٨٤، عددُ صفحاتها ٢١٦، نقلها الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد المؤمن في سنة ١٠٧٣هـ.

وقد طُبع الكتاب محقّقا مُخَرَّجًا بعناية مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، مبارك فور، سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، قد تمّ تحقيقه و تخريجه و تقديمه والتعليق عليه بيدهذا الفقير كاتب السطور.

ثم طبع ثانيا بعناية دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، في سنة ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٢- الحقيقة المحمّدية: هذا الكتاب متن وجيز في علم التصوف باللغة العربية، قد شرحها العلامة الشريف ميرزا محمد دائم الهندي في اللغة العربية باسم "الإفاضات الأحمدية" وقد تمّ طبعُ الكتاب مع شرحه بتحقيق الأستاذ محمد جلال رضا الأزهري الهندي بعناية مطبعة الكيلاني بالقاهرة، جمهورية مصر العربية.

ولها شرح آخر باللغة الفارسية قام بإعداده تلميذُه الشيخ عبد العزيز الخالدي، وترجم المتن والشرح إلى اللغة الأردية سماحة الشيخ نصر اللّٰه الرضوي المصباحي- حفظه اللّٰه تعالىٰ- وقد طُبِعَ بِعِنَايَة المجمع الإسلامي، مبارك فور، أعظم جراه، الهند، سنة ٢٠١٠م.

٣- شرح رسالة القوشجي: هو باللغة الفارسية في الهيئة، وقد طُبع بتحقيق الأستاذ محمد حبيب الرحمٰن النعماني البستوي الأزهري بعناية مجمع الإمام أحمد رضا، صالح نكر، بريلي الشريفة، بالهند.

٤- تعليقاته على شرح الكافية للجامي: هي تعليقات علمية موجزة جامعة على شرح الكافية للشيخ نور الدين عبد الرحمٰن الجامي- رحمه اللّٰه تعالىٰ- في العربية قد تمّ جمعُها وتنضيدُها بالكمبيوتر، و ستُطبع - إن شاء اللّٰه تعالىٰ - في ما يقرب من الزمن.

٥- التعليقات على شرح المواقف: هذه تعليقات قيّمة باللغة العربية على شرح المواقف للسيد الشريف الجرجاني- رحمه اللّٰه تعالىٰ-، لها نسخة خطّية في مكتبة پير محمد شاه، بأحمد آباد، غجرات، ولكنها- مع الأسف- ناقصة من آخرها، وما

بقي منها فهو في حالة رديئة، على وَشْك التلف.

٦- تعليقاته على التلويح: هي تعليقات غالية على التلويح في أصول الفقه، لها نسخة مخطوطة، تتواجد حتى الآن، في مكتبة پير محمد شاه، أحمد آباد، بولاية غجرات، تمّ كتابتُها في سنة ١١٢٠هـ بعد تأليفها بقرنٍ و ربعٍ، قد نُقِلت مِن نُسْخَة المصنّف.

٧- شرح إرشاد النحو: هذا شرح جليل لكتاب "الإرشاد" في النحو للقاضي شهاب الدين أحمد بن عمر الدولة آبادي الملقب بـ"ملك العلماء" (ت ٨٤٩هـ)، له نسخة قلمية في مكتبة رضا، رام فور، أترابرديش، الهند.

٨- التعليقات على مختصر المعاني: هي تعليقات جليلة على مختصر المعاني للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩١هـ) في علوم البلاغة، لها نسخة مخطوطة في مكتبة پير محمد شاه، بمدينة أحمد آباد، غجرات، تمّ نقلُها في سنة ١٠١٠هـ بيد الشيخ كبير محمد بن شاه محمد ، حفيدِ المؤلف.

٩- شرح جامِ جهان نما: هذا شرح مفيد باللغة الفارسية لكتاب "جام جهان نما"، و هو متن مشهور في علم التصوف للشيخ محمد بن عزّ الدين بن عادل المغربي، له نسختان خطيتان في مكتبة پير محمد شاه، أحمد آباد،
قد طُبع- على حدّ علمي- في سنة ١٣١١هـ بمدراس، الهند.

١٠- مختصر المولد للجزري: هذه رسالة موجزة في بيان مولد النبى صلى الله عليه وسلم، اختصر فيها رسالة المولد للإمام محمد بن محمد الجزري، وهذا المختصر يتكوّن من خمس و عشرين صفحة، في كلّ منها ثلاثة عشر سطرا، قد كتب عليه الشيخ حسن الفراغي تلميذُ المؤلف شرحًا، كتب في مقدمته: " إن شيخي العلّامة وجيه الدين أحمد العلوي- رحمه الله تعالىٰ - كان تعجبه رسالةُ المولد للجزري، وكان يقرأها بمناسبة الاحتفال بمولد النبي- صلى الله عليه وسلم- في الثانى عشر من شهر ربيع الأوّل كلّ سنّة، لأجل ذٰلك خالج صدري أن أكتب عليه شرحًا، وبعد وفاة الشيخ العلوي- رحمه الله تعالىٰ- استمرت هذه العادة بتلك المناسبة الميمونة. ولشرح هذا المختصر نسخة مخطوطة في مكتبة پير محمد شاه، أحمد آباد.

١١- شرح كليد مخازن للشيخ محمد غوث الگواليرى، (في التصوف).

١٢- شرح على اللوائح للشيخ نور الدين عبد الرحمٰن الجامي (في التصوف).

١٣- شرح أبيات التسهيل.

١٤- الرسالة المسمّاة بـ "جنّات عدن"

١٥- التعليقات على تفسير الرحماني.

١٦- التعليقات على شرح الوقاية (في الفقه الحنفي).

١٧- التعليقات على شرح العقائد النسفية للتفتازاني (في علم الكلام).

١٨- التعليقات على المطوّل للتفتازاني (في علوم البلاغة).

١٩- تعليقاته على الهداية للمرغيناني (في الفقه الحنفى)

٢٠- تعليقاته على شرح الرسالة الشمسية للقطب الرازي (في المنطق).

٢١- تعليقاته على مختصر الأصول.

٢٢- التعليقات على أصول البزدوي (في أصول الفقه الحنفي)

٢٣- شرح البسيط في علم الفرائض.

٢٤- شرح أبيات منهل دماميني.

٢٥- تعليقاته على شرح المقاصد (في علم الكلام)

٢٦- التعليقات على الشرح العضدي على مختصر ابن الحاجب.

٢٧- التعليقات على شرح التجريد للأصفهانى.

٢٨- التعليقات على الحاشية القديمة للمحقق الدوّاني.

٢٩- التعليقات على حكمة العين.

٣٠- التعليقات على شرح الچغمينى.

٣١- رسالة ترتيب أركان الصلاة.

٣٢- التعليقات على شرح التهذيب.

٣٣- تعليقاته على عين المفتاح

٣٤- رسالة "الإيمان"

٣٥- رسالة في تحقيق إبليس.

٣٦- رسالة في أجوبة الاعتراضات للفقيه الحيرتى على الفاضل الهندي.

٣٧- رسالة "طريقة بيعت".

٣٨- التعليقات على الضريري.

٣٩- أوراد وجيه.

٤٠- تعليقاته على كتاب الشفا للقاضي عياض المالكي.

٤١- رسالة "الكلام".

٤٢- التعليقات على شرح المطالع.

٤٣- التعليقات على الكافية للشيخ جمال الدين ابن الحاجب (في علم النحو)

٤٤- الوافية شرح الكافية.

٤٥- التعليقات على حاشية الخيالي

٤٦- شرح "تحفة شاهية".

٤٧- مكاتيبه.

٤٨- حاشية آصف خاني.

٤٩- التعليقات على تفسير البيضاوي:

وهي التي بين أيديكم. و هي تعليقات جامعة موجزة على " أنوار التنزيل و أسرار التاويل" للقاضي ناصر الدين البيضاوي - رحمه اللّٰه تعالىٰ - ولم تطبع حتى الآن - على حدّ علمي - وقد بذل الأخ الفاضل الأستاذ محمد نظام الدين المصباحي الغجراتي عنايته بطبعها، فالتمس من الشيخ محمد حنيف الرضوي البريلوي - حفظه اللّٰه تعالىٰ - بتحقيقها وجمعها و تنضيدها بالكمبيوتر. وقد تمّ هذا العمل المضني بعون اللّٰه تعالىٰ و توفيقه في مدة غير طويلة ، فجزاهما اللّٰه أحسن ما يجزي عباده المخلصين.

وفاته:

بعد هذه الحياة العامرة المليئة بالخير والعلم والدين والصلاح والإفادة للإسلام والمسلمين توفى الشيخ العلوي-رحمه اللّٰه تعالىٰ- في التاسع والعشرين من شهر محرم الحرام، سنة ٩٩٨ من الهجرة، و دُفِن في أحمد آباد عاصمة ولاية غجرات، وقبرُه معروف هناك، يزار ويتبرّك به. غفر اللّٰه له ورفع درجاته، وأسكنه فسيح جنّاته.

قد رثاه بعد ارتحاله عديدٌ من رجال العلم والشعر في اللغتين: الأردية والعربية، واشتهرت منها قصيدتان في اللغة العربية، إحداهما للشيخ عبد العزيز الخالدى، وثانيتهما للشيخ إبراهيم الدكني، قد نقلهما السيّد حسينى پير العلوي في كتابه الأردي "تذكرة الوجيه" و إليكم بعض الأبيات من قصيدة الشيخ عبد العزيز الخالدي تلميذ الشيخ العلوي فيما يلي:

وللّه الثنا والحمدُ مِنّي هو المطلوبُ عند الطالبينا
صلاةٌ دائماً في كلِّ وقتٍ علىٰ خيرِ الورىٰ والمرسلينا
مناقبُ شيخِنَا جلّت و عزّت ولا تُحصى بحصر الحاصرينا
وجيهُ الدينِ ذو نسبٍ شريفٍ وَمَنْ اَحيىٰ لدين المرسَلينا
وجيهُ الدينِ ذو قدرٍ رفيعٍ ومن جمعَ الشريعةَ واليقينا
يجيء الطالبون إليه طَوْعًا من أهلِ العلم أو مِن عَارِفِيْنَا
وفي فن المعارفِ كان بحرًا وَفِي التقوى رئيس المتقينا
تلاميذُ له بين الأراضي تَرَاهُم في جميع العالمينا
وشيخي كان في الدنيا وجيهاً كما هُو وَجيهُ دينِ المتّقينا
نَفيعُ الخلقِ إرشادًا و علماً شفيعُ الخلقِ عند الحاكمينا
وَنَرجُوْ فَيضَه حَيًّا و مَيْتًا خصوصًا في مبادي العَارفينا
فَجُد يَا شيخَنا جُوداً وَ بَذْلَا على عبدِ العزيزِ وكُن مُعِيْنَا
فَيَا عبدَ العزيز لكَ الوسيلة وجيهُ الدِّيْنِ خَيرُ العارِفِيْنَا

المصادر والمراجع:

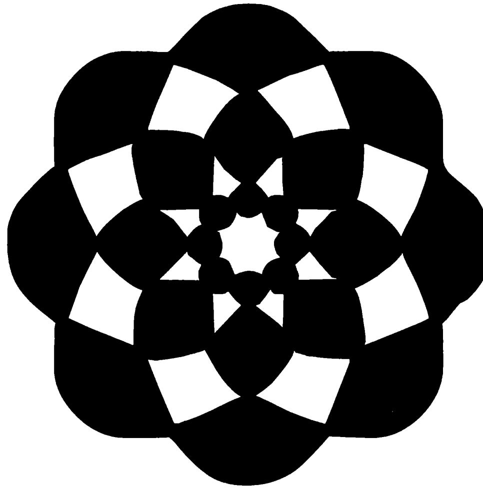
١. تذكرة الوجيه: (في اللغة الأردية)، للسيّد حسيني پير العلوي.
٢. الإعلام بمن في الهند من الأعلام: ج:٣،٤، للشيخ عبد الحي الراي بريلوي، الطبعة الثلاثة، مجلس دائرةالمعارف الإسلامية، حيدر آباد، الدكن، الهند. ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣. سُبحة المرجان في آثار هندوستان: للشيخ الشريف غلام علي البلجرامي الهندي.
٤. أخبار الأخيار: (في اللغة الفارسية)، للشيخ المحقق العلّامة عبد الحق بن سيف الدين المحدّث الدهلوي.
٥. مآثر الكرام : (في اللغة الفارسية)، للشيخ الشريف غلام علي البلجرامي الهندي.
٦. حياة شيخ عبد الحق المحدث الدهلوي: (في اللغة الأردية) للبروفيسر خليق أحمد النظامي.
٧. ملفوظات وجيه : (باللغة الفارسية) للشيخ وجيه الدين العلوي الغجراتي الهندي.، مكتبة

الكلية الإسلامية، پشاور، باكستان.

٨. تـذكـره شـاه محمد غوث گوالياري: (في اللغة الأردية) للبروفيسر محمد مسعود أحمد المجدّدى.

٩. تذكره علماء الهند : (في اللغة الفارسية) للشيخ عبد الشكور المعروف بـ "رحمٰن علي".

٢/ صفر، ١٤٣٣هـ	**نفيس أحمد القادري المصباحي،**
٢٥/ ديسمبر، ٢٠١١هـ	عضوهيئة التدريس بالجامعةالأشرفية،
يوم الثلاثاء	مبارك فور، أعظم جره، الهند



بِسۡمِ اللّٰهِ الرَّحۡمٰنِ الرَّحِيۡمِ o

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، فتحدى بأقصر

....

بسم الله الرحمٰنِ الرحيم

الحمد للّٰه ربِ العٰلمين والصلٰوة علىٰ سيد العٰلمين محمد و اٰله و صحبه أجمعين.

قوله: نزّل الفرقان:روي أن الله تعالىٰ أنزل القرآن دفعة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فحفظته الملائكة، أوكتبته الكتبة في الصحف، ثم نزله منها إلى النبي ﷺنجماً موزعاً على حسب المصالح وكفاء الحوادث، ولذا عبّر عن ذلك بالتنزيل دون الإنزال؛ لما فيه من الدلالة على التدريج والتكثير. قيل: ولقد أحسن التعبير عنه بالفرقان مع حسن الاقتباس من قوله:﴿تبارك الذي نزل الفرقان علىٰ عبده﴾ وذلك لأن المعجزة فارق بين الحق والباطل، والصدق والكذب، ويناسب هذا العنوان بصيغة التنزيل المنبئ عن التكثير والتنجيم؛لأن المعجزة قد رسورة وهو المنزل ، وللإنزال يناسب القرآن ؛لأنه ينبئ عن الجمعية.

قوله: ليكون للعلمين نذيرًا:أى للجن والأنس .اكتفي با لنذير وإن كان هو ﷺ بشيرًا و نذيرًا؛لأن البشارة مختصة بالمؤمنين بخلاف الإنذار، فإنه يعم المؤمنين والكافرين.

قوله: فتحدى:التحدي سؤالك شخصاً عن أمرحتىٰ يأتي به وأنت تعلم أنه عاجز؛لكي تريه عجزه كذا نقل عنه. فإن قلت :"تحدى".عطف على "أنزل"مع أنه ليس فيه ضمير الموصول. قلت: لا حاجة إليه؛لأن الارتباط حاصل بعود الضمير إلى العبدالمضاف إلى ضمير الموصول.

سورة من سو ره مصاقع الخطباء من العرب العربا ء، فلم يجد به قديراً. وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان و بلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيراً. ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عنَّ لهم من مصالحهم ليدبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب تذكيراً. فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر

....

قوله : مصاقع الخطباء :يقال:خطيب مصقع بليغ مجهز بخطبته، من صقع الديك إذا صاح، وقيل من الصقع :أى الجانب ؛لأنه يأخذ في كل صقع: أي جانب من الكلام "والعرب العرباء" أي الخلص منهم كـ" ليل أليل" و"ظل ظليل" .

قوله: فلم يجد به قديراً: أي لم يجد العبد متلبساً بالتحدي قادراً على الإتيان بأقصر سورة .

قوله :وأفحم: عطف على "لم يجد به" من أفحمه:إذا قطع كلامه.ماخوذمن فحم الصبي:إذا بكى حتىٰ ينقطع صوته .و"عدنان" بفتح العين وسكون الدال المهملتين أبو معد، و"قحطان" بفتح القاف و سكو ن الحاء المهملة أبواليمن وهو قحطان بن هودالنبي عليه السلام.

قوله: حتىٰ حسبوا:"حتى" للتدريج: أي أفحم إفحاماً متدرجاإلىٰ أن حسبوا أنهم سُحّروا.

قوله :ثم بين: عطف على "أفحم" .

قوله: ليتدبروا اٰياته وليتذكر أولوالألباب: منهم، يعني أن التذكر إنما يحصل لمن يعالج العقل ويعمل بمقتضاه.

قوله : عن اٰيات محكمات. قال فيما نقل عنه، وكذا قال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿منه اٰيٰت محكمٰت هن أُم الكتب وأخر متشٰبهات﴾إن المحكمات هي التي أحكمت عباراتها عن الإجمال: أي الاحتمال والاشتباه .وحاصله: المتضح المعنى كما يفهم من تفسير مقابله ، وكما صرح العلامة التفتازاني.والمتشابهات بناء على مذهبه مِن أن لا وقف على﴿ إلاالـلّٰـه﴾ و إن الراسخين يعلمون تاويل المتشابهات، هي محتملات لا يتضح مقصودها لإجمال، أو مخالفة ظاهر إلا بالفحص والنظر ليظهر فضل العلماء وتزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها ويحصل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد منها، فينالوا باتعاب القرائح فياستخراج معانيها والتوفيق بينها و بين المحكمات معالي

متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيراً ، وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ،

الـدرجات، ولأن التفسير كشف الشيء وإظهاره، والتاويل صرف الأيات إلى معنى محتمل لما قبلها ولما بعدها.انتهى

قيل: تـاويلاً و تـفسيـراً: لف و نشـر مـن غيـر ترتيب رعاية للسجع .فإن التفسير لـلـمـحـكـمـات، والتـاويل للمتَشبهات لقوله تعالى:﴿وما يعلم تاويله إلا اللّٰه﴾.ويمكن أن يـقـال: الـمتَشٰبهـات كما أنها تحتمل التاويل لأجل مخالفة الظاهر كذلك تحتمل التفسير لأجـل الإجـمـال، فـالأولـىٰ أن التـفسيـر والتـاويل يرجعان جميعاً إليهما بمعنى أن التفسير لـلـمـحكمات وهما جميعاً للمتَشٰبهات . فإن قيل :الـمـحـكم متضح المعنى فكيف يقبل التفسير .قـلنا:وإن كـان لا يـقبـل التـفسيـر بـالـنسبة إلى اتضاح المعنى إلا أنه بالنسبة إلى الاستعارة والتشبيه والكناية وجزالة الألفاظ فتقبله .

قوله:وأبرز عطف على كشف:وغوامض الحقائق ولطائف الدقائق من قبيل"جرد قـطيـفة "و"المُلْك" عالم الشها دة، و"الـمـلـكـوت" عالم الغيب، و"قدس الجبروت" عالم الصفات :حاصل الكلام أن الله تعالى نزل القراٰن على عبده للإنذار فانتصب لذلك بأن قرر أنـه من عند الله تعالى بأن تحدى وأفحم من تعرض لمعارضته إفهاماً في غاية الكمال حتىٰ حسبـوا أنهم سحروا وأظهر لهم ما نزل إليهم مشتملاً على البشارة والانذار كفاية ما عرض لهـم مـن مـصـالـحهم ليتدبروا اٰياته وليتذكر أولوالألباب منهم، فكشف وأزال الانغلاق عن الـمـحكمات المغلقة التي هي أصل الكتاب يرد إليها غيرها، و يتبين بها، وعن المتشابهات التـى لا يتـضـح مـقـاصـدهـا لإجـمال فيها، أو مخالفة ظاهر إلا بالفحص والنظر، وليتجلىٰ ويـنـكشف لهـم خـفـايـا عالم الشهادة من أسرارها علىٰ ما بين في الطب والتشريح والهيئة والنجوم، وأبرز لهم الحقائق ليتجلىٰ لهم أسرار الملكوت والدقائق الغامضة البالغة في الدقة، وليتـجـلىٰ لهم قدس الجبروت من الصفات، وأماذاته تعالى وتقدس فلا يتجلى:لأن السالك إذا وصـل إليهـا يـغـنـي بالكلية ولا يبقى له أثر ولا شعور أصلاً. هذا ما سنح لخاطري الفاتر وللمحشيين في هذا المقام كلام أخر .

ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت، وخبايا قدس الجبروت، ليتفكروا فيها تفكيراً، ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها، ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً. فمن كا ن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهو في الدارين حميد

. . . .

قوله:ومهد لهم: عطف على المعطوف الأول أوالأخير .قيل في عطف"الأوضاع" بناء على ما أشتهر في تعريف الحكم أنه خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاءً أوتخييراً أو وضعاً، ففي قوله تعالى:﴿أقم الصلاة﴾ خطاب باقتضاء وبيان لوضع ينوط به وجوبها، ويسمى الخطاب الوضعي، وقديحصل من الأحكام وقدلايحصل منها. انتهى

قوله: قواعد الأحكام وأوضاعها:يحتمل أن يراد بقواعد الأحكام وأو ضاعها مايبتني عليه الأحكام، وبالأحكام أعم من العلمية و العملية كما بين عليه الصلاة والسلام بقوله :"لا تجتمع أمتى على الضلالة".وبقوله تعالى:﴿فاعتبروا ياأولى الأبصار﴾فثبت الإجماع والقياس إلى غير ذلك من قواعد الأحكام والتصوف والأصول .

قوله:وألماعها:أي مفهوماتها ومحتملاتها، والنص: ما يحتمل الظاهر.

قوله: فمن كان له قلب: لما بين ﷺ خفايا الملك والملكوت، وخبايا قدس الجبروت فمن كان له قلب صافي مستعد لإدراك ذلك وحصوله وعلمه علم اليقين واستخرج من ذلك غيره كما قال عليه السلام:"انما أنا قاسم والله تعالىٰ يعطي"، أوأصغى سمعه إليه وهو حاضر بذهنه وقلبه فهو محمود في الدنيا والأخرة ، وسعيد فيهما. ويحتمل أن يكون المعنى: فمن كان له قلب يدرك ذلك بدون التعلم أوبالتعلم فهو في الدارين حميد وسعيد .وقد قيل: هٰهنا وجه آخر: وهو أنه لما كان في قوله: ومهد لهم قواعدالأحكام، إشارةإلى منصب الاجتهاد ويقابله التقليد بيّن حالهما وقال: فمن كان له قلب ففكر واجتهد وعلم وعلّم فهو في الدارين سعيد بلسان الشرع وبلسان التابعين المقلدين لعلمه، ومن ألقى السمع لقول العلماء وهو شهيد متبع لهم فهو سعيد لامحالة، فإنهم كما قيل:هم القوم كل القوم لا يشقى جليسهم. ولما ذكر القسمين المحتملين للوجوه بيّن مقابليهما على طريقة النشر الغير المرتب فقال : ومن لم يرفع إلىٰ ذلك رأسه ولم يلق السمع ولم يقلده، أوأطفىٰ سراج ذهنه ولم يحصل علم اليقين فهو عاش مذموماً وسيصلىٰ سعيراً. وقس على ذلك غيره من الوجهين . والنبراس: بكسرالنون وسكون الموحدة.المصباح.

وسعيد . ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعش ذميماً ويصلى سعيراً . فيا واجب الوجود ، ويا فائض الجود ، ويا غاية كل مقصود، صل عليه صلاة توازي غناءه، وتجازي عناءه، وعلىٰ من أعانه وقرربنيا نه تقريراً، وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم ، وسلم عليهم وعلينا تسليماً كثيراً.

وبعدُ فإن أعظم العلوم مقداراً وأرفعها شرفاً ومناراً علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي ....

....

قوله: فيا واجب الوجود : .لما بيّن ﷺ المقاصد كلها الظاهرة والباطنة تدريجًا انشرح قلب الطالب وآل المحرك إلىٰ أن يذهب الطالب إلىٰ جناب الحق تعالى ويتضرع ويلتمس عنه للنبي ﷺ صلوة تناسب وتقارب لاستغنائه في احتمال هذه المشقةالكبرىٰ من كمالاته العلمية والعملية التي لا تستقصى كما يلوح إليه سورةالمدثر إلىٰ قوله ﴿ولاتمنن تستكثر﴾ فإن الفقرات الأوليات على حصول جميع كمالاته بالخير، والاخير على غنائه بالله تعالىٰ واستغنائه من الغير .

قوله: مناراً: بالفتح جمع منارة وهي العَلَم سميت بذلك؛ لأنها تهتدى بها، والمنارة أيضاًالتي يوذن عليها.والشمعة: ذات السراج .

قوله: علم التفسير:وهو العلم الباحث عن أحوال كلام الله تعالى من حيث الدلالة على المراد .ويتناول التفسير: أي ما يتعلق بالرواية، والتأويل:ما يتعلق بالدراية .

قوله: هو رئيس العلوم الدينية الخ. فإن قلت : قد ذكروا أن علم الكلام رئيس العلوم الدينية على الإطلاق ؛لأن موضوعه ذات الله تعالى فكيف يكون علم التفسيررئيس العلوم الدينية.

قلنا: إما أن يراد غير علم الكلام ، وإما أن يكون الرياسةمن حيث إن علم الكلام محتاج إليه وأدلته عقلية مؤيدة بالنقلية ، وهذا كما قيل:المنطق رئيس العلوم ؛لأن العلوم كلها محتاج إليه وإلا فرئيس العلوم الدينية على الإطلاق علم الكلام لما ذكرنا أن موضوعه ذات الله تعالىٰ بخلاف علم التفسير فإن موضوعه صفة من صفاته بل متعلق صفة من صفاته.

قوله: مبنى قواعد الشرع وأساسها .

فإن قلت: قوله مبنى قواعدالشرع الخ.يقتضي أن يكون مقدمًا على العلوم الدينية وغيرها مما ذكر. وقوله:لا يليق لتعاطيه الخ يقتضي أن يكون مؤخرًا عنها.

لـلتكلم فيه إلا من برع في الـعـلـوم الـدينية كلها: أصولها وفروعها. وفاق في الصناعات الـعـربية والـفـنـون الأدبية بـأنواعها. ولطال ما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتاباً يحتوي على صفوة مـا بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الـصالحين ، وينطوي على نكت بارعة، ولطائف رائعة، استنبطتهاأنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين ، وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراء ات المشهورة المعزوّيةإلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقـدام، ويـمـنـعـني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عـزمـي عـلى الشروع فيما أردته، والإتيان بما قصدته ناوياً أن أسميه بعد أن أتممه "بأنوار التنزيل وأسرار التأويل" فهـا أنا الآن أشرع وبحسن تو فيقه أقول: وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل سئول.

. . . .

قلت: أمـا تـقـدمـه فـمن حيث الذات وما من علم من العلوم الدينيةإلا يحتاج إلىٰ كـلام الـلـه تـعـالـىٰ الذي لا يتحصل بدون علم التفسير، وأما تأخره فمن حيث التعلم ؛لأن العلماء فسروا وأوضحوا علم التفسير بها .

قوله: إلامن برع: يقال برع الرجل إذا فاق على أقرانه .

قوله: رائعة: أي معجبةمن راع الطعام زكاه.

قوله: ويعرب: عطف علىٰ" يحتوي" أو "ينطوي".

قوله: يثبطني :بتشديد الموحدة. يقال: ثبطه عن الأمر شغله عنه .

قوله: سنـح لـي: أي عـرض، وصـمـم به: أي جزم به من التصميم في الأمر وهو المضي في الأمر.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ٥

سورة فاتحة الكتاب مكية وآياتها سبع

وتسمى أم القرآن؛ لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشأه، ولذلك تسمى

قوله: سورة فاتحة الكتاب:فاتحةالشيء أوله، ومنه فاتحةالكتاب، وفواتح القرآن، كذا في القاموس، والتاء للنقل من الوصفية إلى الإسمية د ون تانيث الموصوف لعدم اختصاصه بالسورة ونحوها. ولكون أول الشيء بعضه والمضاف إليه كله سيما الكتاب المفتح بالتحميد وبالاستعانة، فإنه المجموع الشخصي لا المفهوم الكلي الصادق على الأية والسورة، و كانت الإضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى "من" كما في "خاتم فضة" . وقد يتوهم أن كل ما هو جزء من الشيء فإضافته إليه بمعنى "من" كـ"أنهارِ دَجْلَةَ" وفساده بين .

قوله:وتسمى أم القرآن الخ:يعني أنها تسمى أم القرآن لوجوه .

الأول أن" الام" في اللغة الأصل . ولما كانت هي مبدأه فكأنه أصله بمعنى أنها منشأه وأساسه، ولأجل ذلك يسمى أسا سا أيضاً .

والثاني وهو المذكور في الكشاف أن القرآن يفصل معنى ما أجملته الفاتحة من الثناء على الله تعالىٰ وهو ظاهر. ومن التعبد بالأمر والنهي وهو في﴿إياك نعبد﴾ لأن معنى العبادة قيام العبد بما تعبد به و كلف من امتثال الأوامر والنواهي، وفي﴿ الصراط المستقيم﴾ أيضاً إذا أريد به ملةالإسلام المشتملة على الأحكام ، وفي ﴿الحمد ﴾ لأن مآل معناه قولوا:الحمد لله، والأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، ومن الوعد والوعيد وهو في ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ و﴿المغضوب عليهم﴾ وفي ﴿يوم الدين﴾ أي يوم الجزاء المتناول للثواب والعقاب .

والثالث.وهو الذي ذكره المصنف من عنده يشتمل علىٰ جميع معانيه من الحكم النظرية وهي علىٰ ما نقل عنه معرفةالله تعالىٰ بصفات الكمال المشتمل عليها ﴿الحمد لله﴾إلىٰ قوله ﴿يوم الدين﴾والأحكام العمليةالتي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء والأشقياء .وذلك لأن الغرض من إنزال القرآن إرشاد العباد إلىٰ ما يصلحهم في المعاش والمعاد. وذلك إنما يكون في الاعتقاد ات الحقة وهي الحكمة النظرية، واكتساب ما يجلب المنافع و يدفع المضار أعني الطاعات والمعاصي والاكتساب

أساساً، أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى، والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنا زل الأشقياء، وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك. وسورة الحمد والشكر والدعاء. وتعليم المسألة لاشتمالها عليها. والصلاة لوجوب قراء تها أو استحبابها فيها. والشافية والشفاء؛ لقوله عليه الصلاة والسلام:"هي شفاء من كل داء" والسبع المثاني ؛لأنها سبع آيات بالاتفاق. إلا أن منهم من عد التسمية آيةدون ﴿أنعمت عليهم﴾ ومنهم من عكس. وتثنى في الصلاة. أو الإنزال إن صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة. وبالمدينة حين حولت القبلة. وقدصح أنها مكية لقوله تعالى:﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثانى﴾[١٥،الحجر:٨٧]وهو مكي بالنص.

والاجتناب هما الطريق المستقيم .ولما كان لا يقدم أكثر الناس علىٰ ما ذكر إلا رغبة في الثواب أورهبة عن العقاب بسبب الاطلاع علىٰ مراتب المطيعين ومنازل العاصين كان تمام الغرض بالاطلاع المذكوركذا نقل عنه .فيكون المعاني الثلاثةجميع ما في القرآن باعتبار الغرض بخلاف الوجه السابق .وأما الثناء علىٰ الله تعالىٰ فلامدخل له في الغرض وإنما هو مذكور تبعاً لمعرفة الله تعالىٰ بالصفات الكاملة، وكذا الأمثال؛ لأنها مذكورة للإيضاح .وأما القصص فهي مذكورة إما للتسلية أو للرغبة أو للرهبة.

قوله: لوجوب قرأتها أو استحبابها: قال فيما نقل عنه: ومعنى استحبابها أن المصلي لو قرأها في صلوته كانت صلاته فاضلة، ولو تركها و قرأ سورة لم يحكم بفساد صلوته وكانت مجزية له انتهى. وحاصله أن المراد ليس بالاستحباب ما يقابل الوجوب بل معناه اللغوي.

قوله: **المثاني:**مثاني جمع مثنى أو مثناة .

قوله:لقوله تعالىٰ :﴿ ولقد آتينٰك﴾ قال فيما نقل عنه .

فإن قلت: قوله:﴿ولقد آتيناك﴾ لا يدل على عدم كونها نازلة بالمدينة بل هو ساكت عنه. قلت: هويدل على أنها مكية نزلت بمكة، ولا دليل على أنها نزلت بالمدينة فيكون باقيًا على الأصل وهو العدم.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾من الفاتحة ومن كل سورة، وعليه قرآء مكة والكوفة وفقهآؤهما وابن المبارك والشافعي. وخالفهم قرآء المدينة والبصرة والشام وفقهآؤها ومالك والأوزاعي رحمهم الله تعالى. ولم ينص أبو حنيفة رحمه الله تعالىٰ فيه بشيء فظن أنها ليست من السورة عنده. وسئل محمد بن الحسن الشيباني عنها فقال: "مابين الدفتين كلام الله تعالىٰ" ولنا أحاديث كثيرة :منهاما روى أبو هريرة رضي الله تعالىٰ عنه .

قوله: **قراء مكة** :قال في الشعلة شرح مختصر الشاطبي: من مكة ابن كثير، ومن الكوفة عاصم والكسائي يعتقدون أن البسملة من الفاتحة ومن كل سورة. وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير. ومذهب الشافعي وعطاء والزهري وابن المبارك. ومن الكوفة أيضاً حمزة يعتقد أنها من الفاتحة ليس إلا. والقرآن جميعه بمنزلةسورة واحدة، فهذا قول سعيد ابن المسيب، ومن البصر ة أبو عمرو، ومن المدينة نافع، ومن الشام ابن عامر على أنها ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها . وما في النمل بعض اٰية، وهذا قول ابن مسعود ومذهب مالك وأحمد رضي اللّٰه تعالى عنهم .

قوله: ولم ينص أبو حنيفة فيه بشيء : قيل لما لم ينص في كونها من الفاتحة مع أنه من الكوفة ظن أنها ليست منها عنده .أو يقال لما لم ينص بشيء ظن أنه أبقاها على أصلها الذي هو عدم كونها من السورة .لأن الأصل في كل حكم عدمه حتى يتبين ثبوته .

قوله:وسئل محمد بن الحسن الشيباني عنها .يعني الذي تحقق عندي هوأنها من القراٰن، و أما أنها جزء من السورة فلا .

قوله: ولنا أحاديث كثيرة: أي للشوافع ، ولنا أي للأحنا ف ايضاً أحاديث كثيرة: منها ما روىٰ أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : يقول اللّٰه تعالىٰ : قسمت الصلاةبيني وبين عبدي بنصفين ، فإذاقال العبد : الحمد لله رب العا لمين. قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال:الرحمٰن الرحيم .قال الله تعالى:ٰ أثنى عليّ عبدي .وإذا قال :مالك يوم الدين .قال الله تعالىٰ : مجّدني عبدي .وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين .قال اللّٰه تعالىٰ : هذا بيني و بين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، وإذا قال:اهدنا الصراط المستقيم الخ.قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. وأراد بقوله:" قسمت الصلاة" الفاتحة؛ لأنه فسرالمقسوم بها وهو كقوله:ولا تجهر بصلاتك: أى بالقرا ء ة في صلاتك، فإن القراءة ركن منها.ويعبر بكل ركن عن الصلاة .فالبداية بقوله:" الحمد للّٰه" دليل على أن التسمية ليست بآية من أول الفاتحة.ولما اختلفت الأخبار لم يثبت

أنه عليه الصلاة والسلام قال:"فاتحة الكتاب سبع آيات،أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم" وقول أم سلمة رضى الله عنها." قرأ رسول الله ﷺ الفاتحة وعد" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العلمين آية" ومن أجلها اختلف في أنها آية برأسها أو بما بعدها. والإجماع على أن مابين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى. والوفاق على إثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين. والباء متعلقة بمحذوف تقديره. بسم الله أقرأ لأن الذي يتلوه مقرو وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأله. وذلك أولى من أن يضمر أبدأ لعدم ما يطابقه ومايدل عليه . أوابتدائي

شيء منها مع التعارض؛لأن أدنىٰ درجات اختلاف الآثار والعلماء إيراث شبهة. والقرآن لايثبت مع الشبهة؛ لأن طريقه طريق اليقين، ولأنه أصل الدين. وبه ثبت الرسالة وقامت الحجة علىٰ الضلالة . فتعمل بالمثبتة والنافية، فيحمل النافية علىٰ أنها ليست من الفاتحة ولا من رأس كل سورة. والمثبتة علىٰ أنها من القرآن. وكتبت في المصحف بخط واحد ليدل علىٰ أنها من القرآن أنزلت للفصل كما يكتب الأبواب . وقد أجمع القرآء علىٰ أن سورة الملك ثلثون آية، ومع التسمية يكون إحدىٰ وثلثين، وكذا اتفقوا علىٰ أن سورة الكوثر ثلث آيات بلا تسمية.

قوله: والإجماع الخ: هذا الإجماع قوليٌّ. وقوله:والوفاق:إجماع فعلي. قال فيما نقل عنه: هذان الدليلان يدلان علىٰ أنها من القرآن لا علىٰ أنها من الفاتحة .اللهم إلا أن يضم إلى الدليل الأول في كل محل أثبت فيه، وإلى الثاني عما ليس بقرآن في المحل، والقيدان في حيز المنع .

قوله: لأن الذي يتلوه مقرو:يعني أن حرف الجر يدل على أن له متعلقاً وليس بمذكور فيكون محذوفاً، و قرينة تعيين المحذوف في باسم ما يتلوه وهو قوله"الحمد لله" وهو مقرو ومتلو . فدل على أن المضمر اقرء أوأ تلو.قيل :كان الأنسب أن يقول الذي يتلو التسمية القراء ة لأن الابتداء بالتسمية إنما يكون في الفعل الذي يريد أن يفعله يدل عليه قوله :وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له. والمضمر الفعل لاالمفعول كما أن تسمية الذابح إنما يتلوها الذبح لا المذبوح .

قوله: لعدم ما يطابقه وما يدل عليه الخ:ليس هنا أمر من جنس مطلق الابتداء ليطابقه ويدل عليه كذا قيل.وحاصله أنه ليس هنا أمر من جنس مطلق الابتداء بحيث يصلح

لزيادة إضمار فيه . وتقديم المعمول ههنا أوقع كما في قوله تعالىٰ:﴿بسم الله مجريها﴾[١١ .هود:٤١] وقوله ﴿إياك نعبد﴾[١ .الفاتحة:٥]لأنه أهم وأدل على الاختصاص. وأدخل في التعظيم. وأوفق للوجود. فإن اسمه سبحانه وتعالى مقدم على القراءة. كيف لا وقد جعل الة لها من حيث إن الفعل لايتم ولا يعتد به شرعاً مالم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام:"كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر" وقيل الباء للمصاحبة . والمعنى متبركاً باسم الله تعالى أقرأ.

ما يتلوه مطلق المبدأ بل يكون ما يتلوه مبدأ خاصاً وهو المقرو.

قوله: لزيادةإضمار فيه:لأن الظرف إما أن يكون مستقراً أو لغواً، وعلى كلٍ فيحتاج إلىٰ إضمار "حصل" أو"حاصل" بعد الظرف أو قبله، ولأن فيه إضمار المصدر بفاعله الظاهر بخلاف" أقرأ" فإن فاعله مضمر لازم الإضمار فكأنه بمنزلة كلمة واحدة.

قوله: كما في قوله تعالىٰ:﴿بسم الله مجريها﴾: نقل عنه أنه علىٰ تقدير أن يكون معناه إركبوا فيها مجراها بسم اللّٰه.وجوز فيه غير هذا الوجه انتهى .

وأراد بغير هذا الوجه أن يكون حالاً من الواو: أي اركبوا فيها مسمّين اللّٰه تعالىٰ، أو قائلين بسم اللّٰه وقت إجرائها وإرسائها أو مكانهما علىٰ أن المجرىٰ والمرسىٰ للوقت أو للمكان أو للمصدر. والمضاف محذوف كقوله: اٰتيك خفوق النجم. وانتصابهما بما قدرناحالاً، ويجوز رفعهما بـ"بسم اللّٰه" علىٰ أن المرادبهما المصدر، أو جملة من مبتدأ وخبر.

قوله: لأنه أهم الخ .أما كونه أهم فظاهر. وأما كونه أدل على الاختصاص؛ فلأن المقام وإن كان يدل على الاختصاص أيضاً؛ لأن المسلمين إنما يتدؤن به ليكون رداً لخطائهم دفعاً لأباطيلهم إلا أن دلالته ليس كدلالةالتقديم ؛لأنه كالعلم في ذلك. ولأنه لا يخلوعن معونة المقام.وأما أنه أدخل فلأنه وإن يحصل بالتاخير أيضاً؛ لأنه يستعين ويتبرك به إلا أن حصوله ليس كحصوله بالتقديم .وأما أنه أوفق للوجود فلما بينه المصنف.

قوله: وقيل الباء للمصاحبة :يعني أن "بسم اللّٰه"متعلق بـ"أقرا" محذوفاً. وتعلقه بهإما على وجه الاستعانة، وإليه أشار بقوله: وقد جعل الة له. وإما على وجه المصاحبة على وجه التبرك، وإليه أشار بقوله: وقيل: الباء للمصاحبةالخ. واختارصاحب الكشاف الوجه الأخير وقال. هذا الوجه أ عرب: أي أفصح وأدخل في العربية. وأحسن وأوفق لمقتضى الحال.ووجهه

وهذا وما بعده مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه. ويحمد على نعمه . ويُسأل من فضله . وإنما كسرت الباء ومن حق الحروف المفردة أن تفتح . لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الأمر ولام الإضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء ولام التاكيد. والاسم عند البصريين.......................

العلامة التفتازاني بأن استعمال الباء في الملابسة والمصاحبة أكثر من الاستعانة . ودلالتها على تلبس إجراء الفعل بالتبرك أظهر، ولأن في التبرك باسم اللّٰه من التأدب ما ليس في جعله بمنزلةالآلة التي لا يكون مقصودة لذاتها .وقد يقال: تعبير المصنف رحمه اللّٰه تعالىٰ بـ"قيل" يشعر بأنه اختار الوجه الأول ، ووجّهه أن التبرك بالشيء يستلزم الاستعانة؛ لأنه إذا أخذالبركة وهو نماء الخير فكأنه استعان منه في حصول البركة فيكون الأول أشمل ؛لأن الاستعانة أعم من أن يكون في الفعل نفسه أو من حيث البركة فليتأمل .

قوله: وهذا وما بعده الخ: جواب سوال يرد علىٰ قوله" والمعنى متبركاً باسم اللّٰه" وهو أن يقال: كيف يتبرك باسمه تعالى؟ فأجاب بأن هذا الخ. ولما كان هنا إشكال اٰخر من جنس الأول وهو أن يقال: وكذا كيف يحمد اللّٰه تعالىٰ على نعمه وكيف يسأل من فضله؟ دفعه وأدرجه في الجواب عن الأول فقال :وهذا وما بعده مقول على ألسنة العباد وعلمهم كيف يتبركون باسمه تعالىٰ ويحمدونه ويسألون من فضله.

قوله: ومن حق الحروف المفردة أن تفتح: قال الزجاج: أصل الحروف التي يتكلم بها وهي على حرف واحد الفتح أبداً إلا أن يجيء علة يزيله؛ لأن الحرف الواحد لاحظ له في الإعراب فيقع مبتدأ في الكلام، ولا يبتدأ بساكن فاختير له الفتح؛لأنه أخف الحركات .

قوله: لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر:يعني أنها مختصة بهما، وكل من الأمرين يناسب الكسر،أما الحرفية فلأنها تقتضي عدم الحركة بناءً علىٰ أن الأصل في البناء السكون. والكسر يناسب العدم لقلته؛ إذ لا يوجد في الفعل وفي غير المنصرف من الأسماء وفي الحروف إلا نادراً كـ"جير" وأما الجر فلموافقة حركة الباء أثرها، وهذا بخلاف "كاف التشبيه" فإنها لا تلزم الحرفية وإن لزمت الجر، وبخلاف الواو فإنها لا يلزم الجر وإن لزمت الحرفية .إذ قد يكون عاطفة .فالدليل مجموع الأمرين لا كل منهما فلا ينتقضان بكاف التشبيه وواوالقسم. لكن تنتقض حينئذٍ بما إذا أدخل اللام على المضمر؛ إذ وجد فيه مجموع الأمرين مع أنه لم يكسر .

من الأسماء التي حذفت أعجازها لكثرة الاستعمال. وبنيت أوائلها على السكون، وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل؛لأن من دأبهم أن يتدؤوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ، ويشهد له تصريفه على أسماء وأسامي وسمى و سميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال: والله اسماكَ سمىً مُباركاً ÷ آثرك الله بهِ إيثاَركا

قوله: ولام الإضافة:أي الجر.وإنما سميت به؛ لأنها تضيف وتفضي معنى الفعل إلى الاسم كسائر حروف الجر ، وإنما قيد بقوله داخلاً على المظهر؛ لأنه إذا دخل على مضمر يبقىٰ على حاله نحو ذلك .

قوله: من الأسماء التي حذفت أعجازها:وهي عشرة:ابن وابنة وابنم بمعنى ابن والميم زائدة للتوكيد واست واثنان واثنتان وامرأ وامرأة وأيمن اللّٰه، وأماأيم اللّٰه فمحذوف فيها نون أيمن .

قوله:وبنيت أوائلها على السكون .أي على خلاف القياس .

قوله: لأن من دأبهم الخ: أي من عادتهم. وإن هذا يشعر بأن الابتداء بالسكون ممكن وموجود في اللغة لكنه مستنكرة وبه صرح السكاكي فقال : دعوىٰ امتناع الابتداء بالساكن فيها سوىٰ حروف المد واللين ممنوعة وتبعه الشريف فقال : والحق جوازه .نعم يمتنع الابتداء بالمدات كذا قيل .

قوله: ويقفوا على الساكن: لأنه ضدالابتداء فجعل علامة ضدعلا مته.

قوله: ويشهد له:أي لكون الاسم من تلك الأسماء، وذلك لأنه لوكان أصله وسماً كما قال الكوفيون لقيل في جمعه: أوسام، كـ"وقت وأوقات".وفي تصغيره: وُسيم كـ"وجه ووجيه"وفي حكاية المتكلم: وسمت كـ"وعدت". واعلم أن كلامن أسماء، وأسامي وسُمِي وسميت وسمي أصله الواو، فقلبت بالهمزة والياء والألف .أما في أسماء فلوقوعها طرفاً بعد الف زائدة، وأما في أسامي فلو قوعها ثالثة مكسوراً ما قبلها كما في دُعي. وأما سُمِيٌّ أصله سميو فلاجتماع الواو والياء مع سكون السابق كما في مرمي. وأما سميت فلأنها رابعة ولم ينضم ماقبلها كما في أغريت .وأما في سُمِّي فلتحركها وانفتاح ما قبلها.

قوله: واللّٰه أسماك الخ: جملةمن مبتدأ وخبر، وأسماك بمعني سماك .وسمىً مفعول ثان له .و"آثرك اللّٰه"جملة وقعت خبراً ثانياً وفاعل إيثارك ضميريرجع إلى اللّٰه.ومعنى إيثارك يثبت له الخير والبركةعنده.وقيل:علا.

والقلب بعيد غير مطرد . واشتقاقه من السَمو؛لأنه رفعة للمسمى وشعار له، ومن السمة عند الكوفيين . وأصله وِسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله. ورد بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ماحذف صدره في كلامهم. ومن لغاته سِمٌ وسُمٌ قال:

بِسْمِ الَّذي في كُلِّ سُورَةٍ سِمُهْ

فالاسم إن أريد به اللفظ فغير المسمى. لأنه يتألف من أصوات مقطعة غير قارة

قوله: والقلب بعيد غير مطرد. رد لما أجاب الكوفيون عن ورود هذه الأمثلة فقالوا: إن هذه الأمثلة مقلوبة.فإن أسماء: أصله أوسام، فقلبت الفاء موضع اللام وعلى هذاالقياس غيره.

قوله: ليقل إعلاله:يعني على مذهب البصريين.ويكثرالإعلال والتغيير فيه بحذف اللام وإسكان السين على خلاف القياس ليتأتى الإتيان بهمزة الوصل بخلاف مذهبهم، فإنه لا حاجة فيه إلى الإسكان .

قوله: بسم الذي في كل سورة سمه. الباء متعلق بـ"أرسل" في البيت الذي قبله.

أرسل فيها بازلاً يقرمه فهوبها ينحو طريقاً يعلمه

وضمير"أرسل" للراعي وضمير "بها" للإبل، والبازل من الإبل الذي طلع بازله وهو نابه في السنة التاسعة. يقرمه بقاف فراء مهملة فميم منإقرام الفحل وهو أن يتركه للفحلة ، والجملة صفة" بازلاً" وضمير" فهو" و"ينحو":أي يقصد ويعلم ، للبازل.

قوله: فالاسم إن أريد به اللفظ.قال في شرح المقاصد.الاسم هو اللفظ المفرد الموضوع للمعنى على ما يعم أنواع الكلمة. وقد يقيد بالاستقلال والتجرد عن الزمان فيقابل الفعل والحرف على ما هو مصطلح النحاة.والمسمىٰ هو المعنى الذي وضع الاسم بأزائه. فلاخفاء فيتغايرهما، وإنما الخفاء فيماذهب إليه بعض أصحابنا من أن الاسم نفس المسمىٰ . وفيما ذكره الشيخ الأشعري من أن أسماء الله تعالىٰ ثلثةأقسام:ما هو نفس المسمىٰ مثل "الله"الدال على الوجود أي الذات ، وما هوغيره كالخالق والرازق ونحوذلك مما يدل على فعل، وما لايقال إنه هو ولا غيره كالعالم والقادر وكل ما يدل على الصفات. وتوضيحه أنهم يريدون بالاسم مدلوله كما يريدون بالصفة مدلوله إلا أن الأصحاب اعتبروا المدلول المطابقي فأطلقوا بأن الاسم نفس المسمىٰ للقطع بأن مدلول الخالق شيء ماله الخلق لا نفس الخلق ، ومدلول العالم شيء ماله العلم لا نفس العلم.والشيخ أخذالمدلول أعم

ويختلف باختلاف الأمم والأعصار. ويتعدد تارة ويتحد أخرى. والمسمى لا يكون كذلك. وإن أريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى. وقوله تعالى﴿تبارك اسم ربك﴾[٥٥.الرحمن:٧٨] و ﴿سبح اسم ربك﴾[٨٧.الأعلى:١]المراد به اللفظ لأنه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب. أو الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر:

واعتبر في أسماء الصفات المعاني المقصودة، فزعم أن مدلول الخالق" الخلق" وهو غير الذات، ومدلول العالم "العلم" وهو لا عين ولا غير انتهىٰ.إذا عرفت هذا فنقول: أي الاسم يعني ما دل عليه ا.س.م.إن أريد به اللفظ من الألفاظ الموضوعة للمعاني كما هو الظاهر، وقد أشارإلىٰ اختياره حيث أو رد عليه أدلة وسكت عن أدلةالآخر .فأجاب عن الدليل الثاني فغير المسمىٰ لأنه يتألف من أصوات مقطعة ممتازةيحصل بعضها عقيب بعض غير قارة يحصل بعضها عند عدم الأخر، والمسمىٰ ليس كذلك .ولأنه يختلف باختلاف الأمم كـ"اللّـه وإيل، وكذا باختلاف الأعصار كما يختلف اللغة والتعارف باختلاف الأزمنة.ولأنه يتعدد تارة مع اتحاد المسمىٰ ويتحد أخر ى مع تعددالمسمىٰ .ولو كان متحدين لما كان الأمر كذلك .وإن أريد به ذات الشيء كما هو مذهب أصحابنا فهو المسمىٰ .وهذامما فيه ضعف .ولهذا أشار المصنف إلىٰ ضعفه بقوله : لكنه لم يشتهر. وأجاب عن استدلاله بقوله:﴿ سبح اسم ربك﴾لأن التسبيح إنما هو للذات دون اللفظ فقال:وقوله: سبح اسم ربك.المراد به اللفظ: أي اللفظ الموضوع للمعنى؛ لأنه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة عن أن يذكر على غير وجه التعظيم ،أو عن أن يسمى به الغير، أوعن أن يفسر بما لا يليق به. وإن أريد به الصفة أعني المعنى المقصودمن وضع اللفظ كما هو رأي الشيخ الأشعري انقسم انقسام الصفة إلىٰ ما هو نفس المسمىٰ كالوجود، فإنه نفس الذات عنده كالموجود نظرًاإلىٰ المعنى المقصود وهو الوجود، و إلىٰ ما هو غيره كالخالق، فإنه غير الذات نظرًا إلى المعنىٰ المقصود وهوالخلق، وإلىٰ ما ليس عينه ولا غيره كالعالم، فإنه ليس عين الذات ولا غيره نظراً إلى المعنى المقصود وهو العلم.

إلى الحولِ ثُم اسمُ السلام عليكُما

وإن أريد به الصفة كما هو رأي الشيخ أبي الحسن الأشعري انقسام الصفة عنده إلى ما هو نفس المسمى. وإلى ماهو غيره. وإلى ما ليس هو ولا غيره. وإنما قال بسم الله ولم يقل با لله. لأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه . أو للفرق بين اليمين والتيمن. ولم تكتب الألف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال. وطولت الباء عوضاً عنها. والله أصله إله. فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام. ولذلك قيل . يا الله. بالقطع. إلا أنه مختص بالمعبود بالحق . والإله في الأصل لكل معبود . ثم غلب على المعبود بالحق . واشتقاقه من أله إلٰهة وألوهة وألوهية بمعنى عبد. ومنه تأله واستأله . وقيل

قوله: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما: وتمامه : ومن يبك حولاً كاملًا فقد اعتذر ، وقبله:تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما.وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر فقوما. وقولا بالذي قد عرفتما.ولا تخمشا وجها ولاتحلقا الشعر.تمنى أصله تتمنىٰ. فحذف إحدىٰ التائين للتخفيف .وقوله :هل أنا، معناه ما أنا إلا من الكرام .ومن كان منهم لا يعيش طويلاً. لأن الكرام لا يكون إلا قليلة الأعمار .وقوله: لا تخمشا من الخمش وهو الخدش .وقوله:ثم اسم السلام أي حفظ اللّٰه تعالىٰ .والاسم مقحم.وبهذا استشهد. ثم يستعمل في معنى الترك والإعراض، والمعنى تتمنى ابنتاي أن أعيش زماناً طويلاً، وما أنا إلامن الكرام . فلا مطمع في تحقق متمناهما. ثم التفت إليهما وقال :إن مت فقوما وأبكياوقولا بما عرفتما:أي من خصال مرضية وأفعال حميدة .ولا تفعلا ما هو قبيح من خدش الوجه وحلق شعرالرأس. وكوناعلىٰ ما أمرت إلى الحول ثم اسم السلام عليكما: أي أتركاني ولا تبكيا عليّ، ومن يبك على ميت سنة كاملة فقد صارذاعذر في ترك البكاء عليه فلا يعير عليه.

قوله: لأن التبرك والاستعانةبذكر اسمه: أماالتبرك فظاهر؛ لأنه لا يكون إلا بالاسم.وأماالاستعانة فهي وإن كانت حقيقة بذاته تعالى إلا أن الطريق إلى تحصيلها ذكر اسمه تعالى .

قوله: إلا أنه مختص بالمعبود بالحق:يعني أنه بحذف الهمزة اختص بالمعبود بالحق بحيث لا يطلق على غيره أصلاً؛لإنه تأكد الاختصاص بالتغير، و بدون حذف الهمزة لا يختص به بل غلب عليه؛لإنه يطلق على غيره أيضا كا لنجم على غير الثريا.

قوله:و اشتقاقه.يعنى أن "الإله" بالكسر اسم بمعنى مفعول. واشتقاقه إما من أَلَه إِلٰهَة

من أَلِه إذا تحير؛ لأن العقول تتحير في معرفته. أو من ألهت إلى فلان سكنت إليه ؛ لأن القلوب تطمئن بذكره، والأرواح تسكن إلى معرفته . أومن أله إذا فزع من أمر نزل عليه . وآلهه غيره أجاره؛إذ العابد يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه ؛أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه، إذ العباد يولعون بالتضرع إليه في الشدائد. أو من وله إذا تحير وتخبط عقله.وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه، فقيل إلاه كإعاء وإشاح. ويرده الجمع على آلهة دون أولهة. وقيل:أصله لاه مصدرلاه يليه ليهاًولاهًا، إذا احتجب وارتفع؛ لأنه سبحانه وتعالى محجوب عن إدراك الأبصار، ومرتفع على كل شيء ، وعما لا يليق، ويشهدله قول الشاعر:

كحِلفةٍ من أبي رباحٍ يسمعهالاهَهُ الكُبَّارُ

وقيل علم لذاته المخصوص لأنه يوصف ولا يو صف به . ولأنه لا بدله من اسم تجرى عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه. ولأنه لو كا ن وصفاً لم يكن قوله: لا إله إلا الله. توحيداً مثل: لا إله إلاالرحمن. فإنه لا يمنع الشركة. والأظهر أنه وصف في أصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار له كالعلم مثل: الثريا والصعق أجرى مجراه

كعبد عبا دة،أو من أله كفرح ، تحير، وعلى فلان اشتد، وإليه فزع كذا في الصحاح وفي القاموس وشمس العلوم. فالظاهرأن الإله فعال بالكسر اسم مشتق مما ذكرلامصدر؛لإن الإله ذكر فيشمس العلوم في الأسماء ولم يذكرالإله فيالمصادر والأفعال المذكورة .

قوله:لاهه الكبار .وهوكـ"رمان" و يخفف: أي الكبير .

قوله: وقيل علم لذاته المخصوص:أي اسم خاص به غير مشتق وهو مذهب الخليل و سيبويه .

قوله: لا بد له من اسم .أي بمقتضى العرف والاستعمال وإلا فليس بلازم أن تجري الصفات على الأسماء .

قوله: والأظهر:لمااختارالمذهب الأول وهو أن الله مشتق إلا أنه مختص بالمعبود بالحق أشار إلى بطلان المذهب الثاني بابطال أدلته فقال:لا نسلم أنه يلزم من أن يوصف ولا يوصف به، ومن أنه لوكان لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ، ومن أنه لوكان وصفاًلم يكن قوله:لاإله الاالله توحيد اً ، لم لا يجوزأن يكون ذلك كلهلإجراء مجرى العلم ، ثم أشارإلى إثبات مذهبه بوجوه.

فـي إجراء الوصف عليه وامتناع الوصف به ، وعدم تطرق احتمال الشركة إليه؛لأن ذاته من حيـث هـو بـلا اعتبـار أمـر آخـر حـقيقي أو غيره غير معقول للبشر فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ، ولأنه لودل على مجرد ذاته المخصوص لما أفاد ظاهر قوله سبحانه وتعالى﴿وهو الله فـي السمٰوٰت﴾[٦.الانـعام:٣]معنى صحيحاً، ولأن معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركاً للآخر في المعنى والتركيب. وهو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة.
وقيـل أصله لاهًا بالسريانية فعرب بحذف الألف الأخيرة، وإدخال اللام عليه. وتفخيم لامه إذا انـفتـح ما قبله أو انضم سنة.وقيل مطلقاً. وحذف ألفه لحن تفسد به الصلاة. ولا ينعقد به صريح اليمين . وقد جاء لضرورة الشعر:

الأول: أنـه لوكان علماً لذاته موضوعاً له لكان مفهوماً منه و معقولًا للبشر من غير اعتبار أمرآخر حقيقي كالعلم و غيره من الصفات الذاتية ،أو غيرحقيقى كالتخليق والترزيق و غيـرهما من الصفات الفعلية، وهو باطل، قال فيما نقل عنه: وفيه نظر ؛إذ يكفي في وضع الـعـلـم تعقله بوجه بين يتميز به عن غيره من غير أن يعتبر ما به الامتياز في المسمىٰ فيمكن وضع العلم لمجرد الذوات المعقولة في ضمن الصفات، ولأنه تقرر في الكلام أنه يمكن أن يخلق الله تعالى العلم بكنه ذاته في البشر، ولأنه إنما إذا لم يكن الواضع هوالله تعالى، انتهىٰ.
وحـاصـله أن ذاته تعالى وإن لـم يعقل إلا باعتبارأمرآخر إلا أنه إذايعقل و يحصل عندالعقل أن ذاتـه تـعـالـى وراء ذلك .وهـذا الـقـدر كاف في كونه علماً ومعقولاًمنه ذاته تعالى وحده. وهـذاكـما تعقل الأمور الغيبية عنا مثل الكعبة وبيت المقدس . والثاني أنـه لو دل على ذاته تـعـالـى ولـم يـكـن مشتـقـا لـم يكن قوله:" فيالسموٰت" متعلقاًبه فلم يكن لظاهره معنى؛إذ الـظـرف يـقـتـضـي مـا يتـعلق به من الفعل، أو شبه الفعل،أو معناه، والعلم الغير المنقول عن الـصـفة ليـس فيـه شـيء من ذلك، ويمكن الجواب عنه بوجهين:الأول أنه يتعلق بمحذوف معرف من الصفات هو نعت الله:أي هوالله المعبود في السموٰت .الثانيأن مدلول العلم إذا اشتهـر بـصفة يطلق العلم ويراد به صفته كما يقال:زيد حاتم أي جوادكذانقل عنه.والثالث أن مـعـنى الاشتقاق متحقق فيه فيحمل عليه، قال فيما نقل عنه معنى الاشتقاق رد الأوضاع الـجـزئية إلـى الـوضـع الـكـلـي كما يرد" البينونة "وهو مصد ر"بَانَ" إلى البين، ولا يقتضي الاشتقاق أن يكون المشتق وصفا أوفعلاً.
قوله: ولا ينعقد به صريح اليمين :أي عند الشافعي. حتى من قال باللّٰه غير فارق

أَلَا لا باركَ اللّٰه في سُهيلٍ ÷إذا ما اللّٰه باركَ في الرِّجالِ

والـرحمن الرحيم: اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب، والعليم من عـلـم . والـرحـمة فى اللغة: رقة القلب، وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان . ومنه الرَّحِم لانعطا فها على ما فيها . وأسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون الـمبـادي التي تـكو ن انفعالات. والرحمن أبلغ من الرحيم؛لأن زيادة البناء تدل على زيادة الـمعنى كما فى قَطَّعَ وَقَطَعَ وكَبَّار وكبَار. وذلك إنما يؤخذ تـارة باعتبار الكمية، وأخرى بـاعتبـار الـكيـفية. فـعلـى الأول قيـل: يـا رحـمن الدنيا ؛لأنه يعم المؤمن والكافر، ورحيم الآخـرة، لأنه يختص لمؤمنٍ ، وعلى الثاني قيل: يارحمن الدنياوالآخرة. ورحيم الدنيا؛ لأن النعم الأخروية كلهاجسام ، وأما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة . وإنما قدم والقياس يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى لتقدم رحمة الدنيا ولأنه صار كالعلم من حيث إنه لايوصف

بينه وبين اللّٰه يحنث ولا يحنث الفارق بينهما كذا نقل عنه .

قوله: ألالا بـارك اللّٰه: بـحذف الألف وهومحل الاستشهاد وهو إسكان الهاء وهو لضرورة الشعر.

قوله: وأسـمـاء اللّٰهتـعـالىٰ الخ:يعني أن أسماء اللّٰه تعالىٰ إنما تطلق باعتبارالغايات التـي هـي التـاثيـرات لا بـاعتبـار المبادي التي هي التاثرات ؛لأن اللّٰه تعالىٰ منزه عن الانفعا لات التـي هي حادثة، فالرحمٰن إنما يطلق عليه تعالىٰ باعتبار التفضل والإحسان لا باعتبار رقة القلب.

قوله: وذلك إنما توخذ. يعني أن زيادةالرحمة قد يكون من حيث العدد بأن يكون عدده أكثر، ولهذا أضيف عدده إلى الدنيا وقيل: يارحمٰن الدنيا؛ لأن عددهم أكثر لأنه يعم الـقبيـلتين: المؤمن والكافر. وأضيف مقابله إلى الآخرة، وقيل: يا رحيم الآخرة؛لأنه يخص بـأحـدهـمـا وهـو الـمـؤمـن .وقـديـكون من حيث الكيفية بأن يكون أجسم، ولهذا أضيف الـرحـمٰـن إلى الدنيا والآخرة والرحيم إلى الدنيا؛لأن النعم الأخروية كلها جسام، والدنيوية بـعضها جسام و بعضها غير جسام، فأضيف الرحمٰن إليهما باعتبارالجُسام وأضيف الرحيم إلـى الـدنيـا بـاعتبـارغيـر الجسام، فكأنه قيل:يا معطى النعم الجليلةالدنيوية والأخروية التي يشتمل عليها الرحمن والنعم الحقيرة التي يشتمل عليها الرحيم .

قوله:وإنما قدم :يعني قدم الرحمن مع أن القياس يقتضي الترقى من الادنىٰ إلى

به غيره؛لأن معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها . وذلك لايصدق على غيره؛ لأن من عداه فهو مستعيض بلطفه وإنعامه يريد به جزيل ثواب أو جميل ثناء أو مزيح رقة الجنسية أو حب المال عن القلب. ثم إنه كالواسطة في ذلك؛لأن ذات النعم ووجودها ، والقدرة على إيصالها. والداعية الباعثة عليه. والتمكن من الانتفاع بها، والقوى التي بها يحصل الانتفاع إلى غير ذلك من خلقه لايقدر عليها أحد غيره. أو لأن الرحمن لما دل

الأعلى عند ذكر الصفات لوجهين:أحدهما رعاية تقديم ماكان مقدماً و هي رحمة الدنيا. هذا على الوجه الأول ظاهر، وأما على الوجه الآخرفلا ؛إذ يقال عليه رحيم الدنيا، وأجيب بأن دلالة الرحمن عليه أقوى ؛لأنه يدل عليه سواء أخذ باعتبار الكمية أوالكيفية بخلاف الرحيم ، وأن الرحمن مشتهر برحمة الدنيا دون الرحيم .

والثاني:هذا ليس من قبيل الترقي من الادنىٰ إلى الأعلى؛إذ ليس المقصود هنا تعداد الصفات بل المقصود ذكر صفات الرحمن ، وإنما ذكر الرحيم للتتميم .

قوله : لأن معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها:قيل في كون هذا معنى الرحمٰن بحيث إنما معناه اللغوي البالغ في الرحمة ، وأما وصله إلى غاية الرحمة ومنتهاها فليس مقتضي اللغة إلا أن يقال أنه معنى عرفي فتأمل. وقد يقال:إن وصله إلى غايةالرحمة يفهم من إطلاق المبالغة؛لأن المطلق يجري على كما له كما تقرر في الأصول.وأماأن معناه المنعم الحقيقي فكذلك يفهم من إطلاق الرحمة ؛ لأن الرحمة الكاملة هي الرحمة الحقيقية التي لا مدخل للغير فيها أصلاً .

قوله : لأن من عداه فهو مستعيض بلطفه وإنعامه:أي يطلب بلطفه وإنعامه عوضاً إما جزيل ثواب أو جزيل متاع أوإزالة رقة، فإن المعنى أن الغني إذا رأي الفقير يحصل له رقة واضطراب نفساني بمشاهدة عجز الفقير فإذا أعطاه شيئاً حصل له طمانية.

قوله :ثم إنه كالواسطة:إنما قال كا لواسطة؛ لأن كل ماله دخل في الإنعام فهو بخلق الله تعالىٰ لايكون من العبد حتى الكسب الذي يحصل من العبد على ما هو مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، وأما علىٰ مذهب الشيخ أبي منصورالماتريدي وهو أن الكسب غير مخلوق الله تعالىٰ فباعتبارالأعم الأغلب .

قوله: لأن الرحمٰن.يعني أن هذا ليس من قبيل الترقي من الأدنى إلى الأعلى بل من قبيل التتميم والتكميل لوصفه تعالىٰ بالرحمة، فقدم مادل على الإنعام بجلائل النعم؛لأنه

علـى جلائل النعم وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها، فيكون كالتتمة والرديف له. أو للمحافظة على رؤوس الآي .

والأظهر أنه غير مصروف، وإن حظر اختصاصه بالله أن يكون له مؤنث على فَعلىٰ أو فعـلانة إلحاقاً له بما هو الغالب في بابه. وإنما خص التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف أن الـمستحق لأن يستعان به في مجامع الأمورهو المعبو الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عـاجـلها وآجلها، جليلها وحقيرها. فيتوجه بَشَراشرِهِ إلى جـناب القدس، ويتمسك بحبل التوفيق، ويشغل سره بذكره والا ستمداد به عن غيره.

﴿الـحمد لله﴾الحمد: هـو الثناء على الجميل الاختياري مـن نعمة أو غيرها.

المقصود الأعظم . ثم ذكر بعده ما يدل على وقايتها لئلا يتوهم أنه غيرملتفت فلا تسأل ولا تـعطي.وحاصله أن الترقي من الأدنىٰ إلى الأعلىٰ فيها إذا كان المقصود الأصلي من الكلام ذكر الصفات، وأما إذا كان المقصود الأصلي ذكر صفة واحدة والصفةالأخرىٰ تذكر لدفع التوهم أو للتقرير فلا .

قوله: أو للمحافظة علىٰ رؤوس الآي:أي بعضهاكالمستقيم والرحيم. أو بناء على الـوزن الـعروضي فالعالمين والرحيم على وزن واحد، أو بناء على أن النون والميم قريبان في الـمـخـرج فهما في حكم حرف واحد . و إنما سُمي أواخر الآي رؤوسا؛لأنها مباني الآي كالرأس مبنى الإنسان وأصله؛إذا لفواصل تبنى على الأواخر .

قوله: والأظهـر أنه غير مصروف: يعني أن اختصاصه بالله تعالىٰ وإن منع أن يكون لـه "فُـعـلىٰ" حتـى يكون غير مصروف، أو يكون له" فعلانة" حتى يكون منصرفاً إلا أنه لم يعتبر للاختصاص العارض فلم يكن فيه موجب منع ولاصرف، فوجب الرجوع إلى الأصل وهـو الـصـرف بـنـاء عـلـى أن الأصل في الأسماء الصرف ،أوالمنع وهو الأظهر بناء على أنه الأغـلـب فـي بـابه حتى صار أصل" فعلان" صفة من باب فعِل بالكسر هو عدم الانصراف وإن كان الأصل في مطلق الاسم الانصراف .

قوله: بشـرا شـره: شَـرشره: قطعه. ومنه قولهم ألقى عليه شرا شره: أي ألقى عليه نفسه محبة له.

قوله: عـلى الجميل الاختياري:قيل: إذا اختص الحمد بالأفعال الاختيارية لزم أن لا يـحـمـد سبحانه تعالىٰ على صفاته كالعلم والقدرة و غيرهما؛ لأنها صادرة عنه تعالى من غير

والمدح: هو الثناء على الجميل مطلقاً تقول: حمدت زيداً على علمه وكرمه . ولا تقول حمدته على حسنه، بل مدحته. وقيل هما أخوان . والشكر في مقابلة النعمة قولاً وعملاً واعتقاداً قال:

أفادَتْكُمُ النَعْمَاءُ مني ثلاثةً يَدي ولساني والضَّميرَ المُحجَّبا

فهو أعم منهما من وجه . وأخص من آخر. ولما كان الحمد من شعبِ الشكر

اختيار، اللهم إلا أن يقال: تحمل تلك الصفات لكون ذاته كافية فيها بمنزلة الأفعال الاختيارية التي تستقل بها فاعلها.

قوله: والمدح هوالثناء على الجميل مطلقاً:فعلىٰ هذا يكون أعم من الحمد، فاختص الحمد به تعالىٰ ليدل على أنه ليس لأحد اختيار في أفعاله إلا لله تعالى، ونفي المدح عنه؛لأن المدح يشتمل الثناء على الصفات التي تزيد في كمال الممدوح فهو لغيره تعالى ؛لأن ذاته تعالى أكمل من أن يتكمل بالصفات ،وأما على تقدير أنهماأخوان متساويان فليتميز الثناء عليه تعالىٰ عن الثناء علىٰ غيره ، ولئلا يشترك في الثناء مع غيره بلفظ يطلق عليهماعلى السوية من غير فرق كذا نقل عنه .

قوله: وقيل هما أخوان:أي مترادفان لاختصاصهما بالأفعال الاختيارية، وهو اختيارصاحب الكشاف، قال فيتفسير قوله تعالى:﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان﴾ لا يمدح شيء بفعل غيره. والمدح بالحسن والجمال مأول وهو مذهب المعتزلة وعلمائهم في الأصوليين كذا نقل عنه.فظهر أن مذهب صاحب الكشاف أنهما مترادفان، وأن المراد بالإخوة الترادف لاالتشابه كما قال شارحوكلامه بناء على أن الشائع في كتبه أنه يريد بكون اللفظين أخوين أن يكون بينهما اشتقاق كبير بأن يشتركا في الحروف الأصول من غير ترتيب كالحمد والمدح ،أو أكبر بأن يشتركا في أكثر الحروف فقط كالفلق والفلد مع اتحاد المعنى ،أو تناسب فمجرد كون الحمد والمدح أخوين لايدل على ترادفهما .

قوله: أفادتكم النعماء مني ثلثة. كلمة "من" متعلقه بقوله: "أفادتكم".والمعنى أفادتكم مني نعمائكم عمل يدي ولساني وقلبي.

قوله: ولما كان الحمد:جواب لما ورد علىٰ جعل النسبة عموماً من وجه، وهو أن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم جعل الحمد رأس الشكر، وجعل من انتفائه انتفاء الشكر فيكون جزءً منه، والجزء أعم مطلقاً كالحيوان للإنسان أو متساوياً له كالناطق له.وتقرير

أشيع للنعم. وأدلعلى مكانها لخفاء الاعتقاد. وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه. فقال عليه الصلاة والسلام: "الحمد رأس الشكر وما شكر الله من لم يحمده"

والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر. ورفعه بالابتداء وخبره لله وأصله النصب وقد قرىء به . وإنما عدل عنه إلى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه. وهو من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها. والتعريف فيه للجنس. ومعناه الإشارة إلى ما يعرف كل أحد أن الحمد ما هو؟ أو للاستغراق ؛إذ الحمد في الحقيقة كله له.إذ ما من خير إلا وهو موليه بوسط أو بغير وسط كما قال تعالى:﴿وما بكم من نعمة فمن الله ﴾[النحل:٥٣.١٦]وفيه إشعار بأنه تعالى حي قادر مريد عالم؛ إذ الحمد لا يستحقه إلا من كا ن هذا شأنه . وقرىء الحمد لله

الجواب أنه صلى اللهتعالىٰ عليه وسلم جعل رأس الشكر لابناء على أنه من أجزائه حتى يلزم ما ذكر بل بناء على أن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أكثر ظهوراً للنعمة التي هي متعلق الشكر وأدل على مكانها وثبوتها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح واتعابها من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهوالنطق الذي يفصح عن كل فصيح خفي جلي عن كل مشتبه فيكون الأصل في أقسامه، فكأنّ من لم يأت به لم يأت الشكر .

قوله: على مكانها:وهو المنعم عليه، أولفظ المكان مقحم.

قوله: وما في أداب الجوارح. مصدرأداب الرجل الدابة: أتعبها .

قوله: والذم نقيض الحمد والكفر ان نقيض الشكر:قيل إنما كان الذم نقيض الحمد لاختصاصه باللسان والجوارح .

قوله: وأصله النصب:وذلك لأن الشائع في نسبة المصدر للفاعل أوالمفعول هو الجملة الفعليةسيما.وقد شاع استعمال هذه المصادر منسوبة بإضمار أفعالها.

قوله: ليدل على عموم الحمد:على تقدير أن يكون اللام في المبتدأ للعموم، وفيه نظر؛لأنه أريد معناه الذي يفيده النصب من إنشاء الحمد من نفس الحامد، واللام في النصب متعين للجنسية ؛إذ يمتنع إنشاء الحمد الذي يقوم بغيره ،كذا نقل عنه .

قوله: إلىٰ ما يعرفه كل أحد: وهو حقيقة الحمد و ماهيته.

قوله: إذالحمد لا يستحقه إلا من كان هذا شأنه:لأن الحمد إنما يكون على

باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلاً لهما من حيث إنهما يستعملان معاً منزلة كلمة واحدة.

﴿رب العالمين﴾الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كما له شيئاً فشيئاً. ثم و صف به للمبالغة كالصوم والعدل. وقيل: هو نعت من ربَّه يربه فهو رب، كقولك نم ينم فهونم . ثم سمي به المالك؛لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه. ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيداً كقوله تعالىٰ:﴿ارْجِعْ إلى رَبِّكَ﴾[١٢.يوسف: ٥٠]والعالم اسم لما يعلم به. كالخاتم والقالب، غلب فيما يعلم به الصانع تعالى. وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض . فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده.

الجميل الاختياري: أي صادراً عن اختيار، والفعل الاختياري لا يكون بدون حياة وقدرة وإرادة وعلم.

قوله: الرب في الاصل:يعني أن الرب إما مصدربمعنى اسم الفاعل، وصف به للمبالغة، أو صفة مشبهة من ربه بعد ما حذف مفعوله وأجرى مجرى اللازم كما في "يجرح عراقيها" لأنها لا يكون إلا من اللازم .

قوله:قيل هو نعت من ربه يربه:عبر عنه بفعل مع أن صاحب الكشاف جعله أصلاً راجحاً في التفسير؛ لأن مجيء الصفة المشبهة من المتعدى يحتاج إلى التاويل وهو النقل إلى الطبائع: أعني باب فَعُل يفعُل بالضم فيهما الذى لا يجيء إلا لازماً .قيل: ولأن مجيء "فعُل" من فعل يفعُل بالفتح في الماضي والضم في المضارع عزيز ؛ولهذا احتاج إلى تائيد ه بـ"نمّ" على أنه ليس فيه تائيد؛إذ مضارعه كما جاء مضموم العين جاء مكسورها، والصفة كما جاء ت "نمّ" جاء "منمّ" كـ"مجن" ونموم ونمام، فجازأن لا يكون "نمّ" من مضموم العين ، وقد يقال: كلام صاحب الصحاح صريح في أن" نماً" يجيء من مضموم العين أيضاً.ففيه تائيد قطعاً حيث قال: نم الحديث ينِمه وينُمه والرجل نم ونمام:أي قتات .

قوله: من الجواهر والأعراض: قال فيما نقل عنه: هذا أحسن من قول صاحب الكشاف من الأجسام والأعراض؛ لأنه لا يتناول الجوهرالفرد والمركب من جوهرين أو ثلاثة ؛لأنها ليست عرضاً وهوظاهر، ولا جسماً؛ لأن الجسم عند المعتزلة هو الطويل العريض العميق.انتهى. وحاصله أنه عدل عن قول صاحب الكشاف؛ لأنه لا يتناول جميع ما سواه لخروج الجوهر الفرد والمركب من جوهرين أو ثلٰثة.لأنه ليس جسماً عنده.

قوله : لإمكا نها .هٰذا عند الحكما ء.ولهذا قال فيما نقل عنه.ولو قا ل بد له:حدثها

وإنـما جمعه ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة . وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والـنـون كسـائـر أو صـافهـم. وقيـل: اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين. وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع. وقيل: عني به الناس ههنا، فان كل واحد منهم عالم من حيث

أوضـم الـحـدوث إليه لكان أحسن؛لأن علة الافتقار إلى الموثرعند الملّتين هو الحدوث أو الإمكان بشرط الحدوث أو كلا هما .

قوله:وإنـما جمعه يشتمل ما تحته من الأجناس المختلفة: أي ليدل علىٰ اختلاف الأجـنـاس الـمتـداخـلة تـحته.فإن المفرد وإن كان استغراقه أشمل إلا أنه لا دلالة له على اختـلاف الأجـنـاس .ولهـذاقـالـوا: عـنـدي أرطـال زيـوتـاً إذا أرادوا الدلالة علـى أنواع مختلفة.هذا توجيه المصنف كما نقل عنه.وحاصله أنه قد يجمع عند قصد الأنواع كما في أرطـال زيـوتـاً لـلـجـمـع دلالة عـلى الأنواع بخلاف المفرد، فجمع "العالمين" ليدل على الأنواع المختلفة من العالم .وتوجيهه على ما ذكره العلامة التفتازاني أنه لو أفرد لربما تبادر إلى الفهم أنه إشارة إلى هذا العالم المشاهد بشهادة العرف،أوإلى الجنس والحقيقة على ما هو الظاهرعند عدم العهد، فجمع ليشمل كل جنس يسمى بالعالم؛لأنه لاعهد، وفي الجمع دلالة على أن القصد إلى الأفراد دون نفس الحقيقة والجنس. وعلى ما ذكره بعض شارحي الكشاف أنه لو أفرد لأوهم أن المراد استغراق أفراد نوع مما يطلق عليه،لاالأنواع كلها مع أفرادها.وأما إذا جمع واستغرق الأنواع بالتعريف فقد ارتفع ذلك الوهم.

قوله: وغـلـب الـعـقلاء منهم:جواب سوال مقدر،تقريره أن العالم اسم غيرصفة، وإنما يجمع بالواو والنون صفات العقلاء، أوما في حكمها كالعلم المؤول بالمسمى بالاسم. وتـقـرير الجواب أنه إ نما جاز جمعه بالواو والنون وإ ن كان شاذاً لما فيه من تغليب العقلاء، والـمشـابهة بـالـصـفة مـن جهة أن فيـه دلالة عـلـى معنى زائد على الذات هو كونه يعلم به بـخـلاف لـفـظ الإ نسـان ، ولـمـا كـان لفظ العالم ظاهراً مشهوراً فيهذا المعني كالعلم لم يتعرض له في الجواب .

قوله: وقيـل عـني به الناس الخ: قال فيما نقل عنه: بيانه على وجه الاختصارالذي يتـحـمـلـه هـذا الـمقام أن بدن الإ نسان المتكون فيه الأخلاط الأربعة بمنزلة العالم السفلي المشتمل على العناصر الأربعة الكائنة والفاسدة، فالسوداء لكونه باردًا يابساً كالأرض.

إنه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض يُعْلَمُ بها الصانع كمايعلم بما أبدعه في العالم الكبير. ولذلك سوي بين النظر فيهما . وقال تعالى: ﴿وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[١٥ .الذاريات:٢١] وقرئ ربَّ العالمين بالنصب على المدح، أو النداء، أو بالفعل الذي دل عليه الحمد. وفيه دليل على أن الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها .

﴿الرحمن الرحيم﴾ كرره للتعليل على ما سنذكره.

﴿مالك يوم الدين﴾ قراءة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَاتَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً والأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّه﴾ [٨٢.الانفطار:١٩] وقرأ الباقون: مَلِكِ. وهو المختار لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟﴾ [غافر:١٦] ولما فيه من التعظيم. والملك هو المتصرف في الأعيان المملوكة

والبلغم لكونه باردًا رطبًا كالماء ، والدم لكونه حارًا رطبًا كا لهواء. والصفراء لكونه حارًا يابسًا كالنار، ورأسه المشتمل على الحواس الظاهرة والباطنة المد برات لأمر البدن والمنبت للأعصاب التي هي محل الحس والحركة كالعالم العلوي المنوط أمر السفليات. قال تعالىٰ: ﴿يدبر السمٰوات والأرض﴾.

قوله: ولذلك سوي بين النظر فيهما: أي لا شتماله على نظائر مافي العالم الكبير سوى التفكر بينهما، وأغنى بذكر أحدهما عن الآخر فقال تعالىٰ: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ فظهر بيان التسوية بقوله تعالى ﴿ وفي أنفسكم﴾ وقيل: المشهور في هذا المعني هو قوله تعالى: ﴿سنيريهم اٰيٰتنا في الآفاق وفي أنفسكم﴾ وهو ظاهر في التسوية .

قوله: فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها: لأن التربية تبليغ الشيء إلى الكمال فدائمًا يكون الشيء مفتقرًا إلى اللّٰه تعالىٰ لحفظ وجوده عن الإنعدام وإيصاله إلىٰ كماله المستعد لذلك.

قوله: لأنه قراءة أهل الحرمين: وأنهم أعلم بمواقع التنزيل .

قوله: ولقوله تعالىٰ لمن الملك اليوم: يعني أنه تعالىٰ وصف ذاته بالملك في يوم الجزاء دون المالك فيكون ملكاً فيه، ولأن التعظيم في الملك؛ لأنه يكون والياًعلى المالك دون العكس، ولأن المالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة على أي كيفية شاء كالاستخدام والبيع والهبة ونحوها، والملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المامورين على

كيف يشاء من المِلك. والمَلِك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من المُلك. وقرىء ملك بالتخفيف، وملك بلفظ الفعل، وما لكا بالنصب على المدح أو الحال، ومالك بالرفع منوناً ومضافاً على أنه خبر مبتدأ محذوف، ومَلِك مضافاً بالرفع والنصب. ويوم الدين يوم الجزاء ومنه "كما تدين تدان" وبيت الحماسة:

ولم يَبْقَ سِوَى العدوانِ دِنَّاهُمُ كما دَانُوا

أضاف اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم: ياسارق الليلة أهل الدار. ومعناه : ملك الأمور يوم الدين على طريقة ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾[٧.الأعراف:٤٤]أوله الملك في هذا اليوم . على وجه الاستمرار لتكون الإضافة حقيقية معدة لو قوعه صفة للمعرفة.وقيل: الشريعة. وقيل: الطاعة . والمعنى يوم جزاء الدين. وتخصيص اليوم بالإضافة :إما لتعظيمه،أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه. وإجراء

وجه الملك والسلطنةفيكون أرجح ، فهذا بيان أرجحية الملك من حيث الاشتقاق .

قوله: كما تدين تدان:أي كما تصنع يصنع بك من دانه ديناً: أي جازاه.

قوله: دِنّاهم :جواب لما في البيت السابق وهو قوله: فلماصرّح الشرّفأمسى وهو عريان. صرح الشيء بمعنى انكشف، وصرحه كشف عنه وأظهره ، والمعنى لما ظهر الشر كل الظهور ولم يبق بيننا وبينهم سوى الصبرعلى الظلم وتجاوزوا الأخذ بالانصاف إلى استعمال الظلم جزيناهم بمثل ما ابتدأوا به.

قوله: ومعناه.يعني أن معنى "مالك" المضاف على طريق الاتساع على الظرفية، والمضي تنزيلاً لما هو للوقوع منزلة الواقع كما في﴿ونادى أصحاب الجنة﴾أوالاستمرار ليكون الإضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة. فإن قيل: كيف يكون معنى المتسع فيه على الظرفية مع أنها لا تبقى مع الاتساع . قلنا: أرادأنه على سبيل الكناية لاأنه كذلك حقيقية.قال الطيبي:فالاتساع حينئذٍ على الكناية؛ لأنه لا يراعي معنى المنقول عنه فيالمنقول إليه إلا في الكناية.وهذه الطريقة أبلغ من الأصل، وإن شئت فاختر نفسك بين ما إذا قلت: فلان مالك الدهر صاحب الزمان، وبين ما اذا قلت: فلان مالك الأمور فى الزمان، تجد الفرق وهو فائدة الشمول التام، لأن تملك الزمان يستلزم تملك ما فيه علىٰ أبلغ وجه في مقام العموم والتعظيم.

قوله: وتخصيص اليوم بالإضافة:جواب سوال وهو أنه ما وجه تخصيص اليوم

هذه الأوصاف على الله تعالى من كونه موجداً للعالمين ربّاً لهم منعماً عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكاً لأمورهم يوم الثواب والعقاب؛ للدلالة على أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواهافإن ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له، وللإشعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل؛لأن يحمد فضلاً عن أن يعبد، فيكون دليلاً على ما بعده . فالوصف الأول لبيان ما هو الموجب للحمد. وهو الإيجاد والتربية، والثاني والثالث للدلالة على

بإضافة المالك إليه مع أنه مالك لجميع الأمور من الجواهر والأعراض .

قوله: موجداً للعالمين: يفهم ذلك من كونه رباً؛ لأن التربية تبليغ الشيء إلى كما له شيئاً فشيئاً، وفي الإيجاد أيضاً تبليغ المادة إلىٰ كماله الذي هو وجود الشيء .وأما كونه منعما بالنعم كلها فمن الرحمٰن والرحيم على ما سبق ، وأما كونه مالكاً لأمورهم يوم الثواب العقاب فيفهم من "مالك يو م الدين".

قوله: وللإشعار من طريق المفهوم: أي المفهوم المخالف، وهو عطف على قوله: للدلالة.يعني إجراء هذه الصفات على اللّٰه تعالىٰ للإشعار بأن غيره تعالىٰ لا يكون أهلاً للحمد فضلاً عن أن يعبد ليقوم دليلاًعلى تخصيصه بالعبارة د ون غيره.

قوله: فالوصف الأول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الإيجاد والتربية: يعني أن الوصف الأول وهو الإيجاد والتربية يدل على الموجب للحمد وهو ظاهر؛ لأن شكر المنعم واجب ، والثاني والثالث يدلان على أنه متفضل بالإيجاد والتربية مختار فيه لا يصدر منه لإيجاب بالذات كما هو رأى الفلاسفة ،أو وجوب عليه قضية لسوابق الأعمال كما هو رأى المعتزلة .فإنهم ذهبوا إلى أن الأعمال السابقة من العبد توجب على اللّٰه تعالى الآ لاء الاحقة كما قال تعالى:﴿لئن شكرتم لأزيد نكم﴾ ولأجل ذلك يستحق الحمد ؛لأن من يؤدي الواجب لا يستحق الحمد، وكذا الموجب؛ لأن المحمود عليه لا يكون إلا اختياريا.وأما أنهما يدلان على التفضل فلما مر أن الرحمة رقة القلب يقتضي التفضل والإحسان وأسماء الله تعالى توخذ باعتبار الغاية .وأما أنهما يدلان على الاختيار فلأنهما من الصفات الفعلية التي يقتضي سبق الإرادة ، وأما الرابع وهو مالك يوم الدين فلتخصيصه تعالى بالحمد فإنه أى الرابع مما لا يشترك فيه غير ه تعالى ، وأيام الدنيا وإن كان مما يشترك فيه غيره أيضاً إلا أنه بالنسبة إلى يوم الدين في حكم العدم .قال تعالى:﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاعشية أوضحها

أنه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لإيجاب بالذات، أو وجوب عليه قضية لسوابق الأعمال حتى يستحق به الحمد. والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما، وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين.

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد . ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك: أي يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة؛ ليكون أدل على الاختصاص، وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود. فكأن المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغيبة حضوراً. بنى أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر

ولتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين، وكل منهما يوجب استحقاق الحمد .

قوله : ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد :اعتبرصاحب الكشاف في الخطاب التمييز، وصاحب المفتاح المشاهدة ، والمصنف اعتبر همامعاً فقال:لما ذكر الحقيق بالحمد و وصف بأوصاف عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعين عند العقل اختار طريق الخطاب من طرق المناسبة للتمييز ليكون أدل على الاختصاص ، فإنه لو قيل: إياه نعبد و إياه نستعين لدل على الاختصاص بسبب تقديم ما حقه التاخير، وأما إذا اقبل بصيغة الخطاب يكون أدل لما فيه من التقديم مع الإشعار بترتب الحكم على الوصف الدال على العلّية بمنزلة أن يقال: أيها الموصوف المتميز نعبدك، فيفهم منه أن العبادة له متميزة بتلك الصفات وانتفائها عن غيره. فيعلم منه أن العبادة له لا لغيره فجاء الحصر من وجه آخر، وليكون الترقي من البرهان إلى العيان . وهذا تعليم بأنه ينبغي للطالب أن يذكرالله وأوصافه بحيث يكون خاتمة المشاهدة .

قوله: بنى أول الكلام:استيناف وبيان لهذا الإجمال، يعني أن ابتداء حال العارف من الذكر وهوالمستفاد من" الحمد لله"، ثم الفكر والتأمل المستفاد فيأحوال الآفاق وهو المستفاد من" رب العالمين" . وهذا هو المراد بالتفكر والتأمل في أسمائه. ثم النظر في أنفسهم وهو المستفاد من "الرحمٰن الرحيم"وهذا هوالمراد بالنظر فيآلآء ه . وهذا وإن كان التسوية بينه وبين ما قبله كما سبق إلا أنه أظهر بالنسبة إلى العارف. ثم بعد العلم بصنائعه الذي حصل للعارف بالتأمل في الأسماء والنظر في الآلاء والاستدلال بتلك الصنائع على عظم شانه تعالى وباهرأمره أنه مالك الأموركلها عاجلها وآجلها. ثم بعد ذلك يخوض فيلجة

والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه. ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عياناً وينا جيه شفاهاً.

اللهم اجعلنا من الواصليين إلى العين دون السامعين للأثر. ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع. فيعدل من الخطاب إلى الغيبة. ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس. كقوله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[١٠.يونس:٢٢] وقوله:﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ﴾[٣٥.فاطر:٩] وقول امرئ القيس:

تطاوَلَ ليلُكَ بالأَثْمُدِ ... ونامَ الخليُّ ولم تَرقُدِ
وباتَ وباتَتْ له ليلة ... كَلَيْلَةِ ذي العائر الأَرْمَدِ
وذلِكَ منْ نَبَأٍ جاء ني ... وَخبرُتهُ عَن أبي الأَسْوِدِ

و"إيا" ضمير منصوب منفصل. وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الإعراب. كالتاء في "أنتَ" والكاف في "أرأيتك". وقال الخليل: "إيا" مضاف إليها. واحتج بما حكاه عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فاياه وإيا الشواب . وهو شاذ لا يعتمد عليه. وقيل: هي الضمائر. و"إيا" عمدة فإنها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم إليها إيا لتستقل به. وقيل: الضمير هو المجموع. وقرئ" أياك" بفتح الهمزة و"هياك" بقلبها هاء.

والعبادة: أقصى غاية الخضوع والتذلل ، ومنه طريق معبد: أي مذلل، و"ثوب ذو عبدة" إذا كان في غاية الصفاقة. ولذلك لاتستعمل إلا في الخضوع لله تعالى.

الوصول و يصير من أهل الشهادة فيراه عيانا ويناجيه شفاهاً، وهذا معنى قوله :﴿إياك نعبد﴾.

قوله: تطاول ليلك الخ:الأثمد بفتح الهمزة وضم الميم موضع .وأما الإثمِد بكسرهما حجر يكتحل به. الخلي من الخالي من الهم .و"له ليلة" صفة فقدم فصار حالاً .و"العائر" و"العوائر"هوالقذي الرطب الذي تلفظه العين.وقيل: الترمد.

قوله:فإياه وإياالشوارب:أى فليتنح نفسه عن التعارض للشوارب وليتنح الشوارب عنه.

قوله: أقصىٰ غاية الخضوع:إضافة "أقصى" إلى "الغاية" للمبالغة في النهاية كما في "غاية القصوى" .

والاستعانة: طلب المعونة. وهي إما ضرورية، أو غير ضرورية. والضرورية مالا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها، وعند استجماعها يوصف الرجل بالا ستطاعة، ويصح أن يكلف بالفعل. وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي، أو يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثه عليه. وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها، أو في أداء العبادات. والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة، وحاضري صلاة الجماعة. أوله ولسائر الموحدين، أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلّها تقبل ببركتها وتجاب إليها. ولهذا شرعت الجماعة. وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر؛ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه" نعبدك ولا نعبد غيرك" وتقديم ما هو مقدم في الوجود، والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولاً وبالذات، ومنه إلى العبادة لا من حيث إنها عبادة صدرت عنه بل من حيث إنها نسبة شريفة إليه ووصلة سنية بينه وبين الحق.فان العارف

قوله: ولذلك لا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى:أي لا يجوز شرعاً وعقلاًفعل العبادة إلا لله تعالى؛لأن المستحق لأقصى غاية الخضوع من يكون مولياً لأعظم النعم من الوجود والحياة وتوابعها، ولذلك يحرم السجود لغيرالله تعالى ؛لأن وضع أشرف الأعضاء على أهون الأشياء وهو التراب غاية الخضوع.كذا نقل عنه .

قوله: والمراد طلب المعونة :يحتمل أن يكون العبادة أصلاً براسه، وأن يكون وسيلة إلى طلب الحاجة ، فعلى الأول الأنسب أن يكون المراد المعونة في طلب العبادة، وعلى الثاني المعونة في جميع المهمات لافي الوسيلة، فلكلٍ وجهةٌ يتوجه إليها فلهذا سوّى بينهما وإن كان صاحب الكشاف رجح الوجه الأول ليلائم الكلام وانتظامه حيث وقع "إياك نعبد"بياناًللحمد "وإياك نستعين "طلباًللإعانة على العبادة ، و"اهدنا"بياناً للإعانة، وأيضًا التلاؤم وإن حصل بما ذكر إلا أن ههنا وجها يقتضي العموم وهو أن مواجهة المولٰى يستدعي أن لا يترك أحداً من المهمات سدىً بل يستعين في كلها ويلتمسها منه.

قوله :والضمير المستكن في الفعلين:يعني أن المراد من ضمير المتكلم أعني نحن، القاري ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة إن كان غير منفرد ،أو هو وجميع المومنين إن كان منفرد اً.وإنما ترك ذكر الحفظة إما اكتفاء بماذكره، وإما لأنه داخل في جميع المومنين .

إنـمـا يـحـق وصـولـه إذا استـغـرق فـي مـلاحـظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى إنه لايلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها إلا من حيث إنها ملا حظة له ومنتسبة إليه . ولذلك فـضـل مـا حـكـى الـله عن حبيبه حيث قا ل: " لا تحزنْ إِنَّ اللَّه مَعَنَا"[٩.توبة: ٤٠] على ما حـكـاه عـن كـليـمـه حين قال: "إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِيْنِ" [٢٦.الشعراء: ٦٢] وكرر الضمير للتنصيص على أنه المستعان به لا غير. وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي. ويعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة.

وأقـول:لـمـا نسـب الـمتـكـلـم الـعبـادةإلى نفسه أوهم ذلك تبجحاً واعتداداً منه بما يـصـدرعنه،فعقبه بقوله: ﴿وإياك نستعين﴾ ليدل على أن العبادة أيضاً مما لا يتم ولا يستتب له إلا بـمـعونة منه وتوفيق ، وقيل:الواو للحال، والمعنى "نعبدك مستعينين بك"وقرىء بكسر النون فيهما.وهي لغة بني تميم فإنهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء إذا لم ينضم ما بعدها.

﴿إهـدنا الصراط المستقيم﴾ بيـان للمعونة المطلوبة فـكأنه قال: كيف أعينكم

قوله: إلا مـن حيثـإنهـا مـلاحـظة له:أى مشاهدة له ؛ لأنها مظهرة لما أجمل ذلك، وفسـر بـكونه منتسب إليه رعاية لأهل الظاهر.ولأجل أن العارف لا يلاحظ له نفسه ولا حالا مـن أحواله إلا من حيث إنها ملاحظة له. ففضل ماحكاه عن حبيبه على ماحكاه عن كليمه؛ لأن الحبيب لا حظ جناب القدس حتى أنه سبق على ملا حظة مظهره، ولهذا قدم بخلاف ما حـكـاه عـن كـليمه. وههنا وجه آخر: وهوأن الحبيب لما شاهد ذاته وجميع أسمائه قال:"إن اللّٰهمعنا " وذكراسم الذات المستجمع لجميع أسمائه وصفاته بخلاف الكليم.

قوله: وقـدمـت الـعبادة: يعني أن مقتضى الظاهر تقديم الاستعانة على العبادة؛لأن العبادة لا تتيسر بدون الإعانة إلا أنه عكس؛ لأن المراد بالعبادة ههنا ما هو الو سيلة، وتقديم الـوسيلة أدعى إلى الإ جابة ، وأما إذا كـانـت أصلابرأسها فلرعاية الإصالة وكونه مقصودًا في نفسه وليوافق رؤس الآي كمامر .

قوله: بيـان لـلـمـعـونة الـمـطلوبة: يعني يحتمل أن يكون بيانًا بأن يكون المراد من طلب الـمـعونة سواء أريد بها العموم، أو الخصوص طلب الصراط المستقيم في اداء العبادت، أو في جميع الـمهمات بأن يكون على نهج الصواب،أو يحتمل أن يكون إفراداً بالذكر لما هو المقصود الأعظم: وهو طلب الصراط المستقيم مع قطع نظر أن يكون في أداء العبادت، أو في جميع المهمات .

فقالوا اهدنا. أو إفراد لما هو المقصود الأعظم. والهداية دلالة بلطف. ولذلك تستعمل في الخير. وقوله تعالى﴿فاهْدُوهُمْ إلى صِراطِ الجَحِيمِ﴾[٣٧.الصافات:٢٣] وارد على التهكم. ومنه الهداية وهوادي الوحش لمقدماتها . والفعل منه هدى. وأصله أن يعدى باللام، أو بإلى، فعومل معاملة اختار في قوله تعالى:﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [٧.الأعراف:١٠٠] وهداية الله تعالى تتنوع أنواعاً لا يحصيها عد كما قال تعالى: ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[١٤.ابراهيم:٣٤] ولكنها تنحصر في أجناس مترتبة:

الأول: إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالقوة

فإن قيل:تقديم السوال ينا في البيان ؟

قلنا:قد تقرر في علم البيان أن الجواب بيان لما أجمل في منشاء السوال .

فإن قيل :كيف يكون الصراط المستقيم مقصوداً أعظم مع أنه طريق؟

قلنا:كونه مقصوداً أعظم بالنسبة إلى الطرق لا بالنسبة إلى المقاصد .

قوله:وهو ادى الوحش لمقدماتها:أي التي تجري مقدم الوحوش والوحوش خلفها لهدايتها الأواخر.

قوله: وأصله أن يعدى باللام أوبـ" إلى" فعومل معاملة اختار في قوله تعالى:﴿واختارموسٰى قومه﴾: قال الجوهري :هداه الله تعالى للدين هدىً وهديته الطريق، والبيت هديته أي عرفته .هذه لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول: هديته إلى الطريق. وما ذكره العلامة التفتازاني أنه لاكلام في مجيء "هديته الطريق" و"هديته للطريق" أو إلى الطريق، وقد يفرق بينهما بأن معنى الأول الاذهاب إلى المقاصد والإيصال إليه، ومعنى الثاني الدلالة وإراءة الطريق، فلعله مذهب البعض والمصنف جرى على وفق اللغة. وصاحب الكشاف بنى كلامه على مذهب البعض .ولاحجر في شيء من ذلك فلا يتوجه ما قيل: إن معاملة اختار إنما يتم لوكان معنى المتعدي بالنفس والمتعدي بالحرف واحدًا، وقد نقل في حواشي الكشاف أن الأول الدلالة مع الإذهاب إلى المطالب.ولهذا خص بالله تعالى .والثاني مجرد الدلالة على الطريق فيسند إلى النبي ﷺ .

قوله:الأول إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه.أي الدينية والدنيوية فيكون طريقاً وآلة للمعرفة كالقوة العقلية التي بها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوانات وهو المراد من النطق والحواس الباطنة التى هى الحس المشترك والخيال

العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة.

والثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاحِ والفسادُ، و إليه أشار حيث قال:﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن﴾[٩٠.البلد:١٠] وقال:﴿ وأما ثَمُودُ فَهَدَيْنَا هُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى على الهُدَى﴾[٤١. حمٓ السجد ة:١٧]

والثالث: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب. وإياها عني بقوله:﴿وَجَعَلْنَا هُمْ أَئمةً يَهْدُونِ بِأَمْرِنا﴾[٢١.الانبياء :٧٣] وقوله:﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمِ﴾[١٧ .اسرائيل:٩]

والرابع:أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي أو الإلهام والمنامات الصادقة. وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء، واياه عني بقوله﴿أولٰئِكَ

....

والوهم والمصورة والمفكرة والمشاعر أي الحواس الظاهرة التي هي السمع والبصروالذوق والشم واللمس . والثاني نصب الدلائل النظرية الفارقة بين الحق والباطل وبين العمل الصالح والفاسد، وإليه أشار بقوله:﴿وهديناه النجدين﴾أي طريقي الخير والشر.والنجد في الأصل: المكان المرتفع . والثالث:الهداية بإرسال الرسل وهوالمراد بقوله تعالى: ﴿وجعلناه أئمة يهدون بأمرنا﴾وبإنزال الكتب وهوالمراد بقوله تعالى:﴿إن هذا القرآن يهدى لـلتي هى أقوم ﴾أي الطريقة التي هي أقوم الطرق .والرابع:أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي، يعني يعلم في كل شيء ما هو الظاهر فيه من أسمائه وصفاته وهو المراد بقوله تعالىٰ:﴿فبهدٰهم اقتده﴾أي اقتد طريقهم أي وهو ظهورما في الأشياء من أسمائه وصفاته.وإذاكانت الهداية منحصرة في الأجناس المترتبة ، ولا شك أن بعضها حاصل لكل أحد فالمطلوب من طلب الهداية إما زيادة ما أعطوه من تلك الاجناس إن لم يعط جميعها، وإن أعطي جميعها فإما الثبات عليها أوحصول المراتب المرتبة عليها كما أشار إليه بقوله:فإذا قاله العارف الخ ، وهذا الأخير هو المراد بالسير في الله تعالى:قال في الفتوحات:إن العارف ينتقل من طورإلى طورومن حال إلى حال أُخرى إلى أن أحبه الله تعالى فكشف له عن قلبه فطالع عجائب الملكوت، وانتقش في جوهر نفسه جميع ما في العالم، وفرّإلى الله تعالى مسافراً من كل ما يبعده ويحجبه عنه إلى أن رأه في كل شيء. فلما رأه في كل شيء أراد أن يلقى عصا النسيان ويزيل عنه اسم المسافر فعرفه ربه أن الأمر لانهاية له دنيا ولا اٰخرة .وإنك لا تزال مسافراً.

الذين هَدَى الله فبهداهُم اقتده ﴾[٦.الإنعام: ٩٠] وقوله﴿والذين جَاهَدُوا فينا لنَهدينَّهُم سُبُلَنَا﴾[٢٩العنكبوت:٦٩] فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى، أو الثبات عليه، أو حصول المراتب المرتبة عليه. فإذا قاله العارف بالله الواصل عني به: أرشدنا طريق السير فيك لتمحوعنا ظلمات أحوالنا. وتميط غواشي أبداننا لنستضيء بنور قد سك فنراك بنورك. والأمر والدعاء يتشار كان لفظاً ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل. وقيل : بالرتبة

والسراط: من سرط الطعام إذا ابتلعه، فكأنه يسرط السابلة. ولذلك سمي الطريق لقما؛ لأنه يلتقمهم . والصراط من قلب السين صاداً ليطابق الطاء في الإطباق . وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل عنه. وقرأ ابن كثير برواية قنبل عنه. ورويس عن يعقوب بالأصل. وحمزة بالإشمام. والباقون بالصاد وهو لغة قريش. والثابت في الإمام. وجمعه سُرُطُ ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث.

والمستقيم: المستوي والمراد به طريق الحق. وقيل: هو ملة الإسلام.

قوله: والأمر والدعاء يتشار كان لفظاومعنى:يعني أنهما مشتركان في صيغة "افعل"وفي معناه وهو طلب الفعل، ويفترقان في طلب العلووإظهار السفولة، وقيل بالرتبة: أي بالعلو في الأمر والدنو في الدعاء.

فإن قلت : الدعاء قد يكون بصيغة الخبر نحورحمك الله تعالى فلا يتحقق الاشتراك في الصيغة . قلت : هومن خلاف الظاهر وأصله صيغة الأمر كما تقرر في علم المعاني .

قوله:يسرط السابلة:أي يبتلع أبناء السبيل المختلفين .

قوله:ولذلك سمي الطريق لقماً:.بالفتح .

قوله:ليطابق التاء في الاطباق .أي في كونه من الحروف المطبقة وسيجيء ذلك .

قوله:إلى المبدل عنه: أي السين؛ لأن السين قريب من الزاء في المخرج .

قوله:والمراد به طريق الحق: وقيل هو ملة الإسلام .

فإن قيل: يفهم من كلام صاحب الكشاف اَنَّ طريق الحق وملة الإسلام واحد حيث قال:والمراد بطريق الحق هو ملة الإسلا م.

أجيب:بأن طريق الحق أعم من أن يكون متعلقا بالأصول والفروع فهو أعم من ملة الإسلام ؛لأنها عبارة عن أصول الدين: أي ما يتحقق به أصل الإسلام والنجاة عن الكفر

﴿صراط الذين أُنعمت عليهم﴾ بدل من الأول بدل الكل. وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة. وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين

وقد يقال: إن طريق الحق كما ذكر هي التي تنحصر في الأجناس المرتبة كما مر.وهي ليست عين ملة الإسلام ،وإنما هي مشتملة عليها .

قوله: وفائدته التوكيد:جواب سوال وهو أن يقال: ما فائدة ذكره بطريق البدلية وهلا اقتصر عليه استقلالاًمع أنه المقصود؟. تقريرالجواب أن فائدته التوكيد لما فيه من التكرير والتنصيص بأبلغ وجه وآكده على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة؛ لأنه لما جعل كالتفسير والبيان له فكأنه جعل علما في هذا المعنى، وهذا معنى قوله: فكأنه من البين الخ.وهذا كما تقول :هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان؟ فيكون ذلك أبلغ فى وصفه بالكرم والفضل؛لأنك ثنيت ذكر ه مجملاً أولًا ومفصلاً ثانياًوأوقعت فلانا تفسيراً وإيضاحًا للأكرم الأفضل فجعلته علمًا في الأكرم والأفضل فكأنّك قلت: من أراد رجلاًجامعًا للخصلتين فعليه بفلان المشخص المعين لاجتماعهما فيه غيرمدافع ولا منازع هذا، فعلم أن المراد من "الذين أنعمت عليهم" المؤمنين كما صرح به صاحب الكشاف، وقيل: هم الأنبياء لقوله تعالى:﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ وكلمة "من" للبيان؛لأن جميع الأنبياء منعم عليهم .وقيل: أصحاب موسىٰ وعيسى قبل النسخ والتحريف .قيل لا يلائم للمسلم أن يطلب طريق أصحاب موسىٰ و عيسىٰ أصلاً، كيف ولا يسوغ أن يعمل بطريقهما إذا كان مخالفاًلدين الإسلام.

أجيب :بأن المراد من صراطهم الأصول الاعتقادية المتفقة في جميع الأديان لا الفروع المختلفة باختلافها، وتخصيص أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام بناء على شهرة أمرهما و كثرة أمتهما .

وقد يقال: قد صرح ذلك القابل بعدم النسخ و التحريف وهلا يجوزالعمل قبل النسخ والتحريف فلا يتجه الإيراد ولا حاجة إلى جواب المجيب، والمصنف مهد لبيان المراد من ﴿صراط الذين انعمت عليهم﴾ فقال :ونِعَمُ الله تعالى وإن كانت لا تحصى تنحصر فى جنسين .دنيوي وأخروي .والأول قسمان :موهبي و كسبي، والموهبي قسمان:روحاني يتعلق بالروح: أي النفس الناطقة كنفخ الروح فيه وإشراقه بالعقل وهوغريزة يتبعه العلم بالضروريات عند سلامة الأسباب ومما يتبعه من القوى كالفهم

هـوالمشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لأنه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البيـن الـذي لا خـفـاء فيه أن الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين. وقيل الذين أنعمت عـليهم . الأنبياء . وقيل: النبي ﷺ وأصحابه وقيل: أصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسـلام قبل التحريف والنسخ . وقرئ صراط من أنعمت عليهم . والإنعام: إيصال النعمة. وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين . ونـعـم الـلـه وإن كـانـت لا تـحـصـى كـمـا قـال:﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[١٤.ابراهم:٣٤] تنحصر في جنسين. دنيوي وأخروي .والأول قسمان: مـوهبي وكسبي، والموهبي قسمان: روحاني كنفخ الروح فيه وإشراقه بالعقل ومـا يتبعـه مـن الـقـوى كـالـفـهـم والـفـكـر والنظر. وجسماني كتخليق البدن

والفكروالنطق.وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه من المدركة كالحواس الظاهر ة والبـاطـنة والـحـركة بـالإرادة والـغاذية والنامية وغير ذلك مما يستقصى في العلم الطبعي، وكـالهيئة الـعـارضة لـه مـن الـصـحة وكمال الأعضاء و غير ذلك مما يستقصى في الطب والتشريح .والكسبي تزكية النفس وتقهيرها عن الرزائل كالحسد و العجب وغير ذلك مما يستـقـصـى في علم السلوك ، وتحليتها بالأخلاق والملكات الفاضلة . والخُلق ملكة يصدر عـنهـا الأفـعـال الـنفسانية بسهولة من غير روية .والملكة الهيئاة الراسخة في النفس وتزئين البـدن بـالهيئة الـمستـحسـنة للطبائع كتطهيرعن الأوساخ وقص الشارب والأظفار وحلق الـعـانة وبالحلى المستحسنة كلبس الثياب الجميلة وحصول الجاه والعظمة والمال من غير استـكبـار و فـخـر. والثـانـي أن يغفر ما فرط من العبد ويرضىٰ عنه وبوأه في أعلى عليين مع الملئكة المقربين أبد الآبدين .والمراد من الإنعام هو القسم الأخير و مايكون وسيلة إليه من الـقسم الأول .فإن ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر.فقوله: الآخَر بفتح الخاء المقابل لـلاخيـر، وقـولـه فـرط من التفريط وهو التقصير .قال الطيبي بعد أن ذكر كلام القاضي هذا الأشبـه الأجـمـل عـلى الإطلاق كما ذكر ه المصنف: أي صاحب الكشاف، وقد يقال بل الأشبه ما ذكره القاضي لأن مواجهة العبد المولٰى يقتضي طلب المرتبة العليا وهو صراط من حصل القسم الأخير وما هو وسيلة إليه من القسم الأول لا صراط المؤمنين مطلقاً.

قوله: مـن الـنعمة وهي اللين . أي اشتقاقه من النعمة كذا فيما نقل عنه .والنعمة في أصل اللغة اللين .

والـقـوى الـحـالة فيـه والهيـئـات العارضة له من الصحة وكمال الأعضاء. والكسبي تزكية الـنـفـس عـن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية والملكات الفاضلة. وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال.

والثـانـي أن يـغـفـر لـه ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في أعلى عليين مع الملائكة الـمقربين أبد الآبدين. والمراد هو القسم الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من الآخرة فإن ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر.

﴿غيـر المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ بـدل مـن "الذين" على معنى أن المنعم عليهم هـم الـذيـن سـلـموا من الغضب والضلال: أو صفة له مبينة أو مقيدة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقةـ وهي نعمة الإيمان ـ وبين السلامة من الغضب والضلال، وذلك إنما يصح بأحد تأويلين: إجراء الموصول مجرى النكرة إذا لم يقصد به معهود كالمحلى

قوله: بـدل مـن "الذين"على معنى أن المنعم عليهم إلى آخره :قيل إن أريد بقوله: "أنـعـمـت"الـنعمة الأخروية كان غير المغضوب صفة مبينة. نحوأمس الدابر لا يعود .وإن أريـد أعم من الأخروية حتى يصدق على النعم الدنيوية كان "غير المغضوب" صفة مقيدة، فـإن الـمـنـعم عليهم بالنعم الدنيوية قد يكون غير المغضوب وقد يكون مغضوبًا عليه .فقيده بـغيـر الـمغضوب .وقد يقال:إنه إذا أريد بالمنعم عليهم الأنبياء يكون غير المغضوب عليهم بـدلاً لاتـحـاد مـاصـدقـا عليه، وأماإذا أريد به المؤمنين مطلقاً يكون صفة مقيدة على معنى أنهـم جامعون بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله تعالى.لا أنهـم متفردون بالأولى .وأماأنه صفة كاشفة فمحتمل على كلا التقديرين؛ لأن المنعم عليه مـن حيـث إنـه مـنعم عليه يكون غيرالمغضوب عليه فيكون كاشفًا له على الإطلاق .ولهذا وسط هذا الوجه ليكون متعلقاً بكل من الإرادتين .

قوله: وذلك إنـما يصح بأحد التاويلين: جواب إشكال يرد على كونه صفة .وهوأن يـقـال: كيف صـح أن يـقـال: " غيـر "صـفـة للمعرفة وهو لا يتعرف وإن اضيف إلى المعرفة. فـأجـاب بـأنـه إنما وقع صفة للنكرة لإجراء الموصول مجرى النكرة؛إذ لـم يقصد به معهود قـوم بأعيانهم .قال السيد الشريف:الموصول في حكم المعرف باللام، فإذا أريد به الجنس مـن حيـث وجـوده فـي ضـمـن الأفراد لا بعينه كان فيالمعنى كالنكرة وهوالمسمى بالعهد الـذهـني، فتارة ينظر إلى معناه فيعامل معاملة النكرة كما يوصف بالنكرة وبالجملة.وأخرى

في قوله:

وَلَقَدْ أَمرُّ على اللئيمِ يَسُبُّني فمضيت ثمه قلت لا يعنيني

وقولهم: إني لأمرّ على الرجل مثلك فيكرمني، أو جعل غير معرفة بالإضافة ؛لأنه أضيف إلى ماله ضد واحد وهو المنعم عليهم . فيتعين تعين الحركة من غير السكون.

وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل "أنعمت" أو باضمار أعني، أو بالاستثناء إن فسر النعم بما يعم القبيلين . والغضب: ثوران النفس عند إرادة الانتقام. فإذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على ما مر. و"عليهم" في محل الرفع؛ لأنه نائب مناب الفاعل بخلاف الأول . ولا مزيدة لتأكيد ما في "غير" من معنى النفي. فكأنه قال: لا المغضوب عليهم ولا الضالين. ولذلك جاز أنا زيداً غير ضارب.

إلى لفظه فيوصف بالمعرفة ويجعل مبتدأ وذاحال .

فإن قيل:قد ذكر أولاً أنهم المؤمنين مطلقاً ثم نقل أنهم أصحاب موسىٰ و عيسى عليهما السلام قبل تحريف أحكام التوراة والإنجيل ونسخهما، أو الأنبياء عليهم السلام مطلقاً. وهو على القولين الأخيرين عهد خارجي تقديري فيكون متعينا، وعلى الأول يستغرق الكل فيكون أيضًا متعينًا لا تعدد فيه أصلاً فلا معنى لإجرائه مجرى النكرة.

قلنا: يجوزأن يريد بما ذكره أولاًطائفة من المئو منين لابأعيا نهم ، وإذا حمل على الاستغراق المتبادر من العبارة تعين أن يكون ما ذكره من الجواب وجهًارابعًا بل خامسًا و هو العهد الذهني ، وبأن "غير" جعل معرفة بالإضافة لزوال ما يمنع تعر فه و هو التو غل في الابهام ؛لأنه أضيف إلىٰ ما له ضد واحد و هو المنعم عليه.

قوله: إن فسر المنعم عليه بما يعم القبيلتين:أي المؤمن والكافر.

قوله:ثوران النفس :أي هيجا نه .

قوله: بخلاف الأول: فإنه فيه مفعول به .

قوله: ولذلك:أي ولأجل أن "غير"أنزلت منزلة"لا"جاز "أنا زيداغيرضارب" بتقديم معمول المضاف إليه على المضاف كما جاز"أنا زيدا لاضارب" لتنزله لا لكونه غير مستقل منزلة الجزء من الكلمة بخلاف "أنا زيدا مثل ضارب" فإنه يمتنع؛ إذ لا يتصور هناك التنزيل . قال الرضي: وإنما جاز هذا لحملهم "غير" على"لا" فكأنك قلت:" أنازيدا لا ضارب" .

كما جاز أنا زيداً لاضارب . وإن امتنع أنا زيداً مثل ضارب. وقرئ وغير الضالين: والضلال: العدول عن الطريق السوي عمداً أوخطأ. وله عرض عريض، والتفاوت مابين أدناه وأقصاه كثير.

قيل: المغضوب عليهم اليهود. لقوله تعالى فيهم: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللّٰه وغَضِبَ عليه﴾[٥.المائدة:٦٠] والضالين: النصارى. لقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَاَضَلُّوا كَثِيراً﴾[٥.المائدة:٧٧] وقد روي مرفوعا ً ويتجه أن يقال: المغضوب عليهم العصاة، والضالين: الجاهلون بالله؛ لأن المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به . وكان المقابل له من اختل إحدى قوتيه العاقلة والعاملة. والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه، لقوله تعالى في القاتل عمداً ﴿وغَضِبَ اللّٰه عَلَيْهِ﴾[٤. النساء:٩٣] والمخل بالعلم جاهل ضال. لقوله ﴿فَمَاذا بعْدَ الحقِّ إلَّا الضَّلَالُ﴾[١٠.يونس:٣٢] وقرئ: ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين.

﴿آمين﴾ اسم الفعل الذي هو استجب . وعن ابن عباس قال سألت رسول الله

قوله : كما جاز" أنا زيدا لا ضارب" قال فيما نقل عنه: جوازه ممنوع ، صرح بامتناعه ابن الحاجب في بحث "لن" فى شرح المفصل، فالأولىٰ أن يقول: جاز" أنازيدا غيرضارب"؛ لأنه في المعنى" أنا زيدا لاضارب" كما قال صاحب الكشاف: أي الإضافة فى "غير" في حكم عدمها؛ لأنه في معنىٰ "أنا زيداً لا ضارب" ولاإضافة فيه .

قوله : وقدروي مرفوعا: يعني قد روي هذاالقول مرفوعًا ، والمرفوع ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصة من قول أو فعل أو تقرير سواء كان متصلاً أو منقطعًا .

قوله : آمين: اسم الفعل الذى هو استجب: قال الرضي: وأما تعيين أصولها وأنها عن أي شيء نقلت فنقول : النقل عن المصادر والظروف في بعضها . كرويد زيدًا. وبله زيدًا بنصب المفعول . وعليك زيدًا. إذ استعمال هذه الكلمات على أصلها كثير. كرويد زيد و بله زيد بالإضافة، و بعضها يشبه أن يكون مصدرًا في الأصل وإن لم يثبت استعماله مصدرًا كـ"وشكان وسرعان" فنقول: إنها كا نت في الأصل مصادر؛ لأنه قام دليل قطعي على كو نها منقولة إلى معنى الأفعال عن أصل وأشبه ما يكون أصلها المصادر لمناسبة بينهما وزنًا وإلحاقها بأخوانها نحورويد وبله، فالظاهر في بعضهاأنها كانت أصواتًا ثم نقلت

ﷺ عن معناه فقال: افعل، بني على الفتح كـ"أين" لالتقاء الساكنين. وجاء مد ألفه وقصرها قال:

ويرحمُ الله عبداً قال آمِينا

وقال آخر:

أمين فزاد اللّه ما بيننا بُعدا

وليس من القرآن وفاقًا، لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام: "علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال: إنه كالختم على الكتاب" وفي معناه قول علي رضي الله عنه: آمين خاتم رب العالمين. ختم به دعاء عبده. يقوله الإمام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر أنه عليه الصلاة والسلام "كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته".

وعن أبي حنيفة رضي اللّه عنه أنه لا يقوله. والمشهور عنه أنه يخفيه كما رواه

إلى المصادر ثم منها إلىٰ أسماء الأفعال نحو"صه ومه" انتهى كلامه، فنقول:

قال صاحب الكشاف : آمين صوت سمي به الفعل الذي هو "استجب" وهذا بناء على الأصل الذي ذكرنا. وعدل المصنف عنه بناءً على أنه يحتمل أن يكون أصله مصدرًا كما صرح به الرضي، أوأن يكون صوتا ، وأماما روى ابن عباس رضى الله تعالىٰ عنهما عن رسول الله ﷺ فلا ينتهض دليلاً على كونه من اسماء الأفعال . لأنه لم لا يجوزأن يكون لفظاً سريانياً كما قيل . و فسره النبي ﷺ حين سأله ابن عباس رضياللّه تعالىٰ عنهما عن معناه، قال الرضي:وأما آمين فقيل: سرياني، وليس إلامن أوزان العجمة كقابيل وهابيل بمعنى إفعل على مافسره النبيﷺحين سأله ابن عباس رضى الله تعالىٰ عنهما ويخفف بحذف الألف فيقال "أمين" على وزن كريم . ولا منع أن يقال أصله القصرثم مد فيكون عربيًا مصدرًا في الأصل كالنذير والنكير، ثم جعل اسم فعل. إلى هنا كلامه.

قوله : أمين على وزن كريم طلب الاستجابةلقوله: أمين فزادالله ما بيننا بعدا . وصدر البيت : تباعد عني فطحلإذدعوته. فطحل اسم رجل .

قوله: كالختم على الكتاب: يعني كما أن الختم على الكتاب يمنعه عن ظهور ما فيه على غيرمن كتب إليه كذلك الختم في الدعاء يمنعه من الفساد الذي هو الخيبة لماروي عن أبي هريرة رضياللّه تعالىٰ عنه قال : قال رسول ﷺ:إذادعا أحدكم فلايقال:

عبد الله بن مغفل وأنس. والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلاة والسلام: "إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين، فإن الملائكة تقول آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفرله ما تقدم من ذنبه" وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبيّ " ألا أخبرك بسورة لم تُنَزَّل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها. قال: قلت بلى يا رسول الله. قال: فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته"

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "بينما رسول الله ﷺ جالس إذ أتاه ملك فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤ تهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب. وخواتيم سورة البقرة . لن تقرأحرفاً منهما إلا أعطيته"

وعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: "إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب :﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة.

أللهم اغفرلي إن شئت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة والإجابة .

قوله :وخواتيم سورة البقرة" يعني آمن الرسول الخ.

قوله:في الكتّاب: قال في القاموس: الكتاب كرمّان، الكاتبون والمكتب، والمرادهنا الأخير.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ○

سورة البقرة مدنية وآياتها ست وثمانون ومأتان

﴿الٓمٓ[١]﴾ وسائر الألفاظ التي يتهجّى بها . أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم. واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها . وبه صرح الخليل وأبو علي. وما روى ابن مسعود رضي اللّٰه عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: "من قرأحرفاً من كتاب اللّٰه فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول:الٓمٓ حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" فالمراد به غير المعنى

قوله: يتهجىء بها' في الأساس:هجأالحروف ويهجيهاوهويهجوها ويتهجأها تعددها. ومن المجاز هو يهجو فلانا يعد معايبه. قال العلامة التفتازاني: والباء للصلة والآلة علٰى حذف المفعول بلاواسطة.والمعنى يتهجىء بهاالحروف أي يعدد، وحملها على التضمين أي يؤ تي بها مهجوة سهو؛لأن ذلك إنما هي في المسميات لافي الأسماء .

قوله:من التعريف الخ. كـ"الألف، والتنكير كـ"ألف" ، والجمع كـ"ألفات" والتصغير كـ"أليف"ونحو ذلك كالوصف والاسناد كـ"الألف المكتوب" و"كُتِب الألف".والإضافة كـ"ألف الوصل" .

قوله:وما روي :إشارة إلى جواب معارضة. تقريرالمعارضة أن الحديث يدل على إطلاق الحروف على تلك الألفاظ فلايكون إسما.أجاب عنه بوجهين.

أحدهما: أن المراد بالحرف غير المصطلح .فإن تخصيصه به عرف مجدد لم يوجد في زمن النبي ﷺ فلا يحمل عليه بل أريد به المعنى اللغوي وهو الكلمة الواحدة كذا في المهذب.

و قيل: إن الحرف لغةً الطرف. والمعنى من قرء بعضا من كتاب الله تعالى فلا يخفى ما فيه؛إذ ليس كل كلمة طرفًا.

وثانيهما : أنه سماهاحروفًا مجازًا بناءً على أن مدلولاتها التي ركبت منها حروف، فيكون من قبيل تسمية الشيء باسم مدلوله، ويكون العلاقة علاقةالمجاورة .وهذا الجواب على تقدير تسليم أن يكون المراد بالحرف المصطلح .

الـذي اصـطـلـح عـليه. فإن تخصيصه به عرف مجدَّد بل المرادالمعنى اللغوي. ولعله سماه باسم مدلوله. ولما كانت مسمياتهاحروفاً وحداناً وهي مركبة. صدرت بها لتكون تأديتها بـالـمسـمـى أول مـا يقرع السمع. واستعيرت الهمزة مكان الألف لتعذر الا بتداء بها هي ما

قوله: ولـما كانت مسمياتها حروفا. جواب إشكال وهو أن يقال ماوجه اختصاص هـذه الألـفـاظ بهـذه الـصورة المخصوصة وهى تصديرها بتلك المسميات وكونها ساكنة الأعجاز. أجاب بأن مسمياتها لما كانت حروفًا مفردةً وهي أسامى تلك المسميات مركبةً منها صدرت بتلك الحروف المفردة ليكون تأديتها بالمسمى أول ما يقرع السمع.

ولمّا ورد عليه أنك لم تصدر في الألف فما وجهه ؟.

أجـاب بـأنـه لـما تعذر ذلك لتعذر الابتداء بها استعيرت الهمزة مكان الألف. وأما أنهـا سـاكـنة الأعـجاز، فلأنها إذا لم يتصل به العوامل تكون موقوفة خالية عن الإعراب لا مبـنية حتـى يـحرك لالتقاء الساكنين كما في" أين" و"هؤلاء" بخلاف الوقف، فإنه جاز فيه ذلك. وهـذا الـجواب مبني على رأى صاحب الكشاف، فإنه ذهب إلى أن أسماء المعدودة تـعـديـداً مـعـربة مـوقوفة. قال الرضي: وليس بشيء. كيف يعرب الشيء بلا سبب الإعراب ولاعامل لفظي أو معنوي.

ولـمـا كـان هـنـاك إشـكـالا آخـر يتـرتب على التحقيق السابق ترتبًا ما. وهو أنك تـحـقـقـت وقـوع تلك الأسماء أنفسها على الكيفية المخصوصة فما وجه وقوعهاعلى هذه الصورة في فواتح السور أتى بـ"ثم". وأجاب عنه بوجهين.

أحـدهـمـا: أن مسـميـاتهـا لـمـا كـانـت عنصر الكلام وبسائطه التي تركبت منها أفتتـحت بطائفة منهاإيقاظاً لمن تحدى بالقرآن على أنه كلام منظوم مما ينتظمون منه، فلو كان من عند غير الله تعالى لما تحقق عجز جميعهم مع أن الأصل ثابت متحقق.

وثـانيهـمـا: أن يـكـون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز و.... من دلائـل الإعـجـاز. وذلك أن الـنـطـق بـالـحـروف أنـفسهـا كـانـت العـرب فيـه مستوية الأقـدام:الأميـون مـنهـم وأهـل الكتاب، بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصًا بمن خطّ وقرء وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم، فأمامن الأمي الذي لم يخالط أهل الكتاب فمستبعد خارق للعادة كالكتابة والتلاوة.

لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الإعراب لفقد موجبه ومقتضيه. لكنها قابلة إياه ومعرضة له إذ لم تناسب مبنى الأصل ولذلك قيل ﴿صٓ﴾ و ﴿قٓ﴾ مجموعاً فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة أين وهؤلاء. ثم إن مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها. افتتحت السورة بطائفة منها إيقاظاً لمن تحدى بالقرآن وتنبيهاً على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم، فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه، وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز. فإن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس. فأما من الأمي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عن الأديب الأريب الفائق في فنه. وهو أنه أورد في هذه الفواتح أربعة عشر اسماًهي نصف أسامي حروف المعجم إن لم يعدّ فيها الألف حرفاً برأسها

واعترض بأنه يمكن تعلم الناطق بأسامي الحروف ولو بسماع من صبي بأقصر مدة فمن أين الإعراب ونوع من الأعجاز .وأجيب بأنه وإن أمكن لكن صدوره من الأمي الذي علم واشتهر أنه لم يتعلم قط مستغرب .

قوله: ولذلك قيل:أي ولأجل أنها موقوفة لامبنية قيل:" ص" و" ق" بالجمع بين الساكنين، فإن ذلك جائز في حال الوقف بخلاف البناء.

قوله: عن آخرهم : كناية الشمول والاستيعاب، والمعنى عجزًا صادراً عن آخرهم لا متجاوزًا عنه؛لأن معنى تجاوزعنه عفا، وأما بمعنى المتعدي والمجاوزة فهو متعد بنفسه، ولا عن آخرهم إلى أولهم ؛ لأنه من دون عن الأريب العالم يعلم الأدب. والأريب بالراء المهملة العاقل .

قوله: نصف أسامي حروف المعجم :وهي الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون.قال الجوهري: المعجم النقط بالسواد وغيره .يقال: أعجمت الحروف. ومنه الحروف المعجم، وهي الحروف المقطعة التي يختص أكثر هابالنقط. ومعناه حروف الخط المعجم كمسجد الجامع:أي مسجدالوقت الجامع .وناس يجعلون المعجم بمعنى الإعجام مصدرًا كالمدخل والمخرج:أي من شان هذه الحروف أن يعجم .وقال العلامة التفتازاني:وقد يقال: معناه حروف الإعجام أي إزالة العجمة وذلك بالنقطة .

في تسع وعشرين سورة بعددها إذا عد فيها الألف الأصلية مشتملة على أنصاف أنواعها. فذكر من المهموسة: وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها"ستشحثك خصفه" نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف. ومن البواقي المجهورة نصفها، يجمعه"لن يقطع أمر" ومن الشديدة الثمانية المجموعة في" أجدت طبقك" أربعة، يجمعها "أقطك" ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها"خمس على نصره" ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها، ومن البواقي المنفتحة نصفها. ومن القلقلة وهي:

قوله: في تسع و عشرين: حال من الفواتح، أو صفة له كذا قال المظهر. ويحتمل أن يكون متعلقاً بـ"أورد". وقوله:" في هذه الفواتح" حال من أربعة عشر .

قوله: فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه: فلا يحتبس جري النفس مع تحركه. والإشحاث الإلحاح في المسئلة .ومنه يقال للمتكدي شحاث، وخصفة اسم إمرأة .قال الزمخشري:معناه ستكدي عليك هذه المرأة .والمهجورة بخلافها، وهو ما قوي الاعتماد على مخرجه فلا يخرج الابصوت قوي شديد ويمنع النفس من الجري معه، وهي ما عدا حروف" ستشحثك خصفة".

قوله: ومن الشديدة: وهي ما ينحصر جري صوته عند إسكانه في مخرجه. فلا يجري في"أجدت طبقك" من أجدت الشيء فجاد، والطبق بالفتح معرو ف، والحال أيضاً، والأقِط بفتح الهمزة وكسر القاف طعام يتخد من اللبن، والرخوة بخلافها، فهي حروف لا ينحصر جري صوتها عند إسكانها، ويجمعها "حمس على نصره" حمِس كفرح اشتد وصلب في الدين والقتال فهو حمس وأحمس وهم حمس . ومن المطبقة بفتح الموحدة وهي ما ينطبق اللسان معه على الحنك الأعلى فينحصر الصوت حينئذ بين اللسان وماحاذاه من الحنك الأعلىٰ.فهي في الحقيقة متجوز فيها؛لأن المطبق إنما هو اللسان والحنك ، وأما الحرف فهو مطبق عنه. فاختصر فقيل: مطبق، كما قيل للمشترك فيه: مشترك ، والمنفتحة ضده ؛لأنه ينفتح ما بين اللسان والحنك عند النطق بها .

قوله: ومن القلقلة: وإنما سميت حروف القلقلة ؛لأ نه يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت المتصعد من الصدر، والقلقلة شدة الصوت وشدة الصياح ، ويجمعها" قد طبج" من الطبج وهوالضرب على الشيء الأجوف كالرأس ونحوه . فيقال: طبج الرجل يطبج فهو أطبج وهوالأ حمق .

حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها"قد طبج" نصفها الأقل لقلتها. ومن اللينتين الياء لأنها أقل ثقلاً. ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الأعلى . وهي سبعة: القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الأقل. ومن البواقي المنخفضة نصفها. ومن حروف البدل: وهي أحد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها "أحد طويت" منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها " أهطمين" وقد زاد بعضهم سبعة أخر وهي اللام في"أصيلال" والصاد والزاي في " صرات و زراط" والفاء في" أجداف" والعين في" أعن" والتاء في " ثروع الدلو" والباء في " باسمك" حتى صارت ثمانية عشر، وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين. ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر: والهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والخاء والغين والضاد والطاء والفاء والظاء والشين والزاي والفاء والواو نصفها الأقل. ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة

قوله: ونصفها الأقل: هوالقاف والتاء، وإنما ذكر نصفها الأقل لقلتها في أنفسها.

قوله: ومن اللينتين: أي الواو والياء.وإنما ترك الألف لكونها منقلبة عنهما.

قوله:ومن المستعلية:وهي ما يرتفع اللسان بها إلى الحنك الأعلىٰ فيتصعدالصوت بها فيه. ولا يلزم من الاستعلاء الإطباق ويلزم من الإطباق الاستعلاء ،ألا ترى أنك إذانطقت الحاء والعين والقاف استعلى أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى من غيرانطباق ، وإذانطقت بالصاد وأخواتها استعلى اللسان أيضاً، فبينهما عموم وخصوص مطلقاً.ووجه التسمية ظاهر.والمنخفضة بخلافها .

قوله:ومن حروف البدل:أي الحروف الذي يبدل من غيرها .

قوله:أهطمين: إسم موضع .

قوله: أصيلال:أصله أصيلان .واللام بدل من النون.

قوله: في صراط وزراط: أصلها سراط بالسين .

قوله: في أجداف:أصله جد بالفتح وهوالقبر .

قوله: في أعن :أصله أأن.

قوله: ثروغ الدلو:بالغين المعجمة.أصله فروغ الدلوجمع فرغ، وهو مخرج الماء منها حيث يفرغ أي يصبّ.

قوله:باسمك :بفتح الموحدة.أصله ما اسمك .

عشر الباقية نصفها الأكثر: الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الإدغام من الخفة والفصاحة . ومن الأربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيما مقاربها وهي: الميم والراء والسين والفاء نصفها.

ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان: وهي ستة يجمعها" رب منفل" والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة. كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها. ولماكانت أبنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكرمن الزوائد العشرة التي يجمعها"اليوم تنساه"سبعة أحرف منها تنبيهاً على ذلك ، ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكسورة بالمذكور ثم إنه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية. إيذاناً بأن المتحدى به مركب من كلماتهم التي أصولها كلمات مفردة. ومركبة من حرفين فصاعداً إلى الخمسة. وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور؛ لأنها توجد في الأقسام الثلاثة: الاسم والفعل والحرف

قوله: ولما كانت الحروف الذلقية: جواب إشكال يرد على قوله"مشتملةعلى أنصاف أنواعها"وإنما سميت بذلك ؛ لأن الذلاقة الفصاحة والخفة، وهذه الحروف أخف الحروف، ولاينفك رباعي ولا خماسي من حروف منها إلا شاذاً كالعسجد والدهوقة والزهرقة والعطوس؛ وذلك لأن الرباعي والخماسي ثقيلان، فلا يخلو عن حرف سهل خفيف على اللسان .

قوله: رب منفل: من نفله أي غنمه. وفي الحديث نفل النبي ﷺ القاتل السلب.

قوله: على ذلك: أي على أن أبنية المزيد لايتجاوز عن سبعة أحرف.

قوله: ولو استقريت إلىٰ آخره: تتمة لقوله: وهوأنه أورد في هذه الفواتح الخ. وحاصله أنه أورد في هذه الفواتح أربعة عشراسماً مشتملة إلىٰ غير ذلك من أنواع حروف المعجم على أنصافها التي هي أكثر وقوعاً في الكلم وتراكيبها .

قوله: مكسورة: أي مغلوبة في الكثرة فهو مكسور.

قوله: ثم أنه ذكرهامفردة الخ: يعني ذكر بعضها على حرف واحد. مثل "قٓ"وبعضها ثنائية، مثل "حٰمٓ"وبعضها ثلاثية،مثل "الٓمٓ"وبعضها رباعية ،مثل "الٓمٓصٓ"وبعضها خماسية،مثل" كهيعص"للإيذان بأن المتحدى به مركب من الكلمات التي أصولها كذلك .

قوله: و ذكر ثلاث مفردات الخ. يعني أن مفردات كلامهم تو جد في الأقسام الثلاثة فذكر ثلاث مفردات هي "ق" و"ص" و"ن" . في ثلاث سورللتنبيه على ذلك

وأربـع ثنائيات؛ لأنهـا تـكـون في الحرف بلا حذف "كبل"وفي الفعل بحذف كقل.وفى الاسـم بـغير حذف كمن. وبه كدم فى تسع سورلوقوعها في كل واحد من الأقسام الثلاثة عـلى ثلاثة أوجه: ففي الأسماء مـن وإذ وذو. وفي الأفعال قل وبع وخف . وفي الحروف من وإن ومـذ على لغة من جرّبها. وثلاث ثلاثيات لـمـجيئها في الأقسام الثلاثة في ثلاث عشرة سـورـة تـنبيهاً على أن أصول الأبينية المستعملة ثـلاثة عشـر. عشـرة منها للأسماء . وثلاثة لـلأفعال. وربـاعيتين وخماسيتين تـنبيهـاً عـلـى أ ن لـكل منهما أصلاً: كجعفر وسفر جل . وملحقاً : كقردد وجحنفل. ولـعلها فرقت على السور ولم تعد بأجمعها في أول القرآ ن

وقوله : و أربـع ثـنـائيـات: يـعـني أن ثنائية كلامهم أربع . هي ثنائية الحرف بلا حذف وثنائية بحذف، وثنائية الاسم بلاحذف وثنائية بحذف. وكل منهاعلى ثلا ثة أوجه: فتـح أولـه وضمه وكسره، فذكر أربع ثنائية للتنبيه علىٰ أن ثنائية كلامهـم كذلك.وفي تسع سور للتنبيه على أن تلك الأربع أيضاً واقع على ثلاثة أوجه.

قوله: وثـلاث ثـلاثيـات.هـي "الٓمٓ" و"الٓر" و"طسٓمٓ" .في الأقسام الثلثة: أي الاسم والفعل والحرف .

قوله: ثلثة عشر: عشرة مـنهـا للأسماء .وهي لُبُس، وبَرُد، وحِبُر، وفَرَس، وعَضُد، وكَتِف، وعِنَب، وإبِل، وصُرَد، وعُنُق .والثلاثة التي للأفعال .هي فَعَل فَعِل فَعُلَ .

قوله: رباعيتين :المص،المر

قوله :وخما سيتين: كهيعص،حمعسق.

قـوله : ولـعـلهـا فـرقـت عـلـى السـور ولـم تـعـدهـا بأجمعها في أول القرآن لهذه الفائدة.قال المظهر : إشارة إلى ما استفيد من قوله :ثم ذكر مفردة إلى قوله : ولعلها فرقت.

أقول : يـعني أن تفريق الأسماء الواقعة على الكيفية المخصوصة من كونها مفردة وثـنـائية و ثـلاثية و رباعية و خماسية يدل على تفرق أنواع كلامهم وتعددها منقسمة على تـلك الأقسام .وكذلك تفريق ثنا ئيات الأسماء ليشعر بتفرق ثنائيات الكلام بانقسامها على الأربـع، وأمـا فـي تسع السور فيدل على انقسامها على تسعه أقسام، أعني الاسم المضموم الأول ومفتوحة ومكسورة .والفعل والحرف كذلك .وكذا تفريق الثلاثيات يدل على تفرق الثلاثي ومجيئه في الاسم والفعل والحرف. وقس غيره .

فان قيل: ذكر هذه الأسماء على الكيفية المخصوصة مع قطع النظر عن التفريق

لهذه الفائدة مع مافيه من إعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه.

والمعنى أن هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف. أو المؤلف منها. كذا وقيل : وهي أسماء للسور. وعليه إطباق الأكثر . سميت بها إشعاراً بأنها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحياً من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دو ن معا رضتها. واستدل عليه بأنها لو لم تكن مفهمة كا ن الخطاب بها كا لخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي. ولم يكن القرآن بأسره بيا ناً وهدى. ولما أمكن التحدي به وإن كانت مفهمة. فإما أن يرا د بها السور التي هي مستهلها على أنها ألقابها، أو غير ذلك. والثاني

يدل على تعدد أنواع الكلام .

قلت : لا ضير، فإ ن ذكر الأسماء كما يدل على تعددالأ نواع والمجيء في الأقسام الثلا ثة كذلك تفرق الأسماء على الكيفية المخصوصة يدل على ذلك بل أظهر .فيكون هذه الفائدة مشتر كاً بينهما .

قوله: والتنبيه: أي على إعجاز القرآن .

قوله: والمبالغة فيه:أي في كل من التحدي والتنبيه .

قوله: والمعنى:أي المراد، ومحصل الكلام علىٰ تقديرأن يكون " الٓمٓ "وغيره أسماء مسمياتها المركبة منها الكلام أن المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف أوالمؤلف منها كذا.أي متحدىٰ به يعني أن" الٓمٓ"علىٰ هذا يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون خبراً.

قوله: وقيل هي:أي "الٓمٓ"على هذا يحتمل وسائر الألفاظ التي يتهجأ بها معروفة التركيب:أي من مسميات ذلك الألفاظ .

قوله: واستدل عليه: يعني استدل على كونها أسماء سور بأنها لايخلو إما أن لايكون مفهمة أو يكون ، على الأول يلزم أ ن يكون الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم باللغة الزنجي مع العربي. وأن لا يكون القرآن باسره تبياناً وهدًي بل بعضه. وأن لايمكن التحدي به، وعلى الثاني إما أن يراد بها السور التي هي أولها على أنها ألقابها أو غير ذلك.والثاني باطل ؛ لأنه إماأن يكون المراد بتلك الألفاظ ما وضعت هي له في لغة العرب: أي الحروف المبسوطة، أو ما قيل:إن الألف معناه الرجل السخي، والباء الكثيرالوطي، والتاء الناقة التي تحلب دائماًإلىٰ آخرحروف المعجم. وظاهرأن كلامنهماليس بمراد في فواتح السور.

باطل ؛لأنه إما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر أنه ليس كذلك . أو غيره وهو باطل لأن القرآن أُنزل على لغتهم لقوله تعالى﴿**بلسانٍ عربيٍ مُّبينٍ**﴾[٢٦.الشعراء:١٩٥] فلا يحمل على ما ليس في لغتهم.

لا يقال : لم لا يجوز أن تكون مزيدة للتنبيه ؟ والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر؟ كما قاله قطرب. أو إشارة إلى كلمات هي منهااقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله:

قلتُ لها قفي فقالتْلي قَافْ

كما روي عن ابن عبا س رضي الله تعالى عنهما أنه قال: الألف آلاء الله . واللام لطفه. والميم ملكه. وعنه أن الٓر، وحٰمٓ ،ونٓ، مجموعها الرحمن . وعنه أن الٓم معنا ه . أنا الله أعلم و نحو ذلك في سا ئر الفواتح . وعنه أن الألف من الله. واللام من جبريل . والميم من محمد، أي القرآن منزل من اللّٰه بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام . أو إلى مدد أقوام وآجال بحساب الجمل كما قال أبو العالية متمسكاً بما روي" أنه عليه الصلاة والسلام لما أتا ه اليهود تلا عليهم الٓم البقرة. فحسبوه وقالوا: كيف ندخل في دين مدته إحدى وسبعون سنة . فتبسم رسول اللّٰه صلى الله تعالٰى عليه وسلم فقالوا: فهل غيره .فقال: المصٓ والرٓ والمرٓ. فقالوا: خلطت علينا فلا ندري بأيها نأخذ" فان تلاوته إياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك . وهذه الدلالة وإن لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس. أو دلالة على الحروف المبسوطة مقسماً بها لشرفها من حيث إنها بسائط

قوله:لا يقال: إشكال يرد على الجواب الذي تضمنه الاستدلال على كونها أسماء السور.وتقريره أن يقال: إنه لا يلزم من انتفاء كو نها أسماء مسمياتها الحروف كونها أسماء للسور، وإنما يلزم لو لم يكن هناك احتمال آخر و ليس كذلك.

قوله: هى منها اقتصرت: أي الحروف اقتصرت من تلك الكلمات عليها.

قوله: قاف: مقتصر إما من أقف أو وقفت.

قوله: أو دالّة: عطف على مزيدة: أي ذات دلالة أودالة.

قوله: من حيث إنهابسائط أسماء اللّٰه تعالى: يعني أن أسما ء اللّٰه تعالٰى وكلامه يتركب منها. وإنما سمّي الكلام خطابا؛ لأنه يخاطب به، وإن القول معارضة على قيل.

أسماء الله تعالى ومادة خطابه.

هذا وإن القول بأنها أسماء السور يخرجها إلى ما ليس في لغة العرب. لأن التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً مستكره عندهم ويؤدي إلى اتحاد الاسم والمسمى . ويستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث إن الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة. لأنا نقول: إن هذه الألفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث إنها فواتح السور. ولا يقتضي ذلك أن لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار

قوله: ويوءدي إلى اتحاد الاسم والمسمى: يعني لو قيل أنها أسماء السور وتلك الأسماء أجزاء خارجية منها يلزم أن يكون الاسم والمسمىٰ واحداً ، إلا أنه إذا كان أسما للكل والجزء داخل في الكل كان اسما للجزء الذي هو نفسه فيستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث إن الاسم يتأخر عن المسمى بالرتبة مع أنه مقدم عليه فيلزم الدور. وتقرير الجواب الذي يأتي بعد :إنّا لا نسلم لزوم الاتحاد ؛لأن المسمىٰ هو مجموع السورة من حيث هو لا جميع أجزائه، و الاسم جزء السورة. و لا يلزم من كون الاسم مقابلاً للمجموع من حيث هو كونه مقابلاً لكل من أجزاء ه وهوأي الجزء مقدم من حيث ذاته و مؤخر باعتبار كونه اسما.

فإن قلت: يكفي في الاعتراض الاتحاد، ولا حاجة إلىٰ استدعاء الدور .

قلت: هذا اعتراض آخر، لكن لما ترتب على الاعتراض الأول أورد في ضمنه ورتب عليه .

أقول: فعلى تقدير أن يكون الاسم جزأ للمجموع من حيث المجموع يلزم على هذا القائل ما أورده على القائل بأنها أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم في ضمن الاستدلال؛لأنه إذا كان جزأ للمجموع ـ ولامعنى للجزء عنده؛لأنه إنما هوعلى تقدير الاسمية كما ظن ـ يلزم أن يكون الخطاب كالخطاب بالمهمل، وأن لا يكون القرآن بأسره تبياناً، وأن لايمكن التحدي به.ولعل هذا هوالسبب أيضاً لاختيار المصنف رحمه الله القول الأول دون هذا لكن لم يتعرضه لظهوره ،أو لأنه أشارإليه بقوله: والوجه الأول أقرب إلى التحقيق.

قوله: والاستيناف يلزمها الخ:يعني أن الاستيناف يلزم هذه الكلمات لا من حيث خصوصيات ذواتها بل من حيث أنها فواتح السور، ولا يلزم من ذلك أن لايكون لها معنى في حيزها وأنفسها كما في ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾وأما بعد .

مـن كـلما ت معينة في لغتهم. أما الشعر فشاذ . وأما قول ابن عبا س . فتنبيه على أن هذه الـحـروف منبع الأسماء ومبادئ الخطاب و تمثيل بأمثلة حسنة. ألا ترى أنه عد كل حرف مـن كلمات متباينة لا تـفسير وتخصيص بهـذه الـمـعاني دون غيرها إذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات ،والحديث لا دليل فيه،لجواز أنه عليه الصلاة والسـلام تبسـم تـعـجبا من جهلهم ،وجعلها مقسما بها وإنكان غير ممتنع لكنه يحوج إلى إضـمار أشياء لا دليل عليها. والتسمية بثـلاثة أسـمـاء إنما تمتنع إذا ركبت وجعلت اسماً واحـداً عـلـى طريقة بعلبك. فأما إذا نثرت نثر أسماء العدد فلا. ونا هيك بتسوية سيبويه بين التسـمية بـالـجـمـلة والبيـت مـن الشـعـر وطائفة من أسماء حروف المعجم. والمسمى هو مـجـمـوع السـورـة والاسـم جـزؤهـا فـلا اتـحـاد. وهـو مقدم من حيث ذاته مؤخر باعتبار

قوله: وأمـا قـول إبـن عبـاس رضـي الله تعالىٰ عنهما فتنبيه علىٰ أن الخ:يعني ليس غـرض إبـن عبـاس رضـي الله تعالىٰ عنهما هي الإشارة إلى كلمات هي منها اقتصرت بل غـرضـه التنبيه على أن مأخذ الأسماء، والكلام المخاطب به هذه الحروف، والتمثيل بأمثلة حسـنة مشتـمـلة عـلـى معاني جيدة، ألاتري أنه عدكل حرف منها في كلمات متفرقة غير متنـاسبة كـمـا عـدّ الـلام مثلاً مـن لـطفه والله وجبرئيل .ولوكان غرضه الإشارة لما أورد كـذلك بـل فـي كـلـمة أوكلمات مشتركة في مادة واحدة كالقاف مثلاً فيأقف، وتقف، وقف وغير ذلك .

قوله:لا تفسير:بمعنى تفسير المجمل.

قوله: ولا تـخـصيص: بمعنىٰ تخصيص المشترك؛إذلامخصص لفظاً ومعنى. يعني أن هـذه الألـفـاظ مـن حيـث خـصـوصيتهـا وتـر كيبهـا مـن الـمـادة المخصوصة لايقتضي التـخصيص بتلك المعاني المخصوصة وكذا من حيث خصوصية معانيها التي هي الحروف المبسوطة، أو غيرها كما ذكرنا لا تقتضي ذلك.

قوله:ولابحساب الجمل:عطف على قوله للاختصار .

قوله: إلىٰ إضـمـار أشيـاء :هـي فـعـل القسم وحرفه وجوابه.وأما أنه لادليل فلأن حرف القسم ليس بمذكورحتى يدل على قوله وجوابه.

قوله: والتسـمية:إشـارـةإلى جواب المعارضة التي أوردها على القول الثاني الذي عبر عنه بقيل.

كونه اسماً. فلادور لاختلاف الجهتين. والوجه الأول أقرب إلى التحقيق وأوفق للطائف التنزيل وأسلم من لزوم النقل. ووقوع الاشتراك في الأعلام من واضع واحد، فإنه يعود بالنقض على ما هو مقصود بالعلمية. وقيل: إنها أسماء القرآن؛ ولذلك أخبرعنها بالكتاب والقرآن.

وقيل: إنها اسماء لله تعالى، ويدل عليه أن علياً كرم اللهتعالىٰ وجهه كان يقول: ياكٓهيٰعٓصٓ. وياحٰمٓعٓسٓقٓ. ولعله أراد يا منزِّلهما.

وقيل: الألف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج ، واللام من طرف اللسان وهو أوسطها ، والميم من الشفة وهو آخرها، جمع بينها إيماء إلى أن العبد ينبغي أن يكون أول كلامه وأو سطه وآخره ذكر الله تعالى.

وقيل: إنه سرٌّ استأثره الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه . ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله تعالى ورسوله ورموزلم يقصد بها

قوله: على طريقة بعلبك: يعني لم يحافظ فيه على أحوال المفردات بخلاف ما نثرت نثر أسماء العدد.فإنه أبقيت فيه المفردات على ماكانت عليه كالجملة وغيرها نحو تأبط شراً.

قوله: ولذلك أخبر عنها بالكتاب:نحو﴿الٓمٓ.ذلك الكتٰب﴾. على بعض الوجوه ونحو﴿الرٰ. كتٰب أنزلنٰه﴾ وغيرذلك .

قوله:أسماء القرآن : نحو ﴿حٰمٓ. تنزيل من الرحمٰن الرحيم﴾.

قوله: والوجه الأول أقرب إلى التحقيق وأوفق للطائف التنزيل وأسلم من لزوم النقل:أما كونه أقرب فلعدم ورود شبهة عليه بخلاف احتمال الآخر .فإنه وإن اندفعت عنه الشبهات المذكورة لكن الشبهة التي أوردته غيرمندفعة.وأماأنه أوفق للطائف التنزيل فلما فيه من الإشارةإلىٰ ذلك كما أن التعريض والكناية إشارة إلى غيرما هو المذكور.وأورد عليه أنه على تقدير كونه أعلامًا يحصل منه ما يحصل من الوجه الأول وهو الإشارة إلى جهة التحدي كما ذكره المصنف رحمه الله تعالىٰ.وأجيب بأن ذلك على تقدير العلمية تبع غير لازم .وعلى الوجه الأول مقصود إصالة. وأما أنه أسلم من لزوم النقل فلاستعماله في موضعه الأصلي .

قوله: وقد روي عن الخلفاء الأربعة وغيرهم ما يقرب منه:قال في منتخب التفسير

إفهـام غيره؛إذ يبعد الخطاب بما لا يفيد. فان جعلتها أسماء اللّٰه تعالى، أو القرآن، أو السور كـان لهـا حظ من الإعراب، إما الرفع على الابتداء، أو الخبر، أو النصب بتقدير فعل القسم عـلـى طـريـقـة:" اللّٰه لأفـعلن" بالنصب أو غيره كاذكر،أو الجر على إضمار حرف القسَم. ويتأتى الإعراب لـفـظاً والحكاية فيما كانت مفردة أو موازنة لمفرد كحمٓ، فإنها كها بيل. والـحـكـاية ليسـت إلا فيـما عدا ذلك ، وسيعود إليك ذكره مفصلاً إن شاء اللّٰه تعالى. وإن أبـقيتهـا عـلى معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء أو الـخبـر عـلـى مـامـر. وإن جعلتها مقسماً بها يكون كل كلمة منها منصوباً أو مجروراً على اللـغتين في" اللّٰه لأفعلن" وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له. وإن جعلتها أبعاض كلمات أو أصـواتـاً مـنـزّلة مـنـزلة حـروف التـنبيـه لـم يـكن لها محل من الإعراب كالجمل المبتدأة

الكبير: قال أبو بكر الصديق رضي اللّٰه تعالى عنه: في كل كتاب سرّ وسره في القرآن أوائل السور.وقال علي كرم اللّٰه تعالىٰ وجهه الكريم:إن في كل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حـروف التهجي انتهى. وروي عن عمر رضي اللّٰه تعالىٰ عنه لكل كتاب زينة وزينة القرآن حروف التهجي هذا.وقال بعض العارفين: العلم بمنزلة البحر فأجري منه واد، ثم أجري من الوادي نهر، ثم أجري من النهرجدول، ثم أجريمن الجدول ساقية، فلوأجري إلى الجدول ذلك الـوادي لـغـرقه.ولو سال البحر على الوادي لأفسده.وهو المراد من قوله تعالىٰ:﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾فبحور العلم عنداللّٰهتعالىٰ وأعطى الرسل منها أودية، ثم أجرى الرسل من أوديتهم أنهاراً إلى العلماء، ثم أعطى العلماء للعامة جداول صغاراً على قـدرطـاقتهـم، ثـم أجـرت الـعـامة سواقي إلى أهليهم بقدر طاقتهم. والسبب فيه أن العقول ضعيفة لا يحتمل الأسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس أبصار الخفافيش.

قوله: ويتـأتـى الإعراب:يعني يتأتى الإعراب والحكاية كلاهما فيما كانت مفردة أومـوازنة لـمفرد والحكاية فقط فيما عدا ذلك.والمراد بالحكاية هنا نقل المفردات ساكنة الإعـجـاز .وقـال الـرضـي: إذا سـميـت السوربأسماء حروف المعجم التي في أوائلها، فإن أمـكـن إعرابها وجب ذلك إذا كانت مفردة، نحو قرأت.قاف ونون. غير منصرف للتانيث والـعـلـمية.ويـجـوز الصرف كما في هند.وكذا وجب الإعراب مع منع الصرف إن كانت مـركبة من إثنين أو من ثلثة.إثنان منها بوزن المفرد كـ"طٰسٓ"؛لأن طس بوزن قابيل. وكأنه مركب من إسمين.وإن لم يكن كذلك كـ"الٓمٓ" وكهيعص فالحكاية لاغير.

والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام إذا قدرت بحيث لا تحتاج إلى ما بعدها. وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين، وأما عند هم فـ"الٓمٓ" في مواضعها. والمٓصٓ وكٓهٰيٰعٓصٓ وطٰه وطٰسٓمٓ وطٰسٓ ويٰسٓ وحٰمٓ آيةٌ. وحٰمٓ عٓسٓقٓ اٰيتان. والبواقي ليست باٰيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه .

﴿ذٰلك الكتٰب﴾ ذلك إشارة إلى " الٓم " إن أوّل بالمؤلف من هذه الحروف ،أو فسر بالسورة، أو القرآن؛فإنه لما تكلم به وتقضى، أو وصل من المرسِل إلى المرسَلإليه صار متباعداً أشيرإليه بما يشاربه إلى البعيد وتذكيره متى أريد بـ"الٓم" السورة لتذكير الكتاب فإنه خبره، أو صفته الذي هوهو، أو إلى الكتاب فيكون صفته، والمراد به الكتاب الموعود إنزاله بنحو قوله تعالى:﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾[٧٣.المزمل:٥] ونحوه في الكتب المتقدمة، وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة.

وقيل: فِعَال بني للمفعول كاللباس. ثم عبّرعن المنظوم عبارة قبل أن يكتب

قوله: وقف التمام:الوقف قطع الكلمة عما بعدها، فإن كان على كلام مفيد فحسن، ثم إن كان لما بعده تعلق لما قبله فهوالكافي وإلافهو التام .

قوله: وهذاتوقيف لامجال للقياس فيه: جواب سوال، وهوأ ن يقال:مابا لهم عدّ وا لبعض هذه الفواتح آية د ون بعض.وبعضها آيتين دون بعض .فأجاب بأن هذا علم توقيفي توقف على الشرع لامجال للقياس فيه كمعرفة السور .

قوله : ذلك إشارة: أثبت كون ذلك إشار ة إلى "الٓمٓ" مع أنه ليس ببعيد بوجهين: الأول أنه لما تكلم به وتقضى فصار متباعداً؛ لأن المقتضي فى حكم المتباعد .وهو شائع في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول:وذلك ما لاشك فيه .ويحسب الحاسب ثم يقول:فذلك كذا وكذا .وقال الله تعالى:﴿لا فارض ولابكر.عوان بين ذلك﴾ .والثاني:أنه لما وصل من المرسل وهوالله تعالى إلى المرسل إليه أي الرسول ﷺ وقع في حد البعيد كما تقول لصاحبك: وقد أعطيته شيئا احتفظ لذلك .

واعترض عليه بأنه قبل الوصول إلى المرسل إليه كان كذلك .وأجيب بأن المتكلم إذا ألف كلاماً ليلقيه إلى غيره ويوصل إليه فربما لاحظ في تركيبه وصوله إليه وبنى كلامه عليه . وقيل لم يرد بالمرسل إليه النبي ﷺ بل من وصل اللفظ إليه حال إيجاده بمنزلة السامع لكلامك .قال العلامة الشريف رحمه الله تعالى:وهومردود بأنه خلاف ما

لأنه مما يكتب، وأصل الكتب الجمع، ومنه الكتيبة.

﴿لا ريب فيه﴾ معناه أنه لو ضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحياً بالغاً حد الإعجاز، لاأن أحداً لا يرتاب فيه. ألاترى إلى قوله تعالى:﴿وإن كُنتُم في رَيبٍ مما نزلنا على عَبْدِنا﴾[٢.البقرة:٢٣] فإنه ما أبعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له: وهو أن يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى إذا عجزوا عنها تحقق لهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة.

وقيل: معناه لاريب فيه للمتقين. وهدًى حال من الضمير المجرور. والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي. والريب في الأصل مصدر رابني الشيء إذا حصل فيك الريبة. وهي قلق النفس واضطرابها. سمي به الشك؛ لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأ نية. وفي الحديث"دع ما يريبك إلىٰ ما يريبك" فان الشك ريبة والصدق طمأنية. ومنه ريب الزمان لنوائبه.

يفهم من العبارة .وأيضا إن أراد باللفظ الذي وصل لفظ "الٓمٓ" فذلك ليس إشارة إليه .وإن أراد لفظ جميع السورة أو المنزلة فقيل: إن وصل إليه الجميع كان ذلك على حاله .

أقول:قد تقدم اٰنفاً أن المتكلم إذا ألف كلاما ليلقيه إلى غير ذلك فربما لاحظ في تركيبه وصوله إليه وبنى كلامه عليه .

قوله:لأنه مما يكتب:إن من شانه أن يكتب فيكون مكتوباًبالقوة.

قوله:ومنه الكتيبه:أي للجيش لأنه يجمع .

قوله: معناه أنه لوضوحه وسطوع برهانه:جواب سوال.وهوأنه كيف نفى الريب عنه على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه؟.أجاب بوجهين:أحدهما أن ليس معناه أن أحدا لا يرتاب فيه بل معناه أنه لوضوحه وسطوع برهانه في كونه من عند الله تعالى بحيث لايرتاب فيه العاقل بعدالنظر الصحيح في كونه وحياً بالغًا حد الإعجاز .ثانيهما أن معناه لاريب فيه للمتقين، فعلى هذا يكون قوله: "للمتقين"خبر"لا"و"فيه" صفة لاسم "لا" و"هدى"حال من الضمير المجرور.

قوله : في معارضة نجم من نجومه: أي قطعه منها والمراد السورة ؛إذالتحدي لايكون بأقل منها .

قوله:دع ما يريبك الخ.قال السيد الشريف رحمه الله تعالى:معنى الحديث دع ما

﴿هدى للمتقين﴾ يهديهم إلى الحق . والهدى في الأصل مصدر كالسُرى والتُقى، ومعناه الدلالة .

وقيل: الدلالة الموصلة إلى البغية؛ لأنـه جـعل مقابل الضلالة في قوله تعالى:﴿إِنك لَعلَى هُدىً أو في ضَلالٍ مُبينٍ﴾[سبأ:٢٤]ولأنه لا يقال مهدي إلا لمن اهتدى إلى المطلوب. واختصاصه بالمتقين؛ لأنهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه. وإن كانت دلالته

يقلقك ذاهباً إلى مالا يقلقك .فإن كون الشيء مشكوكاً فيه غير صحيح مما يقلق النفس الزكية وتضطرب معه.وكونه صادقاً صحيحاً مما تطمئن له:أي إذا وجدت نفسك مضطربة في أمرفدعه .وأما إذا وجدتها مطمئنة فيه فاستمسك به ؛لأن إضطراب قلب المؤمن في شيء علامة كذبه.وطمانيته علامة صدقه .

وقيل معناه: دع ما يشك فيه إلىٰ ما تعلمه.فإن العمل بالمشكوك فيه يوجب قلقاً بخلاف العمل المعلوم .فإنه يوجب سكوناً وراحةً والأول أولىٰ.

قوله: ومعناه الد لالة مطلقا، وقيل معناه الدلالة الموصلة إلى البغية.والقا ئل هو صاحب الكشاف، والتعبير بـ"قيل" يشعر باختياره الأول ورجحانه، ووجهه أن الهداية لغة الدلالة مطلقا . قال في شمس العلوم :يقال:هداه إلى الطريق هداية أي دلّه وهداه الطريق أيضًا .وهداه الدين هدى أي يبين له .قال اللّٰهتعالىٰ :﴿ هدى للمتقين﴾ و أما ما ذكره في توجيه كلامه فإنما يدل علىٰ إرادته من الآية الكريمة ،لا على أنه لغة كذلك . والمدعى أن ذلك معناه اللغوي كمايشعر به سوق كلامه.

قوله: و اختصاصه بالمتقين: جواب سوال مقدر، وهو أن يقال : ما وجه اختصاص الهدى بالمتقين مع أن الهدى وهو الدلالة عامة للمتقين وغير هم أجاب عنه بوجهين:

حاصل الوجه الأول أن الاختصاص باعتبارالغاية ، وأن الغاية هي أولىٰ مراتب التقوى وهي التوقي عن الشرك كما يشعر به قوله:من كل مسلم وكافر.وأن المراد بالمتقين الصائرون إلى التقوى بالمعنى المذكور، يعني أن التوقي عن الشرك لايجعل إلاللذين علم مصير هم إليه لا الذين علم بقائهم على الشرك .

وحاصل الوجه الثاني أن الاختصاص باعتبار الغاية أيضًا، وأن الغاية هي ثانية مراتب التقوى أو ثالثهاالتي هي بعينها الانتفاع بالتأمل فيه ، وأن المراد بالمتقين الصائرون إلى التقوى بمعنى ثانية المراتب أو ثالثها، يعنيأن التجنب عن كل ما يوقع فيالإثم أو التنزهعما يشغل

عامة لكل ناظر من مسلم أو كافر، وبهذا الاعتبار قال تعالى:﴿هدى للناس﴾أو لأنه لا ينتفع بالتأمل فيه إلا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات، وتعرف النبوات؛ لأنه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة، فإنه لا يجلب نفعاً ما لم تكن الصحة حاصلة. وإليه أشار بقوله تعالى:﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شفاءٌ وَرَحْمَةٌ للمؤمنينَ ولا يزيدُ الظالمين إِلَّا خَسَارا﴾[١٧.الإسرائيل:٨٢] ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعيّن المراد منه.

والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى. والوقاية: فرط الصيانة. وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه مما يضره في الآخرة. وله ثلاث مراتب.

الأولى: التوقي من العذاب المخلد بالتبري من الشرك وعليه قوله تعالى:﴿وألزمُنٰهم كلمة التقوى﴾[٤٨.الفتح:٢٦]

والثانية: التجنب عن كل مايؤ ثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع. وهو المعني بقوله تعالى:﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا﴾[٧. الأعراف:٩٦]

والثالثة: أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه بشر اشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا اتقو اللّٰه حق تقاته﴾[٣.آل عمران:١٠٢] وقد فسر قوله﴿هدى للمتقين[٢]﴾ههنا على الأوجه الثلاثة .

واعلم أن الآية تحتمل أوجهاً من الإعراب: أن يكون الٓم مبتدأ على أنه اسم للقرآن. أو السورة . أو مقدر بالمؤلف منها.وذلك خبره وإن كان أخص من المؤلف

سره عن الحق لا يحصل إلا لمن صقل العقل وجلاه له فحصل له المرتبة الاولىٰ.ثم استعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات و تعرف أمور النبوةليحصل له المر تبة الثانية أوالثالثة ؛لأن الكتاب كا لغذاء الذي يصلح لحفظ الصحة، فإنه لا يحصل منه الانتفاع بدون الصحة كما أن الغذاء كذلك .

قوله: ولا يقدح ما فيه :أي القرآن من المجمل والمتشابه في كونه هدى.هذاعلى قول من يجوز تأويل المتشابهات ، وأما على مذهب من لم يجوز وهم الحنفية فإنهم ذهبوا إلى أن المتشابهات لا يعلمها إلا اللّٰه تعالىٰ.فالهداية بها بمعنى أنها تهدي إلى أن للّٰه تعالىٰ أسراراً يختص بها لا يعرفها أحد غيره.

مطلقاً. والأصل أن الأخص لا يحمل على الأعم لأن المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ أقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك.

وأن يكون الٓم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبراً ثانياً.أو بدلاً والكتاب صفته. ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على أنه اسم لاالنافية للجنس العاملة عمل إنَّ . لأنها تقتضيها ولا زمة للأسماء لزومها. وفي قراء ة أبي الشعشاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى:﴿لا فيها غَوْلٌ﴾[٣٧.الصافات:٤٧] لأنه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سا ئر الكتب كما قصد ثمة. أو صفته وللمتقين خبره. وهدى نصب على الحال. أو الخبر محذوف كما في لا. "لا ضير". فلذلك وقف على لا ريب . على أن فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير: لا ريب فيه . فيه هدى. وأن يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى: أنه الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يسمى كتاباً . أو صفته وما بعده خبره والجملة خبر الٓم.

والأولى أن يقال: إنهاأربع جمل متنا سقة تقرر اللاحقة منها السابقة. ولذلك لم يدخل العاطف بينها . فالٓم . جملة دلت على أن المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلا مهم . وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي. ولا ريب فيه. جملة ثالثة تشهد على كما له بأ نه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله ونفي الريب فيه. إذ لا كمال أعلى مما للحق واليقين . وهدى للمتقين . بما يقدر له مبتدأ جملة رابعة تؤكد كونه حقاً لا يحوم الشك حوله بأنه هدى للمتقين. أو تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول . وبيانه أنه لما نبه أولاً على إعجاز المتحدى به من حيث إنه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته. استنتج منه أنه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك أن لا يتشبث الريب بأطرافه إذ لا أنقص مما يعتريه الشك والشبهة. وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين. وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الأولى الحذف.................

قوله:في المشهورة:أي فى القرأة المشهورة.

قوله: بما يقدر:أي مع ما يقدر أعني و"هو".

قوله: مبتدأ: نصب على الحال من فاعل "يقدر".

قوله:أوتستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول: يعني يحصل اللاحقة من السابقة كما يحصل النتيجة من الدليل.

والرمز إلى المقصود مع التعليل . وفي الثانية فخامة التعريف. وفي الثالثة تأ خير الظرف حذراً عن إيهام الباطل. وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة. وإيراده منكراً للتعظيم. وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية و تسمية المشارف للتقوى متقياً إيجازاً وتفخيماً لشأنه.

﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة مقيدة له

قوله: والرمز إلى المقصود مع التعليل: يعني أن في الجملة الأولىٰ رمز وإشارةإلى المقصود وهوكونه معجزاً، وإلى التعليل وهو التحدي؛ إذ يحصل به الإعجاز.

قوله: وتخصيص الهدى بالمتقين:عطف على قوله الحذف لا مبتدأ.وباعتبار الغاية خبره، فلا يلزم التكرار وإعادة ماعلم في الجواب عن تخصيص الهدى بالمتقين.

قوله: إما موصول بالمتقين:بمعنى أنه من تتمة وداخل فيما يحكم عليه .فعلى تقدير أنه مدح منصوب أو مرفوع موصول بهذا المعنى، فلا يرد ما قيل :أن الرفع والنصب يدلان على انفصال هذا الكلام عما قبله ، لكن الكلام على تقدير كونه موصولا بالمتقين، ولا حاجةإلى الجواب عنه بأن النصب والرفع با لمدح يدلان على أن المنصوب والمرفوع كانا صفتين في الأصل ، ثم عدل عنه لنكتة هي الاهتمام الإبتلك الصفة بجعله مستقلاً غير تابع لما قبله فهو في الحقيقة والأصل متصل بما قبله.

قوله:على أنه صفة مجرورة مقيدة له الخ:يعني إن فسر التقوىٰ بترك مالا ينبغي من الشرك أوكل ما يوثم أو ما سوى الحق تعالى فالصفة مقيدة ومخصصة له.يعني أنهم التاركون عما ذكر الجامعون بين فضيلة الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

فإن قيل:ترك المعاصي لا يتصور بدون فعل الطاعات:لأن ترك الطاعات معصية، قال الله تعالى:﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾.

قلنا:مبنى هذا الكلام على أن المعصية فعل ما نهى الله عنه، وأن الترك ليس بفعل، وإن فسر بما يعم الحسنات وترك السيئات فهي كاشفة ؛لأن الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كناية عن فعل جميع الحسنات وترك جميع السيئات ؛لكونها أصل الأعمال وأساس الحسنات ،أومادحة بما تضمنه الموصوف، يعني أن الكشف والمدح كلاهما على التفسير الأخيرإلا أن الأول باعتبار اشتماله على جميع ما في الموصوف و كشفه عنه كما صرح به .والثاني باعتبار إظهارشرفه بذكر بعض أوصافه كما يشعر به قوله:بماتضمنه

إن فسر التقوى بترك مالا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التجلية. والتصوير على التصقيل، أو موضحة إن فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات؛لاشتماله على ما هو أصل الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان والصلاة والصدقة، فإنها أمهات الأعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالباً. ألا ترى إلى قوله تعالى:﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ﴾[٢٩.العنكبوت:٤٥] وقوله عليه الصلاة والسلام: "الصلاة عماد الدين. والزكاة قنطرة الإسلام" أو مسوقة للمدح بما تضمنه المتقين. وتخصيص الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر إظهارلفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى، أو على أنه مدح منصوب، أو مرفوع بتقدير أعني أو هم الذين. وإما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره "أولئك على هدى" فيكون الوقف على المتقين تاماً.

والإيمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الأمن ،كأن المصدَّق آمن المصدِّق من التكذيب والمخالفة. وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف. وقد يطلق بمعنى

فلا يجعل قوله:﴿الذين يؤمنون الخ﴾كناية عن فعل جميع الحسنات وترك جميع السيئات في الوجه الثاني.فقوله:أومادحة، عطف على موضحة.

قوله : مترتبة عليه ترتب التحلية على التجلية.صفة بعد صفة لصفة الأول بالحاء المهملة مصدرحلى المراة من الحلى.والثاني بالجيم مصدر جلاء أي كشفه من جلاء السيف صقله .يعني أن الإيمان بالغيب إلى أخر ماذكره بمنزلة التحلية، وأن التقوٰى بمنزلة التجلية وإزالة الأدناس فكما ان التحلية مترتبة على التجلية وإزالة الأدناس.فكذلك الإيمان بالغيب مترتب على التقوٰى وترك مالا ينبغي.

قوله:أو على أنه مدح:عطف على قوله:"على أنه صفة".

قوله:وإما مفصول عنه :عطف على قوله:إما موصول .

قوله: لتضمنه معنى الاعتراف:قال السيد الشريف: التضمين أن يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقى ويلاحظ معه فعل آخر يناسبه .ويدل عليه بذكر شيء من متعلقات آخر، كقولك: أحمد إليك، فإنك لاحظت فيه مع الحمد معنى الانتهاء و دَلَلْتَ عليه بذكر صلته أعني كلمة "إلى" كأنك قلت:انتهى حمدي إليك.وفائدةالتضمين إعطاء مجموع المعنيين،فالفعلان مقصودان معاقصداًوتبعاً.ثم اختلفوافذهب بعضهم إلى أن اللفظمستعمل

الـوثـوق مـن حيث إن الواثق بالشيء صار ذا أمن منه . ومـنـه ما آمنت أن أجد صحابة، وكلا الوجهين حسن فى "يؤمنون بالغيب".

وأما في الشرع: فالتصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ كالتوحيد

فـي مـعـنـاه الـحـقـيـقـى فقط، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ذكرما هو من متعلقاته، فتارة يجعل المذكور أصلا في الكلام والمحذوف قيدًا فيه على أنه حال كما قال فـي قـوله تعالى:﴿ولتكبروا الله﴾حامدين على ما هداكم ، وتارة يعكس فيجعل المحذوف أصلاً والـمـذكـور مـفـعـولاً كـمـا مر من المثال، أو حالا كما يدل عليه قوله :أي يعترفون مؤمنين به؛إذلو لم يقدر لكان مجازًا عن الاعتراف لاتضمينا .

فإن قيل: إذا كـان معنى الآخر مرادًا بلفظ محذوف كان ذلك من قبيل الإضمار، فكيف يقال:إن المذكور يتضمنه.

أجيب: بأنه لما كانت مناسبة للمذكور بمعونة ذكر صلته قرينة على اعتباره كأنه فـيضـمـنـه.ومـن ثـم كـان جـعـلـه حالاً وتبعًا أولى من عكسه.ومايتوهم من أن ذكر صلة الـمتـروك يـدل عـلـى أنـه المقصود إصالة مدفوع بأن ذكرها إنما يدل على كونه مراداً في الجملة؛ إذ لو لاه لم يكن مرادًا أصلاً.

وذهـب آخرون إلى أن كلا المعنين مراد بلفظ واحد على طريق الكناية؛إذيراد به مـعـنـاه الأصـلي ليتوصل بفهمه إلى ماهو المقصودالحقيقي.فلاحاجة إلى تقدير إلا لتصوير المعنى وإبرازه .وفيه ضعف؛لأن المعنى المكنى به في الكناية قد لا يقصد ثبوته في الكناية، وفي التضمين بحسب القصد ثبوت كل من المضمن والمضمن فيه.والأظهرأن يقال:اللفظ مستـعـمـل فـي معناه الأصلي فيكون هو المقصود إصالة لكن قصدبتبعيته معنى آخر يناسبه ويتبـعـه من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ،أو يقدرله لفظ آخر، فلا يكون من باب الكناية ولامـن بـاب الإضمار بل من قبيل الحقيقةالتي قصدت مع معناه الحقيقي معنى آخر يناسبه في الإرادة ، وحينيئذ يكون معنى التضمين واضحاً بلا تكلف .

قوله:ومنه ما آمنت أن أجد صحابة:أي ما وثقت وحقيقته ماصرت ذا أمن به أي ذا سكون وطمانية . فإن الذيأ ومن يجد من نفسه سكونا وطمانية كما أن الخائف يجد قلقًا واضطرابًا.

قوله: بـمـا عـلـم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ :أي بما اشتهر كونه من الدين بحيث يعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال كذا في شرح المقاصد.

والنبوة والبعث والجزاء . أومجموعه ثلاثة أمور: اعتقاد الحق، والإقرار به، والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج. فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق. ومن أخل بالإقرار فكافر. ومن أخل بالعمل ففاسق وفاقاً وكافر عند الخوارج . وخارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة. والذي يدل على أنه التصديق وحده أنه سبحانه وتعالى أضاف الإيمان إلى القلب فقال: ﴿أولٰئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾[٥٨.المجادلة:٢٢] ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾[١٦.النحل:١٠٦]﴿ولم تؤمن قلوبهم﴾ [٥.المائدة:٤١]﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾[٤٩.الحجرات:١٤] وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى، وقرنه بالمعاصي فقال تعالى:﴿وإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمنينَ اقْتَتَلُوْا﴾[٤٩.الحجرات:٩]﴿يٰاأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾[٢.البقرة:١٧٨] ﴿الذينَ آمنُوْا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[٦.الأنعام:٨٢] مع ما فيه من قلة التغيير فانه أقرب إلى الأصل وهو متعين الإرادة في الآية؛ إذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقاً . ثم اختلف في أن مجرد التصديق بالقلب

قوله : ومجموعه:أي مجموع الإيمان أعم من الكامل أو الإيمان نفسه. فعند المحدثين الإيمان الكامل مجموع الأمورالثلثة، وعند المعتزلة والخوارج الإيمان نفسه مجموع تلك الأمور الثلثة .فمن أخل الاعتقاد وحده فهو منافق وليس بمؤمن، ومن أخل من الإقرار فهوكافر، ومن أخل بالعمل فهو فاسق اتفاقًا كافر عند الخوارج ، وليس مؤمناً ولا كافراً عند المعتزلة .فلايتوجه ما قيل:إنه إن كان مراده أن أصل الإيمان مجموع الأمور الثلثة حتٰى أن من أخل بواحد منها لم يكن مؤمنا أصلا بل كافرا، فعند المحدثين ليس كذلك بل الإيمان الكامل عند هم عبارة عن الأمور الثلثة ، وإن كان مرادهم أن الإيمان الكامل عند هم عبارة عن الأمور الثلثة فليس عند المعتزلة كذلك ، بل أصل الإيمان عندهم عبارة عن الأمور الثلثة .

قوله: مع ما فيه من قلة التغيير:يعني أنه يتغير فيه المعنى الأصلي تغيرًاما وهو تقييد التصديق المطلق بماعلم بالضرورة بأنه من دين محمدﷺ.فقوله:وأنه أقرب إلى الأصل تفسيرله .

قوله: ثم أختلف:يعني بعد أن تحقق أن الإيمان هو التصديق وحده لدلائل مرت،اختلف العلماء فثبت جمهور المحققين على ذلك وذهب إلى أن الإيمان هو التصديق

هـل هـو كـاف لأنـه الـمقصود أم لا بد من انضمام الإقرار به للمتمكن منه ، ولعل الحق هو الثـانـي ؛لأنه تعالى ذم المعاند أكثر من ذم الجاهل المقصر. وللمانع أن يجعل الذم للإنكار لا لعدم الإقرار للمتمكن منه.

والـغـيـب: مـصـدر وصف بـه لـلـمبـالـغة كـالشهادة في قوله تعالى:﴿عالم الغيب والشهادة﴾[٩.التوبة:٩٤] والعرب تسمي المطمئن من الأرض والخمصة التي تلي الكلية غيبـاً ، أو فيعل خفف كـ"قيل" . والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بداهة الـعـقـل ، وهـو قسمان: قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى:﴿وعندهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[٦.الأنعام:٥٩] وقسم نصب عليه دليل : كالصانع وصفاته واليوم الآخر وأحواله، وهو المراد به في هذه الآية. هذا إذا جعلته صلة للإيمان وأوقعته موقع المفعول به. وإن جـعـلتـه حـالاً عـلـى تـقـدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء. والمعنى أنهم يـؤمـنـون غـائبيـن عـنـكـم لا كـالمنافقين الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنَّاوَإذا خلوا إلى شياطينهم قالو إنا معكم إنما نحن مستهزئون . أو عن المؤمن به لما روي أن..........

بـالـقـلـب، وإنما الإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدنيا من الصلاة عليه وخلفه والدفن في مـقـابـر الـمسلمين وغير ذلك لما أن التصديق أمر باطن لا بدله من علامة.وعدل عن ذلك بـعـض الـعـلـماء وهو اختيارالإمام شمس الأئمة وفخرالإسلام وهو المحكي عن أبى حنيفة وذهب إلى أن الإيمان هو التصديق والإقرار لما ذكر المصنف أنه تعالىٰ ذم المعاند أكثر من ذم الـجاهل المقصر.وللمانع أن يقول: الذم على الإنكارلاعلى عدم الإقرارحتى يكون جزأ مـن الإيـمـان .هـذا غـاية مـا يتكلم لترتب الاختلاف على دلالة الأدلة على أن الأيمان هو التـصـديـق وحده .وههنا إشكال وهو أن التعبير بـ"لعلّ" يشعر بأن الثاني مختاره والرد عليه بقوله ولمانع الخ.خلاف ذلك فليتأمل .

قـوله: تسـمـى الـمـطـمـئـن:صـح بـفـتـح الهمزة اسم الموضع وبالكسر اسم فاعل تجوزاً.والمخمصة بفتح الخاء المعجمة وسكون الميم الجوع .وقيل: النقرة والحفرة.

قوله: أوعن المؤمن به:بفتح الميم أي الرسول ﷺ .

قوله: لـمـا روي:أول الكلام أن أصحاب عبد اللّٰهذكروا أصحاب رسول اللّٰه ﷺ وإيـمانهم. فقال ابن مسعود: إن أمر محمد ﷺ كان بيّنا لمن رأه والذي الخ .يعني لافضل في الإيمان به ﷺ. عند رؤيته لأن أمره كان بيناً عند ذلك لا سترة به، و إنما الفضل في

ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: والذي لاإله غيره ما آمن أحد أفضل من إيمان بغيب. ثم قرأ هذه الآية . وقيل: المراد بالغيب: القلب لأنه مستور. والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم . فالباء على الأول للتعدية ، وعلى الثاني للمصاحبة، وعلى الثالث للآلة.

﴿ويقيمون الصلاة ﴾أي يعدلون أركانها و يحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها. من أقام العود إذا قومه أو يواظبون عليها .من قامت السوق إذا نفقت و أقمتها إذا جعلتها نافقة قال:

أقامت غزالة سوق الضراب　　　لأهل العراقين حولاً قميطا

فإنه إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه .وإذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه .أو يتشمرون لأدائها من غير فتور ولاتوان :من قولهم قام بالأمر و أقامه إذا جد فيه و تجلد .و ضده: قعد عن الأمرو تقاعد. أو يؤدونهاعبر عن الأداء بالإقامة لاشتمالها على القيام .كما عبر عنها بالقنوت والركوع و السجود والتسبيح .

الإيمان به عند غيبته وبعد وفاته ﷺ.

فإن قلت : المفهوم منه أن يكون من بعد الصحابة أفضل منهم وهوخلاف الإجماع.

قلت:لا يلزم من تفضيلهم بهذه الجهةالأفضلية على الإطلاق .

قوله:على الأول:أرادبه المصدر، وبالثاني الحال، وبالثالث القلب .

قوله: من نفقت :أي راجت .

قوله: أقامت غزالة: اسم إمرأة شبيب الخارجي الذي قتله الحجاج.وخرجت على الحجاج وهيجت الحرب .والضراب:المضاربة والمحاربة. والعراقان:البصرة والكوفة، والقميط: التام .

قوله: لاشتمالها على القيام:وعبارة الكشاف:لأن القيام بعض أركانها وموادهما واحد .قال السيد الشريف قدس سره: إن أراد أن القيام يطلق على الصلاة لكون بعض أركانها، ثم يؤخذ منه الإقامة. ورد عليه أن الهمزة إن جعلت للتعدية كان معنى إقامة الصلاة جعلها مصلية. وإن جعلت للصيرورة كان معنى أقام: صارذا صلاة. فلا يصح ذكر الصلاة معه إلا بجعلها مفعولاً مطلقاً.والكل مما لايرتضيه طبع سليم .وإن أراد أن القيام لما

والأول أظهـر؛ لأنـه أشهـر وإلى الحقيقة أقرب وأفيد لتضمنه التنبيه على أن الحقيق بالمدح مـن راعـى حـدودهـا الظاهرة من الفرائض والسنن، وحقوقها الباطنة من الخشوع والإقبال بـقـلبـه عـلـى الله تعالى،لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون .ولذلك ذكر في سياق الـمـدح والـمـقيمين الصلاة.و في معرض الذم فويل للمصلين . والصلاة: فعلة من صلّى إذا دعـا كالزكوٰة من زكّى ،كتبتا بالواو على لفظ المفخم . وإنـما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء.

وقيـل :أصل صلّى حرك الصلوين؛ لأن الـمـصلي يفعله فى ركوعه وسجوده. و اشتهـار هـذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الأول لا يقدح في نقله عنه.وإنما سمي الداعي مصلياً تشبيهاً له في تخشعه بالراكع الساجد.

كـان ركنًـا مـنهـا كان فعله وإيجاده ركنا لها أيضاً. توجه عليه أن ركنها فعل القيام بمعنى تحصيل هيئة القيام في المصلي حال الصلاة لا بمعنى تحصيلها في الصلاة وجعلها قائمة.

فإن قيل : لـعـلـه أراد أن الـقيام جزء منها فيكون إيجاده أي الإقامة جزء منإيجاد جميع أجزائها الذي هوأدائها فعبرعن أدائها بجزء ه .

قلت: فـمـعـنـى "يقيمون" حينئذ يؤد ون الصلاة فيحتاج في ذكر الصلاة معه إلى إرتـكـاب كـونهـا مـفـعـولاً مـطـلـقاً .ولاإشكال فياستعمال" قنت" أو" ركع" أو"سجد" أو"سبح" بمعنى "صلّى" ؛إذلا يذكر معها الصلاة. انتهى .

قوله: والأول أظهـر لأنـه أشهـر الـخ: يـعني أن الوجه الأول أرجح لمجموع أمور ثـلثة، الأول أنـه أظهـر لـكـونـه أشهر .والثاني أنه إلى الحقيقة أقرب ؛لأنه فيه أيضاً التسوية وإزالة الاعـوجـاج غـايته أنه في الأمور المعنوية .والثالث أنه أفيد بخلاف الوجه الثاني فإنه ليـس فيـه شيء من الأمور المذكورة ، وبـخـلاف الـثـالث فإنه وإن كان أقرب إلى الحقيقة وأفيـد لاشتـماله على الحد الباطني أيضاًإلا أنه ليس أظهر لعدم شهرته بخلاف الرابع ، فإنه وجد الأول لكثرة التعبير بالقيام عن الصلوٰة .

قوله: عـلى لفظ المفخِم .بكسر الخاء من التفخيم، والتفخيم على ثلثة أوجه .ترك الإمـالـة ، وإخـراج الـلام مـن أسـفـل الـلسان كما في اسم الله ، والإمالة إلى الواو كما في الصلاة .قال العلامة التفتازاني:والمراد ههناالأخير.

قوله:وقيل أصل صلى حرك الصلوين الخ.يريد أن صلى حقيقة لغوية في تحريك

﴿ومما رزقنٰهم ينفقون[٣]﴾ الرزق في اللغة :الحظ قال تعالى: ﴿وتَجعَلُونَ رِزْقَكُم أَنَّكُمْ تُكَذِّبُوْنَ﴾[٥٦.الواقعة:٨٢] والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه .

الصلوين :أي طرفي الإليتين مجاز لغوي في الأركان المخصوصة استعارةمن الأركان في الدعاء ؛ لأن الداعي مشابه للراكع والساجد في التخشع .

قال العلامة التفتازاني:وهذا عكس ما اشتهر من أن الصلاة حقيقة في الدعاء مجاز في الأركان المخصوصة؛ لاشتمالها على الدعاء. وورد الصلاة بمعنى الدعاء في الكلام العربي قبل شرعية الصلاة المشتملة على الركوع والسجود المشتملين على التخشع ، وفي كلام من لايعرف الصلاة بالهيئة المخصوصة دليل المشهور، وأيضاً الاشتقاق من غير الحدث قليل .

قوله: الرزق في اللغة الحظ الخ:الرزق في الأصل مصدرسمى به المرزوق وهو ماساقه اللّٰه تعالى إلى الحيوان فانتفع به ، فدخل رزق الإنسان والدواب وغيرهما من المأكول وغيره .ويخرج مالم ينتفع به وإن كان السوق للانتفاع ؛ لأنه يقال فيمن ملك شيئا فتمكن من الانتفاع به ولم ينتفع أن ذلك لم يصر رزقاًله . وعند بعض أصحابنا والمعتزلة اكتفى بمجرد صحة الانتفاع والتمكن من نظر إلى أن انواع الأطعمة والثمرات تسمى أرزاقاً ، ويؤمر بالإنفاق من الأرزاق ؛ولهذا أجازوا فيتفسير المعنى المصدري التمكن من الانتفاع . وفي العيني ما يصح به الانتفاع ؛ولم يكن لأحد منعه احترازاً عن الحرام وعما أبيح لـلضيف مثلاً قبل أن يأكل، وقد اختار المصنف رحمه الله تعالى هذا التفسير الأخير، فالمعتزلة قالوا:الرزق لايتناول الحرام ؛لأنه تعالى أسند الرزق ههنا إلى ذاته تعالى لـلإيذان بانهم ينفقون الحلال الطلق ، وذلك إنما يتحقق إذا استحال من الله تعالى التمكن من الحرام ؛ لأنه لو جاز من الله تعالى ذلك لما كان من الإسناد إليه إشعار بذلك، وأصحابنا قالوا:الرزق يتناول الحرام أيضًا بناءً على أنه لا يستحيل من اللّٰه ذلك .وأما الزجر فترتب عندهم على الكسب فلا ينافي التمكن من الحرام .وإنما ينا فيه لو كان التمكين فقط .وجعلوا الإسناد للتعظيم بمعنى أنهم ينفقون من الحلال ما هو أعظم النتائج لا للإيذان حتىٰ يلزم أن لا يتناول الحرام .وأما اختصاص ما رزقنا هم بالحلال فللقرينة ومقام المدح، فقوله: ألا ترى، استدلال على عدم تناول الحرام وداخل تحت مقولة قالوا، لا على قالوا.

وأما المعتزلة لما استحالوا على الله تعالى أ ن يمكن من الحرام لأنه منع من الانتفاع به وأمر بالزجرعنه، قالوا: الحرام ليس برزق ، ألا ترى أنه تعالى أسند الرزق ههنا إلى نفسه إيذاناً بأنهم ينفقون الحلال المطلق ، فان إنفاق الحرام لا يوجب المدح . وذم المشركين على تحريم بعد ما رزقهم الله تعالىٰ لقوله :﴿قل أرأيتم مَا أَنْزَلَ اللّٰه لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فجعلتم منه حرامًا وحلالاً﴾[١٠.يونس:٥٩] وأصحابنا جعلوا الإسناد للتعظيم والتحريض على الإنفاق. والذم لتحريم مالم يحرم، واختصاص ما رزقنهم بالحلال للقرينة. وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله ﷺ: في حديث عمرو بن قرة: "لقد رزقك الله طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله " وبأنه لو لم يكن رزقًا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا ، وليس كذلك لقوله تعالى:﴿ومَا مِنْ دابَّةٍ في الأرض إلا على اللّٰه رزقها ﴾[١١.هود:٦] وأنفق الشيء وأنفده أخوان. ولو استقريت الألفاظ وجدت كل يوا فقه فى الفاء والعين دالًا على معنى الذهاب والخروج. والظاهر من الإنفاق صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل . ومن فسره بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه، أو خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها . وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤوس الآي. وإدخال "من" التبعيضية عليه لمنع المكلف عن الإسراف المنهي عنه . ويحتمل أن يراد به الإنفاق من جميع المعاون التي آتاهم اللّٰه من

قوله: الطلق: بكسرالمهملة الخالص.

قوله: أخوان:أي متوافقان في الاشتقاق الأكبر .

قوله: والظاهر الخ.الوجهان مذكوران في الكشاف إلاأن الأول لماكان ظاهر الإطلاق الإنفاق قال:والظاهر.والثاني لما كان فيه خفاء أشار إلىٰ توجيهه بوجهين: أحدهما من عنده، وهو أن المراد مطلق الإنفاق، وأما تفسيره للذكر فليس تخصيصاً به بل ذكر أفضل أنواعه.وثانيهما:وهو المذكور في الكشاف أن المراد الزكاة بخصوصه بقرينة اقترانه بالصلاة، فلا يكون الوجه الظاهرمن عنده كما يشعر به قوله:والظاهر، وأما الوجه الثالث فمخترع من عنده.

قوله: شقيقها:الشقيق بفتح الشين المعجمة وكسر القاف: الأخ.والمراد هنا الصلاة؛لأنها أصل العبادات البدنية كالزكاة أصل العبادات المالية.

قوله: المكلف عن الإسراف المنهي عنه:قال صاحب الكشاف عن الإسراف

النعم الظاهرة والباطنة. ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام "إن عِلماً لايقال به ككنز لا ينفق منه" وإليه ذهب من قال: ومما خصصناهم به من أنوار المعرفة يفيضون .

﴿وَالَّذينَ يُؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ هم مؤمن أهل الكتاب كعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه وأضرابه .معطوفون على "الذين يؤمنون بالغيب" داخلون معهم في جملة المتقين دخول أخصين تحت أعم ؛إذ المراد بـ"أولئك" الذين آمنوا عن شرك وإنكار .وبهؤلاء مقابلهم، فكانت الآيتان تفصيلاً للمتقين، وهو قول ابن عبا س رضى الله عنهما،أوعلى المتقين وكأنه قال: هدى للمتقين عن الشرك ، والذين آمنوا من أهل الملل. ويحتمل أن يراد بهم الأولون بأعيانهم ،وسط العاطف كما وسط في قوله :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله :

يالهف ذيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب

علـى معنى أنهم الجامعون بين الإيمان بما يدركه العقل جملة والإتيان بما يصدقه من العباداة البدنية والمالية وبين الإيمان بما لا طريق إليه غير السمع . وكرر الموصول تنبيهاً على تغاير القبيلتين وتباين السبيلين، أو طائفة منهم وهم مؤمنو أهل الكتاب................

والتبذير، والمصنف رحمه الله تعالىٰ عدل عنه، ووجهه أن المتبادر من قوله: مارزقناهم بدون "من" هو إنفاق جميع مارزقناه لاالبعض القليل حتى يكون إدخال "من" موجباً للكف عن التبذير أيضاً.

قوله: وأضرابه: جمع ضرب وهي المثل كذا في القاموس .

قوله: إذ المراد بأولئك ألخ :يعني أن المراد بـ"أولئك" المذكورين سابقاً الذين أمنوا عن شرك وإنكار .وهؤلاء المذكورين هم الذين لم يشركوا ولم ينكروا؛لأنهم كانوا من أهل الكتاب .

قوله: إلى الملك القَرْم ألخ:بفتح القاف وسكون الراء المهملة: السيد من الرجال، شبه بالقرم وهو الفحل المكرم الذي يترك للفحلة ولا محمل عليه .والهُمَام بالضم: الملك العظيم الهمة.والكتيبة: الجيش.وازدحم القوم إذا وقع بعضهم على بعض.ومنه المزدحم: المعركة؛لأنها موضع المزاحمة .

قوله: يالهف زيابة ألخ.اللَهْف بفتح اللام وسكون الهاء يقال: يالهف فلان. كلمة

ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيماً لشأنهم وترغيباً لأ مثالهم.

والإنزال: نقل الشيء من الأعلى إلى الأسفل. وهو إنما يلحق المعاني بتوسط لحوقة الذوات الحاملة لها. ولعل نزول الكتب الإلٰهية على الرسل بأن يتلقفه الملك من الله تلقفاً روحانياً، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيبلغه إلى الرسول. والمراد﴿بِما أُنزل إليكَ﴾القرآن بأسره والشريعة عن آخرها . وإنما عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقباً تغليباً للموجود على مالم يوجد، أو تنزيلاً للمنتظر منزلة الواقع. ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِل مِنْ بَعدِ مُوسىٰ﴾[٤٦. الأحقاف : ٣٠] فإن الجنَّ لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله مُنَزَّلًا حينئذ و﴿بما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ التوراة والإنجيل وسائر الكتب السابقة. والإيمان بها جملةً فرض عين. وبالأول دون الثاني تفصيلاً من حيث إنا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية؛لأن وجوبه على كل أحد يوجب الحرج وفساد المعاش.

﴿وبالآخرة هم يوقنون [٤]﴾أي يوقنون إيقاناً زال معه ماكانوا عليه من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى، وأن النار لم تمسهم إلا أياماً معدودة . واختلافهم في

يتلهف بها على مافات:أي يتحسر، والزيابة اسم أب القائل؛ لأن الشعر لإبن زيابةفي جواب الحارث بن همام الشيباني حين قال:أيا إبن زيابة أن تلقينى لا تلقني في النعم الغارب. والمعنى ياحسرة أبي من أجل هذا الرجل في ما حصل له من المراد والاتصاف بهذه الأوصاف. والصابح المغير صباحاً من صبحت القوم إذا أتيتهم صباحًا. وبعده "والله لو لاقيته خاليا لأب سيفانا مع الغالب" أي معنى فالتفت لادعاء ظهورأن الغلبة له ويقال : رجل سيفان: أي ممتد القامة كأنه نصل سيف. قال العلامة التفتازاني: البيت مع أنه من الحماسة ومعناه علىٰ ما ذكرنا مذكور في الشرح يغلط فيه، فيقول زيابة هو الشاعر يظهر اللهف والحزن لأجل الحارث وسببه، أو زيابة اسم أبى المهجو أو الممدوح والحارث اسمه.

قوله: واختلافهم:عطف على مجرور "من"يعني أنهم افترقوا فرقتين: منهم من قال: يجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا.ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدارمن أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل .وأهل الجنة مستغنون عنه .فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح الطيبة والسماع

نعيم الجنة: أهو من جنس نعيم الدنيا أو غيره؟ وفي دوامه وانقطاعه . وفي تقديم الصلة وبناء "يوقنون" على "هم" تعريض لمن عداهم من أهل الكتاب. وبأن اعتقادهم في أمر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن إيقان. واليقين: إتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظراً واستدلالاً؛ ولذلك لا يوصف به علم الباري، ولا العلوم الضرورية. والآخرة تأنيث الآخر. صفة الدار بدليل قوله تعالى:﴿تلك الدار الآخرة﴾[٢٨. القصص: ٨٣] فغلبت كالدنيا . وعن نافع أنه خففها بحذف الهمزة إلقاء حركتها على اللام. وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ماقبلها إجراء لها مجرى المضمومة في وُجوه ووُقتت. ونظيره:

لحبِّ المؤقِدان إلى مؤسى وجعدةَ إذ أضاء هما الوقودُ

﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ الجملة في محل الرفع إن جعل أحد الموصولين مفصولاً عن المتقين خبر له. فكأنه لما قيل: هدى للمتقين، قيل: ما بالهم خصوا بذلك؟ فأجيب بقوله:﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾إلى آخر الآيات. وإلا فاستيناف لا محل لها. فكأنه نتيجة الأحكام والصفات المتقدمة، أو جواب سائل قال: ما للموصوفين بهذه

اللذيذ والفرح والسرور، ومنهم من قال:نعيمها دائمة، ومنهم من قال: منقطعة.

قوله: وفي تقديم الصلة الخ:يعني أن تقديم الظرف للقصر، والمعني أنهم يوقنون بحقيقه الآ خرة لابما هو على خلاف حقيقتها كما تزعم اليهود ، وكذلك تقديم "هم"على "يوقنون" للقصر، يعني أن الإيقان بالآخرة مقصورعليهم لا يتجاوزبهم إلى أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالقرآن ، فإن كلامهم صادرلا عن علم ويقين؛لأن العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، وإنما يعتقدون الآخرة ليس بآخرة، بل وهم لاحقيقة له. وإنما اليقين ما عليه المؤمنون، والآخرة ماهم يعتقدون ، فقوله:وبأن اعتقاد هم ألخ.ناظر إلىٰ قوله:تقديم الصلة، وقوله:ولا صادر عن إيقان، ناظر إلىٰ قوله:وبناء يوقنون على "هم".

قوله:فغلبت كالدنيا:يعني أن الآخرة في الأصل تانيث الآخر الذيهو نقيض الأول اسم فاعل من آخر بمعني تأخره وإن لم يستعمل كما أن الآخَر بفتح الخاء أفعل منه،ثم غلبت على تلك الدار كما أن الدنيا كان في الأصل تانيث أدنىٰ ثم غلب على هذه الدار.

قوله: لحب المؤقدان: البيت لجرير. والأصل حبب بالضم ' أي صار محبوباً.وموسى وجعدة إبناه:عطف بيان لـ"مؤقدان"والوقود صح بالضم: لأنه مصدر، و أمابا لفتح فاسم لمايتوقد به، يصفهما بالكرم؛لأن المراد الاضاء ة بوقود نارالقرى بقرينة المقام والاستعمال الشائع فيما بين.

الصفات اختصوا بالهدى؟ ونظيره أحسنت إلى زيد صديقك القديم حقيق بالإحسان. فإن اسم الإشارة ههنا كإعادة الموصوف بصفاته المذكورة. وهو أبلغ من أن يستأنف بإعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه . فإن ترتب الحكم على الوصف إيذان بأنه الموجب له. ومعنى الاستعلاء في ﴿على هدى﴾ تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه. وقد صرحوا به في قولهم :

امطتى الجهل وغوى　　　　واقتعد غارب الهوى

وذلك إنما يحصل باستفراغ الفكر وإدامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل. وَنُكِّرَ هدىً للتعظيم . فكأنه أريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره . ونظيره قول الهذلي:

قوله: ومعنى الاستعلاء : يعني أن هذه الاستعارة تبعية تمثيلاً، أما التبعية فلجريانها أولاً في متعلق معنى الحروف وتبعيتها في الحرف ، وأما التمثيل فلكون كل من طرفي التشبيه حالة منتظرة من عدة أمور؛لأنه شبهت حالهم في اتصا فهم بالهدى على سبيل التمكن والاستقرار بحال من اعتلى الشيء وركبه فتكون الصفة بمنزلة المركوب.

قوله: وقد صرحوا به: يعنى أن ما ذكر من التمثيل على طريق التبعية صرحوا به في قولهم :امتطى الجهل، شبه الاتصاف بالجهل واستقراره عليه بامتطاء المطية ، فذكر المشبه به وأريد المشبه ، ثم اعتبر ذلك في الفعل وجعل المفعول أعني الجهل قرينة.وقولهم:اقتعد غارب الهوى، شبه الاتصاف بالجهل والاستقرار عليه أيضًا بالاقتعاد على الغارب . وإضافة قرينة للاستعارة . فقوله: وقد صرحوا به الخ تائيد لما ذكره في قوله تعالىٰ : ﴿وأولٰئك علىٰ هدى﴾ وهذا هو الظاهر. وقيل في حواشي هذا الكتاب: شبه الهوى بالمطية على طريق المكنية وخيل بإثبات الغارب ورشح بالاقتعاد . ولا يخفى أن ما ذكرنا أنسب بسوق كلام المصنف، وأن الضمير في قوله: وقد صرحوا به،راجع إلى التمثيل على طريق التبعية لاإلى التشبيه وإن كان الأنسب بكلام الكشاف عوده إلى التشبيه مطلقا أعم من أن يكون بطريق الاستعارة أو غيره حيث صرح بمثال التشبيه .

قوله: كنهه: أي غايته .

قوله: لايقادر قدره : بحركة مبلغ الشيء ، وقادرته: قاسيته.

فلا وأبى الطيرُ المربَّة بالضُّحَى على خالدٍ لقدْ وقَعْتَ على لحم

وأُكِـد تـعـظيـمه بأن الله تعالى مانِحُهُ والموفق له . وقد أدغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة.

﴿وأولـئك هـم الـمفلحون[٥]﴾ كرر فيه اسم الإشارة تـنبيهـاً على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الأثرتين، وأن كلاً منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ، ووسط العاطف لا ختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلا ف قوله: ﴿ أولئك كالأنعام بـل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾[٧. الأعراف: ١٧٩] فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكـا نـت الـجـمـلة الثـانية مـقـررة بـالأولىٰ فلا تناسب العطف و"هـم" فصل يفصل

قوله: فـلا وأبى الطير الخ . الواو للقسم والخطاب للطير، و"المربّة" اسم فاعل من أربّ بـالـمـكـان أقـام به . وتنكير" لحم" للتعظيم . ولذلك استعظم الطير الواقعة عليه حيث أقسـم بـأبيهـا يتـحسـر ويـقـول : الأمـر كما زعمت يا طير من التسوية بين خالد وغيره في الوقوع فجاء ة أقسم بأبيك إنك وقعت على لحم عظيم.

قوله: تـنبيهًـا عـلـى اتـصافهم بتلك الصفات تقتضي كل واحدة من الأثرتين: وإن كـلامنهما كاف في تميز هم بها عن غيرهم أن كل واحد من الهدى في الدنيا والفلاح في العقبىٰ أثر ة عـلـى حيـالهـا؛ لأن مـجموعهما أثرة واحدة، فنبه بتكريراسم الإشارة على أن اتـصـافهـم بتـلك الصفات يقتضي كلا من الهدىٰ والفلاح الذي هي أثرة على حيالها. وأن كـلامـنهـمـا كافية في تميزهم بها عن غيرهـم . في القاموس: رجل استأثر على أصحابه:أي يختار لنفسه أشياء حسنة. والأثرة محر كة، والأثرة بالضم والكسر مراد بهما الهدى والفلاح .

قوله: وهـم فصل الخ : ذكر لضمير الفصل فوائد ، الأولىٰ: الدلالة على أن ما بعده خبر لانعت ؛ لأنه إنما يتوسط بين المبتدأ والخبر لا بين الموصوف والصفة . وبهذا الاعتبار سمي فصلا .

الثـانية : تـاكيد الحكم لما فيه من زيادة الربط حتى قال الحكيم أبو نصر الفارابي: إن معنى قولنا:" زيد هو العادل"، زيد است كه عادل است.

الثالثة : إفادة قـصـر الـمسند على المسند إليه بشهادة الاستعمال نحو" إن الله هو الرزاق".

قوله: لـلدلالة على أن المتقين: يعني للعهد الخارجي ومعناه ظاهر، أوا لإشارة إلى

الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه، أو مبتدأ و"المفلحون" خبره، والجملة خبر" أولئك" والمفلح بالحاء والجيم: الفائز بالمطلوب، كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر. وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي يدل على الشق والفتح. وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة، أو الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم.

تنبيه: تأمل كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا ينا له كل أحد

ما يعرفه الخ . قال العلامة التفتاز اني في شرح الكشاف: أطبق الناظرون في هذا الكتاب على أنه يريد بذلك تعريف الجنس وتعيين الحقيقة المسمى بالعهد الذهني إلى هنا كلامه ـ ولعل المصنف اختاره أيضاً حيث قال: زاد قوله : وخصوصياتهم: أي جزئيات المفلحين تفيسر لحقيقة المفلحين؛ لأن المراد به الحقيقة الموجودة في ضمن فرد مبهم ، أوالفرد المبهم . وعلى كلٍ يصح تفسيره به ؛ لأن مرادهما ومحصل معناهما واحد ، فلا يرد الاعتراض بأن لام الجنس يشير إلى معلومية الماهية فقط ، والحق كما ذكره أيضاً أن الذي قصده صاحب الكشاف معنى آخر أ ورده الشيخ في دلائل الإعجاز بعد ماذكر العهد والجنس وبعض شعبه وهو الاتحاد با لحقيقة حيث قال: اعلم أن للخبر المعرف باللام معنى آخر دقيقًا يكون المتأمل عنده كما يقال: يعرف وينكر، وذلك قولك: هو البطل المحامي، لا يشير إلى معنى علم أنه كان ولم يعلم مما كان، كما في" زيد المنطلق" ولاتريد أن تقصر معنى عليه على أنه لم يحصل لغيره على الكمال كما في "زيد هو الشجاع" ولا أن تقول أنه ظاهر . أنه بهذه الصفة كما في قولك ووالدك العبد . ولكنك تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت . بالبطل المحامي هل حصلت معنى هذه الصفة . وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له . وفيه فإن كنت فتلته علما و تصورته حق تصوره فعليك بصاحبك . واشد دبه يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك وطريقته طريقة قولك.هل سمعت بالأسد.هل تعرف ماهو فإن كنت تعرفه فزيد هو بعينه .

قوله: ما لا يناله أحد . من كمال الرسوخ على الهدى في الدنيا . وكمال الفلاح والفوز في العقبىٰ . ووجه التنبيه على الاختصاص بتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخبر ظاهر. وأما ببناء الكلام على اسم الإشارة .فلكونه بمنزلة التعليق بالوصف المشعر بالعلية .

مـن وجوه شتى . وبناء الكلام على اسم الإشارة للتعليل مع الإيجاز وتكريره وتعريف الخبر وتـوسيـط الـفصل. لإظهار قدرهم والترغيب في اقتضاء أثرهم . وقد تشبث به الوعيد ية في خـلود الفساق من أهل القبلة في العذاب . ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ؛ ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم . لا عدم الفلاح له رأساً.

﴿إن الـذيـن كـفـروا﴾لـمـا ذكرخاصة عباده وخلاصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم لـلهـدى والـفـلاح عـقبهـم بـأضدادهم العتاة المردّة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيـات والـنـذر، ولـم يـعـطف قـصتهـم على قصة المؤ منين كما عطف في قوله تعالى:﴿إِنَّ الأَبْـرارَ لَـفـي نـعِيـمٍ وإِنَّ الْـفُـجَّارَ لفي جَحِيْمٍ﴾[٨٢. الانفطار:١٣]لتبا ينهما في الغرض. فإن الأولـى سيقـت لـذكر الكتاب وبيان شأنه، والأخرى مسوقة لشرح تمردهم، وانهما كهم في الـضـلال. و "إن" مـن الـحـروف الـتـي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسـمـاء وإعـطـاء معانيه . والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين. ولذلك أعـملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذاناً بأنه فرع في العمل دخيل فيه .

وقال الكوفيون: الخبر قبل دخولها كا ن مرفوعاً با لخبرية. وهي بعد با قية مقتضية لـلـرفـع قـضية لـلاستصحاب فلا يرفعه الحرف. وأجيب بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبركا ن. وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف، وفائدتها تأكيد الـنسبة وتـحقيقها؛ ولذلك يُتَلَقَّى بها القَسَم، ويصدر بها الأجوبة، وتذكر في معرض الشك مثـل قـولـه تـعـالـى: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً إنا مكنا له في الأرض﴾[١٨ . الـكهف:٨٣.٨٤] ﴿وقَـــال مُـــوســىٰ يــا فِـرْعـونَ إنـي رسـولٌ مِّـنْ ربِّ الـعـالـمينَ﴾[٧.الأعراف:١٠٤] قال المبرد." قولك : عبد الله قائم . إخبار عن قيامه وإن عبـد اللّٰه قـائـم، جـواب سائل عن قيامه . وإن عبداللّٰه لقائم، جواب منكر لقيامه" وتعريف الـموصول: إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب، وأبي جهل، والوليد بن المغيرة، وأحبـار اليهـود، أو لـلـجـنـس متنـاولاً مـن صـمـم على الكفر، وغيرهم ، فخص عنهم غير الـمـصـريـن بـمـا أسند إليه. والكفر لغة: ستر النعمة ، وأصله الكَفْر بالفتح وهو الستر. ومنه قيـل: للزارع والليل كا فر، ولـكمام الثمرة كـافـور. وفـي الشرع: إنكار ما علم بالضرورة

قوله : ولذلك .علة الإعمال المطلق .وقوله :إيذاناً.للمقيد منه .

قوله : ولكمام الثمرة .الكمام بالكسر جمع "كم" وهو ما يكم به الشيء.

مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به. وإنما عدّ منه لبس الغيار، وشد الزنار، ونحوهما كفراً ؛لأنها تدل على التكذيب. فان من صدق الرسول ﷺ لا يجترئ عليها ظاهراً ؛لأنها كفر في أنفسها.

واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لا ستدعائه سابقة مخبرعنه. وأجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾خبر"إنّ" و" سواء" اسم بمعنى الاستواء . نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى:﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾[٣.آل عمران:٦٣] رفع بأنه خبر"إن" وما بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل:إن الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه، أو بأنه خبر لما بعده بمعنى: إنذارك وعدمه سيّان عليهم . والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه؛إذا أريد به تمام ما وضع له. أمالوأطلق وأريد به اللفظ، أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه كقوله تعالى:﴿وإِذَا قِيلَ لهمْ آمِنوا﴾[٢. البقرة:١٣] وقوله:﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِيْنَ صِدْقُهُم﴾[٥. المائدة:١١٩] وقولهم: تَسْمَعُ بِالْمُعَيدِيِّ خَيْرٌ مِّنْ أَنَّ تَرَاه. وإ نما

قوله: الغيار: بكسر الغين المعجمة قلنسوة طويلة تلبس في ابتداء الإسلام وهي الآن شعارأهل الكفر.

قوله:وأجيب بأنه مقتضى التعلق الخ:يعني أن كلامه تعالىٰ صفة أزلية قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت والآفة .وهي في نفسها لا يتصف بالماضي والحال والمستقبل لعدم الزمان في الأزل، وإنما يتصف بذلك فيما لايزال باعتبار التعلق وحدوث الازمنة والاوقات.

أقول :حاصله أن الصفة الأزلية إذا تعلقت بالأمور الماضية حصل التكلم بالكلام الدال عليها:وكذا الحال والمستقبل كالعلم الأزلي إذا تعلق بالمعلوم الحادث حصل الانكشاف الحادث ، مثلاً إذا تعلق الكلام الأزلي بعصيان فرعون حصل خلق الألفاظ الدالة عليه أعني"عصى فرعون" فيكون المضي مقتضى التعلق . وحدوثه لا يستلزم حد وث الكلام كما في العلم .

قوله: نعت به كما نعت بالمصادر:يعني كما يجري المصادرعلى ما اتصف بها كذلك سواء يجري على ما اتصف بالاستواء: أي يجعل وصفاً معنوياً إما نعتاً نحوياً أوغيره كما في هذه الآية .

عدل ههنا عن المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد وحسن دخول الهمزة و"أم" عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده.فإنهما جرّدتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء. كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم: اللهم اغفرلنا، أيتها العصابة.

والإنذار: التخويف أريد به التخويف من عذاب الله ، وإنما اقتصر عليه دون البشارة؛ لأنه أوقع في القلب، وأشد تأثيراً في النفس من حيث إن دفع الضرأهم من جلب النفع. فإذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى. وقرئ "أأنذرتهم" بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين. وقلبها ألفاً وهو لحن ؛لأن المتحركة لا تقلب، ولأنه يؤدي إلى جمع الساكنين على غيرحده. وبتوسيط ألف بينهما محققتين، وبتوسيطها والثانية بين بين، وبحذف الاستفهامية ، وبحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها.

قوله: لما فيه من ايهام التجدد:إنما قال منإيهام التجدد ؛لأن الفعل إنما يدل على التجدد بواسطة دلالته على الزمان، ولا دلالة عليه إذا استعمل بمعنى المصدر.

قوله: وحسن دخول الهمزة الخ .وإنما حسن؛ لأن المقام يقتضى تقريرذلك ؛لأن الآية مسوقة لاستقباح حالهم وغيهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظرالصحيح الموجب للختم .وهذا جواب عن السوال حين قال صاحب الكشاف بتجردهما المعنى الاستواء، وهو أن الاخبارعنهما بالاستواء تكرارخال عن الفائدة بمنزلة قولك:المستويان مستويان، وذلك لأن المقصود تقرير الاستواء و تاكيده بمعنى أن المستويين في علم المستفهم مستويان في نفس الأمر في عدم النفع، فلايلزم التكرارالخالي عن الفائدة فلا يتجه ما قيل:إن هذا من زيادته على الكشاف .وفيه:أي في الكشاف أن الهمزة وأم مجردتان عن الاستواء وقد انسلخ عنهما معني الاستفهام.ومعنى الاستواء استوائهما في علم المستفهم عنهما؛لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن،إما الإنذاروإما عدمه، ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بغيرعين.

قوله: كما جردت حروف النداء الخ. يعنيأن حرف النداء يدل على طلب الإقبال والاختصا ص؛إذلاينادى من بينهم إلامن له نوع اختصاص بالمتكلم فجرد عن طلب الإقبال للاختصاص وجعل المنادى بمعنىٰ مختصًاحالًا من ضميرالمتكلم .فمعنىٰ قوله: اللّٰهم اغفرلنا ايتهاالعصابة مختصًا من بين الجماعة بالمغفرة .

﴿لَا يُؤْمِنُوْن[٦]﴾ جملة مفسرة لإجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها، أو حال مؤكدة، أو بدل عنه، أو خبر" إنّ". والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم.

والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق،فإنه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لا يؤ منون وأمرهم بالإيمان. فلوآمنوا انقلب خبره كذباً. وشمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان. والحق أنّ التكليف بالممتنع لذاته وإن جازعقلا من حيث إن الأحكام لا تستدعي غرضاً سيماالامتثال ، لكنه غير واقع للاستقراء . والإخبار بوقوع الشيء أوعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو، أو العبد باختياره. وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا ينجح إلزام الحجة، وحيازة الرسول فضل الإبلاغ. ولذلك قال:﴿سوآء عليهم﴾ ولم يقل:" سواء عليك" كما قال لعبدة الأصنام:﴿سَواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ وفي الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهي من المعجزات.

قوله: جملة مفسرةلإجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء: يعني يحتمل أن يكون مايستوي فيه الإنذاروعدمه أنهم لايؤمنون. ففسره بقوله: لا يؤمنون.

قوله: والآية مما احتج به الخ. يعني أن الله تعالىٰ أخبر عنهم بأ نهم لا يؤمنون فيكون إيمانهم بأنهم لوآمنوا لا نقلب خبره كذبا، ويشمل إيمانهم إيمانهم بأنهم لايؤمنون؛ لأنه يجب عليهم الإيمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ومن جملته أنهم لا يؤمنون، وهو اجتماع النقيضين . واعلم أن مراتب ما لايطابق ثلث: أدنا ها ما يمتنع لعلم الله تعالىٰ بعد م وقوعه، أولإرادته ذلك، أو لإخباره بذلك. ولا نزاع في وقوع التكليف به فضلا عن الجواز، فإن من مات على كفره ومن أخبره الله تعالىٰ بعدم إيمانه يعد عاصيًا إجماعًا. وأقصاها ما يمتنع لذاته كقلب الحقائق و جمع الضدين أوالنقيضين ، وفي جواز التكليف به تردد بناءً على أنه يستدعي تصور المكلف به واقعًا، والممتنع هل يتصور واقعا فيه تردد ؟فقيل: لو لم يتصورلم يصح الحكم بامتناع تصوره ، وقيل تصوره إنما يكون على سبيل التشبيه بأن يقول:بين السواد والحلاوة أمر هو الاجتماع ، ثم يقال: مثلا هذاالأمر لا يمكن بين السواد والبياض. والمرتبة الوسطى ما أمكن في نفسه لكن لم يقع متعلقاً بقدرة العبد أصلاً كخلق الجسم ،أوعادة كالصعود إلى السماء .وهذا هوالذي وقع النزاع فى جواز التكليف به بمعنى طلب تحقيق الفعل والإتيان به واستحقاق العقاب علىٰ تركه . كذا في شرح المقاصد.

﴿خَتَمَ اللّٰه عَلىٰ قُلُوْبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه. والختم: الكتم، سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه ؛لأنه كتم له والبلوغ آخره نظراً إلى أنه آخر يفعل في إحرازه. والغشاوة: فعالة من غشاه إذا غطاه. بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة، ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة. وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي ، واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم، وانهما كهم في التقليد، وإعراضهم عن النظر الصحيح . فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق، وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لا تحتلي الآيات المنصوبة لهم في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المتبصرين ، فتصير كأنها غُطي عليها، وحيل بينهما وبين الإبصار . وسماه على الاستعارة ختماً وتغشية،أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بأشياء ضرب حجاب بينهما وبين الاستنفاع بها ختماً وتغطية. وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى:﴿أولئك الذين طبع اللّٰه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾[١٦ .النحل:١٠٨] وبالاغفال في قوله تعالى:﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾[١٨ .الكهف:٢٨] وبالاقساء في قوله تعالى :﴿وجعلنا قلوبهم

إذاعرفت هذا فنقول: إن الحق أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلاً لكنه غير واقع، والإخبار بأن الشيء واقع أو غير واقع لا ينافي الإمكان الذاتي وكون الشيء مقدوراً، فلا يصير ذلك ممتنعاً لذاته، وليس كما يفهم من تقرير كثير من المحققين أن التكليف بالممتنع لذاته واقع حتى يلزم ما ذكرت من اجتماع الضدين ووقوع الكذب في إخباره تعالىٰ.

قوله: الاستيثاق: وهو إحكام الإغلاق ، يقال استوثق من الباب: أي أحكم إغلاقه كذا ذكره جار اللّٰه.

قوله: والبلوغ آخره :عطف على الاستيثاق .

قوله: نظرًا إلىٰ أنه: أي الكتم.

قوله: بنيت: أي وضعت فعالة.

قوله: لا تحتلى: قال في القاموس احتلاه: نظر إليه .

قاسية﴾[٥.المائدة:١٣] وهي من حيث إن الممكنات بأسرها مستندة إلى اللّٰه تعالى واقعة بقدرته أسندت إليه، ومن حيث إنها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى:﴿بَلْ طَبَعَ اللّٰه عَلَيْها بِكُفْرِهِم﴾[٤. النساء:١٥٥] وقوله تعالى:﴿ذلك بأنَّهُمْ آمنُوا ثم كَفَرُوا فَطُبِع على قُلُوبهم﴾[٦٣.المنافقون:٣]وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم. واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوهاً من التأويل.

الأول: أن القوم لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم . شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه .

الثاني: أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التى خلقها اللّٰه تعالى خالية

قوله: وهي من حيث أن الممكنات بأسرها مستندة إلى اللّٰه تعالىٰ الخ: جواب سوال وهو أن إسناد الختم إلى اللّٰه تعالىٰ يقتضي عدم مؤاخذتهم بما أريد من الختم وهوتمرد هم وإعراضهم عن الحق، وكون الآية منادية بقباحةصفتهم وسوء فعلهم يقتضي مؤاخذتهم ، فأجاب باختلاف الجهة ، وهو أن الإسناد إلى اللّٰه تعالىٰ من حيث أنه واقع بقدرته وفاعل له، وإلى العبد من حيث أنه مسبب عما اقترفه وكاسب له.

قوله: واضطرب المعتزلة فيه الخ. أي في إسناد الختم إلى اللّٰه تعالىٰ، يعني أن إسناد الختم إلى اللّٰه تعالىٰ يدل على المنع عن قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهوَ قبيح.واللّٰه تعالى يتعالى عن فعل القبيح علواً كبيراً.فذكروا وجوهاً من التأويل .

حاصل الأول أن المراد ليس بالختم الوصف الخلقي حتى يمتنع إسناده إلى اللّٰه تعالىٰ، بل حالة كسبية شبيهة بالوصف الخلقي ، وأسند إليه تعالىٰ لينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها بمنزلة الشيء الخلقي، فيكون هذا من قبيل الاستعارة التبعية.

وحاصل الوجه الثاني أنه شبه حال قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم مع الهيئة الحادثة المانعة من الانتفاع بها في الأغراض الدينية التي خلقت تلك الآلات لأجلها بحال البهائم التي خلقت مع الاستعدادات الحيوانية الموجبة للخلو عن الفطن، أو بحال قلوب مقدرختم اللّٰه تعالىٰ عليها، ثم يستعار للمشبه اللفظ الدال على المشبه به، فيكون كل واحد من طرفي التشبيه مركباً من عدة أمور، والجامع عدم الانتفاع بما أعدله بسبب عروض مانع تمكن فيه كالمانع الأصلي، وهو أمر عقلي منتزع من تلك العدة ،.فيكون من قبيل الاستعارة التمثيلية.

....

فـإن قلت: كيف يـصـح هـذا مـع أن قـلوبهم و غيره ليس من الألفاظ الدالة على المشبه به .

قلت: ذكر هذا قرينة للاستعارة كما في امتطىٰ الجهل.

فإن قيل : إذا استعير اللفظ من حالة مركبة لأخرى مثلها وجب أن يكون ذلك اللفظ مركبا قطعاً. إذ لا يراد بالمعنى المركب ههنا ماله اجزاء في نفسه بل ما دل عليه بلفظ، فعلى هذا كيف يمكن حمل الآية على التمثيل ، وليس فيه لفظ مركب مستعار من المشبه به للمشبه، بل هناك لفظان مفردان صالحان للاستعارة فقط .

قلنا : إذ احمل ما نحن فيه على الاستعارة التمثيلية كان المستعار لفظا مركبا بعضه ملفوظ وبعضه منوي في الإرادة .

وحاصل الثالث أن المراد ليس بالختم حقيقة بل أ ثره الذي هو المنع عن قبول الحق وهو فعل الشيطان، لكن لماكا ن صد وره عنه بإقداره تعالى إياه أسند إليه تعالى إسناد الفعل إلى المسبب.

وحاصل الرابع أن الختم ليس مجازًا عن الإلجاء إلى الكفر والمنع عن قبول الحق حتىٰ يمتنع إسناده إلى الله تعالى بل عن ترك القسر والإلجاء إلى الإيمان وهو ليس بقبيح ، فيصح إسناده إلى الله تعالى حقيقة. ثم ليس المقصود من هذا الكلام أعني ترك اللّٰه تعالى القسر وإلجاء هم إلى الإيمان ليس مدلوله الحقيقي بل هو كناية عن تناهيهم في الكفر والضلال ؛إذ ينتقل منه أن مقتضىٰ حالهم الإلجاء لولا مانع ابتناء التكليف على الاختيار، ومنه إلى أن الآيات والنذر لا تغني عنهم والألطاف لا تجري عليهم ، ومنه إلى إصرار هم على الكفر و تناهيهم في الضلال ، وهذا معنى قوله:وفيه إشعار على ترامي أمرهم في الغي و تناهي انهما كهم في الضلال .

وحاصل الخامس الحكاية لكلامهم لا بعبارتهم؛ لأنهم يقولون:قلوبنا في أكنة مما تدعون إليه وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب، فجيء بقوله :ختم الله الخ:على سبيل التهكم معبر بقوله :"ختم" عن قولهم :"قلوبنا أكنة"وبقوله: "وعلى سمعهم"عن قولهم :"في آذاننا وقر"وقوله:﴿ وعلى أبصار هم غشاوة ﴾ عن قولهم :﴿ومن بيننا و بينك حجاب﴾فإن الغشاوة هي الحجاب، وكون القصد من هذه الحكاية التهكم لا يعرف إلا بالذوق .

عـن الـفـطـن، أو قـلـوب مقد رختم الله عليها. ونظيره سال به الوادي إذا هلك، وطارت به العنقاء إذا طالت غيبته.

الثـالـث: أن ذلك فـي الـحقيقة فعل الشيطان أو الكافر،لكن لما كان صدوره عنه بإقداره تعالى إياه أسند إ ليه إسناد الفعل إلى المسبب.

الـرابـع: أن أعـراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لـم يبق طريق إلى تـحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر. ثم لم يقسرهم إبقاء على غرض التكليف. عبر عن تـر كه بالختم فانه سد لإيمانهم . وفيه إشعار على تمادي أمرهـم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي.

الـخـامـس: أن يـكـون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل:﴿قُلُوْبُنا في أَكِنَّة ممّا تَـدعُـونَـا إِليـهِ وفـي آذَا نِـنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[فصلت.٥] تهكماً واستهزاءً بهم كقوله تعالى: ﴿لم يكُن الذين كَفرُوا من أَهْلِ الكِتَابِ والمشْرِكِيْن﴾ [البينة:١]الآية.

وحـاصـل السـادس أن الـختـم ليس في الدنيا حتٰى يقبح التكليف بل ذلك في الآخرة فيبهتون.

وحـاصـل السـابع أن المراد ليس بالختم ما يمتنع نفوذ الحق بل وسم يعرفه الملائكة فيبـغـضـونهـم و يتنفرون عنهم .قال المظهر: يرد على السادس والسابع أن قوله تعالى ختم الله الـخ بيـان لسبب عدم إيمانهم المفهوم من قوله تعالى:﴿سواء عليهم أء نذرتهم أم لـم تنذرهـم لا يؤمنون ﴾والمراد عدم إيمانهم في الدنيا فلا يعلل بما في الآخرة من الختم والوسم.

أقـول :ليـس قوله تعالى:ختم الله الخ ، منحصراً في بيان سبب عدم إيمانهم حتٰى يرد مـا ذكرت بل ذلك على بعض الوجوه .وأما على الوجه السادس فيمكن أن يكون بيانًا لحالهم فـي الآخرة كما أن قوله تعالى:إن الذين كفروا الخ.بيان لحالهم في الدنيا ، والمعنى: إن الذين كفروا،حالهم في الدنيا أنهم لا يؤمنون، وحالهم في الآخرة الختم على قلوبهم فيبهتون . وعلى الـوجـه السـابـع بيـان حـالهـم أيضاً أعم من أن يكون في الدنيا أو الآخرة كما لا يخفىٰ فتقييد بالآخرة كما يفهم من كلام المظهر ليس كما ينبغي.والله تعالى أعلم بالصواب .

قوله: لـم يـكـن الـذيـن كفروا الآية : قيل:كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأوثـان يـقـولون قبل مبعث النبي ﷺ لا ننفك مما نحن فيه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموجود إليه الذي هو مكتوب فى التوراة والإنجيل، فلما جاء هم ما عرفوا كفروا

السادس: أن ذلك في الآخرة. وإنما أخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً﴾[١٧.الإسرائيل:٩٧]

السابع: أن المراد بالختم وَسْمُ قُلوبهم بسمة تعرفهاالملا ئكة . فيبغضونهم وينفرون عنهم ؛ وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلا مهم فيما يضاف إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما.

﴿وعلى سمعهم﴾ معطوف على "على قلوبهم" لقوله تعالى﴿وختم على سمعه وقلبه﴾ [٤٥:الجاثية:٢٣]وللوفاق على الوقف عليه ، ولأنهما لما اشتركا في الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات. وإدراك الأبصار لمااختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة. وكرر الجار ليكون أدل على شدة الختم فى الموضعين . واستقلال كل منهما بالحكم. ووحد السمع للأمن من اللبس واعتبار الأصل. فانه مصدر في أصله والمصادر لا تجمع. أو على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم.

والأبصار جمع بصر وهو إدراك العين. وقد يطلق مجازاً على القوة الباصرة. وعلى العضو وكذا السمع. ولعل المراد بهما في الآية العضو لأنه أشد مناسبة للختم والتغطية . وبالقلب ما هو محل العلم، وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى:﴿إِنَّ في ذلك لذِكرَى لمنْ كان لهُ قَلْبٌ﴾[٥٠.ق:٣٧] وإنما جاز إمالتها مع الصاد؛ لأن الراء المكسورة

به فحكى الله تعالىٰ كلامهم كما كانوا يقولون على سبيل الوعيد والتهديد ، ولو كان هذا ابتداءً من الله تعالىٰ لكان الانفكاك متحققًا موجودًا عند مجيء الرسول ﷺ . ووحد السمع للأمن من اللبس، إذ من المعلوم أن لا يكون لهم الأسماع كما في قوله: كلوا في بعض بطنكم والمراد بطونكم.

قوله: لأنه أشد مناسبة للختم والتغطية: لأنهما يقعان على الأجسام.

قوله: وإنما جاز إمالتها مع الصاد .يعني أن الصاد وإن كانت من الحروف المستعلية المانعة من الإمالة إذا وقعت قبل الألف أو بعدها تليها فى كلمتها لكن الراء المكسور ة غلبت عليه لقوتها؛لما فيه من التكرير، فكان فيه كسرتين وذلك أعون على الإمالة .

تـغـلـب الـمـسـتـعـلية لـمـا فيهـا من التكرير. و"غشاوة" رفع بالابتداء عند سيبويه. وبالجار والمجرور عند الأخفش ، ويؤ يده العطف على الجملة الفعلية . وقرئ بالنصب على تقدير: وجـعـل عـلـى أبصارهم غشاوة ، أو على حذف الجار وإيصال الختم بنفسه إليه. والمعنى: وختـم على أبصارهم بغشاوة. وقرئ بالضم والرفع . وبـالفتح والنصب ، وهما لغتان فيها. وغشوة بالكسر مرفوعة ، وبالفتح مرفوعة ومنصوبة، وعشاوة بالعين الغير المعجمة.

﴿ولهـم عـذاب عـظيـم[٧]﴾ وعيـد وبيـان لما يستحقونه. والعذاب كالنكال بناءً ومـعـنـىً، تـقـول: عـذب عـن الشـيء ونكل عنه إذا أمسك. ومنه الماء العذب؛ لأنه يقمع الـعـطـش ويـردعه. ولذلك سمي نقاخاً وفراتاً. ثم اتسع فيه فأطلق على كل ألم قادح وإن لم يـكـن نـكـالاً أي عـقـابـاً يـردع الـجـاني عن المعاودة فهو أعم منهما. وقيل اشتقاقه من التـعذيب الذي هو إزالة العذب كالتقذية والتمريض. والعظيم نقيض الحقير. والكبير نقيض الصغير. فـكما أن الحقير دون الصغير. فالعظيم فوق الكبير . ومعنى التوصيف به أنه إذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالإضافة إليه ومعنى التنكير في الآية أن على أبـصـارهـم نـوع غشـاوة ليس مما يتعارفه الناس. وهو التعامي عن الآيات. ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله.

﴿ومـن الـنـاس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حـال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم ألسـنتهـم ، وثـنى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً ولـم يلتفتوا لفتة رأساً، ثلث بـالقسم الثالث المذبذب بين القسمين. وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلاً لـلـقسـم. وهـم أخبـث الـكـفـرة وأبغضهم إلى الله ؛لأنهم موَّهُوا الكفر وخلطوا به خداعاً

قوله: وبالضم والرفع: أي قرئ بضم الأول ورفع الآخر.

قوله: فـكـمـا أن الـحـقـيـر د ون الصغير فالعظيم فوق الكبير: لأن العادة جرت بأ ن الأخس يقابل بالأشرف والخسيس بالشريف.

قوله: ومـعنى التنكير الخ : يعني أن التنكير في غشاوة وعذاب للنوعية لا للتعظيم؛ لأنه يفهم من وصف العذاب بالعظيم .

قوله: لِفتة : اللفت بالكسر الجانب: أي لم يلتفتوا إلى جانب الإيمان .

واستهزاءً . ولذلك طوّل في بيان خبثهم وجهلهم، واستهزأبهم ، وتهكم بأفعالهم وسجل على غيّهم وطغيانهم ، وضرب لهم الأمثال وأنزل فيهم ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٤. النساء: ١٤٥] وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين.

والناس: أصله أناس لقولهم: إنسان وإنس وإناسي فحذفت الهمزة حذفها في "لوقة" وعوض عنها حرف التعريف، ولذلك لا يكاد يُجْمَع بينهما . وقوله:

إِنَّ المنايا يَطَّلِعْنَ على الأُناسِ الآمِنِينَا

شاذ: وهو اسم جمع كرُخال؛ إذ لم يثبت فُعال في أبنية الجمع. مأخوذ من أَنِسَ؛ لأنهم يستأنسون بأمثالهم ، أو آنس ؛لأنهم ظاهرون مبصرون . ولذلك سمَّوا بشراً كما سمي الجن جناً لاجتنانهم . واللام فيه للجنس. و"من" موصوفة ؛إذ لا عهد فكأنه قال: ومن الناسِ ناس"يقولون، أو للعهد والمعهود هم الذين كفروا. و"من" موصولة مراد بها ابن

قوله: ولذلك طوّل في بيان خبثهم :يعني بيّن خبثهم في ثلث عشرآية ونسبهم إلى الجهل وقال :﴿ولكن لا يعلمون﴾ ﴿ولكن لا يشعرون﴾واستهزأبهم بقوله:﴿الله يستهزئ بهم﴾و تهكم بأفعالهم بقوله:﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدىٰ﴾ وسجل وحكم حكماً قطعياً على غيهم وطغيانهم بقوله:﴿ ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ وضرب لهم الأمثال بقوله:﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾.

قوله: وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين: يعني أن ذلك من عطف الكلام المسوق لغرض على مجموع قبله.مسوق لغرض آخر لا يشترط فيه إلا تناسب الغرضين ولا يتكلف لجملة من هذا مناسبة لجملة من ذلك .قال السيد الشريف:هذا أصل عظيم لم يتنبه كثيرون فأشكل عليهم الأمر في موضع شتىٰ.

قوله: كرخال"بضم الراء وبالخاء المعجمة اسم جمع رخل بكسر الراء والخاء وهي الأنثى من ولد الضان ، وهذا مخالف لما ذكر في شمس العلوم أنه جمع رخل بكسر الراء والخاء .وقال العلامة التفتازاني:وقد يقال:للرخال بالضم أنه جمع إما تجوزاً وإما لقلب الكسرة ضمة .

قوله:واللام فيه للجنس ومن موصوفة الخ: قال العلامة التفتازاني والسيد الشريف : جعل "من" موصوفة مع الجنس موصولة مع العهد رعاية للمناسبة والاستعمال.أما المناسبة فلأن الجنس لإبهامه يناسب الموصوفة لتنكيرها والعهد لتعينه يناسب الموصوله لتعريفها .

أبي وأصحابه ونظراؤه، فإنهم من حيث إنهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم،واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لايأبى دخولهم تحت هذا الجنس. فإن الأجناس إنما تتنوع بزيادات يختلف فيها أبعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيماً للقسم الثاني.

واختصاص الإيمان بالله وباليوم الآخر بالذكر . تخصيص لما هو المقصود

قوله: فإنهم من حيث أنهم صمموا الخ:إشارة إلى جواب سوال، وهوأنه كيف يصح جعل اللام في الناس للعهد والمعهود هى الكفرة المصممون الذين ختم الله على قلوبهم.والمنافقون كلهم ليسوا كذلك ؛إذ منهم الذين يخلصون الإيمان فلا يصح جعل كلهم بعضًا من الكفرة المصممين . وتقرير الجواب على ما ذكره العلامة التفتازاني:إنهم من حيث أنهم صمموا على النفاق وقد علم الله تعالى أنهم لا يرجعون عنه دخلوا في عداد الكفار المختومين، فعلى هذا يكون قوله صمموا بالبناء للمجهول ويكون المراد بالمنافقين أيضًا المصمومين على النفاق بدليل ما ذكره في الآيات من التشديدات سيما قوله تعالىٰ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ.صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ و يحتمل أن يكون قوله:"صمموا" بالبناء للمعروف، ويكون المراد المنافقين مطلقاً.والمعنى أنهم من حيث إنهم تمكنوا من النفاق وصمموا القلوب عليه كأنه ختم على قلوبهم من حيث تهيئوا أسبابه فيكون المراد بالمختوم أعم من أن يكون حقيقة أو تسبيباً للمناقفين وإن كانوا ليسوا بمختومين حقيقةً لكن تسبيبًا .

فإن قلت : إنهم يختصون بزيادة زاد وها على الكفر وهو النفاق فكيف يكونون داخلين فى عداد المختومين بل ينبغي أن يكون مقابلاً لهم .

قلنا : اختصاصهم بزيا دة لايأبى دخولهم تحت جنس الكفرة المختومة؛ فإن الأجناس إنما تصير أنواعاً مختلفةً بزيادات مختلف فيها حصصها وهنا ليس كذلك، فان حصة جنس الناس بهذه الزيادة لايصير نوعاً مختلفاً غيرداخل في المختوم كما أن المؤمن الكامل لكماله لايخرج من عداد المومنين .

قوله : واختصاص الإيمان بالله واليوم الاخرالخ: ولما كان اختصاص يحتمل أن يكون من الله تعالىٰ بأنهم كانوايقولون غير هذين الأمرين فخصصهما بالذكر، وأن يكون منهم فحكم الله تعالىٰ منهم ذلك أجاب علي كل من الاحتمالين، فإن كان من الله تعالىٰ

الأعـظـم مـن الإيـمـان. وادعاء بأنهم احتازوا الإيمان من جانبيه وأحاطوا بـقطريه. وإيذان بـأنهـم مـنـافـقـون فيما يظنون أنهم مخلصون فيه. فكيف بما يقصدون به النفاق؛ لأن القوم كانوا يهوداً؛ وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر إيماناً كَلا إيمان؛لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الـولـد، وأن الـجـنة لا يـدخلها غيرهم، وأن النار لاتمسهم إلا أياماً معدودة وغيرها. ويرون الـمـؤمـنيـن أنهم آمنوامثل إيمانهم،، وبيان لتضاعف خبثهم وإفراطهم فى كفرهم؛ لأن ما قـالوه لو صدرعنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لـم يكن إيماناً، فكيف وقـد قـالـوه تـمـويهاً على المسلمين وتهكماً بهم . وفي تكرير الباء ادعاء الإيمان بكل واحد على الأصالة والاستحكام.

والـقـول هـو التـلـفـظ بما يفيد. ويقال بمعنى المقول، وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازاً.

والـمراد باليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا ينتهي، أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار؛ لأنه آخر الأوقات المحدودة.

﴿وما هم بمؤمنين[٨]﴾إنكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا إثباته. وكان أصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيداً، أو مبالغة في

فـوجهـه أنـه إيـذان بـأنهـم مـنافقون فيما يظنون أنهم مخلصون فيه، فكيف بما يقصدون به الـنـفـاق وبيان لتضاعف خبثهم؛لأن قولهم الصادرعنهم كفر في نفسه فكيف إذا انضم معه الاستهـزاء. وإن كـان منهم فوجهه أنه ادّعاء بأنهم اختاروا الإيمان من جانبيه المبدأ والمعاد وأحاطوا بقطريه. وأما قوله تخصيص لما هو المقصود الأعظم: أي معرفة الله تعالىٰ ومعرفة يـوم جـزاء الأعـمال فتوجه على كل من الاحتمالين، هذا ماسنح بخاطرى الفاتر والله أعلم بـالـصـواب. فـعـلى هذا لايرد على المصنف الاعتراض بأنه لايخلوإما أن يكون الكلام في اختـصـاص الإيـمـان بـالـلـه واليوم الآخر بالذكر في المحلي:أي كلام المنافقين:أي وفي حـكاية الله تعالىٰ عنهم، والأول ليس بمرضي إذلا يناسبه قوله : وإيذان بأنهم منافقون وكذا قـولـه:وبـيـان لـتـضـاعـف خبثهـم كـمالايخفى، وإن كان الثاني لايناسبه قوله: وادّعاء بأنهم احتازوا الإيمان واحاطوا بقطريه. قوله : بقطريه: بضم الثانية .

قوله:ونفي ماانتحلوا: انتحل الشعر وغيره دعاه لنفسه .

قوله:وكان أصله وماآمنوا: جواب سوال، وهو أن يقال:كيف طابق من قوله﴿ وما

التكذيب؛ لأن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم في ما ضي الزمان. ولذلك أكد النفي بالباء وأطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء؛ ويحتمل أن يقيد بما قيدوا به لأنه جوابه. والآية تدل على أن من ادعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمناً. لأن من تفوه بالشهادة فارغ القلب عما يوافقه ،أو ينافيه لم يكن مؤمناً . والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا تنتهض حجة عليهم .

هم بمؤمنين﴾ قولهم﴿ آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ والأول في ذكر شان الفعل والاهتمام به، وإنه صادر عنهم متحقق والاهتمام به وإنه بحيث لم يصدر عنه الفعل، أجاب بأنه ليس من باب التقديم لجعل الكلام فى شان الفاعل إنه كذا أو ليس كذا بل من باب العدول إلي الجملة الاسمية لرد كلامهم بأبلغ وجه وآكده؛ لأن إخراجهم من عداد المؤمنين وإثبات شانهم عدم الإيمان أبلغ من انتفاء الإيمان في الزمان الماضي.

فإن قيل: هذا إنما يصح لو قال: وماهم من المؤمنين؛ إذليس قوله: وماهم بمؤمنين مثل ما هم من المؤمنين. قيل: هذا مستفاد من قولهم: وماهم مؤمنين نظراً إلى تخصيصهم بعدم الإيمان؛ وذلك أنهم ادعوا أنهم يوافقون المسلمين في الإيمان وأن إيمانهم كإيمانهم،قيل: وماهم بمؤمنين، على قصرالإفراد؛ لأنهم ادعوا الشركة في الإيمانين. وتوضيحه إن ادعاء الشركة يتضمن إدعاء إيمانهم باعتبارما لاعلى الحقيقة، وعدادهم من جملة المؤمنين؛ لأنهم على النفاق فردهم بقصرالإفراد يكون أنهم ليسوا من عداد المؤمنين، لأن الاسمية تدل على الثبات فنفيها يفيد نفي الثابت لا إثبات النفي وتاكيده؛ لأنا نقول ذلك إذا اعتبر الثبات بطريق التاكيد والدوام ونحو ذلك ثم نفي، وههنا اعتبر النفي أولاً ثم أكد وجعل بحيث يفيد الثبات والدوام، وذلك كما أنها أنا سعيت في حاجتك لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص، وبالجملة فرق بين تقييد النفي ونفي التقييد.

قوله:والآية تدل على أن من ادعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد الخ:

فإن قلت : كيف ينفى الدلالة على انتفاء إيمان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب مع أن انتفاء الإيمان المدلول عليه بقوله﴿وماهم بمؤمنين﴾ أعم من انتفاء نفس الاعتقاد أو غيره.

قلنا: معنى الآية: من الناس من يقول ويدعي الاعتقاد بالله وغيره وليس بهم ذلك الاعتقاد بل اعتقاد خلافه لانفي الاعتقاد بالكلية حتى يكون حجة على الكرامية.

قوله:والخلاف مع الكراميةفى الثاني: فإنهم ليسوا مؤمنين عندنا خلافا لهم.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنوا﴾والخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه، وعماهو بصدده. من قولهم: خدع الضب إذا توارى في جحره. وضب خادع إذا أوهم الحارس إقباله عليه. ثم خرج من با ب آخر. وأصله الإخفاء. ومنه المخدع للخزانة. والأخدعان لعرقين خفيين في العنق. والمخادعة تكون بين اثنين. وخداعهم مع اللّٰه ليس على ظاهره ؛لأنه لا تُخْفَى عليه خافية، ولأنهم لم يقصدوا خديعته. بل المراد إما مخادعة رسوله على حذف المضاف، أو على أن معاملة الرسول معاملة اللّٰه من حيث إنه خليفته، كما قال تعالى:﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فقدْ أطاعَ اللّٰه﴾ [٤ .النساء: ٨٠] ﴿إِنَّ الذينَ يبايِعونَكَ إِنَّما يُبَايعُونَ اللّٰه﴾ [٤٨. الفتح: ١٠] وإما أن صورة صنيعهم مع اللّٰه تعالى من إظهار الإيمان واستبطان الكفر. وصنع اللّٰه معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم . وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من الناراستدراجاً، وامتثال الرسول ﷺ والمؤمنين أمر الله في إخفاء حالهم، وإجراء حكم الإسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين. ويحتمل أن يراد بـ"يخادعون" يخدعون؛ لأنه بيان لـ"يقول" أو استئناف بذكرما هو الغرض منه إلا أنه أخرج في زنة فَاعَلَ للمبالغة، فان الزنة لما كا نت للمبا لغة والفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه إذا جا ء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك. ويعضده قراء ة من

قوله: وإما أن صورة صنيعهم مع الله من إظهارالإيمان الخ: فإن قلت: معنى الخداع كمامر أن توهم غير ك خلاف ماتخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده وهو بعينه موجود في صنع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبث الكفرة ، فما معنى نفي الخداع وإثبات صورته، فالأولى هو الوجه الأول.

قلنا: لانسلم ذلك في صنع الله معهم ولافي صنع المسلمين معهم؛ لأن الأول للاستدراج، والثاني لامتثال أمرالله تعالىٰ لاللإزلال عما هم بصدده .

قوله:وامتثال الرسول:عطف على صنع الله تعالىٰ، وأراد به بيان مخادعتهم المؤمنين.

قوله: ويحتمل: هذا الوجه أيضا مذكور في الكشاف إلا أنه عبر عنه بقوله:يحتمل، إشارة إليإختياره. فإن قلت: فما وجهه؟ قلت: انتفاء نسبة الخداع إلى الله تعالىٰ ورسوله بالكلية.

قوله: في زنة فاعل للمبالغة: يعني أن زنة "فاعل" لماكانت للمبالغة في الفعل والمعارضة فيه وأريد به وقوع الفعل، فلابدأن يكون بعدحصول الغلبة فيكون أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض لزيادة قوة الداعي إليه.

قـرأ "يَـخْدَعُونَ" وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق به من سواهم من الـكـفـرةأن يـفـعـل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الإكرام والإعطاء، وأن يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد.

﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾قراء ة نافع وابن كثير وأبي عمرو. والمعنى: أن دائرة الخداع راجعة إليهم وضررها يحيق بهم ، أوأنهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك . وخدعتهم أنفسهم حيث حدثتهم بالأماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا تَخْفىٰ عليه خافية.

وقرأ الباقون وما يخدعون . لأن المخادعة لا تتصور إلا بين اثنين. وقرئ ويُخَدِّعون من خدَّع، ويَخَدَّعون بمعنى يختدعون ويُخدَعُون ويُخادَعون على البناء للمفعول. ونصب "أنفسهم" بنزع الخافض. والنفس ذات الشيء وحقيقته . ثم قيل للروح لأن نفس

° قوله: والمعنى أن دائرة الخداع راجعة إليهم: يعني أن المخادعة في قوله:﴿ وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ يحتمل أن يراد بها المخادعة الأولى المتعلقة بالله وبالمؤمنين أو مخادعة أخرى. وتقرير الأولى أن المخادعة مستعارة للمعاملة الجارية فيما بينهم وبين الله تعالىٰ والمؤمنين الشبيهة بمعاملة المخادعين، فقصرت هذه المعاملة ههنا على أنفسهم بعد تعليقهابما علقت به سابقًا بناءً على ضررها عائد إليهم لاتعدوهم، ونظيره قوله: فلان يضار فلانًا ولايضارإلانفسه، ومثل هذاالاستعمال شائع في اللغات جار في باب المفاعلة وغيرها، فيكون تلك العبارة الدالة على قصر تلك المعاملة مجازًا أوكنايةً عن انحصار ضررها فيهم،أو يجعل لفظ الخداع المستعار مجازًا مرسلاً عن ضرره في المرتبة الثانية. وتقرير الثاني أن يراد به المخادعة فيما بينهم وبين أنفسهم ، فإنهم في ذلك أي في خداعهم الله والمؤمنين يخدعون أنفسهم فتوهمونها الأباطيل والأكاذيب ويوهم النفوس إياهم الأماني الفارغة عن المقصود . هذا ماذكره السيد قدس سره في حواشي الكشاف. ثم مر من البين أن حقيقة المخادعة يقتضي فاعلين مختارين يقصد كل منهما أصابة الآخر بمكروه فلايتصورهذه الحقيقة بين المنافقية وأنفسهم .

قوله: وقرأ الباقون ومايخدعون: لأن المخادعة لايتصور إلا بين اثنين، ولايخفى أن القراء ة إنما يثبت بالنقل لا بالعقل، فلا يثبت بهذا الدليل.

الـحي به، وللقلب: لأنـه مـحـل الروح أو متعلقه . ولـلـدم: لأن قـوامها به، وللماء لفرط حاجتها إليه .

ولـلـرأي فـي قولهم: فلأن يؤامر نفسه؛ لأنه ينبعث عنها ،أو يشبه ذاتاً تأمره وتشير عليه. والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم، ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم.

﴿وما يشعرون[٩]﴾ لا يحسون لذلك لتمادي غفلتهم. جعل لحوق وبال الخداع ورجـوع ضـرره إليهـم فـي الـظهـور كـالمحسوس الذي لا يخفى إلا على ماؤف الحواس والشعور: الإحساس. ومشاعر الإنسان حواسه. وأصله الشعر. ومنه الشعار.

﴿فى قلوبهم مَّرَضٌ فَزَادهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾ المرض حقيقةً فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله. ومجازفي الأعراض النفسانية التي تخل بـكـمـالهـا كـالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي ؛لأنها مانعة من نيل الـفـضـائـل ،أو مـؤدية إلـى زوال الـحيـاة الحقيقية الأبدية. والآية الكريمة تحتملهما، فإن قـلوبهم كانت متألمة تحرقاً على ما فا ت عنهم من الرياسة، وحسداً على ما يرون من ثبات أمـر الـرسـول ﷺ واستعلاء شأنه يوماً فيوماً، وزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء أمره وإشادة ذكـره. ونـفـوسهـم كـانـت مـوصـوفة بـالـكـفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي ﷺ ونحوها.

قوله: أنـه محل الروح: هذا قول بعض المتكلمين، فإنهم ذهبوا إلىٰ أن الروح جزء لايتجزى في القلب، وكثير من المتكلمين على أنه من الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره.

قوله: أومتـعـلـقـه: كـماهو اختيار المحققين من الفلاسفة وأهل الإسلام، فإنهم ذهبوا إلى أنه جوهرفي ذاته متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف.

قوله: فـإن قـلـوبهم كانت متألمة تحرقا الخ: إشارة إلىٰ المرض الحقيقي يعني أن قـلـوبهـم متألمة خارجة عن الاعتدال لأجل التحرق على فوت الرياسة والحسد على ثبات أمـر الرسول واستعلاء شانه يومًا فيومًا، فإن الحسد كالنار يحرق من كان فيه، فزادالله تعالىٰ ذلك الـمـرض الـحسي الذي هو الألم بمازاد في إعلاء شانه عليه السلام.فإن قلت:إذاكان الألـم حـاصـلا مـن الـحسـد وهـو مـن الاعتـراض الـنـفسانية فكيف يكون المراد المرض الـحقيـقـي بـل مـركبًا مـن الـحـقيـقي وغيره. قلت: لعل المراد من الحسد الذي هو من الأعراض النفسانية الذي لم يكن بحيث يحصل منه الألم.

فزاد الله سبحانه وتعالى ذلك بالطبع، أو بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر. وكان إسناد الزيادة إلى الله تعالى من حيث إنه مسبب من فعله، وإسنادها إلى السورة في قوله تعالى: ﴿فزادتهم رجساً﴾[٩. التوبة: ١٢٥] لكونها سبباً.

ويحتمل أن يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين، وإمداد الله تعالى لهم بالملائكة، وقذف الرعب في قلوبهم، وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصرة على الأعداء وتبسطاً في البلاد.

﴿ولهم عذاب اليم﴾ أي مؤلم، يقال: ألم فهو أليم، كوجع فهو وجيع. وصف به العذاب للمبالغة كقوله: تحيةُ بيْنِهم ضَرْبٌ وْجَيْعُ

على طريقة قولهم: جَدّ جِدُّه.

قوله: وكان إسناد الزيادة إلى التكاليف الخ: جواب عمايرد أن المسند إلى الله تعالىٰ زيادة مرضهم وهو صحيح بالنظر إلىٰ الطبع دون ازدياد التكاليف وأخويه؛ لأن الزائد يجب أن يكون من جنس المزيد عليه أو ملائمًا له.

أقول: الظاهر أنه متعلق بجميع ماسبق: جواب عما يقال: كيف أسند زيادة المرض إلى الله تعالىٰ وهو تعالىٰ لم يفعله بلإنما فعل ثبات أمرالرسول وعلو شانه والطبع وازدياد التكاليف، وتقرير الجواب أن الله تعالىٰ سبب عن ذلك؛لأنه يلزم من فعله الذي هو ثبات أمرالرسول والطبع وازدياد التكاليف.

قوله: تحية بينهم ضرب وجيع: أوله: وخيل قد دلفت لهم بخيل. أي رب خيل، والمراد الفرسان، ودلفت بالفاء: أي دنوت فقدْ من، والباء في 'بخيل' للتعدية، والمعني: رب جيش قد تقدمت إليها بجيش والتحية بينهم الضرب بالسيف لا باللسان كماهو العادة.

قوله: على طريقة قولهم جدجده: هكذا عبارة الكشاف، قال العلامة التفتازاني: وظاهر كلام المصنف أنه من قبيل الإسناد إلى المصدر مثل جدجده، لكن لايخفى أنه ليس مصدر الفعل المسند وإنما يكون كذلك لوقيل: ألم أليم، ووجع وجيع، فمن هناقد يتكلف فيقال: العذاب هو الألم القادح، والضرب أعني المضروبية هو الوجع. قال العلامة المظهر: أي على طريقة الإسناد المجازي ولم يرد أنه إسناد إلى المصدر المسند بل قريب منه، فإن الضرب ألم خاص، والذي هو من قبيلة: "ألم أليم" و"وجع وجيع".

﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ[١٠]﴾. قرأها عاصم وحمزة والكسائي. والمعنى بسبب كذبهم، أو ببدله جزاء لهم، وهو قولهم :آمنا. وقرأ الباقون "يُكَذِّبون" من كذَّبه؛لأنهم كانوا يكذّبون الرسول عليه الصلاة والسلام بقلوبهم، وإذا خلوا إلى شطاردينهم ، أو من كذَّب الذي هو للمبالغة، أو للتكثير مثل بيَّن الشيءُ وموَّتت البهائم، أو من كذَّب الوحشي إذا جرى شوطاًو وقف لينظر ما وراء ه، فإن المنافق متحيرمتردد. والكذب : هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به، وهو حرام كله؛ لأنه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه .وما روي أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات. فالمراد التعريض ، ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به .

قوله: من كذب: يعني أن قراء ة "يكذبون" إما أن يكون من كذبه الذى للتعدية نقيض صدقه؛ لأنهم كانوا يكذبون الرسول كذبًا مقرونًا بالإخلاص لا بمجرد ألسنتهم وقت خلوتهم إلى شياطينهم، وهذا معنى قوله:يكذبون الرسول بقلوبهم الخ. فظهرتقييد قوله:بقلوبهم، وفي بعض النسخ بقلوبهم، وإذاخلوا إلى شياطينهم. والمعنى على هذا أنهم يكذبون الرسول بقلوبهم في جميع الأحوال وبها وبألسنتهم وقت خلوتهم خاصة، أو من كذب الذي للمبالغة أيالزيادة في الكيفيةبمعنى يكذبون كذباً عظيماً أعني النفاق الذي هو الإخبار بأن في قلوبهم الإيمان لأنه يوجب مالايوجب سائرالكذبات. أو من كذّب الذي للتكثير: أي الزيادة في الكمية، إما في الفعل كما في بيّن الشيء ، يعني أن لهم عذاباً أليماً بسبب كثرة كذبهم الموجبة تهيج الفتن، أو في الفاعل كما في موتت البهائم: يعني أن لهم عذابًا أليمًا بسبب اتفاقهم على الكذب؛ لأنه الموجب لهيج الفتن؛ إذ لو نقل واحد منهم الكذب إلى شياطينهم لما اعتدوا.

قوله: وماروي الخ :جواب سوال يرد على قوله وهو حرام كله .

قوله: ثلث كذبات: هي" إني سقيم" و"بل فعله كبيرهم هذا" والثالثة" أختي لسارة"حين أراد أن يغصبها الظالم من طريقة السباية والتعرض لذوات الأزواج دون غيرهن وقيل: هيقوله: ﴿هذا ربى﴾ في الكواكبة ثلاث مرات، وقيل: الكذبات الثلث قوله:ثلث مرات :هذا ربي. وبالجملة فإطلاق الكذب بطريق الاستعارة لمشابهة الكذب من حيث كونها في الظاهر إخبارًا غير مطابقة للواقع لكنها في التحقيق تعريضات، وهو أن يشارالكلام إلى جانب والمرادمنه جانب أخر.فالغرض من قوله :إني سقيم .لما علم ذلك بإمارة منالحقيق.

﴿وإذا قِيْلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوْا في الأرْضِ﴾ عطف على "يكذبون" أو" يقول" ، وما روي عن سلمان رضي الله تعالٰى عنه" أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد" فلعله أراد به أن أهلها ليس الذين كانوا فقط، بل وسيكون من بعدُ مَن حالُه حالُهم ؛لأن الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها. والفساد: خروج الشيء عن الاعتدال . والصلاح: ضده، وكلاهما يعمّان كل ضارٍّ ونا فع.

وكان من فسادهم فى الأرض هَيج الحُروب والفتن بمخادعة المسلمين، ومما لاة الكفار عليهم بإفشاء الأسرار إليهم؛فان ذلك يؤدي إلى فساد مافي الأرض من الناس والدواب والحرث.

ومنه إظهار المعاصي والإهانة بالدين؛ فإن الإخلال بالشرائع والإعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج، ويخل بنظام العالم ، والقائل هو الله تعالٰى، أو الرسول ﷺ ،أو بعض المؤمنين .وقرأ الكسائي وهشام "قُيل"بإشمام الضم الأول.

﴿قَالوا إنما نحن مصلحون[١١]﴾جواب لـ"إذا"و رد للناصح على سبيل المبالغة. والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك؛ فإن شأننا ليس إلا الإصلاح ، وإن حالنا متمحضة عن شوائب الفساد؛ لأن إنما تفيد قصر ما دخلت عليه على ما بعده . مثل: إنما زيد منطلق، وإنما ينطلق زيد. وإنما قالوا ذلك ؛ لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى:﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوْءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾[٣٥. فاطر:٨]

أوأنه سقيم لها يجد من الغيظ والحيف باتخاذهم النجوم آلهة، ومع قوله: "بل فعله كبيرهم" التنبيه على أنه من لم يقدر على دفع المضرة من نفسه كيف يقدر على دفع المضرة عن غيره فكيف يكون الٰهًا. ومن "هذا أختي" الأخوّة في الدين تخليصاً من يدالظالم، ومن "هذاربي"الحكاية، أوالغرض والتقدير تنبيهًا على خطاء هم إرشادًاأنه لايصلح للآلهة لقيام دليل الحدوث .

قوله: وكلاهما يعمان كل ضار ونافع: لأنهما يوجبان الخروج عن الاعتدال وضده.

قوله: ممايوجب الهرج والمرج : كلاهما بالجيم. في القاموس: الناس يهرجون وقعوا في فتنة واختلاط وقتل. والمرج محركة الفساد والقلب والاختلاط والاضطراب وإنما يسكن مع الهرج.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُوْنَ وَلَكِنْ لَّا يَشْعُرُوْنَ[١٢]﴾ رد لما ادعوه أبلغَ رد للاستئناف بـه، وتـصديره بحر في التأكيد:" أَلَا" المنبهة على تحقيق ما بعدها؛ فإن همزة الاستفهام التي للإنكار إذا دخلت على النفي أفادت تحقيقاً، ونظيره "أليس ذلك بقادر". ولذلك لا تـكـاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بما يتلقّى به القسم، وأختها" أما" التي هي من طلائع القسم. و"إنَّ" المقررة للنسبة، وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم:" إنما نحن مصلحون" من التعريض للمؤمنين، والاستدراك بـ"لا يشعرون".

﴿وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ آمِنُوْا﴾ مـن تمام النصح والإرشاد، فـان كمال الإيمان بمجموع الأمـر ين:الإعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله:﴿لاتفسدوا﴾ والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله:﴿آمنوا﴾

﴿كَما آمن الناس﴾في حيز النصب على المصدر. و"ما" مصدرية أ و كافة مثلهافي

قوله: ردٌّ لـمـا ادعـوه أبـلغ رد للاستيناف: قال العلامة التفتازاني: لأن المقصودبه تمكين الحكم في ذهن السامع فضل تمكن لحصوله بعد السوال والطلب .

قوله: فـإنـه هـمزة الاستفهام الخ: قال المظهر:فيه بحث؛ فإن الاستفهام هو النفي غيـر بـاقيتيـن حـال إنشـاء التنبيه. أقول: معناه أن 'ألا'أصله الهمزة و"لا" والهمزة إذا دخلت على النفي أفادت تحقيقًا فكذا هذا نظرًا إلى الأصل فلايرد الاعتراض .

قوله: ونظيره: أي في دخول الهمزة على النفي لإفادةالتحقيق.

قوله:ولذلك :أي ولأجل إفادتها التحقيق كالقسم .

قوله:من طلائع القسم: طليعة الجيش مايتقدم الجيش فاستعير ههنا للمقدمة .

قوله:والاستد راك بـ"لا يشعرون": قال الطيبي والتفتازاني: لأن الشعور علم الشيء عـلـم حسي، فإذا نفي شعورهم كان أدعى لظهور الفساد، يمكن أن يقال: إن عدم الشعور بذلك يوجب الانهماك فيه وعدم التنبيه له فيكمل.

قوله: مـن تـمـام الـنـصـح والإرشاد:أي من جملته فإن النصح والإرشاد هوكمال الإيمان ، وذا لايحصل إلا بمجموع أمرين. فإن قلت: ظاهرقوله: من تمام النصح يدل علي أن الإيمان من تتمته والإعراض عنها لاينبغى وهو المقصود الأصلى. قلت: ذلك باعتبا رأن ضرره لايختص بهم بل يلحقهم وغيرهم.

قوله:أو كافة: الظاهرأنه معطوف على مصدرية فحينئذ يلزم أن يكون كما فى حيز

ربـماء واللام في "الناس" للجنس، والمراد به الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية العقل؛ فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقاً يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والـمـقـصـود مـنه. ولذلك يسلب عن غيره فيقال: زيد ليس بإنسان، ومن هذ الباب قوله تعالى:﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [٢.البقرة:١٨]ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله:

إذ الناسُ ناس والزمانُ زمان

أو لـلـعهد ، والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه، أو من آمن من أهل جـلـدتهـم كـابـن سـلام وأصحابه ، والمعنى: آمنوا إيماناً مقروناً بالإخلاص متمحضاً عن شـوائـب النفاق مماثلاً لإيمانهم . واستدل به على قبول توبة الزنديق، وأن الإقرار باللسان إيمان وإلّا لم يفده التقييد.

﴿قَالُوْا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءِ﴾ الهمزة فيهاللإنكار، واللام مشاربها إلى الناس، أو الـجـنـس بـأسـره، وهـم مـنـدرجون فيه على زعمهم . وإنما سَفَّهُوهُم لا عتقادهم فساد رأيهـم،أولتـحـقير شأنهم ؛فإن أكثر المؤمنين كانوا فقراء، ومنهم موالي كصهيب وبلال،أو لـلتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم إن فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه، والسفه : خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل. والحلم: يقابله.

النصب على المصدر على تقديرأن يكون "ما" كافة وليس كذلك؛ لأنه الكاف إذا كف بما لايتـعلق بشيء كما صرح به الرضي، ولايكون صفة لمصدر محذوف حتى يكون في محل الـنـصب على المصدر. واعلم أنه إذا كان" ما"مصدرية يكون تشبيه مفرد بمفرد، وإذا كان كافة يكون تشبيه مضمون جملة بمضمون جملة كذا في الرضي.

قوله: ومـن هذاالباب:أي من نفي الجنس عمن لايوجد فيه خواصه المقصود منه؛ لأنه نفي عنهم السمع والنطق وغيرهما لانتفاء المعاني المقصودة منها.

قوله: إذ الـنـا س نـا س والزما ن زما ن: أي النا س الكا ملون جهة النا س والزما ن الكا مل جنس الزما ن أو التقدس با لعكس.

قوله: الزنديق :هو الذي يخفي الكفر،كذا في المظهر شرح المصا بيح.

قوله:والسفه خفة عقل وسخافة رأي يقتضيها نقصان العقل: السخا فة الرقة. قا ل الـخـلـيـل :السـخف فـيالعقل خا صة، والسخا فة عا مة في كل شيء ، والمرا د هنا الضعف فيالرأى. واعلم أن للنفس النا طقة قوة على تعقل مايحتاج إليه فيتدبير البدن ويسمى قوة

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ[١٣]﴾ رد ومبالغة في تجهيلهم ؛ فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله؛ فإنه ربما يعذروتنفعه الآيات والنذر. وإنما فصلت الآية بـ"لا يعلمون" والتي قبلها بـ"لا يشعرون"؛ لأنه أكثر طباقاً لذكر السفه، ولأن الوقوف على أمر الدين والتميز بين الحق والباطل من ما يفتقر إلى نظر وفكر. وأما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فإنما يدرك بأدنى تفطن وتأمل فيما يُشَاهد من أقوالهم وأفعالهم.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذين آمنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بيان لمعاملتهم المؤمنين والكفار . وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير." روي أن ابن أبيّ وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه: انظروا كيف أرد هؤ لاء السفهاء عنكم. فأخذ بيد أبي بكر رضي اللّٰه عنه و قال: مرحباً بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول اللّٰه في الغارالباذل نفسه وماله لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم. ثم أخذ بيد عمر رضي اللّٰه عنه فقال: مرحباً بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم. ثم أخذ بيد علي رضي اللّٰه عنه فقال: مرحباً بابن عم رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وختنه سيد بنيهاشم ماخلا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم" فنزلت هٰذه الأية. واللقاء: المصادفة يقال: لقيته ولا قيته، إذا صادفته واستقبلته. ومنه ألقيته: إذا طرحته، فإنك بطرحه جعلته بحيث يلقى.

﴿وَإِذَا خَلَوا إِلى شَيٰطِيْنِهم﴾ من خلوتُ بفلان، وإليه إذا انفردت معه.

عقلية. فاعتدالها الحكمة، وإفراطها الجر يزة، وتفريطها: أي طرفها الأسفل الغبا وة: أي البلا هة: أي قلة التنبيه على الأمور، وهذا هو المراد بنقصان العقل المذكو ر في التفسير، ويتولد منه الحمق وهو المراد بالسفه هنا. فسخا فة الرأي إما أن لا يكو ن هو السفه بعينه كما يشعر بذلك قوله: يقتضيهما، وإماأن يكو ن هو بعينه على ما وقع في بعض النسخ يقتضيها، فعلى الوجه الأخير يكو ن قوله: وسخا فة رأى، تفسير لما قبله.

قوله: لأ نه أكثر طبا قًا لذكر السفه: لأنه جهل فيكو ن أوفق بالعلم.

قوله: بيا ن لمعاملتهم مع المو منين الخ: دفع لما يتوهم أن هذا الكلا م تكرار لقوله: ﴿ ومن النا س من يقول آمنا﴾.

أو من خلاك ذمّ أي عداك ومضى عنك. ومنه القرون الخالية. أو من خلوت به إذا سخرت منه. وعدي بـ"إلى" لتضمين معنى الإنهاء، والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم، وهم المظهرون كفرهم. وإضافتهم إليهم للمشاركة في الكفر، أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم. وجعل سيبويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن إذا بعد؛ فإنه بعيد عن الصلاح. ويشهد له قولهم: تشيطن. وأخرى زائدة على أنه من شاط إذا بطل. ومن أسمائه الباطل ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي في الدين والاعتقاد، خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية، والشياطين بالجملة الإسمية المؤكدة بـ" إنّ" لأنهم قصدوا بالأولى دعوى إحداث الإيمان، وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه، ولأنه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين، ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الإيمان على المؤمنين من المهاجرين والأنصار بخلاف ما قالوه مع الكفار.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ[١٤]﴾ تأكيد لما قبله؛ لأن المستهزئ بالشيء المستخف به مُصِر على خلافه. أو بدل منه ....

قوله: أومِن خَلاكَ ذم أي عداك: قال المظهر: من العد و. أقول: هذا خلاف مافي اللغة فإن عدا من العد و معدى بـ"إلى" والذي بمعنى جاوز معدى بنفسه. وعدي بـ"إلى" لتضمين معنى الإنهاء: أي إذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها، وهذا بيان للمعنى، وأما التقدير فسخروا منهين إليهم على ماهوقانون التضمين.

قوله: خاطبوا المومنين با لجملة الفعلية والشيا طين بالجملةالا سمية المؤكدة بـ"إن" ولم يخاطبوا المومنين كذلك، أجا ب عنه بوجوه. الأول أنهم قصد وا بالأ ولى دعوى إحداث الإيمان، وبالثا نية تحقيق ثباتهم على ماكا نوا عليه. والمنا سب للأول الجملة الفعلية وللثا ني الجملة الاسمية المؤكدة بـ"إ ن". والثاني أن ترك التأ كيد قد يكو ن لعدم الباعث والمحرك من جهة المتكلم ولم يكن لهم باعث من عقيد تهم وصدق رغبة فيما خا طبوا به المو منين. والثا لث أن تر ك التأ كيد قد يكو ن لعدم رواج التأ كيد وهنا كذلك؛ لأ نهم لوقالوا على لفظ التأ كيد والمبا لغة لا يروج بهم.

قوله: لأن المستهزىء با لشيء المستخف به مصر على خلا فه: المستهزىء بالإيمان يكو ن مصراً على خلا ف الإ يمان الذي هو الثبا ت على اليهودية وهو مفهو م "أنا معكم" فيكو ن تكريرًا له با عتبارلا زمه فيكو ن تأ كيداً.

لأن من حقّر الإسلام فقد عظّم الكفر، أو استيناف، فكأنّ الشياطين قالوا لهم لمّا قالوا: "إنا معكم" إن صح ذلك "فمابالكم توافقون المؤمنين وتدعون الإيمان" فأجابوا بذلك . والاستهزاء: السخرية والاستخفاف ،يقال: هزئت واستهزأت بمعنىً كـ"أجبت واستجبت". وأصله الخفة من الهزء: وهو القتل السريع، يقال: هزأ فلان إذا مات على مكانه. وناقته تهزأ به أي تسرع وتخفف.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم على استهزائهم . سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة ، إما لمقابلة اللفظ باللفظ،أو لكونه مماثلاً له في القدر، أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم ،أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء ، أو الغرض منه ،أو يعاملهم معاملة المستهزئ : أما في الدنيا فبإجراء

قو له: لأن من حقر الإ سلا م فقد عظّم الكفر: يعنى أن استخفاف الإسلا م وتحقيره يستلزم تعظيم الكفر الذي هو المقصود من قو لهم:"إنّا معكم" لأن المرا د المعية في الدين والا عتقاد ودين كل واحد واعتقاده معظم عنده .

قوله: سمّي جزاء الا ستهزاء: جواب سوال وهو أن يقال: لا يجو ز الاستهزاء على اللـه تعالىٰ؛ لأنه متعال عن السخرية، والسخرية من با ب العيب والجهل، ألا يرى إلى قوله تعالىٰ:﴿ قالوا أتتخذنا هزواً؟ قا ل:أعوذ با لله أن أكو ن من الجا هلين﴾ فما معنى استهزائه بهم؟ أجا ب بوجوه:

الأول أنه من با ب المشا كلة: أي مقا بلة اللفظ با للفظ وإن كا ن المعنى مختلفاً أي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة الغير.

الثا ني أنه من با ب الاستعارة التبعية، شبه جزاء الا ستهزاء بالاستهزاء في القدر فأطلق اسم الا ستهزاء عليه.

الثا لث أنه ليس المرا د حقيقة الا ستهزاء بل كالا ستهزاء باعتبار الغا ية؛ لأ نه تعالىٰ يُرجِع إليهم وبال الاستهزاء أي عا قبة فيكو ن كا لمستهزىء الذي يرجع وبال الا ستهزاء إلى المستهزىء به، فقوله: يُرجع إما من الارجا ع أو من الرجع لامن الرجوع ؛لأ نه إذا كا ن من الرجع يكو ن متعد يًا، وإذا كا ن من الرجو ع يكو ن لا زماً .

الرا بع أن المراد به لا زم الا ستهزاء وهو إنزال الحقا رة لاحقيقته.

الخامس أن المراد به معاملة الاستهزاء.

أحكام المسلمين عليهم، واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان. وأما في الآخرة: فبأن يفتح لهم وهم في النار باباً إلى الجنة فيسرعون نحوه، فإذا صاروا إليه سُدّ عليهم الباب. وذلك قوله تعالى:﴿ فاليومَ الَّذينَ آمنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[٨٣:المطففين:٣٤] وإنما استؤنف به ولم يعطف ليدل على أن الله تعالى تولى مجازاتهم، ولم يحوِّج المؤمنين إلى أن يعارضوهم، وأنَّ استهزاء هم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله تعالى بهم، ولعله لم يقل: الله مستهزئ بهم، ليطابق قولهم إيماء بأن الاستهزاء يحدث حالاً فحالاً ويتجدد حيناً بعد حين. وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال تعالى:﴿أولَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُوْنَ فِيْ كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾[٩.التوبة: ١٢٦]

﴿وَيَمُدُّهُمْ في طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُوْنَ[١٥]﴾من مدِّ الجيش وأمده إذا زاده وقواه، ومنه مددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد، لا من المدّ في العمر؛ فإنه يعدّى باللام كأملى له. ويدل عليه قراءة ابن كثير ويُمِدُّهُمْ. والمعتزلة لما تعذر عليهم إجراء الكلام على ظاهره قالوا: لما منعهم الله تعالى ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب

قوله: وإنما استونف به: يعني أن قوله:﴿ الله يستهزىء بهم ﴾بذكر اسم الله تعالىٰ الجامع لصفا ت الكمال مع بناء الفعل عليه المفيد للاختصاص يدل على أن الاستهزاء بهم هو الاستهزاء الأبلغ الذي يضمحل في جنسه استهزاء هم لصدوره عمن يضمحل في جنب علمه وقدرته علمهم وقد رتهم، وعلى أن الله تعالىٰ يكفي مؤ نة المخلصين من عباده وينتقم لهم ولا يحوجهم إلى معا رضة المنا فقين با ستهزاء و مجرد سخرية واستخفا ف، وأن الاستيناف يدل على مجازاة الله تعالىٰ؛ لأ نه حينئذ يكو ن جوا باً عن سوال مجازاة الله تعالىٰ، فاستونف به أي بقوله:﴿الله يستهزىء بهم﴾ ليدل على ذلك بخلاف العطف؛ فإ نه لا يدل بصريح مفهومه على المجا زاة حتى يدل عطفه بخصو صه على ذلك، فلا يرد ما قيل: إن ما ذكره في ترك العطف نكتة تخصيص الله تعالىٰ با لذكر.

قوله: لما تعذرعليهم إجراء الكلا م على ظا هره: إذ لا يصح عندهم إسناد الشرور كالطغيا ن مثلا إلى الله تعالىٰ.

حاصل الوجه الا ول أن المراد با لمد في الطغيا ن هو ما تزا يد من الرين والظلمة في قلو بهم بسبب خذلان الله تعالىٰ إياهم بسبب إصرارهم على الكفر، وإسناد ه إلى الله تعالىٰ؛ لأ نه تعالىٰ سبب وهو مسبب عن فعله تعالىٰ وهو خذلا نهم بسبب كفرهم فعلى

كفرهم وإصرارهم، وسدهم طرق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم ريناً وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً ،أوأمكن الشيطان من إغوائهم فزادهم طغياناً ، أُسْنِدَ ذلك إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى المسبب مجازاً ، وأضاف الطغيان إليهم لئلا يتوهم أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة . ومصداق ذلك أنه لما أسند المدّ إلى الشياطين أطلق الغيّ وقال﴿وإخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ في الْغَيِّ﴾[٧.الأعراف:٢٠٢] وقيل:أصله يمدُّلهم بمعنى يُملِي لهم ويمد في أعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا. فما زادوا إلا طغياناً وعمهاً، فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى:﴿واختارَ مُوْسىٰ قَوْمهُ﴾[٧. الأعراف: ١٥٥] أو التقدير يمدهم استصلاحاً وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم . والطغيان بالضم والكسر كلُقيان ولِقيان. والطغيان: تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر. وأصله تجاوز الشيء عن مكانه، قال تعالى:﴿إنا لمّا طَغَى المَاءُ حَمَلْناكُمْ﴾[٦٩.الحاقة:١١] والعمه في البصيرة كالعمى في البصر. وهو: التحير في الأمر

هذا يكو ن المجاز في المسند والإسنا د جميعاً.

وحا صل الثا ني أن المراد حقيقة المد ولكنه أسندإلى الله تعالىٰ وإن كا ن فعل الشيطا ن؛ لأ نه بإ قداره وتمكينه، فالمجاز في الإسنا د خاصة.

قوله: وأضاف الطغيان إليهم لئلا يتوهم الخ: وأما عندأهل الحق فلأ ن فعل العبد يستند إلى الله تعالىٰ خلقًا ويضاف إليه كسباً .

قوله: ومصداق ذلك :أي ما يصدق كو ن الإضا فة قرينة المجا ز أنه تعالىٰ حين أسند المدّإلى الشياطين الخ .قا ل في الصحا ح: هذا مصداق هذا أي ما يصدقه.

قوله: أطلق الغي: ولم يقيد ه بالإضا فة فلم يقل: في غيّهم .

قوله: والعمه في البصيرة كا لعمى في البصر: يعني كما أن العمى ذهاب البصر كله كذلك العمه في البصيرة ذهابها كلها، ولم يبين عمو م العمى كما بينه صا حب الكشا ف حيث قال:إن العمى عا م في البصر والرأى، والعمه في الراى ؛إذ لا غرض يتعلق به .

قوله: وهو التحير في الأمر:أي العمه يستعمل في التحير في الأمر مجازاً إطلا قاً للملزوم وإرادة اللازم كما في الطيبي. فإن قيل :كيف يكو ن مجازاً مع أنه بهذا المعنى مذكورفي الصحاح والقا موس ؟قلنا: لعل ذلك مجاز متعارف وأهل اللغة يورد ون المجا ز المتعارف؛ لأ نه صار معنى لغوياً متعارفاً في اللغة .

يقال: رجل عامهٌ وعمِهٌ. وأرض عَمهاء: لامنار بها.

قال: أعمى الهدى بالجاهلين العُمّهِ

﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ اختاروها عليه واستبدلوها به. وأصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان، فإن كان أحد العوضين ناضاً تعين من حيث إنه لا يطلب لعينه أن يكون ثمناً وبذله اشتراء، وإلا فأي العوضين تصورته بصورة الثمن فبا ذله مشترٍ وآخذه بائع. ولذلك عدت الكلمتان من الأضداد. ثم استعير للإعراض عما في يده محصلاً به غيره. سواء كان من المعاني أو الأعيان. ومنه قول الشاعر:

أَخَذْتُ بالجُمَّةِ رأساً أَزْعَرا وبالثَّنايَا الواضِحَاتِ الدُرْدُرَا

وبالطَّوِيْلِ الْعُمرِ عمراً جيذراً كما اشْتَرَى المُسْلِمُ إذ تَنَصَّرا

ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعاً في غيره. والمعنى أنهم أخلوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فُطِر الناسُ عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا

قوله: أعمى الهدى: أوله: ومهمه أطرا فه في مهمه. أي رب مفازة أطرافها في مفازة أخرى لسعتها التبست للهدا ية إلى طرقها على من لادراية لهم بأ مرا لطرق لدروس أعلامها المتحيرين فيها. فـ"أعمى" أفعل صفة من عمي عليه والعمه جمع عمه وعامه.

قوله: فأي العو ضين تصورته بصو رة الثمن فباذله مشترى وآخذه با ئع: فعلى كل وا حد منهما مطلق اسم البا ئع والمشترى من الأضداد.

قوله: أخذت بالجمة: الجمة مجتمع شعر الراس، والباء للمقا بلة والبدلية، والأذعر الاصلع، والد ردر بضم الدالين منابت الا سنا ن. والجيذر: القصير. والمسلم الذي اشترى النصرانية بالإسلا م جبلة بن الأيهم من ملو ك غسا ن. وقصته أن عمر بن الخطا ب رضى اللّه تعالىٰ عنه كتب كتا باً إلى أجنا د الشام أن جبلة ورد إليّ في سراة قو مه وأسلم فأكرمته، ثم سا رإلى مكة وطاف فو طي إزاره رجل من بني فزارة، فلطمه جبلة فهشم بها أنفه وكسر ثنايا ه، فاستعدى الفزاري على جبلة إليّ فحكمت: إما العفو، وإماالقصاص، فقال: اتقتص مني وأنا ملك وهو سو قي فقلت: شملك وإياه الإسلا م فلا تفاضل إلا في العا قبة. فسأله جبلة التا خير إلى الغد، فلما كان من الليل ركب في بني عمه ولحق با لشام مر تداً. والعياذ بالله تعالىٰ.

قوله: والمعنى: يعنى أن المعنى على ما ذكره أولاًمن أنه استعير للإعراض أنهم

إليهاء أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى.

﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾

ترشيح للمجاز. لَمَّا استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه مايشاكله تمثيلاً لخسارتهم . ونحوه:

وَلَمَّا رأيتُ النسرَ عزَّ ابنَ دايةٍ وعَشَّشَ في وَكْرَيْهِ جَاشَ لَهُ صَدْري

والتجارة : طلب الربح بالبيع والشراء . والربح: الفضل على رأس المال، ولذلك سمي شفاً، واسناده إلى التجارة وهولأربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل، أو لمشابهتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران .

﴿وما كانوا مهتدين [١٦]﴾لطرق التجارة ،فإن المقصود منها سلامة راس المال والربح

أخلوا بالهدى التي فيأيديهم بناءً على أن الدين القيم هو الفطرة التي فطرالنا س عليها. روي عن أبى هرير ة رضي الله تعالىٰ عنه: ما من مو لو د إلا يو لد على الفطرة .ثم يقول اقرؤا﴿ فطرة الله التي فطرالناس عليها﴾ فأبواه يهوّدانه الحديث. وعلى ما ذكرنا نيأمن الاتسا ع أواختاروا الضلا لة واستحبوها على الهدى ، وفيبيا ن المعنى أشار إلى دفع سوال وهو أنهم كيف اشتروا الضلا لة با لهدى مع أنهم ليسوا على هدى.

قوله: لما استعمل الا شتراء: بيا ن لترشيح المجا ز؛لأن التر شيح أن يقرن الاستعارة بما يلائم للمستعا رمنه.

قوله: تمثيلاً لخسارتهم: يعنى شبه اختيارالضلا لة بالهدى التيغا ية الخسران فاستعارلفظ الا شتراء ثم ا تبعه مايلا ئمه وهو الخسران ليمثلوا ويصوروا المشبه فيصو رة المشبة به ويرى المشبه معا ينة ومشا هدة. ولما كا ن المقصودمن اختيارالضلا لة الخساروغايته صرح به وقا ل: تمثيلاً لخسا رهم ولم يقل لاختيا رهم .

قوله: ولما رأيت النسر: النسر مستعار للشيب. وابن دا ية أيالغراب الشعرالا سود. والتعشيش أيأخذ العش ترشيح. وعش الطائر مو ضعه الذي يأخذ من دقاق العيدان وغير ها لتفريخ وهو فيأفنان الشجر. فإذا كا ن في جدار أوجبل أو نحو ها فهو وكر ووكن ، وإذا كا ن فيالأ رض فهو أفحص وأدحى كذا فيالصحاح، والوكران تثنية الوكر، لأن للطا ئر وكراً فيالشتاء ووكراً فيالصيف. والمراد هناالفودان: أيجانبا الرأس. والمرا د بالتعشيش الحلو ل والنزول .

وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين؛ لأن رأس مَالِهِمْ كان الفطرة السلمية والعقل الصرف، فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبقَ لهم رأس مال يتوسلون به إلى درك الحق ونيل الكمال، فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين للأصل .

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ لماجاء بحقيقة حالهم عقّبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير؛ فإنه أوقع في القلب وأقمع للخصم الألد ؛لأنه يريك المتخيل محققاً والمعقول محسوساً ، ولأمر ما أكثر الله في كتبه الأمثال، وفشت في كلام الأنبياء والحكماء . والمثل في الأصل بمعنى النظير، يقال: مِثْل ومَثَل ومَثِيْل كَشِبْهٍ و شَبَهٍ وشَبِيْهٍ . ثم قيل للقول السائر: الممثل مضربه بمورده . ولا يضرب إلا ما فيه غرابة ؛ ولذلك حوفظ عليه من التغير. ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله تعالى:﴿مَثَلُ الجَنَّةِ التي وُعِدَ المُتَّقُونَ﴾[١٣ . الرعد:٣٥. ومحمد:١٥] وقوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ الْمثلُ الأَعْلَى﴾[١٦. النحل:٦٠]

والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد ناراً. والذي : بمعنى الذين كما في قوله تعالى ﴿ وَخُضْتُمْ كالذي خَاضُوا﴾[٩.التوبة: ٦٩] إن جعل مرجع الضمير في

قوله: في كتبه :أي القرآن وغيره:قال الله تبارك وتعالى:﴿وتلك الأمثال نضربها للناس ﴾ومن سورة الانجيل سورة الأمثال.

قوله:الممثل مضربه بمورده :يعني شبه الحالةالتي أوردالمثل فيها بالحالةالأصلية التي ورد فيها ولايضرب إلا بما فيه غرابة ما، ولذلك حوفظ وحمي من التغيير لئلا يفوت الغرابة المقصودة ، وقيل:الأظهر أن ذلك من جهة أن المثل استعارة فيجب أن يكون هو اللفظ الدال على المشبه به.

قوله: إن جعل مرجع الضمير:أي إن جعل الذي مرجع الضمير في "بنورهم" وأما إن جعل المنافقون مرجع الضمير كما سيجيء فلاحاجة إلى جعل "الذي" بمعنى "الذين".

وإنما جا ز وضع "الذي"موضع "الذين" ولم يجز ذلك في"القا ئم" لا يقال: مررت بالرجال القا ئم مع أن كلاًمنهما يقع صفة ؛لأن "الذي"لم يقصدبه الوصف بل يقصد الوصف بالجملة ، وإنما هي وصلة يتو صل بهاإلى وصف المعرفة فلا يكو ن وصفًا بالحقيقة فلايجب مطابقتها للمو صوف حتى يجمع، قال الرضي:"الذي" عند البصريين على وزن 'عم وشح' أراد وا الوصف بها من بين الأسماء المو صو لة لكو نها على وزن الصفات فأدخلوا

"بنورهم" وإنما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين؛لأنه غير مقصود بالوصف . بـل الـمقصود الجملة التي هي صلته، وهو وُصلة إلى وصف المعرفة بها؛ولأنه ليس بإسم تام بل هو كالجزء منه، فحقه أن لايجمع كما لا تجمع أخواتها ، ويستوي فيه الواحد والجمع. وليس "الذين" جمعه المصحَح، بل ذ و زيادة زيدت لزيادة المعنى، ولذلك جا ء بالياء أبداً عـلى اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ، ولكونه مستطالاً بصلته استحق التخفيف، ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين ، أو قـصـد به جنس المستوقدين، أو الفوج الذي استوقد . والاستيقاد : طلب الوقود والسعي في تحصيله ، وهو سطوع النار وارتفا ع لهبها. واشتقاق النار من نا ر ينور نوراً إذا نفر؛ لأن فيها حركة واضطراباً.

﴿فَلَمَّا أَضَاءَ تْ مَا حَوْلَهُ﴾ أي النار ما حول المستوقد إن جعلتها متعدية .

الـلام تـحسيـنا للفظ حتى لا يكو ن موصوفه كمعرفة توصف بنكرة. وإنما قلنا:بزيا دة اللام لأن الـمـو صولات معا رف وضعا، ولأن "الذي" ليس با سم تا م بل الاسم التا م هومع صلته وهو جزء منه، وإنما يجمع الاسم التام لاالجزء منه فلا يجمع كما لايجمع أخواتها مثل "من ـ وـما".

قوله: وليـس الـذي جـمـعـه الـمصحح: جواب سوال وهوأن يقال: "الذين" جمعه المصحح فلا يصح قوله:فحقه أن لا يجمع .

قوله: فـحذف يا ء ه: أي مع بقا ء الكسرة كقوله :كَالَّذِ لو شا ء لكا ن براً، ثم حذف كسرته نحوكَا لَّذْ بر في رقية فاصطيدا .

قوله: ثـم اقتصرعلى اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين:لظهورعلى أن اللام التي هـي مـن الـموصولات ليست منقو صة "الذي" بل هواسم مو ضوع برأسه التزم دخوله على الاسـم لـكـو نه في صورة حرف التعريف وظهورإعرا به في ذلك فهو اسم في صو رة الحرف وصلته فعل في صو رة الا سم.

قوله: أي الـنـا رمـا حـول المستوقد إن جعلتها متعدية: وعلى هذا التقدير فيكو ن كلمة "مـا" مـو صـولة لا زا ئـدة ؛ لأ ن "حول" من الظروف الغير المتصرفة، قال الرضي: ومن الظروف الـمـكـانية ما هوعا دم التصرف كـ"قبل وتحت وحول وحوال وحو لى وحوالى واحوال". والمراد بغير المتصرف من الظروف ما لم يستعمل الا منصوبا بتقدير' في'أو مجروراًبـ"من"انتهى.

والإ أمكن أن تكون مسندة إلى "ما" والتأ نيث لأن ما حوله أشياء وأما كن، أو إلى ضمير النار . و"ما" موصولة في معنى الأمكنة نصب على الظرفية، أو مزيدة. وحوله ظرف، وتأليف الحول للدوران. وقيل للعام حول؛ لأنه يدور.

﴿ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُورِهِم﴾ جواب "لمّا" والضمير لـ"الذي" وجمعه للحمل على المعنى، وعلى هذا إنما قال:﴿ بنورهم ﴾ ولم يقل: بنارهم؛ لأنه المراد من إيقادها، أو استيناف أجيب به اعتراض سائل يقول: ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره؟ أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان . والضمير على الوجهين للمنافقين . والجواب محذوف كما في قوله تعالى: ﴿فلما ذهبوا به﴾ [١٢. يوسف:١٥] للإيجاز وأمن الالتباس . وإسناد الذهاب إلى اللّٰه تعالى إما لأن الكل بفعله، أو لأن الإطفاء حصل بسبب خفي ، أوأمر سماوي كريح أو مطر، أو للمبالغة، ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيهامن

ولما كا ن الظا هر الموصولية وتعين هنا لم يتعرض له وتعرض له ولغيره على تقدير أن يكون لازماً .

قوله: أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيا ن: يعنى أن المقصود من التمثيل تصوير حال المنا فقين وبيانه على التفصيل وهو أوفٰى بتأديته لدلا لته على اعتبار أوصا ف في جانب المنافق مثل ما اعتبرت في جانب المستو قد؛ لأن قوله:﴿ وتر كهم في ظلما ت -إلى قوله - فهم لا يرجعون﴾ من جملة هذا البيا ن .

قوله: والجواب محذوف:أي خمدت فبقواخابطين في ظلام متحيرين على فوات الضوء خا ئبين بعد الكدح في إحيا ء النار.

قوله: وإسنا د الذها ب إلى الله تعالى:جواب سوال وهو أن يقال: المقصود فلما أضا ء ت ما حو له طفئت وذهبت نورها فلم أسند إلى الله تعالىٰ؟ وتقرير الجواب: نعم، المقصود ذلك،إلا بأنه أسندإلى الله تعالىٰ إما لأن الكل بفعله، أولأن الطفوء بسبب أمر خفي لا يطلع عليه أحد، أوأمر سماوي، وهما لا يكو نان إلا من الله تعالىٰ، هذا على تقدير أن يكو ن﴿ ذهب الله بنو رهم﴾ جواب "لما"وأماعلى تقديرأن يكو ن استينا فاً فإسنا د الاذها ب إلى الله تعالىٰ ظا هر لم يتوجه السوال أصلاً ولا يحتا ج إلى الجواب .

قوله: أو للمبا لغة :في إذهاب النور، ولأجل ذلك عدي با لباء؛ لأن البا ء وإن كا نت للتعدية إلا أن فيها معنى المصاحبة كمايقال: أخذ السلطا ن بماله: أي أخذ ه باستصحا به

معنى الا ستصحاب والاستمساك . يقال: ذهب السلطان بما له إذا أخذه . وما أخذه الله وأمسكه فلا مرسل له. ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضي اللفظ إلى النور. فإنه لو قيل: ذهب الله بضوئهم، احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة، وبقاء ما يسمى نوراً. والغرض إزالة النور عنهم رأساً. ألا ترى كيف قرر ذلك وأكده بقوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ[١٧]﴾ فذكر الظلمة التي هي عدم النور، وانطماسه بالكلية . وجمعها ونكرها ووصفها بأنها ظلمة خالصة لا يتراء ى فيها شبحان، وترك في الأصل بمعنى طرح وخلى. وله مفعول واحد فضمن معنى صيّر. فجرى مجرى أفعال القلوب كقوله تعالى:﴿وتركهم في ظلمات﴾ [٢.البقرة:١٧]

وقول الشاعر:

فتركْتهُ جَزْرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ يَقصُمْنَ خُمسَ بنانِهِ والمِعْصَم

والظلمة مأ خوذة من قولهم: ما ظلمك أن تفعل كذا:أي ما منعك ؛لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية. وظلماتهم : ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة ﴿يوم تر المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾[٥٧. الحديد:١٢] أوظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدي، أو ظلمة شديدة كأنها ظلمة

واستمسا كه، والمعنى أخذه واستصحبه بأن أمسكه ، وماأخذه الله تعالىٰ وأمسكه فلامرسل له، فيكون إذهاب النور بالكلية .

قوله:احتمل ذهابه :بما في الضوء من الزيا دة؛إذالإضاء ة فرط الإنارة .

قوله:فذكر الظلمة التي هيعدم النو ر: لوأجرى على إطلا قه لكان بينهما تقا بل الا يجا ب والسلب إلا أن الحكما ء يقولو ن بينهما تقا بل العدم والملكة ، وعند بعض المتكلمين هو عرض ينا فيالنو ر فبينهما تقا بل التضا د .

قوله:فتركته جزر السبا ع :آخره. ما بين قلة رأ سه والمعصم: قا ل الجوهري:جزرالسباع اللحم الذي تأ كله. يقال: تركو هم جزراً با لتحريك إذا قتلو هم، ونا شه أيتنا وله.وقلة كل شيء أعلاه.والمعصم مو ضع السوار من السا عد.

قوله: وظلما تهم ظلمة الكفرالخ: الوجهان الأولا ن على تقدير أن يكو ن ﴿ذهب الله بنو رهم﴾ استينا فاً ، والوجه الأخيرعلى تقديرأن يكون﴿ذهب الله بنو رهم﴾جواب "لما".

متراكمة . ومفعول ﴿لا يبصرون﴾ من قبيل المطروح المتروك، فكأن الفعل غير متعد.

والآية مَثَلٌ ضربه اللّٰه لمن آتاه ضرباً من الهدى فأضاعه، ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد فبقي متحيراً متحسراً . تقريراً وتوضيحاً لما تضمنته الآية الأولى ، ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون، فإنهم أضاعوا مانطقت به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر، وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة ، أو ارتد عن دينه بعد ما آ من. ومن صح له أحوال الإرادة فادعى أحوال المحبة فأذهب اللّٰه عنه ما أشرق عليه من أنوار الإرادة، أو مَثَّلٌ لإيمانهم من حيث إنه يعود عليهم بحقن الدماء، وسلامة الأموال والأولاد، ومشاركة المسلمين في المغانم والأحكام بالنارالموقدة للاستضاء ة، ولذهاب أثره وانطماس نوره بإهلاكهم وإفشاء حالهم بإطفاء اللّٰه تعالى إياها وإذهاب نورها.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ لمّا سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم جُعِلُوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله:

قوله: ومفعول "لا يبصرون" من قبيل المطروح المتروك :يعني جعل ونزل منزلة اللازم.

قوله:والآ ية مثل ضر به الله تعالىٰ: يعنى أن المقصود من الآ ية تمثيل حال من آتاه الله ضر بًا من الهدى مطلقا تكثيراً للفائدة وتعميمًا للإ نذار، ولأن القراٰن جوا مع الكلم لا تمثيل حال المنافقين خاصة إلاأنهم خصوا با لذكر؛ لأ نه تعالىٰ بصدد بيا ن مسآء اتهم .

قوله: فادّعى أحوال المحبة :قال أبو عبد الله البناجي: المحبة لذة في المخلو ق واستهلا ك في الخا لق جل ذكره وعلا. ومعنى الاستهلا ك أن لا يبقى لك حظ ولا يكو ن لمحبتك علة ولا يكو ن قائما بعلة، وقال بعضهم :المحبة على وجهين: محبة الا قرار، وهذه للخا ص والعام. ومحبة الوجد من طريق الإصا بة فلا يكو ن فيه رؤية النفس والخلق ولا رؤ ية الأ سبا ب والأ حوال بل يكو ن مستغرقًا في رؤ ية الله تعالىٰ.

قوله: أو مثل لإ يما نهم من حيث إنه يعود عليهم:عطف على قوله:مثل ضر به الله تعالىٰ، والاول تشبيه تمثيل وهذا تشبيه مفرق شبه إيما نهم با لنا رالموقدة. وشبه ذها ب أثرالإ يما ن وانطماس نو ره بإهلا كهم أو إفشاء حا لهم بإ طفا ء الله تعالىٰ إيا ها وإذ ها ب نو رها .

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ وِإنْ ذُكِرْتُ بسوءٍ عندَهُمْ أذنوا

وقوله:

أَصَمُّ عن الشيء الَّذي لا أُريدُهُ وأَسمَعُ خَلْقِ اللّه حينَ أُريدُ

وإطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة؛ إذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لو لا القرينة. كقول زهير:

لَدي أسدٍ شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظفارُه لم تُقَلَّم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحاً كما قال ابوتمام الطائى:

وَيصعَدُ حتى يظُنَّ الجَهولُ بأَنَّ لَهُ حَاجةً في السَّماءِ

وههنا وإن طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به. ونظيره:

أَسَدٌ عليَّ وفي الحُرُوبِ نَعَا مةٌ فَتْخَاءُ تنفر منْ صَفِير الصَّافرِ

هـذا إذا جَعَلْتَ الضمير للمنافقين على أن الآية فذلكة التمثيل ونتيجته، وإن جعلته

قوله: على طريقة التمثيل: أي التشبيه البليغ .

قوله: بحيث يمكن حمل الكلا م على المستعا رمنه: إذ الما نع منه هو القرينة وقد فرض انتقا ء ها.

قوله: لـدي أسـد شـاكـي السلا ح: من شوكة السلاح. وهي شدة البأس وحدة السـلا ح. والا صل شايك فنقلت العين إلى مو ضع اللا م، فقيل شا كي السلا ح ، مقذف: مـكثـر الـلـحـم كـأ نه قذف با للحم. واللبد: جمع لبدة وهي الشعر الذي على رقبته يتلبد، فـقـوله: شا كي السلا ح تجريد؛ لأ نه وصف بما يلا ئم المستعا رله أعني الرجل الشجا ع وقـوله: لبدأظفاره لم تقلم: تر شيح ؛ لأن هذا الوصف مما يلا ئم المستعا ر منه أعني الاسد الحقيقي .

قوله: ومـن ثـم تـرى الـمفلقين: أي من أجل أن الا ستعارة يطوى ذكر المستعارله ويجعل الكلا م خلوًا ترى الفصحا ء الذين يأ تو ن با لأمرالعجيب يتناسو ن التشبيه ويعرضون عـن تـو هـمـه كـقـول أبـى تما م في مدح يزيد :ويصعد حتى الخ: استعار الصعود لعلوالقدر والارتفا ع في مدا رج الكما ل. ثم بنى عليه ما يُبنى على علو المكا ن والا رتقاء إلى السما ء. فـلـولا إن قـصـده أن يتـناسى التشبيه ويصرعلى إنكاره فيجعله صاعداً في السما ء من حيث المسا فة المكا نية لما كا ن لهذا الكلا م وجه. والفلق: با لكسر الأمرالعجيب .

للمستوقدين . فهي على حقيقتها. والمعنى: أنهم لماأو قدوا ناراً فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ هائلة أدهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم . وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول "تركهم" . والصمم : أصله صلابة من اكتناز الأجزاء. ومنه قيل: حجرأصم ، وقناة صماء. وصمام القارورة . سمي به فقدان حاسة السمع؛ لأن سببه أن يكون باطن الصماخ مكتنزاً لا تجويف فيه، فيشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه. وأبكم الخرس. والعمى: عدم البصر عما من شأنه أن يبصر، وقد يقال لعدم البصيرة.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ[١٨]﴾ لا يعودون إلى الهدى الذي باعوه وضيعوه أو عن الضلالة التي اشتروها ، أو فهم متحيرون لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون، وإلى حيث ابتدؤوا منه كيف يرجعون. والفاء للدلالة على أن اتصافهم بالأحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ عطف على "الذي استوقد" أي كمثل ذوي صيّب لقوله:﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ و "أو" في الأصل للتساوي في الشك، ثم اتسعٍ فيها فأطلقت للتساوي من غير شك، مثل جالس الحسن أو ابن سيرين. وقوله تعالى:﴿ولا تطع منهم آثماً أوكفوراً﴾[الإنسان:٢٤] فإنها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان. ومن ذلك قوله:﴿ أو كصيب﴾ ومعناه أن قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين، وأنهما سواء في صحة التشبيه بهما، وأنت مخير في التمثيل بهما، أو بأيهما شئت . والصيب: فيعل من الصوب ، وهو النزول يقال للمطر وللسحاب .

قال الشماخ: وَأَسْحَمَ دانٍ صادقُ الرعْدِ صَيِّبٍ

قوله: لا يعودون إلى الهدى الذي باعوه وضيعوه :أراد أن متعلق "يرجعون" محذوف. فإما أن يقدر"إلى" فالرجوع بمعنى العود إلى ماكان، والمعنى:لايعودون إلى الهدى. وإما أن يقدر"عن" والمعنى لايرجعون عن الضلالة. وإما أن لا يقدر شيء وينزل منزله اللازم، والمعنى أنهم بقواجامدين فيمكانهم لايتصفون بالرجوع؛لأنهم لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى حيث ابتدأوا منه. والوجهان الأولان على تقدير أن يكون الضمير راجعًا إلى المنافقين ، والأخير على تقدير أن يكون الضمير للمستوقد.

قوله: وأسحم: أوله :عفا آية نسج الجنوب مع الصبا. الأسحم: السحاب الاسود، ودانٍ: أيقريب من الأرض وصادق الرعد: أيغيرخُلّب ، والمعنى محاآثارربع المحبوب وغيّر رسومه اختلاف هاتين الريحين وتتابع هبوبهما.

وفـي الآية يحتملهما، وتنكيره لأنه أريد به نوع من المطر شديد. وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبّق آخذ بآفاق السماء كلها؛ فان كل أفق منها يسمى سماء كما أن كل طبقة منها سماء .وقال:

وَمِنْ بُعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَاءِ

أَمِدَّ به ما فـي الـصيب من المبالغة من جهة الأصل والبناء والتنكير. وقيل: المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية.

﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ إن أريد بالصيّب المطر. فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع الـقـطـر، وظـلـمة غـمـامـه مـع ظلمة الليل. وجعله مكاناً للرعد والبرق؛ لأنهـا في أعلاه ومنحدره مـلتبسيـن بـه. وإن أريـد بـه السحاب، فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل.

قوله: وتـعريف السمـا ء للدلا لة على أن الغما م مطبق: وذلك أن اللا م للاستغراق فيدل على أن الصيب ناش من جميع الآ فا ق لا من أفق وا حد؛ لأن الأ فق يسمى سما ء .

قوله: ومـن بُـعـدأرض بيننا وسما ء: أي أفق. صدره :فاؤه لذكراها إذا ما ذكر تها. "أوه" لـغة فـي"فاؤه" اسم فعل بمعنى أتوجع، يعني أتو جع من ذكرها ومن حيلولة قطعة من الأرض وأفـق بيـنـنـاأي ناحية، ولايجوزأن يراد المطلقة :لأ نها ليست بينه وبيننا. قال الجو هري: الآ فاق النواحي .

قوله: أُمِـدَّ بـه: أي قـوى الله تعالىٰ بتعريف السما ء الذي للاستغراق ما في"صيب" من جهة الما دة؛ لأنهـا ركبـت مـن الصا د التي هي من الحروف المطبقة المستعلية والياء الـمشـدـدـة والبـاء التـي هـي الشديدة ومن جهة البنا ء ؛ لأ نه صفة مشبهة وهي للثبوت، ومن جهة التـنـكـيـر؛ لأنـه لـلتـعـظيـم والتهـويـل .وأماما قيل:إن المبالغة من جهة مادته التي هي الصواب فانه شدة نزول المطرففيه أنه ذكر فيالصحا ح الصوب: نزول المطر.

قوله: فـالـلام لتـعـريف الـمـا هية :لا للاستغراق؛ إذ ليس المرا د نزول المطر من جـمـيـع الـسـحـب الـمـوجـودة بل غا يته أن يكو ن مطبقاعلى آفا ق السما ء كما فيإحدى الوجهين السا بقين .

قوله: لأ نهـمـا فـيأعـلا ه ومنحدره :أي مو ضع حد وره، يعني لما كان فيمحل متـصـل بـه هـوأعـلا ه وموضع حدوره أعني السحا ب جعلا كأنهما فيه بناء على استعا رة كلمة فيلملا بسة شبيهة بملا بسة الظرفية .

وارتفاعهابالظرف وفاقاً؛ لأنه معتمد على موصوف. والرعد: صوت يسمع من السحاب. والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكا كها إذا حدتها الريح من الارتعاد. والبرق: ما يلمع من السحاب.

من برق الشي بريقاً. وكلاهما مصدر في الأصل ولذلك لم يجمعا.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ الضمير لأصحاب الصيب وهووإن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه، لكن معناه باق فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان في قوله:

يَسْقُون مَنْ وَرَدَ البَرِيْصَ عَلَيْهِمُ

بَرَدَى يصفِّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسلِ

حيث ذكر الضمير؛ لأن المعنى ماء بَرَدَى، والجملة استئناف، فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل : فكيف حالهم مع مثل ذلك؟ فأجيب بها. وإنما أطلق الأصابع موضع الأنامل للمبالغة.

قوله: لأ نه معتمد على مو صو ف: بخلا ف ما إذا لم يعتمد فعند سيبويه ارتفاعه على الا بتداء لا شتراطه الاعتماد، وعند الأخفش ارتفاعه على الفاعلية ؛ لأنه لم يشترطه.

قوله: والمشهو رأن سببه اضطراب أجرام السحا ب: والصحيح الذي عليه التعويل هو ماروينا عن التر مذي عن ابن عبا س رضى الله تعالىٰ عنهما قا ل: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم فقا لوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قا ل: ملك من الملائكة مؤكل با لسحا ب معه مخا ريق من ا لنا ريسو قها بها حيث شا ء الله تعالىٰ قالوا: فما هذا الصو ت الذي نسمع؟ قا ل: زجرة بالسحاب، إذا زجره حتى ينتهي حيث أمر، فقا لوا: صدقت. الحديث. المخا ريق: جمع مخراق، وهي في الأ صل ثو ب يلف ويضرب بها الصبيا ن بعضهم بعضا، أراد أنها آلة يزجربها الملائكة السحاب.

قوله: يسقون من وَرَدالخ : يصف ملو ك الشا م الغسا نين ،البردى: نهردمشق، والبريص: نهر ينشعب منه، والتصفيق: النقل من إنا ء إلى إنا ء للتصفية، والرحيق: صفة الخمر. والشراب الخا لص الذي لا غش فيه، والسلسل: السهل الا نحدار، تعدية "وَرَدَ" بـ"على" مع ذكر المفعول لتضمنه معنى النزول، والبا ء في "با لرحيق" للمصا حبة، والبردي للتا نيث فيذكر الضمير في "يصفق" لعو ده إلى المضا ف المحذوف أي مآء بردي .

﴿من الصواعق﴾ متعلق بـ"يجعلون" أي من أجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة . والصاعقة: قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء إلا أتت عليه من الصعق: وهو شدة الصوت. وقد تطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد. يقال: صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق، أو شدة الصوت . وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناء ين في التصرف، يقال: صقع الديك. وخطيب مصقع. وصقعته الصاقعة. وهي في الأصل إما صفة لقصفة الرعد، أو للرعد. والتاء للمبالغة كما في الرواية أو مصدر كالعافية والكاذبة.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ نصب على العلة كقوله:

وأَغْفِرُ عَوراءَ الكَريم ادِّخَارَه وأُعرض عنْ شتمِ اللئيمِ تَكَرُّمَا

والموت: زوال الحياة . وقيل عرض يضادها لقوله:﴿خلق الموت والحياة﴾[٦٧.الملك:٢] وَرُدَّ بأن الخلق بمعنى التقدير، والأعدام مقدرة.

قوله: من العيمة :أي لأجل اشتهاء اللبن يقال: ا م إلى اللبن أي اشتهاه .

قوله:قصفة رعد :القصفة: القطعة بالكسر.

قوله: إلا أتت عليه: أي أهلكته، في الأ ساس: أ تى عليهم الدهر أفنا هم.

قوله: لا ستواء كلا ا لبناء ين في التصرف :أي في الا ستعمال ، وفي أن كلا منهما ينشعب منهما الأبنية التصريفية كا لما ضي واسم الفا عل وغير هما، فيكو ن كل منهما بناء على حياله لا يكو ن أحد هما قلبا لآخر.

قوله: وأ غفر عوراء الكريم ادّخاره: وأعرض عن شتم اللئيم تكر ما، "العوراء"و"ادّخاره" وكذا"تكرما" مفعول له، وفيه الاستشهاد لكو نه مفعولاً له معرفًا بالإضافة كـ"حذرالموت" والمعنى: ولوكا ن كلمة قبيحة صادرة من كريم استرها. ولا أكا في عليهاوادّخره ليو م يحتاج إليه فيه. وأعرض عن شتم اللئيم لأجل التكرم ؛ لأ نه ليس بكفوء ، والكرم أن يعود إلى مثله.

قوله: والمو ت زوال الحياة: فيكو ن أمراًعد مياً. ويكو ن التقا بل بينهما تقا بل العدم والملكه . وقيل: عرض، فيكو ن أمراً مو جو داً؛ لأن الأعراض أمورموجو دة لا يفوتو نه، يعنى أنه مجا ز واستعا رة تمثيلية شبه حا ل إنزال الله تعالىٰ عذابه على الكا فرين من كل جانب بحيث لا محيدلهم بحا لة الجيش الذي صبح فأحاط بالقوم فلا يفوت منهم أحد بو جه .

﴿وَاللّٰهُ مُحِيْطٌ بِالْكٰفِرِين[١٩]﴾ لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط، لا يخلصهم الخداع والحيل . والجملة اعتراضية لا محل لها.

﴿يَكَادُ البرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهم﴾استيناف ثان كأنه جواب لمن يقول: ما حالهم مع تلك الصواعق؟ و"كاد" من أفعال المقاربة، وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد. إما لفقد شرط، أو لو جود ما نع، و"عسى" موضوعة لرجائه . فهي خبر محض. ولذلك جاء ت متصرفة بخلاف عسى. وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلاً مضارعاً تنبيهاً على أنه المقصود بالقرب من غير"أن" . لتوكيد القرب بالدلالة على الحال. وقد تدخل عليه حملاً لها على عسى. كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في أصل معنى المقاربة. والخطف الأخذ بسرعة. وقرئ يخطِف بكسر الطاء ويخطِف على أنه يختطف. فنقلت فتحةالتاء إلى الخاء ثم أدغمت في الطاء. ويخِطّف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها. ويتخطّف.

﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوا فِيهِ وإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ استئناف ثالث كأنه قيل: ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته؟ فأجيب بذلك. وأضاء إما متعد، والمفعول محذوف بمعنى كلما نوّرلهم ممشىً أخذوه، أو لازم بمعنى كلما لمَع لهم مشوا في

قوله: وعسى مو ضوعة لرجا ء ه: يعنى أن عسى موضوعة لرجاء الخبر على ما هو التحقيق وهو مختا ر بن ما لك والرضي، وأما ما ذكر فيما بعد من مشاركتها في أصل معنى المقا ربة فمبنى على ما ذكره ابن الحا جب في إ يضاح المفصل: قد شبه عسى بكا د؛لأنه لما كا نت "كاد"و"عسى" مشتركين في أصل معنى المقا ربة وإن اختلفتا في وجوه المقاربة حملت كل منهما على صاحبتهما تشبيهًا بها ومشا ركتها لها في أصل معنا ها.

قوله: من غير أن: أي يكو ن فعلاً مضارعاً بدون" أن" ليد ل على الحا ل؛ لأن"أن" علم الا ستقبا ل فيؤ كد القرب.

قوله:ويخطف :بفتح الخا ء وكسر الطا ء .

قوله:ويخطف بكسرالخا ء واتبا ع الياء:أي بكسرهما وعلى اتبا ع اليا ء الخا ء .

قوله:خفوق البرق: خفق البرق خفقاً وخفقاناًإذا اضطربت .

قوله:كلما نو ر لهم: أي البرق.

مـطرح نوره. وكذلك أظلم، فإنه جاء متعدياً منقولاً من ظلم الليل . ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول. وقول أبي تمام:

هُمَا أظلَمَا حالي ثَمَّةَ أجْلَيَا ظلا مَيْهِما عن وَجْهِ أَمْرَدَ أشيبِ

فإنه وإن كان من المحدثين لكنه من علماء العربية، فلا يبعد أن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، وإنما قال مع الإضاءة ﴿كلما﴾ ومع الإظلام ﴿إذا﴾ لأنهم حراص على

قوله: منقولاً من ظلم الليل: يعني أن أصله "ظلم" ثم نقل إلى باب الإفعال فصار متعدياً بالهمزة. في الصحاح "ظلم الليل وأظلم" بمعنى. والظاهر أنه غير متعد كما صرح به صاحب الكشاف؛ لأن المتعدي لا يوجد في كلام من يستشهد بكلامه ولم يثبته الثقات من أئمه اللغة الا القليل جداً كما نقل عن الأزهري أن "أضاء وأظلم" يكون لازماً ومتعدياً.

قوله: هما أظلما: الضمير للعقل والدهر المذكورين في البيت السابق: أحاولت إرشادي فعقلي مرشدي أم استمت تأديبي فدهري مؤدتي. وحالاه ما يتوارد عليه من الخير والشر والفقر والغنى، وأسند الإظلام إلى العقل؛ لأنه لا يطيب للعاقل عيش لعلمه بانقطاعه وإلى الدهر؛ لأنه يعادي كل فاضل ثم أجليا ثم كشفا ظلاميهما عني: وأنا أمرد في السن أشيب في العقل؛ أو في غير أوانه لمقاساة الأهوال. فقوله: "أنا أمرد" كناية عن نفسه جرد شخصا أمرد؛ والهمزة في "أحاولت" للانكار بمعنى: ما كان ينبغي، والفاء للتعليل كذا ذكره العلامة التفتازاني وغيره من شارحي الكشاف، والظاهر ما ذكره شارح أبيات الكشاف وهو أن الضمير في "هما" للعشق والحزن، و"حالي" أي حال الدنيا والآخرة، كأنه يخاطب عاذلة ويقول له: لا تحاول إرشادي في لومي فعقلي مرشدي ولا تجشم نفسك تأديبي فان الدهر مؤدبنا، ثم قال: إن الغرام والحزن أظلما حال دنياي وآخرتي ثم أجليا ظلاميهما عن وجه رجل أمرد في السن أشيب في العقل.

قوله: من المحدثين: أي الذين نشأوا بعد الصدر الأول من الإسلام، فالشعراء طبقات، الجاهلون كإمرأ القيس الكندي، وزهير بن أبي سلمى المزني، والمخضرمون الذين أدركوا الجاهلية والاسلام كحسان، ولبيد، والمتقدمون من أهل الاسلام كالفرزدق وجرير، ويستشهد بأشعارهم، ثم المحدثون كالبحتري وأبي تمام ولا يستشهد بشعرهم.

قوله: فلا يبعد أن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه: قيل: قد يفرق بأن متن الرواية على الوثوق والضبط. ومتن القول على الدراية والإحاطة بالأوضاع والقوانين. والاتقان

الـمشـي. فـكلّما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف. ومعنى قاموا: وقفوا . ومنه قامت السوق إذا ركدت . وقـام الماء إذا جمد﴿وَلَوْ شَاءَ اللّٰه لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ أي ولـو شـاء اللّٰه أن يـذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق لذهب بهما. فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه. ولقد تكاثر حذفه في "شاء" وأراد حتى لا يكاد يذكر إلا في الشيء المستغرب كقوله: فَلَوْ شِئْتُ أن أَبكي دَمَاً لَبَكَيْتُهُ

و"لـو"مـن حروف الشرط، وظاهرها الدلالة على انتفاء الأول لا نتفاء الثاني ضرورة انتـفـاء الـملزوم عند انتفاء لازمه . وقرئ لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى:﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[٢.البقرة:١٩٥]

وفائدة هذه الشرطية إبداء المانع لذهاب سمعهم وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه . والتـنبيه على أن تأثير الأسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة اللّٰه تعالى. وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بقدرته وقوله.

﴿إِنَّ اللّٰه عَـلـىٰ كُـلِّ شيءٍ قَدِيْر[٢٠]﴾ كالتصريح به والتقرير له . والشيء يختص بـالموجود؛ لأنه في الأصل مصدر" شاء" أطلق بمعنى شاء تارةً، وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال:﴿قُلْ أَيُّ شيءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُل اللّٰه شَهِيدٌ﴾[٦. الأنعام:١٩] وبمعنى مشيء أخرى أي مشيء وجوده وما شاء اللّٰه وجوده فهو موجود في الجملة ، وعليه قوله تعالى﴿إِنَّ اللّٰه عـلـى كُلِّ شيءٍ قَدِيْرٌ﴾ [٢.البـقـرة:٢٠] ﴿اللّٰه خـالـقُ كُلِّ شيءٍ﴾[٣٩.الزمر:٦٢] فهما

في الأ ول لا يستلزم الا تقان في الثا ني ، وقد يجا ب عنه بأ ن كلا منهما مبني على الظن،أما الروا ية فظا هر، وأما القول فلأ نه ظن با ستعمال الفصحاء .

قوله: ومـنه قامت السوق إذاركدت:أي سكنت ولم ينهز، قا ل الجو هري: قا مت السو ق كسدت،كأ نها وقفت.

قوله: وفا ئدة هـذه الشـرطية إبـداء الـمـا نع: يعني أن المقتضى لذها ب سمعهم وأبصارهم وهو قصيف الرعد ووميض البرق مو جو د إلا أنها لـم تذهب لعدم مشيته تعالىٰ.

قوله: ومـا شـاء الله تعالىٰ وجوده :أي ماد خل تحت مشيته فهوموجود في الجملة: أي فـي زمـا ن مـن الأ زمـنة عـلـى حسب مشيته وعليه قوله تعالىٰ:﴿إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾: لا على معنى شا ء: أي مريد يعني أن المقصود من الآية بيان أن كل المو جو دات

على عمومهما بلا مثنوية. والمعتزلة لما قالوا: الشيء ما يصح أن يوجد وهو يعم الواجب والممكن،أو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع أيضاً لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل.

والقدرة:هو التمكن من إيجاد الشي ، وقيل: صفة تقتضي التمكن، وقيل: قدرة الإنسان هيئة بها يتمكن من الفعل، وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه . والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل . والقدير: الفعال لما يشاء على ما يشاء، ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى. واشتقاق القدرة من القدر؛ لأن القادر يو قع الفعل على مقدار قوته، أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته. وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران، وأن مقدور العبد مقدورالله تعالى؛ لأنه شيء، وكل

مقدورالله تعالى، وأما أن المعدوم الممكن حا ل العدم هل هومقدورأم لا؟ فلا تعرض له فيالآ ية، فإ ن قيل: لو كان الشيء هو الموجود لما كا ن متعلقاً للقدرة ؛ لأ نها عبا رة عن الصفة المؤ ثرة على وفق الإرادة وتأثير ها، وإ يجاد الموجود محا ل؛ لأنه تحصيل للحاصل، قلنا: المحا ل إيجادالموجود بوجود سا بق غيرلا زم. واللا زم إيجادموجود بوجود هوأثرذلك الإ يجا د وهوليس بمحا ل.

قوله: فهما على عمومهما بلا مثنو ية :أيالإتيان على عمومهما أوالشيء با لمعنى المذكو رلا يشتمل الوا جب والممتنع حتى يخص بخلا فه با لمعنى المذكورالذي ذكره المعتزلة، فإ نه يعمهما فيخص؛إذ لا يدخلا ن تحت القدرة كما تقرر في علم الكلا م .

قوله: وقيل قدرة الا نسان هيئة بها يتمكن من الفعل: الظاهر أن المراد سلا مة الآلات والأ سبا ب .

قوله:واشتقاق القدرةمن القدر: قا ل صاحب الكشا ف: اشتقاق القدر من التقدير والمصنف عدل عنه؛ لما أنه يرد عليه كما ذكره الطيبي أن الثلا ثي لا يشتق من المزيد، وقال العلامة التفتازاني: ظا هرعبارته أن التقديرأصل والمصنف كثيراًما يقول با شتقاق المجرد من المزيد إذا كا ن هو أشهر فيالمعنى المشترك .

قوله: وفيه دليل على أن الحا دث حا ل حدو ثه والممكن حال بقا ئه مقدوران: لأن كلاً منهما شيء ،أما الثا ني فظا هر، وأما الأ ول فلأ ن الحا دث حين خروجه عن العدم لا بد من أن يزول عنه العدم فيكو ن موجوداًفيكون شيئاً.

شيء مقدور الله تعالى. والظاهر أن التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة ، وهو أن يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئاً و احداً بأخرى مثلها. كقوله تعالى:﴿ مَثَلُ الذين حُمِّلُواْ التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [٦٢: الجمعة:٥] الآية . فإنه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة. والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيره والشدة بما يكابد من انطفأت ناره بعد إيقادها في ظلمة، أو بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق. ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد: وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله تعالى: ﴿ وما يسْتَوي الأعْمٰى والبصيرُ ولا الظُّلُمَاُت ولا النُوْرُ ولا الظِّلُّ ولا الحرورُ﴾ [٣٥. الفاطر: ٢١] وقول امرئ القيس:

كأَنَّ قلوبَ الطير رَطْباً ويابساً لَدَى وكرِها العنَّابُ والحشفُ والبالي

بأن يشبه في الأول ذوات المنافقين بالمستوقدين، وإظهارهم الإيمان باستيقاد النارو ما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد وغير ذلك بإضاءة النا ر ماحو ل المستوقدين ، وزوال ذلك عنهم على القرب بإهلا كهم وبإفشاء حالهم وإبقائهم في الخسار الدائم . والعذاب السرمد بإطفاء نا رهم والذهاب بنورها، وفي الثانيأ نفسهم بأصحاب الصيب وإيمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيّب فيه ظلمات ورعد وبرق. من حيث إنه وإن كا ن نافعاً في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضُراً ونفاقهم حذراً عن نكايا ت المؤمنين. وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الأصابع في

قوله:﴿وَمَا يَستَوِى الأ عُمٰى وَالُبَصِيُرُ﴾: أيما يستوى الكافر الذي هومثل الأ عمى والمو من الذي هو مثل البصيرلا الكفر الذي هو مثل الظلما ت، ولا الإ يمان الذي هو مثل النور، ولا الحق الذي هو مثل الظل، ولا البا طل الذي هو مثل الحرور.

قوله: كأ ن قلو ب الطير: يصف العقاب بكثرة الصيد. وهو مخصوص بأنه لا يأكل قلو ب الطير و"رطبًا ــ ويا بسًا' حال أي رطباًبعضها ويابساً بعضها، وكذا "لدى وكرها" حال، قد شبه الرطب بالعناب واليا بس بالحشف البا لي:أيإرداء التمر اليا بس.

قوله:بإهلا كهم :متعلق بـ"زوال" وقوله 'بإطفا ء' متعلق بـ"يشبه المقدر".

قوله: عن نكايات المو منين: أيعن جراحا تهم وقهرهم، قا ل فيالصحا ح: فكيف فيهم إذا قتلت فيهم وجرحت.

الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث إنه لا يرد من قدرالله تعالى شيئاً ، ولا يخلص مما يريد بهم من المضار، وتحيرهم لشدة الأمر وجهلهم بما يأتون ويذرون بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف أن تخطف أبصارهم فخطوا خطاً يسيرة . ثم إذا خفي وفتر لَمعَانُهُ بقَوا متقيدين لاحراك لهم . وقيل: شبه الإيمان والقرآن وسائر ما أوتي الإنسان من المعارف التي هي سبب الحياة الأبدية بالصَيِّب الذي به حياة الأرض، وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة . واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات، وشبه ما فيها من الوعد والوعيد بالرعد، وما فيها من الآيا ت الباهرة بالبرق ، وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنيه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى: ﴿ والله محيط بالكافرين﴾[٢ . البقرة: ١٩]واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه، أو رفد يطح إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم ، وتحيرهم وتوفيقهم في الأمرحين تعرض لهم شبهة. أو تعنٌّ لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم.

ونبه سبحانه بقوله﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾[٢. البقرة: ٢٠] على أنه تعالى جعل لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها إلى الهدى والفلاح، ثم إنهم صرفوها إلى الحظوظ العاجلة، وسدوها عن الفوائد الآجلة، ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها لأنفسهم ؛ فإنه على ما يشاء قدير.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم، ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزّاً للسامع، وتنشيطاً له واهتماماً بأمر العبادة، وتفخيماً لشأنها، وجبراً لكلفة العبادة بلذة المخاطبة. و"يا"حرف وضع لنداء

قوله: وما يطرُقون به: أي يجيئو ن بسببه بالإ يذاء على من سوا هم من الكفرة، قا ل في الصحا ح: أتا نا فلا ن طروقاً إذا جاء بليل ، وقد طرق يطرق طروقاً فهو طا رق .

قوله: لـمّـا عـدّد فرق المكلفين: يعنى لما عدد المكلفين من المو منين والكا فرين والمنا فقين وذكر خوا صهم أقبل عليهم بالخطا ب على سبيل الا لتفات من الغيبة إلى الخطاب هزّاً لهم وتنشيطاً لهم، أما للمو منين فلأدائهم العبادة الما موربها، وأما للكا فرين والمنا فقين فليتفكروا ويرغبوا فيها.

البعيد. وقد ينادى به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد،إما لعظمته كقول الداعي : يا رب. ويا الله.وهو أقرب إليه من حبل الوريد، أو لغفلته وسوء فهمه ،أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه، وهو مع المنادَى جملة مفيدة؛ لأنه نائب مناب فعل، و"أي"جعل وُصلة إلى نداء المعرف باللام؛ فإن إدخال "يا" عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف، فإنهما كمثلين، وأعطي حكم المنادى وأجري عليه المقصود بالنداء وصفاً موضحاً له ، والتزم رفعه إشعاراً بأنه المقصود، وأقحمت بينهما "هاء" التنبيه تأكيداً وتعويضاً عما يستحقه: أي من المضاف إليه . وإنما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لا ستقلاله بأوجه من التأكيد. وكل ما نادى الله له عباده من حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها، ويقبلوا بقلوبهم عليها، وأكثرهم عنها غافلون.حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ. والجموع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لاعهد. ويدل عليه صحة الاستثناء منهاوالتأكيد ما يفيد العموم كقوله تعالى:﴿ فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كلّهم أجْمَعُونَ﴾ [١٥. الحجر: ٣٠] واستدلال الصحابة بعمومها شائعاً و ذائعاً. فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظاً ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام أن مقتضى خطابه وأ حكامه شامل للقبيلتين، ثابت إلى قيام الساعة إلا ما خصه الدليل. وما روي عن علقمة والحسن أن كل شيء نزل فيه ﴿ يأيها الناس﴾ فمكي﴿ويأيها الذين آمنوا﴾ فمدني ، إن صح رفعه فلا

قوله: شا مل للقبيلين: أي الموجودين وقت النزول ومن سيو جد .

قوله: وما روي عن علقمة: جواب سوال. تقرير السوال على ما هو المذكو ر في الكشا ف أن الأ مر با لعبا دة إما أن يكو ن متوجهاً إلى المو منين والكا فرين جميعاً ،أو إلى كفا رمكة خا صة على ماروى عن علقمة أن كل شيء نزل فيه "ياأيها النا س" فمكي، و"ياأيها الذين آمنوا"فمدني. فيكو ن الأ مر بالعبا دة مختصاً بكفا رمكة ، ولا يصح كل منهما؛ لأ ن المؤمنين عابدون ربهم فكيف أمروا ملتبسون به؛ لأ نه تحصيل الحاصل،والكافرون لايعرفون الله ولايقولون به فكيف يعبدونه؟ وتقريرالجواب إنا نختارالأول، ولا نسلم أن ماروى عن علقمة مر فوع إلى النبيصلى الله تعالىٰ عليه وسلم حتى يكو ن حجة. وعلى تقدير أن يكو ن مر فوعاً فلا يدل على اختصا صه با لكفار وأمرهم با لعبا دة بخصو صهم حتى يكون منا فياً لما اختر ناه. والمراد ما اخترنا ه؛ فا ن المامو ربه هو المشترك إلى آخرماذ كره .

يوجب تخصيصه بالكفار، ولا أمرهم بالعبادة ؛ فإن المأمور به هو القدر المشترك بين بدء العبادة ، والزيادة فيها، والمواظبة عليها. فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الإتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والإقرار بالصانع ؛ فإن من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم إلا به. وكما أن الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه. ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وإنما قال :

﴿ رَبَّكُم﴾ تنبيهاً على أن الموجب للعبادة هي الربوبية.

﴿الَّذي خَلَقَكُمْ﴾ صفة جَرَتْ عليه تعالى للتعظيم والتعليل . ويحتمل التقييد والتوضيع إن خص الخطاب بالمشركين ، وأريد بالرَّب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أرباباً. والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء . وأصله التقدير يقال: خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس.

﴿والَّذينَ مِنْ قِبْلِكُمْ﴾ متناول كل ما يتقدم الإنسان بالذات، أو بالزمان . منصوب معطوف على الضمير المنصوب في﴿ خلقكم﴾ والجملة أُخْرِجَتْ مَخْرَجَ المقرر عند

قوله: صفة جرت عليه تعالىٰ للتعظيم والتعليل: لمّا اختا رأن الأ مر بالعبا دة عا م للمو منين والمشركين كما سبق بنى الكلا م عليه وجعل الخطا ب في"خلقكم" و"من قبلكم" أيضاًعاماً، ولم يصرح بتعميمه فيكو ن الرب هو الله تعالىٰ؛ لأ ن رب الجميع معروف غير ملتبس عند الطائفتين ، فا لصفة للمدح والتعظيم، وبيا ن أنه ربّكم ؛لأ نه خلقكم وإن خص الخطا ب بـا لمشركين أريد با لرب أعم من الحقيقي والتي كا نوا يسمونها آلهة فا لصفة للتقييد.

قوله: والخلق إيجا د الشيء على تقدير واستواء: يعني أن الخا لق قدرالشيء أولاً بمقدارو سوّاه به ثم أوجد .

قوله: ما يتقدم الإ نسان با لذات :هذاجريان منه على عادته فيتفسيره على رأيالحكما ء وإن كان فيه خروج عن اصطلاح أهل الحق، فالمعنى وخلق ما يتقدم الإنسان با لذات.

قوله: والجملة أخرجت مخرج المقرربه عندهم: جواب سوال. وهوأن يقال أن جملة "خلقكم "وقعت صلة للموصول. والصلة يجب أن يكو ن معلومة للمخا طب. والكفارلا يعرفو ن الله كما سبق فكيف يعرفون أنه خلقهم .

هـم، إمـا لا عتـرافهـم بـه كـمـا قـالَ اللّه تـعـالى:﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولُنَّ اللّه﴾ [٤٣.الـزخـرف:٨٧] أو لتـمـكنهـم من العلم به بأدنى نظر . وقرئ ممن قَبْلِكُمْ على إقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً كما أقحم جرير في قوله:

ياتيم تيمَ عَدِيٍّلا أبالكمُو

"تيماً" الثاني بين الأول وما أضيف إليه.

﴿لعلكم تتقون[٢١]﴾ حال من الضمير في ﴿اعبدوا﴾ كأنه قال: اعبدوا ربكم راجين

قوله: عـلـى إقحا م الموصول الثا ني بين الأ ول وصلته تا كيداً: قيل لا يعهد التا كيد الـلـفـظـي إلابـاعـا دـة الـلفظ الأ ول، ومع ذلك فقد صرحوا بامتناعه قبل الصلة ، وإن أريد التاكيد من جهة المعنى عا د المحذور واحتيج إلى بيا ن وجه اجتما ع الموصو لين، ألا يرى إلى أنهـم لـم يذهبوا في مثل قول الشا عر: فصيروا مثل كعصف مأكو ل

إلـى أن الكا ف تأكيد بل مزيدة، والأولىٰ أن يقال ههنا أن كلمة "من" مزيدة على ماهومذهب الكسائي، أو مو صو فة، أو مو صو لة وا قعة خبر مبتدأ محذوف ، والجملة صلة "الذين" أي الذين هم من قبلكم .

قوله: حال من الضمير في "اعبد وا": إشا رة إلى جواب سوال. وهو أن "لعلّ" للرجا ء، والـرجـاء لا يـجـو ز عـلـى الله تعالىٰ عا لم الغيب والشهادة ، وتقرير الجواب أن جملة "لعلكم تـتـقـون" حـال من الضمير في "اعبد وا" فيكو ن الرجا ء عائداً إليهم لا إلى الله تعالىٰ ، أويحمل عـلـى الاسـتـعارة من معنى التر جى للحا لة الشبيهة به؛لأ ن الله سبحا نه وتعالىٰ لمّاخلق العبا د وخـلـق فيهـم الـقدرة والدا عي والعلم والاجتها د في جا نبي الخير والشرمع إرا دته أن يختاروا جـانـب الـتـقـوىٰ والخير كا ن حا لهم كحا ل من ير تجى منه التقوى في تردد أمر هم بحسب الاختيـا ر بـيـن الـتـقـوى وعد مها مع إ را دته التقوىٰ منهم فيكو ن حا ل "خلقهم" بتلك الصيغة الـمو صو فة المخصو صة كحا ل من يرتجى من التقوى فاستعيرت لتلك الحا لة التي حا صلها إرادـة الخير والتقوى منهم مع تفويض الاختيا رإليهم، كلمة "لعل" الموضوعة لحقيقة الترجي استعا رة تبـعية، فـا لـمشبـه المحذوف المستعا رله هي الحا لة المخصوصة الشبيهة با لترجي لاالعبا د أنفسهم علىٰ ما يتو هم من قوله :فهم في صو رة المر جومنهم، و كيف يتصور استعا رة لـلعبا د وإنما أورد المصنف بيا ن التشبيه في جا نب المر جومنهم دون الراجي؛ لأ نه أقرب إلى رعا ية الأ دب وأوضح في تقرير المقصود وأسهل التصوير وجه الشبه من التردد والا ختيا ر.

أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى: نبه به على أن التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى إلى الله ، وأن العابد ينبغي أن لا يغتر بعبادته، ويكون ذا خوف ورجاء. قال تعالى ﴿ يدعون ربهم خوْفاً وطمعاً﴾ [٤١.السجدة: ١٦] ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيخافونَ عَذَابَهُ﴾ [١٧.الإسرائيل: ٥٧] أو من مفعول﴿خلقكم﴾ والمعطوف عليه على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح أمره باجتماع أسبابه، وكثرة الدواعي إليه. وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعاً. وقيل: تعليل للخلق أي خلقكم لكي تتقوا كما قال:﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ [٥١.الذاريات:٥٦] وهو ضعيف إذلم يثبت في اللغة مثله.

والآية تدل على أن الطريق إلى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والا ستدلال بأفعاله، وأن العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا؛ فإنها لما وجبت عليه شكراً لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الأجر قبل العمل.

﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ فِرَاشاً﴾ صفة ثانية، أو مدح منصوب، أو مرفوع، أو مبتدأ خبره "فلا تجعلوا". وجعل من الأفعال العامّة يجيء على ثلاثة أوجه : بمعنى صار. وطفق فلا يتعدى كقوله:

قوله: وغلّب المخا طبين على الغا ئبين فياللفظ: جواب سوال. وهوأن يقال كما خلق المخا طبين "لعلهم يتقون" فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصرعليهم؟ وتقرير الجواب أنه لم يقصره عليهم؛لأ نه لمعنى على إرادتهم جميعاً ولكن غلب المخاطبين على اللفظ بأ ن أطلق اللفظ الموضوع للمخا طبين على الغا ئبين أيضاً .

قوله:وهو ضعيف إذ لم يثبت فياللغة مثله :أورد عليه با ن المصنف قد ضعّف هذا الوجه فكيف اختا ره فيموا ضع من كتا به؟ قلت: أجا ب عنه العلا مة التفتا زا ني فيشرح الكشا ف بأ ن هذا أُخذ با لحا صل بعد تقرير الا ستعارة وجعل "لعل" لما يشبه الترجي؛ لأن خلقهم مع إرا دة التقوى فيمعنى خلقهم لأ جل إرا دة التقوى، ثم قال: وكذا كل مايرد فيهذا الكتاب من تفسير "لعل" بمعنى "كى" أوالإرا دة ، فليتنبه لذلك انتهى .

قوله: منصو ب أو مر فو ع :فالأول على تقدير"أعني" أو"أمدح" والثا ني على تقدير "هو الذي" فيكو ن خبر مبتدأ محذوف .

فَقَدْ جعلتُ قلوصَ بني سُهَيلٍ مِن الأَكوارِ مرتعها قريبُ

وبمعنى أو جد، فيتعدّى إلى مفعول واحد كقوله تعالى:﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورُ﴾[٦. الأنعام: ١]وبمعنى صيّر، ويتعدى إلى مفعولين كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرضَ فِرَاشاً﴾[٢. البقرة:٢٢] والتصيير يكون بالفعل تارة، وبالقول أو العقد أخرى. ومعنى جعلها فراشاً أن جعل بعض جوانبها بارزاً ظاهراً عن الماء مع مافي طبعه من الإحاطة بها . وصيّرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط. وذلك لا يستدعي كونها مسطحة؛ لأن كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأ بى الافتراش عليها.

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ قبة مضروبة عليكم . والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم . وقيل: جمع سماء ة . والبناء مصدر. سمي به المبنى بيتاً كان أو قبة أو خباء . ومنه بنى على امرأته. لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباءً جديداً.

قوله:فقد جعلت:أي صا رت، و"الأكوار"جمع"كور"وهوالقطيع الضخم من الإ بِل.

قوله:والتصيير يكو ن تارة با لفعل: التصيير الفعلي مثل "جعلت الفضة خاتماً" و"جعلت زيداً أميراً" أي قلت أنه أمير. والاعتقا دي مثل "جعلت زيداً عالماً" أي اعتقدت أنه عا لم .

قوله:مع ما في طبعه من الاحا طة:لأن الأ رض ثقيل مطلق ينحو جميع حر كته إلى نفس المر كز بحيث ينطبق مر كزه على مر كز العالم. والما ء ثقيل مضا ف لا ينحو إلى نفس المر كز لكن يكو ن أميل إليه من بقية العناصر وكان حقه لبساطته أن يحيط با لأرض إلاأنه لماحصل في بعض جوانبها تلال ووهاد بسبب الأ وضاع الفلكية سال الما ء با لطبع إلى الأغوار وانكشفت المو اضع المرتفعة ذلك حكمة من الله تعالىٰ ليكو ن مسكنا للحيوا نات المتنفسة .

قوله: لا تـأ بى الا فترا ش عليها: لأ ن سطوح الأ جسام ليست بمستو ية حتى تماس كرة الأ رض با لنقطة فينا في الا فتراش على أن الأ رض ليست بكرةحقيقة لما فيها من الجبال والو ها د.

قوله: بيتاً كان أوقبة أوخباءً: قا ل الجو هري: الخباء: واحد الأخبية من وبر أو صوف من شعر، وهو على عمودين أوثلثة ، وما فوق ذلك فهو بيت. والقبة معروف فيكو ن من نبات وغيره .

قوله:ومنه بنٰى على إمر أته: قا ل في النها ية :البنا ء: الدخو ل با لزوجة ،الأ صل فيه أن الرجل كا ن إذا تزوج إمرأة يبني عليها قبة ليدخل بها فيها.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ عطف على "جعل". وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته، ولكن جعل الماء المزوج بالتراب سبباً في إخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان. بأن أجرى عادته بإضافات صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما، أو أبدع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار، وهو قادر على أن يوجد الأشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشائها مدرجاً من حال إلى حال صنائع وحكم يجدد فيها لأُولي الأبصار عبراً وسكوناً إلى عظيم قدرته ليس في إيجادها دفعة. و" من" الأولى للابتداء سواء أريد بالسماء السحاب فإن ما علاك سماء، أو الفلك فان المطر يبتدئ من السماء إلى السحاب ومنه إلى الأرض على ما دلت عليه الظواهر،أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى جو الهواء فتنعقد سحاباً ماطراً و"من" الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ﴾[٣٥.الفاطر:٢٧] واكتناف المنكرين له أعني ماء ورزقاً كأنه قال: وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم . وهكذا الواقع إذ لم ينزل من السماء الماء كله. ولا أخرج بالمطر كل الثمرات. ولا جعل كل المرزوق ثماراً ،أو للتبيين. و"رزقاً" مفعول بمعنى

قوله: بأن أجرى عادته بإفاضات صورها وكيفياتها:يعني عادته تعالىٰ جرت بأن المادة إذا استعدت بالكيفيات المتعاقبة أفاض عليها صوراً نوعية حتى تصير الأشياء بالفعل.

قوله: أو من أسباب سماوية :يعني أن شعاع الشمس يقع على الأرض الرطبة فيصعدأجزاء هوائية تمازجها أجزاء صغارمائية لا يتميز عنها في الحس من غاية الصغر، وهي البخارإلى الطبقة الزمهريرية التي ينقطع عنها تأثير شعاع الشمس بالانعكاس لكونها بعيدة عن الأرض فتبقى تلك باردة ، فإذا بلغ البخارالصاعد إليها تكاثف بسبب البرد ناره لم يكن البرد قوياً اجتمع ذلك البخارالمتكاثف وتقاطرللثقل الحاصل من التكاثف، فالمجتمع هوالسحاب والمتقاطر المطر.

قوله:ولاجعل كل المرزوق ثماراً: لأن بعض المرزوق من غير الثمر.

المرزوق كقولك: أنفقت من الدراهم ألفاً . وإنما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة؛ لأنه أراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك: أدركت ثمرة بستانه. ويؤ يده قراء ة من قرأ: من الثمرة على التوحيد ،أو لأن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى:﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٤٤.الداخان:٢٥] وقوله﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [٢.البقرة:٢٢٨] أو لأنها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة،و"لكم" صفة رزقاً إن أريد به المرزوق، ومفعوله إن أريد به المصدر، كأنه قال: رزقاً إياكم.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لله انداداً﴾ متعلق بـ"اعبدوا" على أنه نهي معطوف عليه ،أو نفي منصوب بإضمار" أن" جواب له، أو بـ"لعل" على أن نصب "تجعلوا" نصب فاطلع في قوله تعالى ﴿ لعلي أَبْلَغُ الْأسبابَ أَسْبابَ السَّمواتِ فأَطَّلعَ﴾[غافر.٣٧] إلحاقاً لها بالأشياء الستة لا شتراكها في أنها غير موجبة . والمعنى: إن تتقوا فلا تجعلو لله أندادًا، أوبالذي جعللكم .إن استأنفت به على أنه نهي وقع خبراً على تأويل مقول فيه: لا تجعلوا . والفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط. والمعنى: أن من خصكم بهذه النعم الجسام والآيا ت العظام ينبغي أن لا يُشْرَكَ به . والند :المثل المناوي . قال جرير:

أتيماً تَجْعلونَ إِليَّ نِدّاً   وما تيمٌ لِذي حَسَبٍ نَدِيدُ

قوله: وإنما ساغ .جواب سوال: وهو أنه يقال الثمرة المخرج بماء السماء كثير فلم قيل: الثمرات بصيغة جمع القلة دون الثمر والثمار بصيغة جمع الكثرة. تقرير الجواب أنه أراد أن مفرد الثمرات الثمرة التى يراد بها الثمار، فالثمارمشتملة على أفراد. كل فرد منها ثمار كما في قولك: أدركت ثمرة بستانه والمراد ثماره. فإذن يفيد الثمرات من الكثرة مالايفيد الثمار وإن كان جمع قلة ، أو هي واقعة موقع جمع الكثرة كما فى قوله:﴿ كم تركوا من جنات﴾ لأن "كم" للتكثير، كما يقع جمع الكثرة موقع جمع القلة مثل ثلثة قروء، فإن مميز ثلثة لايكون إلا جمع قلة،أو يقال: إن الصحيح إنما يكون للقلة إذا لم يعرف باللام.

قوله: متعلق بـ"أعبدوا": أي مرتبط على معنى إن كنتم مامورين بعبادة ربكم وهو يستحق منكم العبادة وأساسها هو التوحيد.

قوله: أو بالذي: يعني أو متعلق بقوله:﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشا﴾ إن جعل مبتدأ على أنه نهي واقع خبرًا على تاويل مقوله فيه؛ لأن الإنشاء لايقع خبرًا.

قوله:أتيمًا تجعلون إليّ نداً:جعل ههنا من دواخل المبتداء والخبر والمعنى أتجعلون

من نديند ندوداً: إذا نفر. ونAددت الرجل خالفته ، خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل في القدر. وتسمية ما يعبده المشركين من دون الله أنداداً ، وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته، ولا أنها تخالفه في أفعاله ؛لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أنه تدفع عنهم بأس الله، وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير، فتهكم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا أنداداً لمن يمتنع أن يكون له ند. ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل :

أَرَبّاً واحِداً أَمْ أَلفُ رَبٍّ أَدِينُ إِذا تقسَّمتِ الأمورُ

تركت اللاتَ والعزّى جميعاً كذلك يَفْعلُ الرجُلُ البصيرُ

﴿ وَأَنْتُـمْ تَـعْلَمُوْنَ[٢٢]﴾ حال من ضمير" فلا تجعلوا" ومفعول" تعلمون" مطروح . أي وحالكم أنكم من أهل العلم والنظر و إصابة الرأي ، فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات ،أو منوي وهو أنها لا تماثله ولا تقدرعلى مثل ما يفعله كقوله سبحانه وتعالى:﴿ هل من شركائكم من يفعل من ذلك من شيء﴾ [٣٠.الروم: ٤٠] وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب، لا تقييد الحكم وقصره عليه ؛ فإن العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف.

تيمًا ندًا منضمًا إليّ وهو لا يصلح ندًا لمن هو دوني فقوله:" إليّ"حال من "نداً" بمعني مضموماً إليّ، والنديد: الندّ.

قوله: أرباً واحداً:في الأساس:دانوله: انقادوه، يقول:أي إذا تفرقت الأمور وتقسمت وفوض إليّ الاجتهاد والاختيار أختارربًا واحداً أم ألف رب:أي أختارربًا واحداً من الف رب وتركت اللّات والعزي وغيرهما من الأرباب.

قوله: مطروح: أي منزل منزلة اللازم.

قوله: وعلى هذا: يعني على ماذكرنا من الوجهين: أي تعلمون منزل بمنزلة اللازم أومفعول تعلمون منوي، فالمقصود التوبيخ لاتقييد الحكم. أماعلى الأول فلا يتصور تقييد الحكم؛لأنه جميع المامورين من أهل العلم لا بعضهم حتي تفيد التقييد.وأماعلى الثاني فالتقييد وإن كان يفيد إلا أنه ليس بمقصود، وإنما المقصود التوبيخ ولهذا تعرض الثاني حيث قال: العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء.

واعلم أن مضمون الآيتين: هو الأمر بعبادة الله سبحانه وتعالى، والنهي عن الإشراك به تعالى، والإشارة إلى ما هو العلة والمقتضىٰ. وبيانه أنه رتب الأمر بالعبادة على صفه الربوبية إشعارًا بأنها العلة لوجوبها، ثم بين ربوبيته بأنه تعالى خالقهم، وخالق أصولهم، وما يحتاجون إليه في معاشهم من المقلة والمظلمة والمطاعم والملابس؛فإن الثمرة أعم من المطعوم، والرزق أعم من المأكول والمشروب. ثم لما كا نت هذه الأمور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته تعالى رتب تعالى عليها النهي عن الإشراك به ولعله سبحانه أراد من الآية الأخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الإشارة إلى تفصيل خلق الإنسان وما أفاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل. فمثل البدن بالارض، والنفس بالسماء، و العقل بالماء، وما أفاض تعالىٰ عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس، وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والأرضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار؛ فإن لكل آية ظهراً وبطناً ولكل حد مطلعاً.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ لمّا قرروحدانيته تعالى وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ذكر عقيبه هو الحجة على نبوة محمد صلى الله تعالىٰ عليه وسلم، وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطق وإفحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وإفراطهم في المضادة والمضارة، وتها لكهم على المعازة والمعارة، وعرف ما يتعرف به إعجازه ويتقين أنه من عند الله كما يدعيه . وإنما قال ﴿ مما نزلنا﴾ لأن نزوله نجماً فنجماً بحسب الوقائع

قوله: بذ ت: أي غلبت، ومنطق: مبالغة النطق. والمضادة: المعاداة. والمضارة: إيصال الضرر. والمصاقع: جمع مصقع من صقع الديك إذا صاح، ويقال: خطيب مصقع أي فلاح مجهر بخطبته. والمعازة :الغالية. والمعارة: إدخال المكروه.

قوله: وإنما قال ممانزلنا: جواب سوال وهو أن يقال: لم قيل: نزلنا على لفظ التنزيل دون الإنزال؟ وتقرير الجواب أن نزوله نجمًا فنجمًا بحسب الوقائع يوقعهم في الشبه، وذلك أنهم كانوا يقولون: لوكان هذا من عندالله لم ينزل هكذا نجومًا على سنن مانري عليه أهل الشعر والخطابة من وجود مايوجد منهم مفرقًاحينًا فحينًا وشيئاً فشيئاً حسب مايعن لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة، فلو أنزل الله لأنزله خلاف

علـى مـا نـرى عـليه أهل الشعر والخطابة مما يريبهـم كما حكى الله عنهم فقال: ﴿وَقَالَ الـذيـنَ كَـفَـرُوْا لـو لَا نُـزِّلَ عَـلَيـهِ الـقرآن جملةً واحدَةً﴾ [٢٥.الفرقان: ٣٢] فكان الواجب تـحـديهـم عـلـى هـذا الـوجه إزاحة للشبهة وإلزاماً للحجة ، وأضاف العبد إلى نفسه تعالى تـنـويهـاً بذكره، وتنبيهاً على أنه مختص به منقاد لحكمه تعالى. وقرئ عبادنا: يريد محمداً ﷺ وأمته. والسورة: الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات. وهي إن جعلت واوهـا أصـلية مـنـقولة من سور المدينة ؛لأنها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيـا لهـا، أو محتوية على أنواع من العلم احتواء سورالمدينة على مافيها، أو من السورة التي هي الرتبة . قال النابغة:

وَلرهْطِ حرابٍ وَقَدٍّ سُوْرةٌ في المجدِ ليسَ غرابُها بمطاَرِ

لأن السـورَ كـالـمـنـازل والـمـراتـب يتـرقى فيها القارئ ، أولها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراء ة .وإن جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التيهي البـقية والـقـطـعة مـن الشـيء . والـحكمة في تقطيع القرآن سوراً إفراد الأنواع ، وتلا حق الأشكال ، وتـجـاوب الـنـظم ، وتنشيط القارئ ، وتسهيل الحفظ ، والترغيب فيه؛ فإنه إذا ختـم سـورـة نـفـس ذلك منه كالمسافر إذا علم أنه قطع ميلاً أو طوى بريداً ، والحافظ متى حـذقهـا اعتـقـد أنه أخذ من القرآن حظاً تاماً، وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها، فعظم ذلك عنده وابتهج به إلى غير ذلك من الفوائد.

هـذه الـعادةجـمـلة واحـدـة قال الله: ﴿وقـال الـذيـن كـفـروا لـو لاأنـزل عليـه القرآن جملة واحدة﴾فالواجب دفع متحد يهم على هذا الوجه الذي أوقعهم في الشك فقيل :إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على تدريج فهاتوا أنتم نجمًا فردًا من نجومه سورة من أصغر السور.

قوله: المترجمة الخ: المسماة باسم خاص كسورة البقرة وسورة الإخلاص .

قوله :لـرهط حراب وقد:هما بالراء والدال المهملتين رجلان من بني أسد .قال في الأساس: هذه أرض لايطير غرا بها: أي كثيرة الثمار مخصبة، ثم أنشد البيت وقال:أي هو مـجـد ثـابـت لايـزول. وقيل: هو كناية عن العلو بمعنى أن الغراب لايصل إليها حتى يطار، فإن الإشارة لاتصل إلى غرا بها حتي يطار مع أنه يطير بادنٰى ريبة.

قوله: وتـلاحق الإشكال: بأن يورد فى كل ماهي متناسفة فيكون المعاني متناسبة وأطراف النظم متجاوية.

﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ صفة سورة: أي بسورة كـائنة من مثله. والضمير لـ"ما نزلنا". و"من" لـلتبـعيـض أو لـلتبيين، وزائـدة عند الأخفش: أي بسورة مماثلة للقرآن العظيم في البلاغة وحسـن الـنظم ،أو لعبدنا. و"من" للابتداء: أي بسورة كائنة ممن هوعلى حاله عليه الصلاة والسلام من كونه بشراً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم ،أو صلة "فائتوا" والضمير للعبد صـلى الله عليه وسلم، والرد إلى المنزل أوجه؛ لأنه المطابق لقوله تعالى:﴿ فائتوا بِسُورةٍ مِّنْ مِثْلِهِ﴾[٢ .البقرة:٢٣] ولسائر آيات التحدي ، ولأن الكلام فيه لا في المنزل عليه فَحَقه أن لا ينفكَ عنه ليتسـق التـرتيـب والـنظم، ولأن مخاطبة الجم الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به أحـد مـن أبـناء جلدتهم أبلغ في التحدي من أن يقال لهم : ليأت بنحو ما أوتي به هذا آخر مثلـه، ولأنـه مـعـجز في نفسه لا بالنسبة إليه لقوله تعالى:﴿قُلْ لَئِنِ اجْتِمَعتِ الإِنْسُ والْجِنُّ عَـلَـى أنْ يَّأتُوا بمثل هذا القرآنِ لا يأتونَ بِمِثْلِهِ﴾[١٧ . اسرائيل: ٨٨]، ولأن رده إلى عبدنا يوهم إمكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله تعالى:

﴿وَادْعُوا شُهَدَاء كُمْ مِن دُونِ اللهِ﴾ فإنه أمر بأن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم . والشهـداء: جـمـع شهيـد بـمـعـنـى الـحـاضـر، أو الـقـائم بالشهادة، أو الناصر،أو الإمام . وكأنه

قوله: أو صـلة فـأتو والضمير أوالتمييز للعبد :أي متعلقه، وههنا سوال مشهور وهو أنـه مـاوجـه التـخصيص، لم لايجوز على هذا التقدير أيضًا أن يكون الضمير لما نزلنا؛ كما جـاز عـلى تقدير كون من مثله صفة سورة ؟.وأجيب بأن هذا أمر تعجيز باعتبار الماتي به. والـذوق شـاهـد بـأن مـن مثـله بالإتيان يقتضي وجود المثل ورجوع العجزإلى أن يوتٰي منه بشـيء. ومثـل النبي عليه السلام في البشرية والعربية والأمية موجود بخلاف مثل القرآن في البـلاغة والـفـصاحة. وأما إذاكان صفة للسورة فالمعجوز عنه هوالإتيان بالسورة الموصوفة ولايـقتضي وجود المثل بل ربما يقتضى انتفاؤه حيث تعلق بأمر التعجير. وحاصله: إن قولنا من مثل الحماسة بيت يقتضي وجود المثل بخلاف قولنايبين من مثل أبت الحماسة .

قوله: فحقه أنه لاينفك عنه: بردّ الضمير إلى غيره .

قوله: ممن لم يكن على صفته: بل يكون زائداً عليه فى العلم والفضل.

قوله : فـإنـه أمـر بأن يستعينوا بكل من ينصرهـم ويعينهـم: والظاهرأن هذا إنما يلزم الإتيان بالسورة بمعاونة الشهداء لايكون إتياناً بماطلب منهم إذ الإتيان من واحد.

سمي به ؛لأنه يحضر النوادي وتُبرَم بمحضره الأمور؛ إذ التركيب للحضور، إما بالذات أو بالتصور. ومنه قيل للمقتول في سبيل الله: شهيد؛ لأنه حضر ما كان يرجوه ،أو الملائكة حضروه. ومعنى" دون" أدنى مكان من الشيء. ومنه تدوين الكتب؛ لأنه إدناء البعض من البعض . ودونك هذا: أي خذه من أدنى مكان منك . ثم استعير للرُتب فقيل : زيد دون عمر و: أي في الشرف . ومنه الشيء الدون . ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي أمر إلى آخر. قال تعالى: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤمنونَ الكافِرينَ أولياءً مِّنْ دونِ الـمُؤمنين﴾ [٣. آل عمران:٢٨] أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين . قال أمية:

يانفسُ مالَكِ دونَ اللهِ مِنْ وَّاقِ

أي إذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره و"من" متعلقة بـ"ادعوا" والمعنى: وادعوا للمعارضة من حضركم، أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غيرَ الله سبحانه وتعالى؛ فإنه لا يقدر على أن يأتي بمثله إلا الله ، أو وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أُتيتُم به مثله، ولا تستشهدوا بالله فإنه من ديدن المبهوت العاجز عن إقامة الحجة، أو بشهدائكم الذين اتخذتموهم من دون الله أولياء وآلهة. وزعمتم أنها

قوله: إما با لذ ات: فكما في المخلو قا ت، وإما في التصور، فكما في الخا لق.

قوله: يانفس ما لك الخ : ولا للسمع بنا ت الدهر من راق: أي ليس لحوادث الدهر من راق غيره ير قيه. فاطلب الوقاية والر قي من عنده.

قوله: من حضر كم أو رجو تم معونته الخ . إشا رة إلى أن شهداء على الوجهين الأولين بمعنى الحا ضر والنا صر بخلاف الوجوه الأُخر فإنه بمعنى القائم بالشهادة .

قوله: أ وادعوا من دون الله شهداء: يعني أدعوا شهداء كم من الناس فصححوادعواكم ولاتقتصروا علىٰ قولكم: اللهيشهد أن مايدعيه حق، كما هوعادةالمتحير العاجزعن إقامة البينة .

قوله: أوبشهداء كم الذين اتخذتموه إلخ: فعلى هٰذا الوجهين الأخيرين يكون كلمة "من" متعلقة بشهداء كماصرح به فى الكشاف.ويشعر به قو له: وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامةأي إنكم على الحق، وقوله: أو الذين يشهدون بين يدي الله تعالىٰ، فعلى هٰذا يحمل كلام المصنف على التقدير والحذف بعد قوله "من" متعلقة بـ"ادعوا" كما

تشهد لكم يوم القيامة، أو الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى على زعمكم من قول الأعشى:

تُرِيكَ القَذَى مِنْ دونها وهي دُونَهُ

ليعينوكم، وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن العزيز غاية التبكيت والتهكم بهم. وقيل: من دون الله أي من دون أوليائه: يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم أن ما أوتيتم به مثله، فان العاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بصحة ما اتضح فساده وبَانَ اختلاله.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْن[٢٣]﴾ أنه من كلام البشر، وجوابه محذوف دل عليه ما قبله. والصدق: الإخبار المطابق. وقيل: مع اعتقاد المخبر أنه كذلك عن دلالة أو أمارة؛ لأنه تعالى كذب المنافقين في قولهم: إنك لرسول الله. لما لم يعتقدوا مطابقته. ورد بصرف التكذيب إلى قولهم نشهد؛ لأن الشهادة إخبار عما علمه وهم ماكانوا عالمين به.

في الكشاف بقرينة ما بعده. والتقدير من متعلقة بـ"ادعوا" أو بـ"شهدائكم" فعلى الأولين بأدعوا وعلى الأخيرين بشهدائكم، هٰذا على ما في بعض النسخ. وأما على النسخ الأخر وهو قوله: أو بشهدائكم، والمعنى ادعوا الذين اتخذتموهم إلخ، فلا يحمل على الحذف والتقدير.

قوله: تريك القذي: آخره: إذا ذاقها من ذاقها يتمطق. يصف الزجاجة وصفاء الخمر فيقول: يريك الخمر في الزجاجة القذي من قدامها وهي قدام القذي، والقذي شيء حقير يقع في العين و يتمطق: يمص شفته.

قوله: وقيل من دون الله: أي من دون أوليائه. فإن قيل: لا وجه للتعبير عن هذا الوجه بـ"قيل" مع أنه مذكور في الكشاف كالوجه السابق؟ قلنا: لعله أشار بذلك إلى ضعفه. وقيل: بمعنى ذكر واذلك أنه لا حاجة إلى تقدير المضاف؛ لأن من دون الله يحتمل هذا المعني بدون تقدير المضاف.

قوله: مع اعتقاد المخبر: بأنه مطابق حال كون ذلك الاعتقاد ناشياً عن دليل قطعي أو عن دليل ظني.

قوله: ورد بصرف التكذيب إلى قولهم نشهد: أي باعتبار الخبر الضمني وهو أن شهادتنا عن علم وصميم قلب يشعر بذلك.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ التي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ﴾ لمّا بين لهم ما يتعرفون به أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به . وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له. وهو أنكم إذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعاً عن الإيتان بما يساويه أو يدانيه ظهر أنه معجز والتصديق به واجب، فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب، فعبر عن الإتيان المكيف بالفعل الذي يعم الإتيان به وغيره ايجازاً . ونزل لا زم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريراً للمكنى عنه ، وتهويلاً لشأن العناد، وتصريحاً بالوعيد مع الإيجا ز. وصدّر الشرطية بـ"إن" التي للشك والحال يقتضي "إذا" الذي للوجوب . فإن القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكاً في عجزهم ولذلك نفى إتيانهم معترضاً بين الشرط والجزاء تهكماً بهم أوخطاباً معهم على حسب ظنهم . فإن العجز قبل التأمل لم يكن

قوله: أمر الرسول ﷺ وأمر ماجاء به: أي أنزل عليه من كونهما صادقين وإنه رسول من عندالله وما جاء به منزلا من عندالله لا كلام البشر وهذامعنى قوله: وتميز به الحق عن الباطل .

قوله: فعبر عن الإتيان المكيف: أي عبر عنه قوله فإن لم تاتوا بسورة من مثله وإن تاتواسورة من مثله بالفعل للإيجاب لأن الاتيان فعل من الأفعال وحذف مفعول فعل كثيردون "أتى" .

قوله: ونزل لازم الجزاء: أراد أن تقدير الكلام هكذا فإن لم تفعلوا الإتيان بمثل القرآن فاتركوا العناد وآمنوا فوضع فاتقوا النارالتي هو لازم ترك العناد، موضع ترك العناد علىٰ سبيل الكناية تقريرًا للمكنيه عنه، لأن الكناية أبلغ لأنها إثبات الشيء بالدليل وتهويلاً لشان العناد بإقامة النار مقامه بناء عليه إنابة اتقاء النار مناب ترك العناد وإبراز صورة ترك العناد في صورة اتقاء النار وإنما كان أصل الكلام هكذا، لأن من حق الشرط أن يكون سببًا للجزاء وملزوماً له وليس عدم الإتيان بالسورة سببًا لاتقاء النار ولا ملزومًا له فلا يقع جزاء له.

قوله: للوجوب: اي للثبوت وتحقق الوقوع .

قوله : ولذلك نفي إتيانهم معترضًا بين الشرط والجزاء حيث قال: ولن تفعلوا،وهي جملة معترضة .

قوله: تهكمًا بهم وخطابًا: يعني أن الله سبحانه أورد كلمة الشك لا لأجل بأنه شاك بل لأجل أنه يتهكم بهم بأن هذا المقطوع به يشكون فيه مع أنه ليس محلاً للشك أويخاطب بهم على حسب شكهم فإن الشك كما يعتبر من جهة المتكلم يعتبر من جهة المخاطب أيضًا.

محققاً عندهم . و "تفعلوا": جزم بـ"لم"؛ لأنها واجبة الإعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول، ولأنهالما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه ، وحرف الشرط كالداخل على المجموع ، فكأنه قال: فإن تركتم الفعل، ولذلك ساغ اجتماعهما. و"لن" كـ"لا" في نفي المستقبل غير أنه أبلغ . وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في إحدى الروايتين عنه، وفي الرواية الأخرى أصله "لا أن". وعند الفراء "لا "فأبدلت ألفها نوناً . والوقود بالفتح ما توقد به النا ر، وبالضم المصدر، وقد جاء المصدر بالفتح. وقال سيبويه: وسمعنا من يقول وقدت النار وَقوداً عالياً ، والاسم بالضم، ولعله مصدر سمي به كما قيل: فلان فخر قومه وزين بلده . وقد قرئ به الظاهر أن المراد به الاسم. وإن أريد به المصدر فعلى حذف مضاف: أي وقودها احتراق الناس. والحجارة: وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل. وهو قليل غير

قوله: وتفعلوا: جزم بـ"لم". اتفقوا على أن لا يعمل من الحرفين المتنازعين إن اتفقا عملا إلا أحدهمابإلغاء الآخر أيّاً كان، فالمصنف رجح إعمال "لم" وجزم به لوجهين: أحدهما أنها واجبة العمل غيرملغاة أصلاً بخلاف"إن" فإنه قد يلغى إذا دخل على الماضي ومختصة بالمضارع بخلاف "إن" فإنه يدخل على الماضي أيضًا ومتصلة به، وجميع ذلك يوجب الرجحان والجزم بإعماله. وثانيهماإنّ"لم" لما صيرت المضارع بمعنى الماضي كحرف المضارعة التي هي جزء منه صيرت الماضي بمعنى المضارع صارت كالجزء منه، وحرف الشرط كالداخل على المجموع، فكأنه لم يدخل المضارع فلا يعمل فيه، فلذلك جازاجتماعهما وإلا فالأصل أن لايجتمع الحرفان المتجانسان .

قوله: غيرأنه أبلغ: لأنها لتأكيد النفي أو لتابيده على اختلاف القولين.

قوله: وهو حرف مقتضب :أي مر تجل غير منقول عن أصل، قال الجوهري: اقتضبته: اقتطعته من الشيء، واقتضاب الكلام ارتجاله، تقول: هذا شعر مقتضب وكتاب مقتضب.

قوله: ولعله مصدر سمي به: يعني أريد به ما يوقد به كما في قوله: فلان فخر قومه وزين بلده بمعنى ما يفتخرون به ويزينون به قولهم بمكانتهم كناية عن مرتبتهم: لأن الشافع إنما يدفع عن المشفوع بمكانته ومنزلته عند من يشفع له أوكناية عن قوتهم وشوكتهم .

منقاس ، والمراد بها الأصنام التي نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعاً في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتها. ويدل عليه قوله تعالى﴿ إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٢١.الأنبياء: ٩٨] عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه، أو بنقيض ماكانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم . وقيل:الذهب والفضة التي كانوا يكنزونهما ويغترون بهما . وعلى هذا لم يكن لتخصيص إعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه . وقيل: حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل، وإبطال للمقصود؛ إذ الغرض تهويل شأنها، وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها. والكبريت تتقد به كل نار وإن ضعفت. فإن صح هذا عن أبن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما فلعله عني به أن الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران. ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم﴿نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[٦٦. التحريم:٦] وسمعوه صح تعريف النار، ووقوع الجملة صلة، فإنها يجب أن تكون قصة معلومة.

﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ[٢٤]﴾ هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم . وقرئ: اعتدت من العتاد بمعنى العدة. والجملة استيناف ،أو حال بإضمار" قد" من النار لامن الضمير الذي في "وقودها". وإن جعلته مصدراً للفصل بينهما بالخبر. وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه:

قوله : فإن صح هذا عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما: أورد صاحب الكشاف هذا الوجه نقلاً عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما، وروي عن محي السنة رضي اللّٰه تعالى عنهما أيضًا وأكثر المفسرين على ذلك، وقالوا: لأنها أكثر التهابًا وهو دليل عظم النار، والمصنف رحمه اللّٰه تعالى تردد في صحة النقل فقال على تقدير صحة نقله عنه رضي اللّٰه تعالى عنهما . فالمراد الأحجار كلها وعبرعنها بالكبريت تنبيهاً على أنها لتلك النار كالكبريت لسائر النيران؛ إذ لا وجه لتقييده بالكبريت .

قوله: والجملة استيناف أوحال: والمعنى اتقوا من النارالمكيف حال كون تلك النارأعدت للكافرين وأنتم كافرون فأعدت لكم أيضًا. وهذا معنى الاستيناف أيضًا، والظاهر أن كلا من هذين الوجهين ألصق بسوق الآية فلا معنى لنفي حسنه واختيارأنه صلة بعد صلة كما في الخبر والصفة.

قوله: لامن الضمير الذي في" وقودها": على تقدير أن يكون اسما؛إذ لاعامل في

الأول: ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد، وتعليق الوعيد على عدم الإتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن. ثم إنهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته، والتجؤوا إلى جلاء الوطن وبذل المهج.

والثاني: أنهما يتضمنان الإخبار على الغيب على موهو به؛ فإنهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه أكثر من الذابين عنه في كل عصر.

والثالث: أنه صلى الله عليه وسلم لو شك في أمره لما دعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته. وقوله تعالى: ﴿أعدت للكافرين﴾ دل على أن النار مخلوقة معدة لهم الآن.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ عطف على الجملة السابقة. والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه على حال من كفر به، وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطاً لا كتساب ما ينجي، وتثبيطاً عن اقتراف ما يردي، لا عطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطلب له ما يشاكله من أمر أو نهي فيعطف عليه، أو على "فاتقوا"؛ لأنهم إذالم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر إعجازه. وإذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب، ومن آمن به استحق الثواب. وذلك يستدعي أن يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء.

الحال حينئذ، وعلى تقدير أن يكون مصدرًا لايتحد زمان الحال والعامل؛ لأن الإعداد كان حين خلق النار، وقدكان خلق النار سابقاً كما هو المذهب، وقالت المعتزلة: إن النار يخلق بعد الحشر.

قوله: والمقصود عطف حال من آمن: يعني أن هذا ليس من عطف الأمر بل من عطف مجموع القصة على القصة: أعني حال ثواب المؤمنين على التفصيل الذي يتضمنه الآية إلى قوله: ﴿هم فيها خالدون﴾ على حال عقاب الكافرين ووصفه. والجامع بينهما التضاد؛ لأنه نزل منزلة التناسب. وليس من عطف الأمر على الأمر لأنه لا يترتب "وبشر الذين آمنوا" على الشرط كما رتب عليه "فاتقوا" فلا يشاكله. ويجوزأن يكون معطوفاً على "فاتقوا" ووجه ربطه به وترتبه على الشرط أنَّ عدم الاتيان بالقرآن يستلزم ظهورإعجازه وصدق النبي عليه الصلاة والسلام المستلزم لاستيجاب العقاب لمن كفربه والثواب لمن آمن به.

وإنما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم. أو عالم كل عصر، أو كل أحد يقدر على البشارة بأن يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيماً لشأنهم، وإيذاناً بأنهم أحقاء بأن يبشروا ويهنأوا بما أعدلهم.

وقرئ وَبُشِّرَ على البناء للمفعول عطفاً على "أعدت" فيكون استئنافاً . والبشارة: الخبر السار فإنه يظهر أثر السرور في البَشْرة؛ ولذلك قال الفقهاء: البشارة هي الخبر الأول حتى لو قال الرجل لعبيده: من بشرني بقدوم ولدي فهوحر فأخبروه فرادى عتق أَوَّلُهُمْ . ولو قال : من أخبرني عتقوا جميعاً. وأما قوله تعالى ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾[٣.آلعمران:٢١] فعلى التهكم ،أو على طريقة قوله : تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ. والصالحات جمع صالحة، وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الأسماء كالحسنة. قال الحطيئة: كَيْفَ الهِجَاءُ وما تَنْفَكُّ صالحةٌ من آل لامٍ بِظُهْرِ الغَيْبِ تَأْتِينِي

قوله : وإنما أمر الرسول الخ . يعني أن مقتضي الظاهر أن يخاطب المؤمنين كمايخاطب الكفار ويقول: أبشروا أيها المؤمنون، إلا أنه لم يخاطبهم تفخيمًا لشأنهم؛ إذ لا فخامة في خطابهم مع خطابه الكفرة، وإيذانا بأنهم لعظم شأنهم وفخامة أمرهم أحقاء بأن يبشرهم مثل النبي عليه السلام، أو مثل علماء كل عصر، أوكل من يَقْدِرُ على الشان، فظهرأن قوله: تفخيماً لشأنهم الخ.علة لكل من أمرالرسول عليه الصلاة والسلام وأمر العلماء وأمر كل واحد، ولهذا جعله رحمه الله تعالى علةً لكل واحد منهما دون الوجه الأخير كما جعله صاحب الكشاف

قوله: وأما قوله:﴿ فبشرهم بعذاب أليم﴾ :فعلى التهكّم: أي على الاستعارة التهكمية. وهي الاستعارة التي استعملت في ضدّ معناها،أو نقيضه لتنزيل التضاد، أوالتناقض منزلة التناسب بواسطة تمدح أو تهكم، فالبشارة التي هي الإخبار بما يظهر سرور المخبر للإنذارالذي هو ضده بإدخاله في جنسها كما يقال: رأيت أسدًا، وأريد جبان، أو على أن يكون المراد نفي ما يبشرون به واثبات العذاب الأليم كما في البيت، فإن المراد نفي التحية عنهم وإثبات الضرب الوجيع بدَلها كما قيل: هل لفلان مال وولد؟ فتقول:ماله وبنوه سلامة قلبه، تريد نفي ماله وولده وإثبات سلامة قلبه مكانه،كذا نقل عنه .

قوله : من الصفات الغالبة: أي في بعض أفرادها تجري مجرى الأسماء لها بحيث يفهم بدون ذكر موصوفها كالذبيحة للشاة، والأسود للحية السوداء .

قوله: كيف الهجاء ماينفك :أي مايزال. والمظهر:مقحم. ولام: اسم رجل. بِظُهُر

وهـي مـن الأعـمـال مـا سـوغـه الشرع وحسنه. وتأنيثها على تأويل الخصلة ، أو الخلة. واللام فيها للجنس . وعـطف الـعمل على الإيمان مرتباً للحكم عليهما إشعاراً بأن السبـب فـي استـحـقـاق هـذه البشارة مجموع الأمرين والجمع بين الوصفين؛ فإن الإيمان الـذي هـو عبـارة عن التحقيق والتصديق أُسٌّ والعمل الصالح كالبناء عليه، ولا غناءَ بأُسٍ لا بـنـاء عليه؛ ولذلك قلّما ذكرا منفردين. وفيه دليل على أنها خارجة عن مسمى الإيمان ؛ إذ الأصل أن الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه .

﴿أن لهـم﴾ مـنصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل إليه، أو مجرور بإضماره مثل: اللّٰه لأفـعـلـن . والـجِـنّة: الـمـرة من الجن، وهو مصدرجنّه إذا ستره. ومدار التركيب على الستر. سمي بها الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمبالغة كأنه يستر ماتحته سترة واحدة

قال زهير: كأنَّ عَيني في غربي مقتلَة من النواضِحِ تَسْقي جنةً سُحُقا

الـغيـب:أي مـلتبسـا بالغيب حال. وياتيني:خبر ما يزال. كأنه قد نسب إلى الشاعر أنه هجا هذه القبيلة فانكره واعتذر وقال: كيف أهجوهم ومايزال الاحسان بالغيب ياتينى منهم.

قوله : والـلام فيهـا للجنس :والمراد جميع جنس ما يجب بالنظر إلى كل مكلف ويـليـق بـحاله، فيختلف باختلاف أحوال المكلف: الغني والفقير والسفر والإقامة والصحة والـمـرض وغيـر ذلك، فيجب الزكاة والحج على واحد دون أخر، ويجب على واحد إتمام الـصـلوة أو تنجيز الصوم دون آخر. فالمراد بالبشارة البشارة المطلقة يعني" بشرالذين آمنوا وآتـوا بـجـمـيـع مـا كـلـفـوا بـه بـدون الـتـقييد بمشية اللّٰه تعالى"وأما الذين آمنوا ولـم يعملوا الصالحات أصلاأوعملوا بعض الصالحات فبشارتهم بمشية اللّٰه تعالى إن شاء غفرلهم وإن شاء عذبهم بقدرذنوبهم ثم يدخلهم الجنة .

قوله: ولاغناء. الغناء: بفتح الغين المعجمة والمد الكفاية .

قوله: كأنه يستر ما تحته سترة واحدة: فكأنها لافرجان بينها.

قـوله: كـأنّ عيـنـي غـربـي: تثنية غـرب وهو أعظم من الدلو ومقتلة: أي مذللة: والـنـاضح الجمل الذييسقى عليها وجمعه النواضح . والمعنيأن عينيّ يكفان بالدموع كما يـكـفـان الـغربان. وإنما خص النواضح المذللة؛ لأنها تخرج الغرب وتنزعها من البيرملأى ماء بخلاف الصعبة فإنها تقر فتسيل الماء من نواحي الغرب. وجعل عينين في الغربين كناية لطيفة كان ماينتصب من الغربين بنصب من العينين .

أي نـخلاً طوالاً. ثم البستان لما فيه من الأشجار المتكاثفة المظللة، ثم دار الثواب لـمـا فيهـا مـن الـجنان. وقيل: سميت بذلك ؛لأنه سُتِر في الدنيا ما أعد فيها للبشر من أفنان الـنـعـم كـمـا قـال سبحـانـه وتـعـالـى ﴿فـلا تـعـلـم نـفـس مـا أخـفـي لهم من قـرة أعين﴾[٤١.السجدة:١٧] وجمعها وتنكيرها؛ لأن الـجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما سبع: جنة الفردوس، وجنة عدن، وجنة النعيم، ودار الخلد، وجنة المأوى، ودار السـلام، وَعِلِّيِيُّـون. وفـي كـل واحـدة مـنها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال والعمال. والـلا م في "لهم" تدل على استحقاقهم إياها ؛ لأجل ما يتوتب عليه من الإيمان والعمل الصالح، لا لذاته؛ فانه لا يكافىء النعم السابقة فضلاً عن أن يقتضي ثواباً وجـزاءً فيـما يستقبل بل بجعل الشار ع، ومقتضى وعده تعالى لاعلى الإطلاق بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى:﴿ ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كا فر فـأولـئك حبطت أعمالهم﴾ [٢. البقرة:٢١٧]وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ لئن أشـر كـت ليـحبـطن عملك﴾[٣٩. الزمر: ٦٥] وأشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد ههنااستغناء بها.

﴿ تـجـري مِـنْ تَـحْتِهَـا الأنْهـر﴾ أي مـن تحت أشجارها كما تراها جارية تحت الأشـجـار الـنـابتة عـلـى شواطئها وعن مسروق أنهار الجنة تجري في غير أخدود واللام في الأنهار للجنس كما في قولك لفلان. بستان في الماء الجاري،أو للعهد والمعهودهي الأنهار

قوله: وجـمـعهـا أو تنكيرها الخ. قال فيما نقل عنه: حاصله أن الجنة جنس تحته أنـواع مـختـلـفة، وأريـد منها جميع أنواعه. والجنس إذا قصد به الأنواع يجمع تنبيهًا على تعدد أنواعه كما ذكر في تفسير رب العالمين .

قوله: والـلام فـي"لهـم" تدل على استحقاقهم إياها الخ . يعني أن اللام تدل على استـحـقـاق مـدخوله وهو ههنا الضمير الراجع إلى "الذين آمنوا وعملوا الصالِحات" فيكون الاستـحـقـاق مرتبًا على الإيمان والعمل الصالح لكن لا لذاتها؛ لأنه ذاتهـما لا تقتضي ذلك فـإنهـا لاتـكـا فـي النعم السابقات بل لاجل التفضيل لما جرت العادة الالٰهية أنهم إذا آمنوا وعملوا الصَالحات تفضل عليهم بالجنان وغيرها من القرب في الدنيا والاخرة .

قوله : والـلام فـي الأنهار للجنس:يعني يحتمل أن يكون اللام فيه للجنس على ما هـو الـظـاهـر مـن الـجـريـان تحت الأشجار كما في قولك: لفلان بستان فيه الماء الجاري

الـمذكورة في قوله تعالى :﴿فيها أنهار من ماء غير آسن الأية﴾[٤٧. محمد: ١٥] . والنهر بـالـفتـح والسـكون :المجرى الواسع فوق الجدول ودو ن البحر كالنيل والفرات. والتركيب للسعة، والمراد بها ماؤها على الإضمار، أو المجاز، أو المجاري أنفسها. وإسناد الجري إليها مجا ز كما في قوله تعالىٰ ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها﴾[الزلزلة:٢] الآية.

﴿كُلَّمَا رُزِقُوامِنْهَا من ثمرة رزقا قَالُواْ هذاَ الَّذِي رُزِقْنَا﴾ صفة ثانية لجنات،أو خبر مبتدأ محذوف، أو جـمـلة مستـأنـفة كـأنـه لـما قيل:إن لهم جنات. وقع في خلد السامع أثـمـارهـا مثـل ثـمـار الـدنيا،أو أجناس أخر فأزيح بذلك، و"كلما" نصب على الظرف و" رزقـا" مـفعول به . و"مـن" الأولـى والثانية للابتداء واقـعتـان مـوقع الحال ، وأصل الكلام ومعناه. كل حين أومرة رزقوا مرزوقاً مبتدأ من الجنات مبتداً من ثمرة.

ويـحتـمـل أن يـكـون للعهد بقرينة ذكرالأنهار المخصوصة في قوله تعالى:﴿ فيها أنهار﴾. وأما الاستغراق فلا قرينة عليه على أنه لا يكون جميع الأنهار في الجنة.

قوله : أو المجاز: إطلاقا لاسم المحل على الحال.

قوله : وإسـنـاد الجري إليها مجاز: من قبيل إسناد الفعل إلى الظرف: أي تجري الماء في أنهارها كما في" أخرجت الأرض أثقالها": أي أخرج الله من الأرض أثقالها .

قوله: أو خبر مبتدأ محذوف: إظهاراً لبيان حال الجنات وإلا فاعتبار الضميرلغو.

قوله: ومِـن الأولـى والثانية للابتداء: إشارة إلى دفع ما يقال من قواعد النحو أنه لا يجوز تعلق حرفي جربمعنى بفعل واحد حيث لا يصلح الإبدال مثل مررت بزيد بعمر.وقال صاحب الكشاف في دفعه أن "رزقوا" جعل مطلقًا مبتدأ من ضمير الجنات، ثم جعل مقيدًا بـالابتـداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة، فتعلق الأول بالمطلق، والثاني بالمقيد. ووجهه العلامة التفتازاني بأن الظرفين لم يتعلقا بفعل بل تعلق الأول بالمطلق والثاني بالمقيد انتهى. وحـاصـله أن الظرفين لغوان تعلقا بـ"رز قوا" إلا أن الأول تعلق به حال الإطلاق والثاني بعد التقييد بالأول، ووجهه المصنف بأنهما ظرفان مستقران وقعا حالين متداخلين لالغوان حتى يـلـزم مـا ذكـر، فيـكون الرزق مقيدًا بكونه مبتدأ من الجنان، وابتداء ه منها مقيد بابتدائه من ثـمـرة. قيل: المشهورأن "من" الابتدائية والتبعيضية لغوان متعلقان بفعل تقيد بهما والتبيينية مستقرة حـال مـن فعل تقييد بها وجعل "من" للابتداء والتبعيض مستقراً تكلف. ويمكن أن يقال إن "من" التبعيضية إذا تقدم على النكرة جاز أن يكون أيضًا حالاعن النكرة، وأن أصل

قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات ، وابتدؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقاً، و صاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال . ويحتمل أن يكون من ثمرة . بياناً تقدم كما في قولك: رأيت منك أسداً ، وهذا إشارة إلى نوع مارزقوا كقولك مشيراً إلى نهرجار: هذا الماء لا ينقطع ؛ فإنك لا تغني به العين المشاهدة منه ، بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وإن كانت الإشارة إلى عينه. فالمعنى هذا مثل الذي رزقنا، ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك : أبو يوسف أبوحنيفة.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمرالجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس إليه أول ما ترى. فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غيره، ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه؛إذ لوكان جنساً لهم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك، أو في الجنة ؛لأن طعامها متشابه في الصورة كما حكى ابن كثير عن الحسن رضي الله عنهما: "أن أحدهم يؤتي بالصحفة فيأكل منها، ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك . فيقول الملك: كل فاللون واحد والطعم مختلف" أو كما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: " والذي نفس محمد بيده.إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فماهي بواصلة إلى فيه.

"من" التبعيضية ابتداء الغاية: قال الرضي: ومثال "من" التبعيضية أخذت من الدراهم، والمفعول الصريح لأخذت محذوف:أي أخذت شيئًا من الدراهم. وإذا لم يذكر المفعول أو ذكرته معرفًا نحو أخذت من الدراهم هذا، فـ"من" متعلق بأخذت لاغير.ولو ذكرت بعده المفعول المنكر نحو أخذت شيئًا من الدراهم. جازأن يكون الجار متعلقًا بالفعل المذكور، وأن يكون صفة لشيء متلعقا بمقدر :أي شيئًا كائنا من الدراهم، فيجوز إذا تقدم على النكرة أن يكون حالا من النكرة المؤخرة نحو "خذ من أموالهم صدقة". قال المبرد والزمخشري:إن أصل "من" التبعيضية ابتداء الغاية ؛لأن الدراهم في قولك :أخذت من الدراهم، مبتدأ للأخذ انتهى . وقال ابن قاسم في شرح الألفية: قال المبرد والأخفش الأصغر وابن السراج وطائفة من الحذاق والسهيلي: إن "من" إنما هي لابتداء الغاية وأن سائر المعاني راجع إلي هذا المعنى، وأنكروا التبعيض والبيان .هذا غاية ما يتكلف لتوجيه كلام المصنف على أنه لا بد من النقل لما ادعاه من الشهرة .

قوله: فيقول ذلك: أي هذا الذي رزقنا من قبل.

حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها" فلعلهم أذا رأوها على الهيئة الأولى قالوا ذلك . والأول أظهر لمحافظته على عموم "كلما" فإنه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم إلى ذلك فرط استغرابهم وتبحجهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة.

﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ اعتراض يقرر ذلك . والضمير على الأول راجع إلى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله تعالىٰ ﴿ هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ ونظيره قوله عز وجل﴿إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾أى بجنسي الغني والفقير. وعلى الثاني إلى الرزق . فان قيل :التشابه هو التماثل في الصفة، وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما" ليس في الجنة من أطعمة إلا الأسماء" قلت: التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون

قوله : فإنه يدل على ترد يدهم هذا القول كل مرة رزقوا: بخلاف الثاني والثالث؛ إذ لا يصح ذلك في المرة الأولى؛ إذ لم يرزقوا قبلها في الجنة، وأيضًا لفظ الحديث لايدل على ايتائهم الرزق كل مرة .

قوله :اعتراض يقرر:الأول المفهوم من قوله:﴿ هذا الذي رزقنا من قبل﴾: التشابه وهو مثل قولك: فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل، ورأي من الرأي كذا وكان صوابًا. هذا على قول من جوز الاعتراض في آخر الكلام والأكثرون يسمونه تذييلاً.

قوله: فإنه مدلول عليه بقوله: ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾ لأن المبتدأ أعني:هذا، إشارة إلى المرزوق في الآخر ة، والخبر أعني: الذي رزقنا، إلى المرزوق في الدنيا، وهما متحدان جنسًا، فأ فرد الضمير العائد إليهما نظراً إلى الوحدة الجنسية وصح جعله متشابهاً حالاً عنه نظراً إلى التعدد النوعي، وذلك أن التشابه يقتضي شيئين، وبه اندفع اشكال التدافع بين إفراد الضمير وإيقاعه متشابهاً حالاً عنه والنظير بقوله:﴿ إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ أنه ثني الضمير في 'بهما' مع أن المرجع المذكور أحد الأمرين أعني غنياً أو فقيراً نظراً إلى مادل عليه الكلام من تعدد الجنسين كما أنه جعل متشابهاً حالا عنه نظراً إلى ما دل عليه من تعدد النوعين .

قوله : وعلى الثاني إلى الرزق: لا يظهر تخصيص رجع الضمير إلى الرزق؛لأن ما رزقوا في الجنة أيضًا متعدد.

المقدار والطعم. وهو كاف في إطلاق التشابه. هذا : وإن للآية الكريمة محملاً آخر. وهو أن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها، فيحتمل أن يكون المراد من ﴿ هذا الذي رزقنا﴾ أنه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة. فيكون هذا في الوعد نظير قوله ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾[العنكبوت:٥٥] في الوعيد.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق ، فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال. وقرئ: مطهرات، وهما لغتان فصيحتان، يقال النساء فعلت وفعلن. وهن فاعلة وفواعل .

قال: وإِذا العَذَارى بالدّخَانِ تَقَنَّعَتْ واسْتَعْجلتْ نَصْبَ القُدورِ فملَّت

فالجمع على اللفظ، والإفراد على تأويل الجماعة ، ومطِّهِرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى مطهرة. ومطهرة أبلغ من طاهرة ومطهرة للإشعار بأن مطهراً طهر هن وليس هو إلا الله عز و جل . والزوج يقال للذكر والأنثى. وهو في الأصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف. فان قيل: فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع. وفائدة المنكوح

قوله: فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا أنه ثوابه: يعني أن المراد هذا ثواب الذي رزقنا من قبل وتشابه المعارف والطاعات وثوابهما باعتبار الفضيلة والمزية لا باعتبار الصورة والطعم كما في قوله تعالى:﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي عقابها.

قوله: وإذا العذاري :جمع العذراء، وهي البكر من النساء، واستعجلت نصب القدور:أي في نصب القدر، وملت أي ثبت في الجمر. يقال: مللت الخبز فى الجمر، يقول إذا كانت النساء مع فرط حيائهن صبرت على دخان حتى صار كالقناع لوجهها، ولم تصبر على إدراك القدور بعد نصبها فشوت في الملة قدرهاتعلل نفسها به من اللحم لاشتداد القحط . وجواب "إذا" في البيت الذى بعده وهو:دارة بأرزاق العفاة ومغالق بيدي من قمع العشار الجلة. المغالق: القداح من الميسر، والقمع: جمع قمعة وهي القطعة من السنام، والعشار: النوق الحوامل التي أتى لحملها تمام عشرة أشهر. والجملة منالإبل السمان :أي إذا اشتد القحط دارت القداح في الميسر بيدي لإقامة أرزاق الطلاب من أسنمة النوق الكبار الحوامل التي قرب وضع حملها وكل ذلك يظن بها.

قوله: ومطهرة أبلغ من طا هرة :إشارة إلى وجه العدول من طاهرة إلى مطهرة .

التوالد وحفظ النوع ، وهي مستغنى عنها في الجنة. قلت: مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها إنما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات ، وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل. ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدها.

﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ[٢٥]﴾ دائمون؛ والخلد والخلود في الأصل الثبات المديد دام أم لم يدم ؛ ولذلك قيل للأثافي والأحجار خوالد. وللجزء الذي يبقى من الإنسان على حاله ما دام حياً خلد، ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله تعالى: ﴿ خالدين فيها أبداً﴾ [النساء. ١٦٩] وآيات أخرى لغوًا. واستعماله حيث لادوام، كقولهم: وقف مخلد . يوجب اشتراكاً، أو مجازاً . والأصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للأعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كإطلاق الجسم على الإنسان مثل قوله تعالى: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾[الأنبياء. ٣٤] لكن المراد به ههنا الدوام عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن.

فإن قيل: الأبدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحلالات المؤدية إلى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان. قلت: إنه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بأن يجعل أجزاءها مثلاً متقاومة فى الكيفية متساوية في القوة

قوله: والخلد :قال صاحب الكشاف: الخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم لا ينقطع. وهذا مذهبه، واستدل به على خلود أهل الكبائر في النار، ولهذا عدل المصنف عنه ورد عليه قال: الخلد والخلود في الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم إلى آخر ما ذكره.

قوله : وللجزء الذي يبقى من الإنسان على حاله ما دام حياً: وهو القلب؛ لأنه إذا مرض القلب يموت الإنسان. قال الجوهري: الخلد بالتحريك القلب.

قوله: والأصل ينفيهما: لأنه لو وضعت الألفاظ المشتركة لاختل المقصود من الوضع، واللازم باطل. بيان الملازمة أن الفهم لا يحصل مع الاشتراك لخفاء القرائن، وأيضًا لو كان المجاز واقعاً لزم الاخلال بالتفاهم؛ إذ قد يخفي القرينة. والجواب عن الأول إنا لانسلم أن الفهم للتفصيل لايحصل مع القرائن؛ لأن المقصود يعرف بالقرا ئن مفصلا كما ترى، سلمناه لكن ليس المقصود التفاهم التفصيلي. وعن الثاني أنه لا يوجب امتناعه. غايته أنه استبعاد وهولا يعتبر مع القطع بالوقوع، نعم ربما يحصل به ظن في مقام التردد.

قوله : الاستحالة :وهي الانتقال من كيفية إلى كيفية.

لايقوى شيء منها على إحالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن.

هذا وأن قياس ذلك العالم وأحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة. واعلم أنه لما كان معظم اللذات الحسية مقصوراً على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء كان ملاك ذلك كله الدوام والثبات؛ فإن كل نعمة جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غيرصافية عن شوائب الألم بشر المؤمنين بها ومثل ما أعد لهم في الآخرة بأبهى ما يستلذبه منها ، وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كما لهم في التنعم والسرور.

﴿إِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً﴾ لما كانت الآيات السابقة منتضمنة لأنواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه، وما هو الحق له والشرط فيه. وهو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم ؛ لأن من طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة . ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت في عبارات

قوله: لما كانت الآيات السابقة متضمنة لأنواع من التمثيل: وذلك لأنه قوله: "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا" إلى أخرالآيات يشمل التشبيه التمثيل والتشبيه المفرق والتشبيه البليغ في "صم بكم "والاستعارة التبعية، والمراد بالتمثيل التشبيه مطلقًا سواء كان في المفرد أو المركب علىٰ وجه الاستعارة أو غيرها.

قوله: دون الممثل :أي لا على وفق الممثل .

قوله: فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل: كحال المنافقين يدركه العقل وينازعه الوهم، فإذا أبرز في صورة المحسوس أو شبه بحال المستوقد أو الصيب يقبله و يترك المنازعة مع العقل؛ لأن الوهم من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة: أي مشابهة المعقول بالمحسوس حتى يدرك؛ لأن الوهم يدرك المعاني الجزئية من المحسوسات ولا يدرك المعاني الكلية .

قوله: ولذلك:أي ولاجل أن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم .

البلغاء، وإشارات الحكماء. فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وإن كان الممثل أعظم من كل عظيم كما مثل في الإنجيل غل الصدور بالنخالة، والقلوب القاسية بالحصاة، ومخاطبة السفهاء بإثارة الزنابير. وجاء في كلام العرب: أسمع من قراد، وأطيش من فراشه، وأعز من مخ البعوض، لا ماقالت الجهلة من الكفار: لِمَا مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين؟ وأصحاب الصيب وعبادة الأصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت؟ وجعلها أقل من الذباب وأخس قدراً منه؟ الله سبحانه وتعالى أعلى وأجل من أن يضرب الأمثال ويذكر الذباب والعنكبوت، وأيضاً لِمَا أرشدهم إلى ما يدل على أن المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور أمره شَرَعَ في جواب ما طعنوا به فيه فقال تعالى:﴿إن الله لا يستحي﴾ أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يمثل بها لحقارتها. والحياء: انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم

قوله: بالنخالة :قال الجوهري: نخل الدقيق غربليته، والنخالة: ما يخرج منه، قال: لا تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم وتبقون الغلّ في صدوركم. والقلوب القاسية كالحصاة التي لا ينضجها النار ولا يلينها الماء. ومخاطبة السفهاءكإثارة الزنابير إذا تثيرونها تلدغكم كذلك السفهاء إذا تخاطبونهم يشتموكم. وأسمع من قراد، تزعم العرب أنه يسمع الهمس الخفي من وقع مناسمالإبل على مسيرة سبع ليال فيثور في العطن ويقصد الطريق فإذا رأته اللصوص لا تشك أن القافلة أقبلت. قال أبو زياد الأعرابي:ربمارحل الناس عن ديارهم بالبادية وتركوها فقارًا والقردان منتشرة في أعطان الإبل وأعقارالحياض، ثم لايعودون إليها عشر سنين، أوعشرين سنة ولايخلفهم فيها أحد من سواهم، ثم يرجعون إليها فيجدون القردان في تلك المواضع أحياء وقدحسنت بروائح الإبل قبل أن يوافق فتحركت. وأطيش من فراشه؛ لأنها تلقي نفسها في النار كذا في شرح الأمثال للميداني. والطيش: الخفة، والفراشة التي تطيروتهافت في السراج .وفي المثل: أطيش من فراشه كذا في الصحاح. وأعزمن مخ البعوض. قال الجوهري: عز الشيء يعز عزًا وعزازةً إذا قل لايكاد يوجد فهو عزيز.

قوله:وجعلها أي الأصنام أقل من الذباب:في قوله وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه.

المبالاة بها، والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً، واشتقاقه من الحياة فإنه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها فقيل: حيي الرجل كما يقال نسي وحشي إذا اعتلت نساه وحشاه وإذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث "إن الله يستحي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه. إن الله حي كريم يستحي إذا رفع العبد يديه إليه أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً" فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما أن المراد من رحمته وغضبه إصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنيهما . ونظيره قول من يصف إبلاً:

إذا ما استحينَ الماءَ يعْرِضُ نَفْسهُ كرَعنَ بسبْتٍ في إِنَاءٍ من الوَرْدِ

وإنما عدل به عن الترك .لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة

قوله: نساه وحشاه :النَسا بفتح النون والقصر عرق يخرج من الورك فيتبطن الفخذين ثم يمربالعرقوب حتى يبلغ الحافر. والحشا هو ما انضمت عليها الضلوع، والجمع أحشاء .

قوله: فالمراد به الترك اللازم للانقباض: لأن الله تعالى منزه عن الانقباض المستلزم للحدوث .

قوله: إذا ما استحين الماء: أصله استحيين فحذف إحدى اليائين لكثرة الاستعمال، والضميرللإبل، وكرع الماء يكرع كرعًا إذا تناوله بغية من موضعه. والسِبت بكسر السين جلود البقر المدبوغة بالقرظ. والمراد هنا مشا فرها للينها، وأرادبإناء الورد المنهل الذي على حافاته الورد يصف الإ بل وكثرة الماء والكلاء عندها وأنها لا تشرب عطشًا بل حياء من الماء حيث يعرض نفسه عليها .فذكر الاستحياء من الماء وأريد الشرب من العطش اللازم . وحاصله أنها شربت الماء لأجل الحياء من الماء لكثرة وروده عليها، كأنه تعرض نفسه عليها وتركت الشرب من العطش.

قوله: وإنما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة:أي الاستعارة التمثيلية وهي التشبيه في المصدر فيكون الاستعارة تبعية. وبه ظهرأن الاستعارة التمثيلية قد يكون لفظًا مفردًا إذا كان دالًا على معنى مركب ، وأما المبالغة فلما فيه من إبراز المعقول وهي حالة الترك في صورة المحسوس وهو الاستحياء. ويحتمل الآية خاصة دون الحديث والشعرأنه على سبيل المقابلة، وذلك أنه يجوز أن يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أمايستحي

أن يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة . وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم. وأصله وقع شيء على آخر. و"أَنْ" بصلتها مخفوض المحل عند الخليل بإضمار "من" منصوب بإفضاء الفعل إليه بعد حذفها عند سيبويه. و"ما" إبهامية تزيد للنكرة إبهاماً وشياعاً وتسد عنها طرق التقييد كقولك أعطني كتاباً ما: أي أيّ كتاب كان ، أومزيدة للتأكيد كالتي في قوله تعالى :﴿ فبما رحمة من الله﴾ ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع. فإن القرآن كله هدى وبيان، بل مالم يوضع لمعنى يراد منه. وإنما وضعت لأن تذكر مع غيرها فتفيد له وثاقةً

رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت؟ فجاء على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السوال كذا في الكشاف ، فالمراد بالمقابلة معناها اللغوي وهي المشاكلة، وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته لفظًا أو تقديراً. وذلك أن المقابلة في الاصطلاح أن يجمع بين شيئين متوافقين أوأكثر وبين ضديهما .فإن فيل: هب أن اثبات الاستحياء لله كما في الحديث يحتاج إلى تأويل، وأما نفيه كما في الآية فلا يحتاج إلى ذلك كما في قوله تعالى: ﴿لاتأخذه سنة ولا نوم﴾ و﴿لم يلد ولم يولد﴾ وقولهم: ليس بجوهر ولا عرض ونحو ذلك، فأي حاجة إلى جعل لا يستحي من قبيل التمثيل، أو المقابلة ؟قلنا: إذا نفيت أمثال ذلك على الإطلاق بمعنى أنها ليست من شأنه أنه لا يتصف بها كما في الأمثلة التي ذكرتم لم يحتج إلى تأويل. وأما إذا نفيت على التقييد فقد رجع النفي إلى القيد. وأفاد ثبوت أصل الفعل وإمكا نه لا أقل فاحتاج إلى تأويل كما إذا قيل: لم يلد ذكرًا و لم يأخذه نوم في هذه الليلة ، وليس بعرض قار الذات .

قوله: وضرب المثل اعتماله: قال في القاموس: اعتمل به وعمل لنفسه. والمراد هنا مطلق العمل به. وفى بعض النسخ اعتماده وهوالمذكور في الكشاف حيث قال: وضرب المثل اعتماد ه وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم .قال العلامة التفتازاني: هومن قولهم: للمثل اعتماد، وللضرب اعتماد، وحركة للالة نحوالمضروب. وحاصله صنعه واتخاذه، واضطراب الخاتم اتخاذه لنفسه بخلاف ضرب الخاتم. والمقصود بيان المناسبة بين هذه المجازات وبين حقيقة الضرب الذي هوالاعتماد المخصوص واستعمال آلة.

قوله: و"ما"إ بهامية: جعلها مقابلة للمزيدة ميلاً منه إلى أ نهااسم كما هو رأى البعض بخلاف المزيدة فإنهاحرف .

قوله: وإنماوضعت لأن تذكر مع غيرها: يعني إنما وضعت لتأكيد المعنىٰ وإفاد ته

وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه . و"بعوضة" عطف بيان لـ"مثلاً" أو مفعول لـ"يضرب". ومثلاً حال تقدمت عليه لأنه نكرة ،أوهما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل، وقرئت بالرفع على أنه خبر مبتدأمحذوف، وعلى هذا يحتمل " ما" وجوهاً أخر. أن تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله :﴿ تماماً على الذي أحسن﴾ [الأنعام.١٥٤] وموصوفة بصفة كذلك . ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين . واستفهامية هي المبتدأ. كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الأمثال. قال بعده " ما البعوضه فما فوقها" حتى لا يضرب به المثل، بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك . ونظيره: فلان لا يبالي مما يهب ما دينار وديناران. والبعوض: فعول من البعض . وهو القطع كالبضع والعضب . غلب على هذا النوع كالخموش.

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ عطف على بعوضة،أو" ما" إن جعل اسماً .ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت. كأنه قصد به رد ما استنكروه . والمعنى :أنه لا يستحي ضرب

عند ذكره مع غيره، ففي كلام المصنف تسامح. قال الرضي: فائدة الحرف الزائد في كلام العرب إما معنوية وإما لفظية. فالمعنوية تأكيد المعنى. فإن قيل: فيجب أن لايكون زائدة إذا افادت فائدة معنوية .قيل إنما سميت زائدة لأنه لايتغير بها أصل معناه بل لايزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته، فكأنها لم تفد شيئًا.وأما اللفظية فهي تزئين اللفظ وكونه بزيادتها أفصح.

قوله : وهوأي المزيد زيادة في الهدىٰ: لإفادتها التأكيد كـ"انّ" و"اللام".

قوله : ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين: تقديره الشيء الذي هي البعوضة،أو شيئاً هي بعوضة.

قوله: قال بعده:ماالبعوضة فما فوقها: يعني لايبالي البعوضة فما فوقها في ضرب المثل حتى لا يضرب المثل بهماكمايبالون فيستبعد ون .

قوله: كالبضع والعضب: بضع الرجل اللحم قطعه، والعضب السيف القاطع .

قوله: كا لخموش: من الخمش وهو الخدش، غلب على البعوض في لغة هزيل .

قوله: أو"ما" إن جعل اسما: هذا ظاهر على تقدير أن يكون "ما" موصولة أو موصوفة، وأماإذاكانت استفهامية فلابدمن تقدير موصوف قبل فوقها؛ لأن "فوق" من الظروف الغير المتصرفة كما ذكره الرضي، وليس باسم صريح والمعنى: ماالبعوضة ما شيء فوقها.

الـمثل بالبعوض فضلاً عما هو أكبر منه، أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلاً. وهو الصغر والـحقارة كـجناحها فـإنـه عـليـه الـصـلاـة والسـلام ضربه مثلاً للدنيا . ونـظيره في الاحتمالين مـا روي أن رجلاً بمعنى خرَّ على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عـنهـا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" ما من مسلم يُشَاك شَوكةً فما فوقها. إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة " فإنه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الألم كالخرور،أ وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة. لقوله عليه الصلا ة والسلام " ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة"

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَّبِّهِم﴾ أمـا حـرف تـفصيل يفصل ما أجمل ويـؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط. ولذلك يجاب بالفاء . قال سيبويه:" أما زيد فـذاهـب" مـعـناه: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب :أي هو ذاهب لا محالة وأنـه منه عزيمة

قوله :فإنه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا: وفيها عن الترمذي عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ:لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافراً شربة ماء.

قوله: مـاروي أن رجلاً بـمنى خرعلىٰ طنب فسطاط: الفسطاط بيت من شعر، في صـحيـح مسـلـم عـن إبـراهيم عن الأسود قال: دخل شباب من قريشٍ على عائشة أم المؤمنين رضـي الله عـنهـا وهـي بـمنىٰ وهم يضحكون فقالت: مايضحككم؟ قالوا: فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب، فقالت: لا تضحكوا، إني سمعت رسول الله ﷺ قال: "ما من مسلم الخ" وشوكة مرة من المصدرلا واحد الشوك الذي هو العين. قال الكسائي: شَكْتَ الرجلَ شوكةً إذا أدخلتَ شوكة في جسده، وشِيْكَ ، هوفعل مالم يسم فاعله، يَشاك شوكاً .

قوله: أمـا حـرف تـفصيل يفصل ما أجمل: يعني أنه ليس باسم على ما يتوهم من قـولهـم :أمـا زيـد فـمـنطلق، معناه مهما يكن من شيء مع شيوع العبارة عنه بالكلمة دون الـحـرف، وإنـمـا هـو حـرف موضوع لتفصيل ما أجمل، وفيها معني الشرط وليس بحرف شـرط، ولأجـل أن فيـه مـعنى الشرط وضمن معناه لزمت الفاء فى جوابه كما لزم فى جواب الشـرط، ووجـه التـوكيد أنه بمنزلة التعليق بوجود شيء ما؛ لأن معناه إن يكن بشيء هذا أو ذاك إلى مالا يحصى، وما دامت الدنيا يقع فيها بشيء فيكون المعلق واقعاً البتة.

قوله: وأنـه مـنه عزيمة : قال الجوهري: عزمت على كذاعزمًا وعزيمةً إذا أردت فعله وقطعت عليه. وقوله تعالى:﴿ولم نجد له عزما﴾أي صرمة أمر.

وكان الأصل دخول الفاء على الجملة ؛لأنها الجزاء، لكن كرهوا إيلاء ها حرف الشرط فأدخلوها على الخبر ، وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظًا،وفي تصديره الجملتين به إخماد لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم ، وذم بليغ للكافرين على قولهم . والضمير في "أنه" للمثل، أولأن يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة ، من قولهم :حق الأمر،إذا ثبت ومنه:ثوب محقق أي محكم النسج ﴿وَاَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْ ا فَيَقُوْلُوْنَ﴾ كان من حقه:"وأما الذين كفروا فلا يعلمون" ليطابق قرينه ويقابل قسيمه، لكن لمّا كان قولهم هذا دليلا واضحاً على كمال جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ﴿مَاذا اَرادَ اللّٰهُ بِهذا مَثَلاً﴾ يحتمل وجهين: أن تكون "ما" استفهامية و"ذا" بمعنى "الذي" وما بعده صلته، والمجموع خبر "ما" وأن تكون "ما" مع "ذا" اسماً واحدا ً بمعنى:أي شيء ، منصوب المحل على المفعولية، مثل ما أراد الله . والحسن في جوابه الرفع على الأول، والنصب على الثاني . ليطابق الجواب السؤال . والإرادة : نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليهم، ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع ، والأول مع الفعل والثاني قبله، وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به . ولذلك اختلف في معنى إرادته فقيل:إرادته لأفعاله أنه غيرساهٍ ولا مكرهٍ ، ولأفعال غيره أمره بها، فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته . وقيل: علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل، والوجه الأصلح فإنه يدعوالقادر إلى تحصيله . والحق أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه، أو معنى يوجب

قوله: وفي تصدير الجملتين به إحماد لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين: حيث أكد علمهم وأكد جهلهم .

قوله : وأن يكون "ما"مع "ذا" اسما واحداً: يعني ركب "ما" مع "ذا" وجعل اسمًا واحدًا بمعنى أي شيء .

قوله: ليطابق الجواب السوال: في كونهما اسميتين وفعليتين.

قوله: فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته: لأنه لم يأمرها اتفاقاً.

قوله: وقيل علمه باشتمال الأمر: وهم الحكماء ويسمونه العناية.

قوله: والحق أنه ترجيح :يعني أن الحق وهو مذهب أهل السنة والجماعة أنه نفس الترجيح أو مبدأ الترجيح.

هذا الترجيح . وهي أعم من الاختيار؛ فإنه ميل مع تفضيل، وفي هذا استحقار واسترذال، و"مثلا" نصب على التمييز، أوالحال كقوله تعالى:﴿هذه نَاقَةُ اللّٰه لكم آية﴾ [٧. الأعراف:٧٣]

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيْراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيْراً﴾ جواب ماذا: أي إضلال كثير وإهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للإشعار بالحدوث والتجدد، أو بيان للجملتين المصدرتين بـ"إما"و تسجيل بأن العلم بكونه حقًا هدى وبيان وأن الجهل بوجه إيراده والإنكار لحسن مورده ، ضلال وفسوق. وكثرة كل واحد من القبيلتين بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابليهم، فإن المهديين قليلون بالإضافة إلى أهل الضلال كما قال تعالى: ﴿ وَقليلٌ مَا هُمْ﴾[٣٨.صٓ:٢٤] ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[٣٤.السبا:١٣] ويحتمل أن يكون كثرة الضالين من حيث العدد ، وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كماقال:

قوله: وهي أعم من الاختيار: يعني أن الارادة في اللغة مطلق الميلان وأن الاختيار ميل مع التفصيل، قال الجوهري: الاختيار الاصطفاء .

قوله : وفي هذا: أي في كلمة هذا استحقار واسترذال بالقرب .

قوله : أو الحال :أي من اسم الإشارة بأن يكون ذاالحال وأما العامل فهو الفعل .

قوله: أي اضلال كثير وإهداء كثير: بالرفع والنصب على اختلاف الوجهين في ماذا.

قوله: أو بيان لجملتين المصدرتين بـ"أما": لأن كلتا الجملتين مشتملة على الكثرة وعلى معني الضلالة والهداية وهو قوله تعالى:﴿ يعلمون أنه الحق﴾.ويقولون:﴿ ماذا أراد اللّٰه﴾فبين بقوله:﴿ يضل به كثيراً و يهدي به كثيراً ﴾.

قوله: وكثرة كل واحد من القبيلتين :جواب سوال. تقرير السوال: لِمَ وصف المهديون بالكثرة مع أن القلة صفتهم ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾.﴿وقليل ماهم﴾ وتقرير الجواب . المراد الكثرة في نفسه وهم كثيرون في أنفسهم حيث لا يحصى عددهم، وإذا وصفوا بالقلة فذلك بالقياس إلى أهل ا الضلال، وذلك لأن كلًا من القلة والكثرة قد يعتبر بحسب الذات، وقد يعتبر بحسب الإضافة، أو يقال:إنهم وإن فرض قلتهم في أنفسهم أيضًا فذلك من حيث الصورة، وأما من حيث المعنى والحقيقة فهم كثير جدًا لقيام الواحد مقام الألوف من غيرهم .

قَلِيلٌ إذا عُدُّوا كَثِيرٌ إِذَا شَدّوا

وقال:

إِنَّ الكِرامَ كَثِيرٌ في البِلادِ وإِنْ قَلُّوا كَمَا غَيْرَهُمْ قُلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَسِقِينَ[٢٦]﴾ أي الخارجين عن حد الإيمان كقوله تعالى: ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾[٩.التوبة:٦٧]

من قولهم : فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت ، وأصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة :

فواسقاً عن قصدها جوائراً

والفاسق في الشرع:الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيره. وله درجات ثلاث:

الأولى: التغابي: وهو أن يرتكبها أحياناً مستقبحاً إياها .

والثانية: الإنهماك: وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها.

والثالثة: الجهود :وهو أن يرتكبها مستصوباً إياها. فإذا شارف هذا المقام وتخطى خطه خلع ربقة الإيمان من عنقه.ولابس الكفر. وما دام هو في درجة التغابي أوالانهماك

قوله:إذا شدوا:الشدة: الحملة الواحدة.

قوله: إن الكرام :يعني أن القليل من الكرام كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة. وأن الكثير من الليام قليل وإن كثروا في الصورة. والقل والقلة كالذل والذلة فهو على حذف مضاف: أي ذو قلة، أوالقل جمع قليل .

قوله: الخروج عن القصد: قال الجوهري: القصدين:الإسراف والتقصير. يقال: فلان مقتصد في النفقة، واقصد في مشيك .

قوله: فواسقا : أوله: يذهبن في نجد وغورا. غايرالفسق: الخروج عن القصد، والقصد: استقامة الطريق، والجواب ترك القصد في السير.والنجد: الطريق المرتفع، والنجد من بلاد العرب وهو خلاف الغور. والغور هو تهامة وكل ما ارتفع من تهامةإلى أرض العراق فهو نجد وغور، وغور كل شيء قعده يصف فوقاً يمشين في المفازة تجول عن استقامة الطريق .

قوله: التغابي: قال الجوهري: غَبَيْتَ عن الشيء وغبيته أيضاً أغبى غباوة إذا لم تفطن له، وتغابى: تَغَافَل .

فـلا يسـلـب عـنـه اسـم الـمؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الإيمان. ولقوله تعالى ﴿وإِنْ طَـائِـفَتَـانِ مِنَ الـمُـؤمـنيـنَ اقْتَتَـلُـواْ﴾[٣٩. .الـحـجرات:٩] والمعتزلة لمـا قـالوا: الإيـمـان:عبـارـة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل ، والكفر تكذيب الحق وجحوده. جعلوه قسماً ثالثاً نازلاً بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الأحـكام . وتـخـصيـص الاضـلال بهـم مـرتبـاً عـلـى صـفة الفسق يدل على أنـه الذي أعدهم لـلاضلال. وأدى بهم إلى الضلال؛ وذلك لأن كفرهم وعدولهم عن الحق و إصرارهم بالباطل صـرفـت وجـوه أفـكـارهـم عـن حـكمة المثل إلى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروه واستهزؤوا به. وقرئ يُضَلُّ بالبناء للمفعول، والفاسقون بالرفع .

﴿الَّـذيـنَ يَنْقُضُونَ عَهدَ اللَّهِ﴾ صفة للفاسقين للذم والتقرير الفسق. والنقض :فسخ التركيب. وأصله في طاقات الحبل، واستعماله في إبطال العهد من حيث إن العهد يستعار لـه الحبل لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر، فإن أطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز . وإن ذكـر مـع العهد كان رمزاً.إلى ما هو من روادفه وهو أن العهد حبل في ثبات الـوصـلة بين المتعاهدين،كقولك: شجاع يفترس أقران. وعالم يغترف منه الناس . فإن فيه تـنبيهاً على أنه أسد في شجاعته بحر بالنظر إلى افاضته .والعهدالموثق ووضعه لما من شأنه أن يـراعـى ويتـعهـد كـالـوصية واليـميـن. ويـقال للدار من حيث إنها تراعى بالرجوع إليها والتـاريـخ ؛لأنـه يـحـفظ، وهذا العهد إما العهد المأخوذ بالعقل وهـو الحجة القائمة على عبـاده الـدالة عـلـى تـوحيـده ووجـوب وجـوده وصـدق رسـولـه، وعليـه أُوِّلَ قولـه تعالى: ﴿وأشهدهم على أنفسهم ﴾[٧. الأعراف:١٧٢] أوالمأخوذ بالرسل على الأمم بأنهم إذا

قوله: لـمشـاركته:كل واحد منهما في بعض الأحكام: فحكمه حكم المؤمن في أن ينـاكـح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابرالمسلمين، وحكم الكافر في الذم واللعن والبراء ة منه، واعتقاد عداوته، وإن لا يقبل له شهادة.

قوله:في طاقات :الطاق قوة من الحبل .

قوله:كان ترشيحاً للمجاز: ترشيح المجازأن يوتى بوصف ملائم للمعنى الحقيقي كـان رمـزًا إلى ما هو من روادفه:أي كان النقض إشارة إلى شيء هوأي النقض من روادف ذلك الشيء وتوابعه ولوازمه وهو استعارة الحبل للعهد وهذامعنى قوله:وهو أن العهد حبل .

قوله: وهو الحجة القائمة :أي العهد الماخوذ بالعقل هو ما ركز في العقل من

بعث إليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه .ولم يكتموا أمره ولم يخالفوا حكمه .
وإليه أشار بقوله: ﴿وإذ أخذ اللّٰهُ ميثاق الذين أوتو الكتاب﴾[٣.آل عمران:١٨٧] ونظائره .
وقيل: عهود اللّٰه تعالى ثلاثة :أخذه على جميع ذرية آدم بأن يقرّوا بربوبيته، وعهد أخذه على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه . وعهدأخذه على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه.

﴿مِنْ بَعْدِ مِيْثَاقِهِ﴾ الضمير للعهد، والميثاق: اسم لما يقع به الوثاقه، وهي الاستحكام. والمراد به ماوثق اللّٰه به عهده من الآيات والكتب، أو ما وصفه به من الالتزام والقبول. ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر، و"من"للابتداء، فإن ابتداء النقض بعد الميثاق.

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَاأَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أن يُوصَلَ ﴾يحتمل كل قطيعة لا يرضاها اللّٰه تعالى، كقطع الرحم ، والإعراض عن موالاة المؤمنين، والتفرقة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والكتب في التصديق، وترك الجماعات المفروضة، وسائر ما فيه رفض خير،أو تعاطي شر؛ فإنه يقطع الوصلة بين اللّٰه وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل،

الحجة القائمة على عباده الدلالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله كذا في الكشاف.

قوله: عهد أخذه على جميع زرية آدم بأن يقروا بربوبيته وهو قوله:﴿وإذ أخذ ربك﴾ أي ظاهر قوله:وإذ أخذ ربك وهو الإقرار بربوبية لا تأويله كما في الوجه الأول فلا يلزم ما قيل: أنه عائد إلى الوجه الأول .

قوله: والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة: يعني أن الميثاق في الأصل بمعنى العهد، والمراد هنا ما يقع به الوثاقة، وهو هنا الآيات والكتب، أوالالتزام بناء على أنه اسم آلة، أو التوثقة بمعنى المصدر؛ لأنه ليس لعهد العهد كثير معنى، وأما إذا كان الضمير عائدًا إلى اللّٰه تعالىٰ، فلأنه لا معنى لقوله: ينقضون عهد اللّٰه من بعد عهد اللّٰه .

قوله:والتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب في التصديق: بأن يؤمنوا ويصدقوا ببعض الأنبياء والكتب ويكفروا بالبعض.

قوله: وترك الجماعات المفروضة: كجماعة الجمعة والعيدين وجماعة الصلوٰت الخمس عند بعض الناس .

قوله: فإنه: أي ما فيه رفض خيرًا وتعاطي شرًا.

قوله: المقصودة بالذات من كل وصل وفصل: في الواقع كالفصل بين اللّٰه وبين الآلهة.

والأمر هو لـلقول الطالب للفعل . وقيل:مع العلو. وقيل:مع الاستعلاء، وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور تسمية للمفعول به بالمصدر فإنه مما يؤمر به كماقيل: له شأن وهو الطلب والقصد يقال: شأنت شأنه، إذا قصدت قصده ،و"أن يوصل"يحتمل النصب والخفض على أنه بدل من" ما" أو ضميره، والثاني أحسن لفظا ومعنى .

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ﴾ بالمنع عن الإيمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه .

﴿أولٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ[٢٧]﴾ الذين خسروا بإهمال العقل عن النظر، واقتناص مايفيدهم الحياه الأبدية، واستبدال الإنكار، والطعن في الآيات بالإيمان بها، والنظر في حقائقها، والاقتباس من أنوارها، واشتراء النقض بالوفاء، والفساء بالصلاح ، والعقاب بالثواب.

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ﴾ استخبار فيه إنكار، وتعجب لكفرهم بإنكارالحال التي

قوله: هو للقول الطالب للفعل :هذا رأي الأشعري، والمعتزلة اشترطوا العلو، وأبو الحسين اشترط الاستعلاء.

قوله:فإنه ممايؤمر به: أي من شانه أن يؤمر به فيكون مفعولًا به كما قيل: له شأن وهو الطلب والقصد؛ لأن من شانه أن يقصد فيكون مفعولًا به لشأ نت شانه: أي قصدت شانه ومقصوده واهتمت به .

قوله:والثاني أحسن لفظًا ومعنى: أما لفظًا فلقربه من المبدل منه، وأما معنًى فلأن معناه ما أمر اللّٰه به أن يوصل؛ لأن المامور به هو وصل الرحم، وموالاة المؤمنين التي هي وصلة بهم، وعلى هذا لانفس هذه الأشياء ولو كان بدلًا من مايلزم أن يكون ماأمر اللّٰه به نفس هذه الأشياء، ويكون الوصل خارجاً عنه .

قوله : استخبار فيه إنكار و تعجب لكفرهم :يعني أن المقصود إنكار كفرهم و تعجيب له و قد انكر ذلك بإنكار حال وصفة يوجدعليها على الطريق البرهاني لأن صد وره لا ينفك عن حال ما وصفه يوجد عليها لأن كل مو جود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده فإذا أنكر تلك الحال لوجود ما ينافيه وهو قوله "وكنتم أمواتًا" استلزم ذلك إنكار وجوده فهو أبلغ وأقوى في إنكار الكفر وأوفق لما بعده من الحال المنافي لاالذات المنافي فكلمة كيف ههنا لإنكار الحال على العموم، إما لأن وضعها لعموم الأحوال، أو لأن توجه الإنكار والنفي إلى مطلق الحال وحقيقتها يوجب العموم ، أو لأنه وجب الحمل على ذلك بمقتضى المقام .

يقع عليها على الطريق البرهاني ؛ لإن صدوره لا ينفك عن حال وصفة، فإذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يو جد عليها استلزم ذلك إنكار وجوده ، فهو أبلغ وأقوى في إنكار الكفر من "أتكفرون" وأوفق لما بعده من الحال. والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر، وسوء المقال،وخبث الفعال، خاطبهم على طريقة الالتفات، ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك. والمعنى:أخبروني على أي حال تكفرون.

﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً﴾ أي أجساماً لا حياة لها عناصروأغذية،وأخلاطاً ونطفاً، مضغاً مخلقة وغير مخلقة.﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بخلق الأرواح ونفخها فيكم . وإنما عطفه بالفاء ؛لأنه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند ما تقضي آجالهم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالنشور يوم ينفخ في الصور، أو للسؤال في القبور﴿ثُمَّ إِلَيهِ تُرْجَعُونَ[٢٨]﴾ بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم ،أو تنشرون إليه من قبوركم للحساب ، فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه. فإن قيل: إن علموا أنهم كانوا أمواتاً فأحياكم ثم يميتهم، لم يعلموا أنه يحييهم ثم إليه يرجعون، قلت: تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزّل منزلة علمهم في إزاحة العذرسيما، وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهوأنه تعالى لما قدرعلى إحياهم أولاً قدرعلى أن يحييهم ثانياً؛ فإن بدء الخلق ليس بأهون عليه من إعادته، أو الخطاب مع القبيلين فإنه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد والنبوة ، ووعدهم على الإيمان ، وأوعدهم على الكفرأكد ذلك بأن عدد عليهم النعم العامة والخاصة، واستقبح صدور

قوله:أي أجساماً لاحياة لها: يعني كان ابتداء خلقكم عناصر، وهي الأرض والماء والهواء والنار بأن امتزج الأرض والماء وتأثرا من النار: أي حرارة الشمس والهواء فأنبتت الحبوب وصارت أغذية، ثم صارت الأغذية بعد الأكل أخلاطاً: الدم والبلغم والصفراء والسوداء، ثم صار الدم نطفًا، ثم صار النطف مخلقة، مصورة وغير مصورة .

قوله:أوالخطاب مع القبيلتين:أي المؤمنين والكافرين عطف على قوله:"مع الذين كفروا" وكذا قوله:أو مع المؤمنين .

قوله:النعم العامة والخاصة: أي الشاملة القبيلتين والمختصة بالمؤمنين التي أشير إليها بقوله:" وإليه ترجعون". و المراد المختصة ببعض المؤمنين د ون بعض على حسب أعمالهم .

الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة. فإن عظم إلى النعم يوجب عظم معصية النعم. فإن قيل: كيف تعد الإماتة من النعم المقتضية للشكر؟ قلت: لما كانت وصلة إلى الحياة الثانية التي هي الحياة الحقيقة كما قال الله تعالىٰ: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾[العنكبوت: ٦٤] كانت من النعم العظيمة مع أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كما أن الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحد من الجمل. فإن بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح أن يقع حالا، أو مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم، وتبعيد الكفر عنهم على معنى: كيف يتصور منكم الكفر وكنتم أمواتاً أي جهالاً، فأحياكم بما أفادكم من العلم والإيمان، ثم يميتكم الموت المعروف، ثم يحييكم الحياة الحقيقة، ثم إليه ترجعون، فيثيبكم بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. والحياة حقيقة في القوة الحسّاسة، أو ما يقتضيها وبها سمي

قوله: هو المعنى المنتزع من القصة: وهو الإحياء والجزاء بعد الحشر.

قوله: كما أن الواقع حالًا هو العلم بها: أي بالقصة والمعنى: كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها لا كل واحد من الجمل؛ فإن بعضها ماض وبعضها مستقبل، فالعامل حال ولا مقارنة بينها التي هي شرط، وفيه إشارة إلى دفع ما يقال: إن بعض هذه القصة ماض وهو قوله: ﴿وكنتم أمواتًا فأحياكم﴾ وبعضها مستقبل وهو قوله: ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ وكلاهما لا يصح أن يقعا حالًا لعدم مقارنتهما زمان العامل.

قوله: ثم يحييكم الحيوٰة الحقيقة: التي لا يعقبها الموت وهي الحيوٰة الأخروية.

قوله: و الحيوة حقيقة في القوة الحاسة أو ما يقتضيها: أي القوة الحاسة، وهذا بناء على الاختلاف في تفسير الحيوة، فقال ابن سينا: إنها قوة تتبع اعتدال النوع، وذلك أن كل نوع من أنواع المركبات له مزاج مخصوص يناسب الآثار والخواص المطلوبة منه مسمى بالاعتدال النوعي، فإذا حصل ذلك في النوع فاض عليه من المبدأ الفياض قوة الحيوة. وقال بعضهم: قوة الحس والحركة، وبها سمي الحيوان حيوانًا؛ لأنه مشتمل على قوة الحس. وقال بعضهم: إنها اعتدال المزاج، ولما لم يتصور الحيوة بشيء من المعنى في حقه تعالىٰ قالت الحكماء وأبو الحسين البصري من المعتزلة: حيوته تعالىٰ كونه يصح أن يعلم ويقدر، وقال الجمهور من أصحابنا والمعتزلة: صفة توجب ذلك.

الحيوان حيواناً مجازاً في القوة النامية؛ لأنها من طلائعها ومقدماتها، وفيما يخص الإنسان من الفضائل كالعقل والعلم والإيمان من حيث إنها كما لها وغايتها، والموت بإزائها يقال: على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى:﴿ قل اللّٰه يحييكم ثم يميتكم﴾[الجاثية:٢٦] وقال ﴿اعلموا أن اللّٰه يحيي الأرض بعد موتها﴾[الحديد:١٧] وقال﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾[الأنعام:١٢٢] وإذا وصّف بها الباري تعالى أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا، أو معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة . وقرأ يعقوب تَرْجعون بفتح التاء في جميع القرآن.

﴿هُوَ الذي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِى الأَرضِ جَمِيْعاً﴾ بيان نعمة أخرى مرتبة على الأولى؛ فإ نها خلقهم أحياء قادرين مرة بعد أخرى . وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤ هم وتم به معاشهم. ومعنى "لكم" لأجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح أبدانكم بوسط أو بغير وسط، ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعريف لما يلا ئمها من الذات الآخرة وآلامها، لا على وجه الغرض؛ فإ ن الفاعل لغرض مستكمل به، بل على أنه كالغرض من حيث إنه عاقبة الفعل مؤداه وهو يقتضي إباحة الأشياء النافعة، ولا يمنع

قوله: لأنها من طلائعها ومقدماتها: وذلك أنه يحصل في المركب العنصري مزاج فيفيض عليه من المبدء الفياض القوة النامية، ثم مزاج آخر، فيفيض عليه قوة الحيوة وهي مبدأ الحس والحركة، ثم مزاج آخر فيفيض عليه النفس الناطقة المقتضية للعلم والعقل.

قوله: وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاء هم: أى الدنيوي؛ إذالبقاء الأخروي لا يتوقف عليه، وظاهرأنه لا يشترط فى التوقف أن يكون الشيء متوقفاً بجميع أجزائه.

قوله: "بوسط" كالافعىٰ للأدوية التي فيها سمية، فإنها تنفع بواسطة تركيبها مع المصلحات حتىٰ يكسر سودتها.

قوله:" بالاستدلال والا عتبار": فإنه يستدل بما فيه من عجائب الصنائع على الصانع القادر، ويعرف فيه من التذكر بالآخرة وبثوابها وعقابها؛ لاشتماله علىٰ أسباب الانس واللذة ومن فنون المطاعم والمشارب، وعلىٰ أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره .

قوله: وهو يقتضي إباحة الأشياء النافعة إلخ. جواب عمن استدل بقوله:﴿خلق لكم﴾ على أن الاشياء التي يصح أن ينتفع بها ولم يجري مجرى المحظورات في العقل كالقاذورات والسموم خلقت فى الأصل مباحة مطلقة لكل أحد أن يتناولها وينتفع بها

اختصاص بعضها ببعض لأسباب عارضة؛ فإنه يدل على أن الكل للكل لا أن كل واحد
وما يعم كل مافي الأرض، إلا إذا أريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو .
و"جميعاً" حال من الموصول الثاني.

﴿ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّمَآءِ﴾ قصد إليها بإرادته. من قولهم استوى إليه كالسهم المرسل. إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوي على شيئ . وأصل الاستواء طلب السواء. وإطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الأجزاء ولا يمكن حمله عليه لأنه من خواص الأجسام وقيل استوى أي: استولى وَمَلَكَ . قال:

قَدِ اسْتَوى بِشْرٌ على العِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مهْرَاقِ

والأول أوفق للأصل، والصلة المعدى بها، والتسوية المترتبة عليه بالفاء. والمراد بالسماء هذه الأجرام العلوية،أو جهات العلو، و" ثم" لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الأرض كقوله تعالى:﴿ ثم كان من الذين آمنوا﴾[٩٠.البلد:١٧] لا للتراخي في الوقت؛ فإنه يخالف ظاهر قوله تعالى:﴿ والأرض بعد ذلك دحاها﴾[٧٩. النازعات:٣٠] فإنه يدل على تأخر دحو الأرض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتهاإلا أن تستأنف بدحا ها مقدراً لنصب الأرض فعلاً آخر دل عليه ﴿ أأنتم أشد خلقاً﴾[٣٦.يسٓ:٧٩] مثل تعرف الأرض، وتدبر أمرها بعد ذلك، لكنه خلاف الظاهر.

﴿فَسَوّٰهُنَّ ﴾ عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور، و"هن"ضمير السماء

وحاصل الجواب:أن الأية تدل على أن الأشياء مباحة للكل، ولا يلزم منه أن كل واحد منهما مباح لكل أحد، فيجوز بعض الأشياء مباحة لبعض الأسباب عارضة كالمحموم بالحمى الصفراوي لا يجوز له الدواء الحارّ فيختص ذلك الدواء بغيره، وعلىٰ هٰذا فلا يتم الاستدلال، وكالاستخراج من المعدن والاستنباط من المنبع يختص بمن له مهارة في ذلك الٰى غير ذلك مما لا يعد ولايحصىٰ .

قوله:ما في الأرض: لأنه ليس مما في الارض .

قوله: إلاإذا أريد به جهةالسفل كما يراد بالسماء جهة العلو: وإثبات الجهات العلوية والسفلية والأيام الستة والأربعة قبل خلق السماء والأرض مبني على التقدير والتمثيل

قوله: وهن ضمير السماء : يعنيإن فسر السماء بالأجرام فضمير "هن "يرجع إلى السماء ؛لأنه جمع، أوفي معنىٰ الجمع بناءً على اختلاف الذي تقدم وهو أن السماء اسم جنس

إن فسرت بالأجرام لأنه جمع،أو هو في معنى الجمع، وإلا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم : ربه رجلاً.

﴿سبعَ سَمٰوٰتٍ﴾ بدل أوتمييزأوتفسير. فإن قيل:أليس أن أصحاب الأرصاد أثبتوا تسعة أفلاك ؟ قلت: فيما ذكروه شكوك وإن صح فليس في الآية نفي الزائد مع أنه إن ضم إليها العرش والكرسي لم يبقَ خلاف.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شيءٍ عليمٌ[٢٩]﴾فيه تعليل كأنه قال: ولكونه عالماً بكنه الأشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل والوجه الأنفع، واستدلال بأن من كا ن فعله على هذا النسق العجيب، والترتيب الأنيق كان عليماً، فإن إتقان الأفعال وإحكامها وتخصيصها بالوجه الأحسن الأنفع لا يتصور إلا من عالم حكيم رحيم، وإزاحة لما يختلج في صدورهم من أن الأبدان بعدما تبددت ، وتفتتت أجزاؤها، واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع أجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها، ولا ينضم إليها مالم يكن معها فيعاد منها كما كا ن. ونظيره قوله تعا لى ﴿وهو بكل خلق عليم﴾

واعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات، وقد برهن عليها في هاتين الآيتين.: أما الأولى :فهيأن مواد الأبدان قابلة للجمع والحياة ، وأشار إلى البرهان عليها بقوله

يقع على الواحد والمتعدد، وقيل جمع سماء ة، وإن فسر بجهة العلو كضمير "هن" مبهم مثل ربه رجلا. وبالها قصة .وويلها روحة. إذلم يعدل جهة العلو ولم يخلق مصونة من العوج والفتور وإنما خلق كذلك سبع سموٰت .

قوله: فيما ذكروه شكوك: وذلك أنهم ذكروا أنهم وجد وا تسع حركات متخالفة فأثبتوا لكل واحد منها فلكاً، فرد عليه صاحب التحفة بأنه يمكن أن يسند حركة فلك الأفلاك إلى مجموع الثمانية من حيث هو مجموع بأن يتعلق بهانفس واحدة ويحركها بهذه الحركة، فحينئذ لاحاجة إلى التاسع بل لاحاجة إلى الثامن لامكان أن يتعلق بمجموع السبعة نفس واحدة تحركه بتلك الحركة ، ويكون الثوابت مركوزة فى ممثل السابع متحركة بحركة الخاصة، وأيضًا أي دليل على كون الثامن والتاسع متحركتين والارصاد لاينتهض دليلا علينا.

قوله: فيه تعليل: أي لما سبق، وهو برهان لمي: استدلال بالمؤثر على الأثر، وأما الاستدلال بالأثر على المؤثر فهو برهان إنيٌّ.

﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ﴾ فإن تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها، وما بالذات يأبى أن يزول ويتغير. أماالثانية والثالثة: فإنه عزوجل عالم بها وبمواقعها، قادر على جمعها وإحيائها، وأشار إلى وجه إثباتهما بأنه تعالى قادرعلى إبدائها وإبداء ما هو أعظم خلقاً وأعجب صنعاً فكان أقدر على إعادتهم وإحيائهم ، وأنه تعالىٰ خلق ماخلق خلقاً مستوياًمحكماً من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم، وذلك دليل على تناهي علمه، وكمال حكمته، جلت قدرته ودقت حكمته. وقد سَكَّنَ نافع وأبو عمرو والكسائي الهاء من نحو فَهْوَ وَهْوَ تشبيهاً له بـ"عضد".

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنّي جَاعِلٌ في الْأَرضِ خَلِيْفَةً﴾ تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم؛ فإن خلق آدم وإكرامه وتفضيله على ملائكته بأن أمرهم بالسجود له، إنعام يعم ذريته. و"إذ" ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرى كما وضع "إذا"لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه أخرى؛ ولذلك يجب إضافتهما إلى الجمل كـ"حيث" في المكان، وبنيتا تشبيهاً لهما بالموصولات، واستعملتا للتعليل والمجازاة، ومحلهما النصب أبداً بالظرفية؛ فإنهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه . وأما قوله تعالى:﴿ واذكرأخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾[٤٦.الأحقاف:٢١] ونحوه ، فعلى تأويل" اذكر الحادث إذا كان كذا". فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه، وعامله في الآية" قالوا"أو"اذكر"على التأويل المذكور؛ لأنه جاء معمولاً له صريحاً في القرآن كثيرًا،أو مضمر دل عليه مضمون الآيةالمتقدمة، مثل وبدأ خلقكم إذ قال، وعلى هذا فالجملة معطوفة على "خلق لكم" داخلة في حكم الصلة . وعن معمر أنه مزيد: والملائكة جمع ملأك على الأصل كالشمائل جمع شمأل

قوله: واستعملتا: أي إذ وإذا للتعليل والمجازاة لف نشر وإلا فالتعليل إنما يستقيم في "إذ "دون "إذا"إلاأن يقاس على إذ على ماقيل إن "إذ" ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام .قال ابن هشام في المغني: وهذا أي "إذ" التي للتعليل حرف بمنزلة لام العلة، أو ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام لامن اللفظ، فإنه إذا قيل: ضربته إذا ساء، وأريدالوقت اقتضى ظاهر الحال أن الاساءة سبب الضرب .

قوله : من الظروف الغير المتصرفة : مالم يستعمل إلا منصوبًا بتقدير"في" أو مجرورا بـ"من".

قوله :لما ذكرناه: من أن وضعهما لزمان نسبة وقع فيه نسبة أخرى.

قوله : والملائكة جمع ملأك علي الأصل: يعني أن أصل ملك مألك بتقديم

والتاء لتأنيث الجمع . وهو مقلوب مألك من الألوكة، وهي الرسالة؛لأنهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس ، فهم رسل الله أو كالرسل إليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها، فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك . وقالت طائفة من النصارى: هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان . وزعم الحكماء أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة إلى قسمين: قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق جل جلاله والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال تعالى:﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ [٢١. الأنبياء:٢] وهم العليون والملائكة المقربون. وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ماسبق به القضاء وجرى به القلم الإلهي﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[٦٦ .التحريم:٦] وهم المدبرات أمراً . فمنهم سماوية ، ومنهم أرضية على تفصيل أثبته في الكتاب الطوالع .

الهمزة من الألوك وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام ، فقيل ملأك، ثم ترك الهمزة لكثرة الاستعمال، فلما جمعوه ردوه إلى الأصل فقالوا: ملائكة، وملائك أيضًا كذا في الصحاح، وقد استعمل الهمزة مع المفرد أيضًا كما أنشده الزجاج لبعضهم .

قوله: والتاء لتانيث الجمع: أي لتأكيد تانيث الجماعة، وعبارة المفصل هكذا لتاكيد معنى الجمع، ونظيره التشاعمة والصياقلة .

قوله: رسل الله أو كالرسل: فلعل الأول مبني على مافسر الرسل في سورة الملائكة قوله تعالىٰ:﴿جاعل الملائكة رسلا﴾أي وسائط بين الله وبين الأنبياء والصالحين من عباده ويبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة، أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعته. والثاني مبني على أن الرسول في العرف مختص بالبشر وهو نبي معه كتاب وشرع فهم كالرسل في أنهم يبلغون رسالاته تعالىٰ كما أن الرسل يبلغون شرعه ورسالته.

قوله:فمنهم سماوية و منهم أرضية على تفصيل أثبته في كتاب الطوالع: وذلك أن المدبرات تنقسم إلى علوية مدبرات الأجرام العلوية وهي النفوس الفلكية والملائكة السماوية وإلى سفلية مدبرات عالم العناصر، وهي إما أن تكون مدبرات البسائط وأنواع الكائنات وهم يُسَمُّون ملائكة الأرض، وإليه أشار صاحب الوحي صلوات الله عليه وقال

والمقول لهم: الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص. وقيل: ملائكة الأرض . وقيل: إبليس ومن كان معه في محاربة الجن ؛ فإنه تعالى أسكنهم في الأرض أولاً فأفسدوا فيها، فبعث إليهم إبليس في جند من الملائكة فدمّرهم وفرّقهم في الجزائر والجبال . و"جاعل" من "جَعَلَ" الذي له مفعولان وهما﴿في الأرض خليفةً ﴾ أعمل فيهما؛ لأنه بمعنى المستقبل ومتعمد على مسند إليه . ويجوز أن يكون بمعنى خالق. والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه، والهاء فيه للمبالغة ، والمرا به آدم عليه الصلاة والسلام ل؛أنه كان خليفة الله فيأرضه، وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الأرض، وسياسة الناس، وتكميل نفوسهم، وتنفيذ أمره فيهم ،لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه، وتلقي أمره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكاً كما قال الله تعالى﴿ ولوجعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾ ألاترى أن الأنبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار،أرسل إليهم الملائكة ومن كان منهم أعلى رتبة كلّمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات، ومحمداً صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . ونظير ذلك في الطبيعة أن العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد، جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك. أو خليفة من سكن الأرض قبله، أو هو وذريته لأنهم يخلفون من قبلهم ، أو يخلف بعضهم بعضاً . وإفراد اللفظ : إما للاستغناء بذكره عن ذكر

جاء ني ملك البحار وملك الجبال وملك الأمطار وملك الأرزاق، وإما أن تكون مدبرات الأشخاص الجزئية ويسمىٰ نفوسًا أرضية كالنفوس الناطقة .

قوله:ولذلك :أي لأجل قصورهم عن قبول فيضه تعالىٰ بغير وسط لم يجعل الملك نبيًّا

قوله:الغضروف :وهو مالان من العظم.

قوله: أو خليفة من سكن الأرض قبله: وهم الجن كما سبق وهو عطف على خليفة الله تعالىٰ وقوله أو هو و"ذرّيته" عطف على آدم .

قوله:وإفراد اللفظ:جواب سوال وهو أن يقال إذا كان المراد آدم وذريته فينبغي أن يقال خلائف أو خلفاء بصيغة الجمع، فأجاب بأن اكتفىٰ بذكر آدم عن ذكر الذرية كما يكتفي بذكر أبي القبيلة عن ذكرها، والمراد القبيلة وأبوها، أو على تأويل من يخلفكم أو خلفاء يخلفكم، ومن يستوي فيه الواحد والجمع والخلق اسم جنس يقع على القليل والكثير فهو في معنى الجمع.

بنيه كما استغني بذكر أبي القبيلة في قولهم: مضروهاشم،أو على تأويل من يخلفكم ،أو خلقاً يخلفكم . وفائدة قوله تعالى هذا للملائكة تعليم المشاورة، وتعظيم شأن المجعول بأن بَشَّرَ عزو جل بوجود سكان ملكوته. ولقّبه بالخليفة قبل خلقه، وإظهار فضله الراجع على ما فيه من المفاسد بسؤالهم. وجوابه وبيان أن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب خيره، فإن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شرٌّكثير إلى غير ذلك .

﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلا حها من يفسد فيها،أو يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية، واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد وألغتها، واستخبار عما يرشدهم، ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره ، وليس باعتراض على اللّٰه تعالى جلت قدرته. ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة؛ فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالى:﴿بل عباد مكرمون،لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ وإنماعرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى، أو تلقٍ من اللوح ، أو استنباط عماركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم ،أو قياس لأحد الثقلين على الآخر .

والسَّفْكُ والسَّبْكُ والسَّفْحُ والشَّنُّ أنواع من الصب . فالفسك يقال في الدم والدمع، والسبك في الجواهر المذابة ، والسفح في الصب من أعلى، والشن في الصب من فم القربة ونحوها، وكذلك السن . وقرئ يُسْفَكُ على البناء للمفعول ، فيكون الراجع إلى "مَنْ" سواء جعل موصولاً أو موصوفاً محذوفاً:أي يسفك الدماء فيهم .

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِسُ لَكَ﴾ حال مقررة لجهة الإشكال كقولك: أتحسن إلى أعدائك وأنا الصديق المحتاج القديم . والمعنى:أتستخلف عصاة ونحن

قوله:تعليم المشاورة: أي ليعلم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها.

قوله: تعجب من أن يستخلف:يعني أن الهمزة للتعجب؛ لأن الإنكار لا يتصور من الملائكة .

قوله: أو قياس لأحد الثقلين على الآخر: أي الإنس على الجن فإن الجن كانوا سكانًا في الأرض فأفسدوها فبعث إليهم إبليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال، وقد مر ذلك عن قريب .

معصومون أحقاء بذلك، والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم. على الملائكة المعصومين في الاستخلاف ،لا العجب والتفاخر، وكأنهم علموا أن المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار أمره : شهوية وغضبية تؤديان به إلى الفساد وسفك الدماء.وعقلية تدعوه إلى المعرفة والطاعة ، ونظروا إليها مفردة وقالوا: ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة إيجاده فضيلة كل واحدة من

قوله: ذو ثلث قوي عليهامدارأمره الخ: وذلك أن النفس من حيث تعلقها بالبدن وتصرفها فيه بالتدبير يحتاج إلى ثلث قوى. الأولىٰ النطق المراد به القوة العقلية التي بها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوانات وهو مبدأ إدراك الحقائق والشوق إلى النظر في العواقب والتميز بين المصالح والمفاسد .والثانية القوة الغضبية وهي قوة نفسانية يحصل بها عند فوران القلب عند تطلب الغلبة وبها يحصل الإقدام على الأهوال والتشوق إلى التسلط والترفع ويدفع ما يضر البدن .والثالث القوة الشهوية، وهي قوة انبعاث النفس لنيل ما يتشوقه وبها يحصل جذب ما ينفع البدن ويلائمه، فالعفة اعتدال الشهوية بحيث يكون انبعاث النفس على ما يؤذن به الشرع، وإفراطها الفجور: وهي ارتكاب المعاصي، وتفريطها الخمود: وهو ما به الانقباض عن الملاذ الشرعيّة والطيبات المرغوبة. والحكمة هي اعتدال النطق بحيث يكون محيطًا بمعرفة الموجودات بالقدر الذي يمكن إحاطتها بها، وإفراطها أي طرفها الأعلى ..... وهي استعمال الفكر فيما لاينبغي كالمتشابهات وعلى وجه لا ينبغي كمخالفة الشرع، وتفريطها: أي طرفها الأسفل الغباوة: وهي قلة التنبه على الأمور، والشجاعة: اعتدال الغضبية بحيث يكون فعالا للأفعال الصالحة النافعة بحسب الشرع، وإفراطها التهور: وهو الثبات في الأمور المعطبة وركوب المهالك من غير فكر وتدبر، وتفريطها الجبن: وهو الفزع المذموم من الأمور المعطبة، فالأوساط فضائل والأطراف رذائل، وإذا امتزجت الفضائل حصل من اجتماعها حالة متشابهة هي العدالة، فأصول الفضائل العفة والشجاعة والحكمة والعدالة ولكل منها شعب و فروع مذكورة في كتب الأخلاق هذا ما قالوا، ويظهر منه أن القوة العقلية إذا ركبت مع الشهوية والغضبية يحصل الفضائل ويفيد ما يقصر عنه الآحاد بواسطة القوى الجسمانية كالإحاطة بالجزئيات واستنباط الصنائع واستخراج منافع الكائنات من القوة إلى الفعل بخلاف ماإذا أفردت القوة العقلية كما للملائكة فإنها لا تدرك الجزئيات .

القوتين إذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والإنصاف ، ولم يعلموا أن التركيب يفيد ما يقصر عنه آحاد كالإحاطة بالجزئيات، واستنباط الصناعات، واستخراج منافع الكائنات من القوة إلى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف. وإليه أشار تعالى إجمالاً بقوله:

﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَالاَ تَعْلَمُوْنَ[٣٠]﴾ والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سَبَح في الأرض والماء ، وقَدَسَ في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد. ويقال: قَدّس إذا طهر؛لأن مطهر الشيء مبعد له عن الأقذار، و﴿ بحمدك﴾ في موضع الحال:أي متلبسين بحمدك على ما ألهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما أوهم إسنا د التسبيح إلى أنفسهم ، و﴿نقدس لك﴾ نطهر نفو سنا عن الذنوب لأجلك. كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح ، وسفك الدماء الذي هو أعظم الأفعال الذميمة بتطهير النفوس عن الآثام وقيل: نقد سك واللا م مزيدة.

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ إما بخلق علم ضروري بها فيه ،أو إلقاء في روعه. ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل . والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالباً؛ ولذلك يقال علّمته فلم يتعلم. وآدم اسم أعجمي كآزر وشالخو اشتقاقه من الأُدْمة وهي السمرة،أوالأَدَمة

قوله:وكذلك التقديس:أى تقديسه تعالىٰ كما صرحها الكشاف، وإلا فالمراد من التقديس ههنا تقديس الملائكة كما بينه رحمه الله تعالىٰ ولذلك قال تعالى: ﴿ ونقدس لك﴾ ولم يقل﴿ ونقدسك﴾ وقيل: المراد ونقدسك واللام مزيد كما في﴿ ردف لكم﴾ فعلى هذا يقول: المراد من التسبيح والتقديس واحد ، والاول أرجح لعدم لزوم التكرار .

قوله :أو إلقاء في روعه: أي في قلبه بطريق الفيض وهو الإلهام .

قوله : ولا يفتقر إلى سابقة إصطلاح:يعني لا يفتقر التعليم على اصطلاح سابق حتى يتوقف عليه، ويتوقف ذلك الاصطلاح على اصطلاح آخر فيتسلسل .

قوله : وآدم اسم أعجمي كآذروشالخ: قال صاحب الكشاف: واشتقاقهم آدم من الأدمة أو من أديم الأرض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب، وإدريس من الدرس، وإبليس من الإبلاس، وما آدم إلااسم أعجمي، ثم قال: وأقرب أمره أن يكون على "فاعل" كآذر وعاذر وعابر وشالخ رداً على ما ذكره الجوهري وغيره أنه "أفعل". ورد عليه المصنف بأنه اسم أعجمي كما أن آذر وشالخ اسمان أعجميان فجعله مشتقامما ذكر

تعسف إذ من البعيد بالفتح بمعنى الأسوة،أو من أديم الأرض؛ لما روي عنه عليه الصلاة والسلام " أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها، وحزنها، فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه أخيافاً " ،أو من الأُدُم، أو الأُدْمة بمعنى الألفة، تعسف .كاشتقاق إدريس من الدرس، ويعقوب من العقب، وإبليس من الإبلاس. والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلاً يرفعه إلى الذهن مع الألفاظ والصفات والأفعال ، واستعماله عرفاً في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركباً أو مفرداً، مخبراًعنه أو خبراً أو رابطة بينهما. واصطلاحاً: في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة. والمراد في الآية إما الأول أو الثاني وهو يستلزم الأول ؛لأن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني ، والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعداً لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات. وألهمه معرفة ذوات الأشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰئِكَةِ﴾ الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمناً؛ إذ التقدير أسماء المسميات ، فحذف المضاف إليه لدلالة المضاف عليه، وعوض عنه اللام كقوله تعالى:﴿ واشتعل الرأس شيباً﴾[١٩. مريم:٤] لأن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الأشياء سيما إن أريد به الألفاظ . والمراد به ذوات الأشياء.

اعتبار التناسب بين لفظ في لغة ولفظ آخر في لغة أخرى حتى يتحقق الاشتقاق؛إذ يجوز أن يكون ذلك اللفظ الآخر في تلك اللغة بمعنى آخر .

قوله : أخيافا :أي مختلفين، قال الجوهري: يقال "فرسٌ أخيف" إذا كانت إحدى عينيه زرقاً والأخرى سوداء، ومنه قيل:" الناس أخياف" أي مختلفون "وإخوة أخياف" إذا كانت أمهم واحدة والآباء شتّى.

قوله : والاسم باعتبار الاشتقاق: فإن كان مشتق من الوسم وهو العلامة مايكون علامة للشيء، وإن كان مشتق من السمو وهو العلو ما يكون دليلاً يرفعه إلى الذهن.

قوله: وهو يستلزم الأول: وهو أي العلم بالألفاظ عرفًا يستلزم العلم بالمعاني التي هي المقصودة،

قوله :" سيما إن أريد به ألالفاظ" أي إن أريد بالمعروض على تقدير أن يكون نفس الأسماء الألفاظ فإنه لايكون نفسًا إلاأسماء بالطريق الاولىٰ؛ لأن الألفاظ لاأسماء لها حتى يسأل عن اسماء ها.

قوله: والمراد به ذوات الأشياء أو مدلولات الألفاظ: يعني المراد بالمسميات

أو مدلولات الألفاظ ، وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء . وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن أو مسميا تها.

﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هَٰؤُلَآءِ﴾ تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة ؛ فإن التصرف والتدبير إقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة . والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال. وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال . والإنباء : إخبار فيه إعلام . ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما.

﴿إِنْ كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[٣١]﴾ في زعمكم أَنَّكُمْ أحقاء بالخلافة لعصمتكم ، أوأن خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم ، وهو وإن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم. والتصديق كما يطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق إليه بفرض ما يلزم مدلوله من الأخبار. وبهذا الاعتبار يعتري الإنشآء ات.

﴿قَالُوا سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ اعتراف بالعجز والقصور. وإشعار بأن

التي هي المعروض ذوات الأشياء أو مدلولات الألفاظ، وذلك بأن أراد الأجناس والأفراد التي خلقها .

قوله : وليس هذا بتكليف :يعني أن هذ الأمر يعني قوله:" أنبئوني" للتبكيت والتعجيز لاأمر تكليف لكونه تكليفاً بالمحال؛ إذ ليس لهم استعداد الإنباء؛ لأنهم لا يعلمون إلا الكليات كما سبق. وفي بعض النسخ "أن يكون " في تقدير" لأن يكون" أي لكونه.

قوله: ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما: أي تارة يجري مجرى الإخبار فيتعدي إلى مفعول واحد، وتارة يجري مجرى الإعلام فيتعدي إلى ثلثة مفاعيل .

قوله : وبهذا الاعتبار يعتري الانشآء ات: أي باعتبار ما يلزم مدلوله من الإخبار يعتري التصديق الانشآء ات نحو "صلِّ" فإنه في قوة "أطلب منك الصلاة "فيعتري التصديق باعتبارهذه الإخبار.

قوله : اعتراف بالعجز: يعني أن قوله ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ اعتراف بالعجز بعد التعجيز بقوله "أنبئوني "وأما قوله:" سبحانك" فسيأتي وجه التصدير به وهو أنه اعتذارعن الاستفسار بأنك منزَّه عن كل سوءٍ وعيب ونحن مجبولون بالعيب والجهل بحقيقة الحال فنستفسر.

سؤالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً، وأنه قد بَانَ لهم ما خفي عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه، وإظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم، ومراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه وسبحان : مصدر كغفران، ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوباً بإضمار فعله كمعاذالله . وقد أُجْرِيَ علماً للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله: سحان من علقمة الفاخر. وتصدير الكلام به اعتذارعن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال؛ ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام: ﴿ سبحانك تبت إليك﴾[٧.الأعراف:١٤٣] وقال يونس:﴿سبحانك إني كنت من الظالمين﴾

﴿إِنَّكَ أنت العليم﴾الذي لا يخفى عليه خافية﴿الحكيم[٣٢]﴾المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة، و﴿أنت﴾ فصل، وقيل:تأكيد للكاف كما في قولك: مررت بك أنت، وإن لم يجز:مررت بأنت؛إذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع، ولذلك جاز:ياهذا الرجل، ولم يجز:ياالرجل، وقيل:مبتدأخبره ما بعده والجملة خبر "إنّ".

﴿قَالَ يَاآدمُ أَنبِئْهُمْ بِأسمَائِهِم﴾ أي أعلمهم. وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما.

﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ[٣٣]﴾ استحضار لقوله تعالى﴿ إِنِّي أعلم مالا تعلمون﴾ [٢.البقرة:٣٠] لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه ؛ فإنه تعالى لما علم ما خفي عليهم من أمور السماوات والأرض ، وما ظهرلهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم مالا يعلمون. وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى: وهو أن يتوقفوا مترصدين لأنُ يُّبين لهم . وقيل:"ماتبدون" قولهم:﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ و"ماتكتمون" استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة ، وأنه تعالى لا يخلق خلقاً أفضل منهم . وقيل: ما أظهروا من الطاعة .

قوله: وسبحان مصدر: قال ابن الحاجب: سبحان إذا كان مضافاً لا يكون علماً؛ إذ العلم لا يضاف، وإذا استعمل غير مضاف يكون علم جنس للتسبيح بمعنى التنزيه، لا بمعنى قول سبحان الله وهو غير منصرف للعلمية والألف والنون، قال الرضي: قالوا: ودليل علميته قول الأعشى:قد قلت لما جاء في فخره سبحان من علقمة الفاخر

ولا منع من أن يقال: حذف المضاف إليه وهو مراد للعلم به وأبقى المضاف على حاله مراعاةً لِأَغْلب أحواله من التجرد عن التنوين.

وأسر إبليس منهم من المعصية، والهمزة للإنكار دخلت حرف الجحد فأفادت الإثبات والتقرير.

واعلم أنّ هذه الآيات تدل على شرف الإنسان ، ومزية العلم، وفضله على العبادة . وأنه شرط في الخلافة بل العمدة فيها، وأن التعليم يصح إسناده إلى الله تعالى و إن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به، وأن اللغات توقيفة ؛ فإن الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو عموم، و تعليمها ظاهر في إلقائها على المتعلم مبيناً له معانيها.و ذلك يستدعي سابقة وضع. والأصل ينفي أن يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله سبحانه و تعالى ،وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم وإلا لتكرر قوله:﴿إنك أنت العليم الحكيم﴾ وأن علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة ، والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى: ﴿وما منا إلاله مقام معلوم﴾ وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة؛لأنه أعلم منهم .والأعلم أفضل لقوله تعالى:﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها.

قوله: بخصوص أو عموم: إشارة إلى ما سبق من معنى الاسم بحسب العرف واللغة .

قوله: والأصل ينفي أن يكون :ذلك الوضع ممن كان قبل آدم ممن كان خليفة في الأرض من الملائكة والجن؛ لأن وضع أهل اللغة إنما يكون للألفاظ التي من لغتهم لا من لغة غيرهم، فالأسماء التى علمها آدم من لغة لا يكون الواضع غيره فيكون الواضع الله تعالى .

قوله: وإن مفهوم الحكمة زائداً على مفهوم العلم: أراد أن مفهوم الحكمة غير مفهوم العلم زائد عليه، ولهذا فسره بقوله المحكم الخ. قال الجوهري: الحكيم: العالم وصاحب الحكمة والحكيم المتقن للأمور، ويجوز أن يراد أن مفهومه مفهوم العلم مع زيادة، قال في شرح المواقف: الحكيم ذو الحكمة: وهي العلم بالأشياء على ما هي عليه والإتيان بالأفعال على ما ينبغي، وقيل: الحكيم بمعنى المحكم من الإحكام وهو اتقان التدبير وإحسان التقدير.

قوله: في الطبقة العليا منهم :وهم الذين شأنهم الاستغراق في معرفة الله تعالىٰ التنزه عن الاشتغال بغيره كما سبق .

قوله: وما منا إلا له مقام معلوم: أي ليس لنا بالنسبة إليه تعالى إلا مرتبة معينة من العلم لا يمكن الزيادة عليه .

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ لمّا أنباهم بأسمائهم وعلّمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافاً بفضله، واداء لحقه ، واعتذاراً عما قالوا فيه .وقيل:أمرهم به قبل أن يسوي خلقه لقوله تعالى:﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾امتحاناً لهم وإظهاراً لفضله . والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق إن نصبته بمضمر. وإلا عطفه بما يقدر عاملاً فيه على الجملة المتقدمة، بل القصة بأسرها على القصة الأخرى:وهي نعمة رابعة عدها عليهم .والسجود في الأصل تذلل مع تطامن، قال الشاعر :

ترى الأكم فيها سجداًللحوافر

وقال آخر: وقلن له أسجد لليلى فاسجدا يعني البعير إذا طأطأ راسه.

و في الشرع:وضع الجبهة على قصد العبادة .والمامور به إما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى، وجعل آدم قبلة لسجود هم تفخيماً لشأنه ،أو سبباً لوجوبه فكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون نموذجاً للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها، و نسخة لما في العالم الروحاني والجسماني، وذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قد ر

قوله : لما أنبأهم بالأسماء الخ: فعلى هذا القول يكون الأمر بالسجود بعد التسوية ونفخ الروح لأجل الاعتراف بفضله، وعلى القول الآخر قبل التسوية ونفخ الروح ، ويكون الأمر للامتحان لا للاعتراف بفضله، وعلى هذا القول يكون تعليم الأسماء والمناظرة مع الملائكة بعد السجود .

قوله : والعاطف عطف الظرف الخ:يعني إن نصبت الظرف السابق بالعامل المضمر فهو معطوف على نفس الظرف السابق، وإن نصبته بـ"قالوا" فهو مع العامل المقدر معطوف على الجملة المتقدمة التي مجموع العامل مع الظرف بل القصة على القصة .

قوله : ترى الأكم: بتخفيف الأكم ،الأكمة معروفة، والجمع أَكَمٌ، وجمع الأكم إكام مثل جبل وجبال، وجمع الإكام أكم مثل كتاب وكُتب، وجمع الأُكم آكام مثل عنق وأعناق، والتطامن: السكون.

قوله: بحيث يكون نموذجاً للمبدعات كلها: أي المجردات كلها؛ لأن الإبداع إيجاد الشيء بلا سبق مادةٍ ومثال بل الموجودات كلها المجردات والماديات حتى الواجب تعالى ؛ وذلك لأنه تجلى ذاته تعالى وتقدس وصفاته حقائق الأشياء وتدبير الأشياء وأحوالها فيظهرلهم مرتبتهم من الاستغراق في معرفة الله تعالى وتدبير الأمر من السماء إلى الأرض .

لهم من الكمالات ، و وصلة إلى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات، أمرهم بالسجود تذللاً لما رأوافيه من عظيم قدرته، وباهر آيانه وشكراً لم أنعم عليهم بواسطته، فاللام فيه كاللام في قول حسان رضى الله تعالىٰ عنه :

أليس أول من صلى لقبلتكم وأعرف الناس بالقرآن والسنن

أو في قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾[١٧. الإسرائيل:٧٨]

وأماالمعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحيةً وتعظيماً له كسجود إخوة يوسف له، أو التذلل والإنقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم . والكلام في أن المأمورين بالسجود الملائكة كلهم ، أو طائفة منهم ما سبق.

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيْسَ أَبىٰ واسْتَكْبَرَ﴾ امتنع عما أمر به استكباراً من أن يتخذه وصلة في عبادة ربه، أو يعظمه ويتلقاه بالتحية ،أو يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه . والإباء: امتناع باختيار.والتكبر: أن يرى به الرجل نفسه أكبر من غيره . والاستكبار طلب ذلك بالتشبع.

﴿وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ[٣٤]﴾ أي في علم الله تعالى، أو صار منهم باستقباحه أمر الله تعالى إياه بالسجود لآدم اعتقاداً بأنه أفضل منه، والأفضل لايحسن أن يؤمر بالتخضع للمفضول، والتوسل به كما أشعر به قوله: ﴿أنا خير منه ﴾[٧. الأعراف:١٢] جواباً لقوله:

قوله : فاللام فيه: يعني أن اللام فيه إما بمعنى إلى كما في قول حسان، أو للعلة كما في قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾.

قوله: في قول حسان: في شأن على بن أبي طالب كرم الله تعالىٰ وجهه مدعياً أن الخلافة حقه، وأوله:

ما كنت أعرف أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن

والمعنى ما كنت أعرف أن أمر الخلافة منصرف عن هذه القبيلة مرة بعد أخرى متجاوزًا عن علي رضي الله تعالىٰ عنه، أليس هوأول وأفضل من صلى إلى الكعبة وأعرف الناس بالقرآن وسنن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم ؟.

قوله :أو التذلل: والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم كسعي الرعايا والخدم للخلفاء.

قوله: بالتشبع: قال الجوهري: المتشبع: المتزين بأكثر مماعنده يتكبر ويتزين بالباطل، وفي الحديث: المتشبع بما لا يملك كلابس ثوب زور .

﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العلين﴾ [٣٨. ص: ٧٥] لا بترك الواجب وحده . والآية تدل على أن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه ، وأن إبليس كان من الملائكة وإلا لم يتناوله أمرهم ولا يصح استثناؤه منهم . ولا يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ إلا إبليس كان من الجن﴾[١٨ .الكهف: ٥٠] لجواز أن يقال: إنه كان من الجن فعلاً ومن الملائكة نوعاً، ولأن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما روى أن من الملائكة ضربًا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم إبليس، ولمن زعم أنه لم يكن من الملائكة أن يقول: إنه كان جنياً نشأ بين أظهر الملائكة ، وكان مغموراً بالألوف منهم فغلبوا عليه، أو الجن أيضاً كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم؛ فإنه إذا علم أن الأكابر مأمورون بالتذلل لأحد والتوسل به علم أن الأصاغر أيضاً مأمورون به . والضمير في "فسجدوا" راجع إلى القبيلتين كأنه قال: فسجد المأمورون بالسجود إلا إبليس . و أن من الملائكة من ليس بمعصوم وإن كان الغالب فيهم العصمة كما أن من الإنس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة . ولعل ضرباً من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات ، وإنما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الإنس والجن يشتملهما. وكان إبليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما؛ فلذلك صح عليه التغيرعن حاله والهبوط من محله كما أشار إليه بقوله عز وعلا. ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾[١٨ .الكهف: ٥٠] لا يقال: كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نوروالجن من نار؟ لما روت عائشة رضي الله تعالى عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال: "خلقت الملائكة من النور، وخلق الجن من مارج من نار" ؛لأنه كالتمثيل لما ذكرنا، فإن المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير أن ضوء ها مكدرمغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق، فإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور، ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذعة، ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف. وهذا أشبه بالصواب، وأوفق للجمع بين النصوص. والعلم عندالله سبحانه وتعالى.

ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار، وأنه قد يفضي بصاحبه إلى الكفر، والحث

قوله: وإن من الملائكة: عطف على قوله: إن آدم .

على الائتمار لأمره وترك الخوض في سره، وأن الأمر للوجوب، وأن الذي علم الله تعالى من حاله أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة؛ إذ العبرة بالخواتم وإن كان بحكم الحال مؤمناً وهو الموافاة المنسوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى .

﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ السكنى من السكون؛ لأنها استقرار ولبث. و"أنت" تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه، وإنما لم يخاطبهما أولاً تنبيهاً على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له. والجنة دار الثواب؛ لأن اللام للعهد ولا معهود غيرها. ومن زعم أنها لم تخلق بعد قال :إنه بستان كان بأرض فلسطين، أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحاناً لآدم، وحمل الإهباط على الانتقال منه إلى أرض الهند كما في قوله تعالى :﴿اهبطوا مصراً﴾[٢.البقرة:٦١] ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً﴾ واسعاً رافهاً صفة مصدر محذوف.

قوله : وإن الذي علم الله من حاله: ذهب كثير من السلف وهو المحكي عن الشافعي والمروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما أن الإيمان يدخله الاستثناء فيقال: أنا مؤمن إن شاء الله، ومنعه الأكثرون وعليه أبو حنيفة وأصحابه؛ لأن التصديق أمر معلوم لا يتردد فيه عند تحققه، ومن تردد في تحققه لم يكن مؤمنًا قطعًا، وإذا لم يكن للشك والتردد فالأولى أن يترك بل يقال: أنا مؤمن حقًا دفعًا للإبهام، واستدل القائلون بصحته أن الإيمان ثابت في الحال قطعاً من غير شك فيه لكن الإيمان الذي هو عَلم الفوز وآية النجات إيمان الموافاة، فاعتنى السلف به وقرنوا بالمشية ولم يقصدوا الشك في الإيمان الناجز، ومعني الموافاة: الإتيان والوصول إلى آخر الحياة وأول المنازل الآخرة، ولاخفاء فيأن الإيمان المنجي والكفر المهلك ما يكون في تلك الحال وإن كان مسبوقا بالضد لايثبت أولًا وتغيرإلى الضد ، فلذا ترى الكثير من الأشاعرة يثبتون القول بأن العبرة بإيمان الموافات بمعنى أن ذلك هو المنجي لا بمعنى أن إيمان الحال ليس بإيمان، وكفره ليس بكفر، وعلى هذا يسقط عنهم ما ذكره المانعون.

قوله:**السكنى من السكون** :يعني أن "اسكن" أمر من السكنى بمعنى اتخاذ المسكن لا من السكون بمعنى ترك الحركة، ولذا يذكر متعلقه بدون "في" إلا أن مرجع السكنى إلى السكون.

قوله :**ومن زعم أنها لم تخلق بعد:** اختلف فيه، فجمهورالمسلمين على أن الجنة والنارمخلوقتان الآن، وقال أبو هاشم والقاضي عبد الجبار ومن يجري مجريهما من المعتزلة :إنهما تخلقان يوم الجزاء.

﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي مكان من الجنة شئتما . وسع الأمر عليهما إزاحة للعملة، والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ[٣٥]﴾ فيه مبالغات: تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه، ووجوب الاجتناب عنه، وتنبيهاً على أن القرب من الشيء يورث داعية، وميلاً يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي "حبك الشيء يعمي ويصم" فينبغي أن لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة أن يقعا فيه، وجعله سبباً لأن يكونا من الظالمين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي،أو بنقص حظهما بالإتيان بما يخل بالكرامة والنعيم ؛ فإن الفاء تفيد السببية سواء جعلت للعطف على النهي، أو الجواب له . والشجرة هي الحنطة، أو الكرمة، أو التينة،أو شجرة من أكل منها أحدث . والأولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه . وقرئ بكسر الشين. وتِقرِباً بكسر التاء وهُذِي بالياء.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ أصدر زلتهما عن الشجرة وحملهماعلى الزلة بسببها ونظير "عن" هذه في قوله تعالى:﴿ومافعلته عن أمري﴾[الأعراف: ٢٠]أوأزلهما عن

قوله: **وسع الأمر عليهما**: يعني وسع الأمر عليهما حيث رخص الأكل الواسع الرافة في جميع المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يكون لهماعذر في إتيانه .

قوله : **بإرتكاب المعاصي**: يعني إنما كان من الذين ظلموا أنفسهم إما باتيان المنهي عنه ،أو بنقص حظهما من الكرامة والنعيم اللتين في الجنة.

قوله: **سواء جعلته للعطف على النهي أو الجواب له:** أي ﴿ولا تكونا من الظالمين﴾ بسبب القرب منها، أو إن تقربا منهما تكونا من الظالمين بسبب القرب منهما.

قوله: **أي أصدر زلتهما عن الشجرة الخ:** قال صاحب الكشاف: أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها، وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها، وعن هذه مثلها في قوله تعالى: وما فعلته عن أمرى، وتبعه المصنف . فحمل شارحوكلامه على أن "عن" للسببية والظاهرأن مراده أن "عن" على حقيقتها، وأنها متعلق بـ"أصدر" المضمن ازلّ ، وأنها تقييد السببية، قال الرضي: قال أبو عبيدة:" وما ينطق عن الهوى" أي بالهوى، والأولى أنها بمعناها، والجار والمجرور صفة للمصدر:أي نطقًا صادرًا عن الهوى فـ"عن" في مثله يفيد السببية كما في قولك: قلت هذاعن علم.

الجنة بمعنى أذهبهما، ويعضده قراءة حمزة: فأزالهما، وهما متقاربان في المعنى غير أنّ "أزل" يقتضي عثرة مع الزوال ، وإزلاله قوله: ﴿ هل أدلك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى﴾[٢٠.طه.١٢٠] وقوله: ﴿ ما نهٰكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخٰلدين﴾[٧.الأعراف:٧٧] ومقاسمته إياهما بقوله :﴿ إني لكما لمن النٰصحين﴾[٧. الأعراف:٢١] واختلف في أنه تمثل لهما فقاولهما بذلك، أو ألقاه إليهما على طريق الوسوسة، وأنه كيف توصل إلى إزلالهما بعد ما قيل له:﴿فاخرج منها فإنك رجيم ﴾[٣٨.ص:٧٧] فقيل: إنه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة، ولم يمنع أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء. وقيل: قام عند الباب فناداهما، وقيل : تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة ، وقيل: دخل في فم الحية حتى دخلت به، وقيل: أرسل بعض أتباعه فأزلهما. والعلم عند الله سبحانه وتعالى:

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيْهِ﴾ أي من الكرامة والنعيم .

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ خطاب لآدم عليه الصلاة والسلام وحواء لقوله سبحانه وتعالى:﴿قال اهبطا منها جميعاً﴾[٢٠. طه:١٢٣] وجمع الضمير؛ لأنهما أصلاً الإنس فكأنهما الإنس كلهم، أو هما وإبليس أخرج منها ثانياً بعد ما كان يدخلها للوسوسة ، أو دخلها مسارقة ،أو من السماء.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ حال استغني فيها عن الواو بالضمير . والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله.

﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع استقرار، أو استقرارٍ.

﴿وَمَتَاعٌ ﴾ تمتع ﴿ إِلىٰ حِينٍ[٣٦]﴾ يريد به وقت الموت أو القيامة.

قوله: **فكأنهما الانس كلهم:** فالذرية داخلون في الخطاب كماصرح به في الكشاف، يدل عليه قوله:﴿بعضكم لبعض عدوّ﴾ لأن التعادي إنما يكون بين ذرية آدم.

قوله : **استغنى فيها عن الواو بالضمير:** أي اكتفىٰ فيها با لضمير، فإن قيل: الاكتفاء بالضمير في الجملة الاسمية ضعيف لا يليق بالنظم المعجز. **قلنا**: قد ذكر صاحب المغني وصاحب المنهل أنه قوي وليس بضعيف .

قوله:**موضع استقرارٍ أو استقرارٌ**: والأول بناء على أنه اسم مكان، والثاني على أنه مصدر ميمي .

﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها. وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على أنها استقبلته وتلقته وهي قوله تعالى: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾[٧.الأعراف:٢٣] الآية. وقيل: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك، لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفرلي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . وعن ابن عبا س رضي الله تعالى عنهما قال: يا رب ألم تخلقني بيدك؟قال:بلى،قال: يارب ألم تنفخ فيّ الروح من روحك.قال:بلى، قال: يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك.قال: بلى، قال : ألم تسكني جنتك، قال: بلى.قال: يا رب إن تبت وأصلحت أ راجعي أنت إلى الجنة. قال:نعم " وأصل الكلمة: الكلم . وهو التأثير المدرك بإحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة والحركة.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة . وإنما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة : وهو الاعتراف بالذنب، والندم عليه، والعزم على أن لا يعود إليه. واكتفى بذكر آدم؛ لأن حواء كانت تبعاً له في الحكم؛ ولذلك طوي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ الرجاع على عباده بالمغفرة، أو الذي يكثر إعانتهم على التوبة . وأصل التوبة: الرجوع، فإذا وصف بها العبد كان رجوعاً عن المعصية ، وإذا وصف بها الباري تعالى أريد بها الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة﴿ٱلرَّحِيمُ[٣٧]﴾ المبالغ في الرحمة، وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالإحسان مع العفو.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ كرر للتأكيد أو لا ختلاف المقصود الأول دل على أن

قوله : **استقبلها بالأخذ والقبول:** في الأساس: تلقّيته استقبلته وتلقّيت منه: أي لقني الشيء فتلقيته، وإنما لم يجعل من هذا مع ظهوره حيث استعمل بمن ليترتب عليه الأخذ والقبول والعمل وسائرما يدخل في استقبال الرجل وعزته وأحبائه فعلى هذا يكون "من ربه" حالا من كلمات .

قوله:**أراجعي أنت. اسم فاعل** أضيف إلى المفعول و"أنت" فاعله لاعتماده على الاستفهام .

قوله: **لتضمنه معني التوبة:** لأن قبول التوبة إنما يترتب على التوبة .

قوله: **كرر للتأكيد:** فإن قيل: فلم قدم ذكر تلقى الكلمات عليه؟ قلنا: لفرط الاهتمام بصلاح حاله وفراغ باله والتجاوز عن هفوته وإزاحة ما عسىٰ يتشبث به الملائكة فيما زعموا وقد فضله عليهم وأمره بالسجود له.

هبوطهم إلى دار بلية ، يتعادون فيها ولا يخلدون. والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف ، فمن اهتدى الهُدى نجا، ومن ضله هلك. والتنبية على أن مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين وحدها كافية للحازم أن تعوقه عن مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى، فكيف بالمقترن بهما، ولكنه نسي ولم نجد له عزماً، وأن كل واحد منهما كفى به نكالاً لمن أراد أن يذكر. وقيل: الأول من الجنة إلى السماء الدنيا. والثاني منها إلى الأرض وهو كما ترى و"جميعاً" حال في اللفظ تأكيد في المعنى كأنه قيل: اهبطوا أنتم أجمعون ؛ ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك: جاؤا جميعاً ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[٣٨]﴾ الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول، و"ما" مزيدة أكدت به" إن" ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطلب ، والمعنى: إن يأتينكم مني هُدى بإنزال أو ارسال فمن تبعه منكم

قوله : **والتنبيه: عطف على اختلاف المقصود**: يعني أن المقصود من "اهبطوا" الأول الهبوط المقترن بالتعادي، ومن "اهبطوا" الثاني الهبوط المقترن بالتكليف، والمقصود من ذلك التنبيه على أن مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين كافية للجازم الضابط أمره أن تعوقه عن مخالفة حكم الله، فكيف بالمقترن بهما لكنه لم يجزم ونسي، وهذا المقصود إنما يستفاد من التكرير؛ لأنه لو لم يكرر يكون العوق لأجل مجموع الأمرين فظهر أن المقصود هو التنبيه ولهذا لم يعطف بـ"أو".

قوله : **وهو كما ترى**: إشارة إلى ضعف هذا الوجه؛ إذ لا يلائم الاستقرار في الأرض والتمتع فيها .

قوله : **وجميعاً حال في اللفظ**: يعني أن "جميعًا" حال لفظاً لا معناً ، وفي المعني تأكيد، فهو في الحقيقة ليس بحال ولذلك لا يستدعي أن يكونوا هابطين في زمان واحد على ما هو شرط الحال من المقارنة ، فأول من هبط إلى الأرض إبليس ثم الحية ثم الطاؤس ثم حوا ثم آدم كذا ذكره الإمام الرازي في التفسير الكبير.

قوله: **ولذلك حسن تأكيد الفعل**: أي لأجل أن "ما" مزيد لتأكيد" أن" حسن تأكيد فعل الشرط مع أن نون التأكيد لا يكون إلا في الطلب كالأمر والنهي، أو ما يجري مجراه كالنفي فإنه يجري مجرى النهي لأنهم لما أكدوا أداة الشرط رأو أن تأكيد ما هو المقصود أولىٰ.

نـجـا وفـاز. وإنما جيء بحرف الشك، وإتيان الهدى كائن لامحالة؛ لأنه محتمل في نفسه غيـر واجب عقلاً، وكرر لفظ الهُدى ولم يضمر؛لأنه أراد بالثاني أعم من الأول، وهو ما أتى بـه الـرسل واقتضاه العقل:أي فمن تبع ما أتاه مراعياً فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فـضلاً عـن أن يحل بهم مكروه، ولا هم ممن يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه، فالخوف عـلـى الـمتـوقـع والـحزن على الواقع نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب عـلى آكد وجه وأبلغه. وقرئ هُدَيَ على لغة هذيل ولا خوف بالفتح.

﴿وَالَّـذِيْـنَ كَفَرُواوَكَذَّبُوا بِأٰيٰتِنَا أُولٰٓئِكَ أَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُونَ[٣٩]﴾ عطف عـلـى "من تبع "إلى آخره قسيم له كأنه قال: ومن لم يتبع بل كفروا بالله ، وكذبوا بآياته ، أوكـفـروا بـالآيات جناناً، وكذبوا بها لساناً فيكون الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور. والآية فـي الأصل العلامة الـظاهرة. ويـقـال لـلـمـصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الـصـانـع وعـلـمـه وقـدرتـه ، ولـكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصلٍ، واشتـقـاقهـا مـن أيٍّ لأنهـا تبيـن أيّـاً مـن أي، أومـن أوى إليـه ، وأصـلهـا أيّة،أوأوية كتـمـرة.فأبدلت عينها ألـفاً على غير قياس، أوأيية ، أو أوية كـ"رمكة" فأعلت، أوآئية كـ"قـائلة" فحذفت الهمزة تخفيفاً، والمراد بآياتنا الآيات المنزلة ، أو ما يعمها والمعقولة .

وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه:

الأول: أن آدم صلـوات الله عـلـيـه كـان نبيـاً، وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص.

والثـانـي: أنـه جـعل بارتكابه من الظالمين، والظالم ملعون لقوله تعالى:﴿ ألا لعنة الله على الظالمين﴾[١١.هود:١٨]

والثـالـث: أنـه تـعـالـى أسـنـد إليـه الـعـصيـان والغي، فقـال﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾[٢٠.طه: ١٢١]

قوله:**على آكد وجه وأبلغه** : لأن نفي العذاب عنهم يستلزم الثواب عليهم .

قوله: **على لغة هزيل:** لأنها تقلب الألف لغير التثنية ياءً نحو عصي في عصًا.

قوله: **واشتـقاقها من أي:** أياشتـقـاق الآية القرآنية من أي؛لأن "أيًا" للاستفهام عن التعين والتمييز، والآيات تبين وتميز أياً من آيٍ.

قوله:**على غير قياس:** لأن الواو غير متحركة مع فتحة ماقبلها .

والرابع: أنه تعالى لقنه التوبة، وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه .

والخامس: اعترافه بأنه خاسر، لولا مغفرة الله تعالى إياه بقوله ﴿ وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[٧. الأعراف: ٢٣] والخاسر من يكون ذا كبيرة.

والسادس: أنه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى . والجواب من وجوه.

الأول: أنه لم يكن نبياً حينئذ ، والمدعي مطالب بالبيان .

والثاني: أن النهي للتنزيه. وإنما سمي ظالماً وخاسراً ؛لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى له. وأما إسناد الغي والعصيان إليه فسيأ تي الجواب عنه في موضعه إن شاء الله تعالى : وإنما أمر بالتوبة تلافياً لما فات عنه، وجرى عليه ماجرى معاتبة له على ترك الأولى ، ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه.

والثالث أنه فعله ناسياً لقوله سبحانه وتعالى ﴿ فنسي ولم نجد له عزماً﴾ [٢٠.طه:١١٥] ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان . ولعله وإن حط عن الأمة لم يحط عن الأنبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة والسلام ." أشد الناس بلاء الأنبياء ،ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل" أو أدى فعله إلى ما جرى على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة على تناوله كتناول السم على الجاهل بشأنه ، لا يقال إنه باطل

قوله :**ماجرى** :وهو الإهباط المقترن مع التعادي والتكليف .

قوله : **إنه لم يكن نبياً**: إن هذا منع والمدعى مطالب بالدليل، فعليه أن يقيم الدليل على أنه نبيٌّ لا علينا.

قوله :**فسيأتي الجواب عنه**: وهو أن العصيان قبل كونه نبياً.

قوله :**تلافيًا لما فأت**: أي لأجل التدارك لما فأت من الجنة لا لأجل العصيان .

قوله: **ووفاء لما قاله للملائكة قبل خلقه**: وهوقوله:﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ حيث تبقى تعظيمه .

قوله :**وإن حط عن الأمة**: حيث قال عليه السلام "رفع عن أمتى السهو والنسيان "

قوله :**أوأدى فعله**: عطف على"عوتب" والمعني أنه فعله ناسياً لكن أدى فعله إلى ماجرى عليه من الإهباط من الجنة وزوال نعمها بناءً على أن الله تعالىٰ قدر في الأزل ترتب الإهباط والزوال على فعله لا على وجه المواخذة كتناول إنسان سمًاجاهلًا حاله وترتب الهلاك بالتقدير الأزلي.

لقوله تعالى:﴿ما نهاكما ربكما﴾[٧.الأعراف: ٢٠] ﴿ قاسمهما﴾ [٧.الأعراف:٢١] الآيتين ؛ لأنه ليس فيهما ما يدل على أن تناوله حين ماقال له إبليس . فلعل مقاله أورث فيه ميلاً طبيعياً ، ثم إنه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى إلى أن نسي ذلك ، وزال المانع فحمله الطبع عليه .

والرابع: أنه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه، فإنه ظن أن النهي للتنزيه، أو الإشارة إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الإشارة إلى النوع كما روي أنه عليه الصلاة والسلام "أخذ حريراً وذهباً بيده وقال: "هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثها" وإنما جرى عليه ما جرى تعظيماً لشأن الخطيئة ليجتنبها أو لاده ، وفيها دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنها في جهة عالية، وأن التوبة مقبولة ، وأن متبع الهدى مأمون العاقبة، وأن عذاب النار دائم، وأن الكافر فيه مخلد، وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى:﴿ هم فيها خالدون ﴾

واعلم أنه سبحانه وتعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد . وعقبها تعداد النعم العامة تقريراً لها وتأكيداً فإنها من حيث إنها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والأمر وحده لا شريك له ، ومن حيث إن الإخبار بها على ماهومثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها . ولم يمارس شيئاًمنها إخبار بالغيب معجزتدل على نبوة المخبرعنها ، ومن حيث اشتمالها على خلق الإنسان وأصوله، وما هو أعظم من ذلك تدل على أنه قادرعلى الإعادة كما كان قادراً على الإبداء، خاطب أهل العلم والكتاب منهم ، وأمرهم أن يذكروا نعم الله تعالى عليهم ، ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتضاء الحجج ليكونوا أو ل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه فقال:

قوله:**وإنها في جهة عالية:** حيث قال:" اهبطوا" .

قوله:**لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد:** أي السمٰوٰت والأرض؛ فإنها تدل على صانع حكيم له الحكم وحده لا شريك له، وعلى نبوة المخبر بها، وعلى القدرة على الإعادة، وأصول الإنسان التي هي العناصر، وما هو أعظم منها التي هي الأفلاك. والنعم العامة هو إنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات.

قوله:**ليكونوا أول من آمن بمحمد ﷺ:** ناظر إلىٰ قوله:﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ أي كونوا أول فوج آمن به.

﴿يَـٰبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أولاد يعقوب. والابن من البناء ؛لأنه مبني أبيه ؛ ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال: أبو الحرب ، وبنت الفكر. وإسرائيل لقب يعقوب عليه السلام، ومعناه بالعبرية: صفوة الله. وقيل :عبد الله. وقرئ إسرائل بحذف الياء، وإسرال بحذفهما، وإسرايل بقلب الهمزة ياء﴿ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم؛ لأن الإنسان غيور حسود بالطبع، فإذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط، وإن نظر إلى ما أنعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر. وقيل: أراد بها ما أنعم الله به على آبائهم من الإنجاء من فرعون والغرق. ومن العفو عن اتخاذ العجل، وعليهم من إدراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم. وقرىء :اذّكروا، والأصل إفتعلوا. ونعمتي، بإسكان الياء وقفاً وإسقاطها درجاً، هو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾ بالإيمان والطاعة﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بحسن الإثابة والعهد يضاف إلى المعاهِد والمعاهَد. ولعل الأول مضاف إلى الفاعل والثاني إلى المفعول؛ فإنه تعالى عهد إليهم بالإيمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وإنزال الكتب، ووعد لهم بالثواب على حسناتهم ، وللوفاء بهما عرض عريض فأول مراتب الوفاء منا هو الإتيان بكلمتي الشهادة، ومن الله تعالى حقن الدم والمال، وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلاً عن غيره، ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم . وما روي عن ابن عبا س رضي الله تعالى عنهما :"أوفوا بعهدى في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم أوف بعهدكم في رفع الآصار والإغلال" وعن غيره أوفوا بأداء الفرائض وترك الكبائر أوف بالمغفرة والثواب. أوأوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم المقيم . فبالنظر إلى الوسائط .

قوله:**فيقال أبو الحرب:** أي يقال ذلك بناء عليه لأن الحرب إذا كان إبنا ومبينًا له كان هو اباالحرب ويقال بنت الفكر لأن نتيجة الفكر كانت بنتًا ومبينًا له كذا فسر المصنف بنت الفكر بالنتيجة فيما نقل عنه.

قوله:**والعهد يضاف إلى العاهِدوالمعاهَد:** لكونه نسبة بينهما بمنزلة مصدر يضاف تارة إلى الفاعل وتارة إلى المفعول.

قوله:فبالنظر إلى الوسائط: أي هذه العهود إليهم بواسطة عهده تعالىٰ إليهم بالإيمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وإنزال الكتب إلى آخر ما ذكره، لأن هذه العهود أول عهوده تعالىٰ بد ون العهد بالإيمان.

وقيل: كلاهما مضاف إلى المفعول، والمعنى: أوفوا بما عاهدتموني من الإيمان والتزام الطاعة أوف بما عاهدتكم من حسن الإثابة . وتفصيل العهدين في سورة المائدة في قوله﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾[٥. المائدة:١١٢] إلى قوله ﴿ ولأدخلنكم جنٰت تجري من تحتها الأنهٰر﴾[٥. المائدة:١٢] وقرئ أوفّ بالتشديد للمبالغة.

﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُوْنِ[٤٠]﴾فيما تأتون وتذرون وخصوصاً في نقض العهد ، وهو آكد في إفادة التخصيص من "إياك نعبد" لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول، والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط، كأنه قيل: إن كنتم راهبين شيئاً فارهبون، والرهبة: خوف مع تحرز. والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحداً إلا الله تعالىٰ .

قوله: وهو آكد في إفادة التخصيص الخ. وذلك لأن تكرير المفعول تاكيد و كذا تعليقه بالشرط العام الذى هو خوف شيء ما تاكيد، وليس التخصيص إلا تاكيدًا علي تاكيد ، فيكون أوكد في إفادة الاختصاص من "إياك نعبد" .

وأيضًا ليس كل تاكيد على تاكيد تخصيصًا حتى يكون التخصيص عبارة عنه، ألا ترى أن قولك "إن زيدًا لقائم" تاكيد على تاكيد وليس بتخصيص، وقد حققنا ذلك في حواشي المطول فليطالع ثمة، هذا تحقيق ما ذكره المصنف: وهو أن التاكيد في تكرير المفعول كما صرح به الطيبي.

وأما صاحب الكشاف فقد جعل في مجموع فارهبون مع المفعول المقدر، وهٰهنا إشكال وهو أن" إِيّايَ فارهبون" لا يصلح أن يجعل من باب على شريط التفسير ولا من باب تقديم المفعول على الفعل، بل هو من باب المفعول للفعل المحذوف ويكون الفاء للعطف لا للشرط، كما صرح به صاحب المفتاح؛ لامتناع عمل ما بعد فاء الشرط فيما قبلها.

وأجيب عنه بأن الفاء بالحقيقة داخلة على الاسم وإنما دخلت على الفعل ليقع الاسم في موضع الشرط كما في أما زيدًا فاضرب .

﴿وَءَامِنُوا بِمَآ أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾ إفراد للإيمان بالأمر به والحث عليه ؛لأنه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود، وتقييد المنزّل بأنه مصدّق لما معهم من الكتب الإلهية من حيث إنه نازل حسبما نعت فيها، أو مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء إلى التوحيد، والأمر بالعبادة، والعدل بين الناس، والنهي عن المعاصي والفواحش، وفيما يخالفها فيها جزئيات الأحكام بسب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث إن كل واحدة منها حق بالإضافة إلى زمانها، مراعي فيها صلاح من خوطب بهاحتى لو نزل المتقدم في أيام المتأخر لنزل على وفقه ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام " لوكان مو سى حياً لما وسعه إلا اتباعي"

تنبيه: على أن اتباعها لا ينا في الإيمان به بل بوجبه ولذلك عرض بقوله:﴿وَلَا تَكُونُوٓا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾بأن الواجب أن يكونوا أول من آمن به، ولأنهم كانوا أهل النظر في معجزاته، والعلم بشأنه، والمستفتحين به والمبشرين بزمانه، و﴿ أول كافر به ﴾ وقع خبراً عن ضمير الجمع بتقدير:أول فريق أو فوج ، أو بتأويل لايكن كل واحد منكم أول كا فر به، كقولك كسانا حلة. فإن قيل: كيف نهوا عن التقديم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب؟ قلت: المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر. كقولك:أما أنا فلست بجاهل، أو ولا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب، أو ممن كفر بما معه فإن من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه .

قوله: حسبما نعت فيها:لأنه سبحانه ذكر فيها إرسال نبيٍّ آخر الزمان وإنزال القرآن، فيكون القرآن مصدقًا لما ذكر فيها.

قوله: تنبيه: مبتدأ خبره فيما يخالفها.

قوله:بل يوجبه :لأن نزولها في حين إنزال القرآن كائن على وقفه في الأحكام.

قوله: والمستفتحين: الاستفتاح الاستنصار:أي كانوا يقولون: قدآن مبعث النبي الأمي الذي نجد في التوراة والإنجيل فنحن نؤمن به ونقاتلكم معه.

قوله: المراد به التعريض:أي التعريض بأنه يجب أن يكونوا أول من يؤمن والتعريض أن يذكر شيء والغرض منه شيء آخر كقول المحتاج"جئتك لانظر وجهك الكريم" والغرض استعطاء .

قوله: أو ممن كفر بما معه: الضمير في "معه" راجع إلى من كفر، فالضمير في قوله تعالى:" به" راجع إلى "ما معكم" لا إلى "ما أنزلت" كما في الوجه الأول: أي لا تكونوا أول من كفر بالتوراة ، فإن من كفر بالقرآن المصدق للتوراة فقد كفر بالتوراة .

أو مثل من كفر من مشركي مكة. وأوّل،أفعل لا فعل له. وقيل: أصله أوَأل من وأل . فأبدلت همزة واواً تخفيفاً غير قياسي، أوأأوَل من آل فقُلِبت همزة واواً وأدغمت.

﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِأَيَتِى ثَمَناً قَلِيْلاً﴾ ولا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا؛ فإنها وإن جلت قليلة مسترذلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان . قيل: كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لواتبعوارسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه. وقيل: كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه.

﴿ وَإِيَّاىَ فَاتَّقُوْنِ[٤١]﴾ بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن الدنيا. ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية، فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ، ولأن الخطاب بها عم العالم والمقلد، أمرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك، والخطاب بالثانية لماخص أهل العلم ، أمرهم بالتقوى التي هي منتهاه .

قوله: أو مثل من كفر من مشركي مكة: يعني أنه على حذف المضاف:أي لا تكونوا وأنتم أهل العلم مثل من لم يعرف من المشركين الذين هم أول الكافرين.

قوله: ولا تستبدلوا بالإيمان بها: يعني أن المراد بالاشتراء: الاستبدال، فقيل: إنه إستعارة لفظية كإطلاق المرسن على الأنف؛لما أنه استبدال مخصوص استعملت في مطلق الاستبدال، لا معنوية مبنية على التشبيه. وقيل: استعاره تحقيقية مبنية على تشبيه استبدال حظوظ الدنيا، أو الرياسة بالآيات وجرت في الفعل بالتبعية إلا أنه وقع التعبير عن المشتري بلفظ الثمن خلاف ما في الاشتراء الحقيقي، فلذا جعله قرينة للاستعارة ؛لأن الثمن لا يصلح مشترًى، وإنما هو مشترًى به.

قوله: كانوا يأخذون الرشى:أي على تحريفهم الكلم وتسهيلهم له ما صعب عليهم من الشرائع، وكان ملوكهم يدرون عليهم أموالًا ليكتموا ويحرفوا.

قوله:فصلت بالرهبة:أي جعلت فاصلتها وآخرها الرهبة .

قوله: ولأن الخطاب: عطف على ما قبله من حيث المعنى، فكأنه قيل: فصلت آية السابقة بالرهبة؛ لأنها مشتملة على ما هو كالمبادي التقوي، ولأن الخطاب الخ

قوله:والخطاب بالثانية لما خص من أهل العلم؛لأن الإيمان بما أنزلت من حيث إ نه مصدق لما معهم خاص بهم ؛ إذ لا يعرف غير أهل العلم كونه مصدقا لما معهم.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ عطف على ما قبله. واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبهاً بغيره . والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل عليكم بالباطل الذي تخترعونه وتكتمونه حتى لا يميز بينهما، أو ولا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله، أو تذكرونه في تأويله.

﴿وَتَكْتُمُواْ الْحَقّ﴾جزم داخل تحت حكم النهي، كأنهم أمروا بالإيمان وترك الضلال، ونهوا عن الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق ، والإخفاء على من لم يسمعه ، أو نصب بإضمار "أن" على أن الواو للجمع بمعنى "مع" أي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه. ويعضده أنه في مصحف ابن مسعود "وتكتمون" أي وأنتم تكتمون بمعنى كاتمين . وفيه إشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق .

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ[٤٢]﴾ عالمين بأنكم لا بسون كاتمون؛فإنه أقبح إذ الجاهل قد يعذر.

﴿وَأَقِيْمُواْ الصَّلوٰةَ وَاٰتُوا الزَّكوٰةَ﴾يعني صلاة المسلمين وزكاتهم ؛فإن غير هما كلا صلاة ولا زكاة أمرهم بفروع الإسلام بعدماأ مرهم بأصوله . وفيه دليل على أن الكفار

قوله: أولا تجعلو الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل:أي مشتبها به بسبب خلط، وهذا ناظر إلى لازم اللبس، والمعنى الأول ناظر إلى نفس اللبس .

قوله: ويعضده الخ: وذلك أي و"تكتمون" حال بمعنى كاتمين بتأويل" وأنتم تكتمون"؛ لأن المضارع المثبت إذا وقع حالاً لا يدخل عليه الواو، ومن شرط الحال اتحاد زمان الحال وعاملها، فيكون النهي عن الجمع بينهما. فإن قيل: فعلى هذا يلزم جواز فعلهم اللبس بدون الكتمان وعكسه كما في مسئلة السمك. قيل: لانسلم جواز فعل كل واحد منهما على الانفراد كما في مسئلة السمك، فإن نهي الجمع لايدل على جواز البعض ولا عدمه ولا يعلمان إلامن دليل آخر، وفي النهي عن الجمع إشعار بأن استقباح اللبس ليس لذاته لما قد يلزمه ويصحبه من كتمان الحق حتى لو وجد بدون كتمان الحق لما يستقبح؛ إذ لا قبح في ذكر الباطل مع الحق وإن كان الباطل في نفسه قبيحًا كما في صورة إبهام المراد، نحو" أنا-أو- إياكم لعلى هدى، أو في ضلال مبين.

قوله : يعني صلاة المسلمين: أراد أن اللام في الصلوة والزكوة للجنس ، وإن جنس الصلاة والزكاة هو صلوة المسلمين وزكاتهم ؛لأن غير هما كلا صلوة ولا زكوة ويحتمل أن يكون اللام فيها للعهد والإشارة إلى معلوم المعين وهي صلوة المسلمين وزكاتهم .

مـخـاطـبـون بهـا . والزكاة : من زكا الزرع إذا نما؛ فإن إخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم ، أو من الزكاء بمعنى الطهارة ؛ فإنها تطهر الما ل من الخبث.

﴿وَأَرْكَعُواْ مَعَ الرَّٰكِعِيْنَ[٤٣]﴾ أي فإن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشـريـن درجة لـما فيها من تظاهر النفوس. وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود. وقيل: الركوع الخضوع والانقياد لمايلزمهم الشارع . قال الأضبط السعدي:

لا تذلَّ الضَّعيفَ عَلَّكَ أَنْ تَرْ كَعَ يَوْماً والدَهْرُ قَدْ رَفَعهْ

﴿أَتَأْ مُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِ﴾ تقريرمع توبيخ وتعجيب . والبر:التوسع في الخيرمن البر وهـو الـفضاء الواسع يتناول كل خير؛ ولذلك قيل:البر ثلاثة: بر في عبادة الله تعالى، وبر في مراعاة الأقارب، وبر في معاملة الأجانب.

﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ وتتركـونها من البر كالمنسيات . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في أحبار المدينة كا نوا يأمرون سرًا من نصحوه باتباع محمد ﷺولا يتبعونه. وقيل:كانوا يـأمـرون بـالـصدقة ولا يتصدقون﴿ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتٰبَ ﴾تبكيت كقوله ﴿وأنتم تعلمون﴾[٢. البقرة:٢٢] أي تتلون التوراة . وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل .

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ[٤٤]﴾ قبح صنيعكم فيصدكم عـنه ،أو أفلاعقل لكم يمنعكم عما تعملون وخامة عاقبته، والعقل في الأصل الجس، سمي به الإدراك الإنساني ؛لأنه يحبسه عما يـقبـح ، ويـعقله على ما يحسن.ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الإدراك .والآية ناعية على مـن يـعـظ غيـره ولا يتـعـظ بنفسه سوء صنيعة وخبث نفسه .وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الإعـراض عـن الأحمق الخالي عن العقل. فـإن الجامع بينهما تـأبى عنه شكيمته .والمراد

قوله : تـقرير الخ: التقرير عندهم يقال للحمل على الإقرار والإلجاء عليه وللتحقق والتثبيت وكلاهما مناسب ههنا .

قوله: كـالمنسيات: إشارة إلى أن" تنسون" استعارة تبعية مبنية على تشبيه تركهم أنفسهم من الخير بالنسيان في الغفلة والإهمال لأن نسيان الرجل نفسه محال .

قوله: قبح صنيعكم :هذا بناء على المفعول، والآخر على تنزيله منزلة اللازم.

قوله : ناعية ينعٰى:على زيد ذنوبه يظهر ها ويشهرها في تشهيرها كذا في القاموس

قوله: فإن الجامع بينهما. أي بين الشرع والعقل. والشكيمة: الخلق والعادة

بهـا حـث الـواعـظ عـلـى تـزكية النفس، والإقبال عليها بالتكميل لتقوم فيقيم غيره ،لا منع الفاسق عن الوعظ؛ فإن الإخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب الإخلال بالآخر.

﴿وَاسْتَعِيْنُوْابِالْصَّبْرِ وَالصَّلوٰةِ﴾متصل بما قبله،كأنهم لما أمروا بما يشق عليهم لما فيـه مـن الـكلفة وترك الرياسة والإعراض عن المال عولجوا بذلك .والمعنى: استعينوا على حوائجكم بانتظار النجع والفرج توكلاً على الله ،أو با لصوم الذي هو صبر عن المفطرات؛ لما فيه من كسر الشهوة ، وتصفية النفس ، والتوسل بالصلاة ، والالتجاء إليها ؛ فإنها جامعة لأنـواع العبادات النفسانية والبدنيةمن الطهارة، وستر العورة، وصرف المال فيهما، والتوجه إلـى الـكعبة، والعكوف لـلعبادة ، وإظهـار الـخشـوع والـجوارح ، وإخلاص النية بالقلب، ومـجاهدة الشيطان، ومناجاة الحق ، وقرآة القرآن ، والتكلم بالشهادتين، وكف النفس عن الأطيبين حتىٰ تـجـابـوا إلـى تـحـصيـل الـمآرب، وجبر المصائب .روي أنه عليه الصلاة والسلام كا ن إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة . ويجوز أن يراد بها الدعاء .

﴿وإنهـا ﴾:أي وإن الاستـعانةبهما أو الصلاة و تخصيصها برد الضمير إليها لعظم شانها، واستجماعها ضروباً من الصبر،أو جملة ما أمروا بها، ونهوا عنها .

﴿لَكَبِيْرَة﴾لثقيلة شاقة كقوله تعالى:﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ [٣ .آل عمران :٧١]

﴿إِلَّاعَـلَـى الْـخٰشِعِيْن[٤٥] ﴾أي المخبتين ، والخشوع: الإخبات، ومنه الخشعة لـلـرمـلة الـمتـطـامـنة . والـخـضـوع: الـلـيـن والانقياد ؛ ولذلك يقال: الخشوع بالجوارح، والخضوع بالقلب .

قوله: بـأحـد الأمـرين المامور بهما: العمل بما كلف به وتحريض الغير به واجبان لاكـل واحـد مـنهـمـا بـرأسـه واجـب حتـى لا يـوجب الإخلال بأحد المامورين الإخلال بـالآخـر. قـلـت: لـعـل الـوعيـد لـلتـعبد، وإلا فالأمر بالمعروف فرض عين فرض على البر والفاجر، فلا يلزم من الوعيد وجوب مجموع ما ذكر .

قوله: تـوكـلا على الله: فيكون الصبر بمعنى التوكل؛ لأنه الجنس والعكوف على الله والـمـعـنـى توكلوا على الله في حوائجكم منتظرين الخ والفرج يدفع ما شق عليكم من الكلفة.

قوله: عن الأطيبين: الطعام والشراب .

﴿الَّـذِيـنَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ[٤٦]﴾: أي يتوقعون لقاء الله تعالى و نيل ما عنده ، أو يتيقنون أنهم يحشرون إلى الله فيجازيهم . ويؤيده أن في مصحف ابن مسعود "يعلمون" وكأن الظن لما شابه العلم في الرجحان أطلق عليه لتضمن معنى التوقع .قال أوس بن حجر:

فأرسَلته مستيقن الظل أنه　　　مخالط ما بين الشراسيف جائفُ

وإنما لم تثقل عليهم على غيرهم؛ فإن نفوسهم مرتاضة بأمثالها، متوقعة في مقابلتها، ما يستحقر لأجله مشاقها و يستلذ بسببه متاعبها.ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام "وجعلت قرة عيني في الصلاة"

قوله : أي يتوقعون: إما أن يحمل على اليقين ومعناه ملاقاة جزاء، فإن هذايكون مقطوعًا به عند المؤمن؛ لأن التردد في يوم الجزاء كفر لا يصلح أن يذكر في معرض المدح كما في هذا المقام،أو يضمن معنى التوقع والطمع، ومعناه يتوقعون ويطمعون لقاء الله تعالى ورويته ونيل ما عنده من الثواب والكرامة لظهورأن لا قطع بذلك، وليس المعنى يتوقعون لقاء ثوابه وما عنده كما زعم صاحب الكشاف بناء على مذهب الاعتزال من عدم جواز رويته تعالى .

قوله: وكأن الظن لما شابه العلم: يعني أن الظن ليس بمعنى العلم واليقين إلا أنه لما شا به العلم واليقين في الرجحان أطلق عليه؛لأن المقصود ههنا معنى التوقع، وكل من الظن والعلم متضمن لذلك ومستلزم له ولذلك فسر بقوله يتوقعون. فإن قيل كلام المصنف يشعر بأن الظن ليس بمعنى العلم واليقين مع أنه يجيء بمعنى اليقين ايضًا كما ذكر في كتب النحو. قلنا: قال الرضي: أفعال القلوب إما للظن فقط وهو حجا وخال وحسب، وإما للعلم فقط وهو علم، وإما للظن في الظاهر مع احتماله في بعض الموضع لليقين وهو ظن، وقال ابن قاسم في شرح الألفية: ظن لغير المتيقن وقد يكون للعلم فيما طريقة الفطرة ويعلم منه أن هذا ليس محل الظن بمعنى اليقين:لأن لقاء الله معنى متيقن.

قوله: فأرسلته: أي أرسلتهم. واستيقنت وتيقنت بمعنىً، يعني تيقنت ظن المخالطة فإن الظن يقين أطلق عليه، والشراسيف مقاظ الإضلاع وهي أطرافها التي تشرف على البطن جمع شرسوف، وجائف: أي واصل إلى الجوف .

﴿يٰبَنِىٓ إِسْرَآئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كرره للتاكيد، و تذكيراً لـلتـفـضيـل الـذي هـو أجل النعم خصوصاً، وربطه بالوعيد الشديد تخويفاً لمن غفل عنها، وأخل بحقوقها .

﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ عطف على نعمتي.

﴿عَلَى الْعٰلَمِيْنَ[٤٧]﴾ أي عالمي زمانهم .يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عـصـر مـوسىٰ عـليـه الصلاة و السلام و بعده قبل أن يغيروا بما منحهم الله تعالى من العلم والإيـمـان والـعمل الصالح ، وجعلهم أنبياء وملوكاً مقسطين .واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف .

﴿واتَّقُوا يَوماً﴾ أي ما فيه من الحساب والعذاب.

﴿لَا تَجزِىْ نَفسٌ عَن نَفسٍ شَيئا﴾ لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ، أو شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر . وقرىء لا تُجزى من أجزأ عنه إذ أغنى، وعلى هذا تعين أن يـكـون مـصدراً.وإيراده منكراً مع تنكير النفسين للتعميم والإقناط الكلي، والجملة صفة ليوماً. والـعائد فيها محذوف تـقـديره لا تجزي فيه . ومن لم يجوز حذف العائد المجرور

قوله: وهـو ضـعيف: لأن الـلام للعهد لا للجنس، والمرادعالموزمانهم .فإن قيل: الأصـل عـدم التـخـصيـص. قيـل: قـد أجـمـع الـمفسرون على أن المراد عالموزمانهم من جنسهم فلو أطلق يلزم خلاف الإجماع .

قوله: أي لاتـقـضـي عـنـهـا شيـئًا من الحقوق: يعني"تجزي" متعدي فيحتمل أن يـكـون "شيـئًـا" مـفعولا به بمعنى شيئًا من الحقوق بأن يقضي المطيع طاعته عن المعاصي مـاكان واجباً عليه. ويحتمل أن يكون مفعولا مطلقاً بمعنى شيئًا من الجزاء والقضاء بخلاف إجـزاء عـنـه بالهمزة بمعنى أعني عنه فإنه لازم فلا يكون شيئًا إلامفعولا مطلقاً، وإما بمعنى شيئًا وإما أجزائي بمعنى كفاني فلا يناسب ههنا.

قوله: والـعائد فيها محذوف: قال السيد الشجري في أماليه: اختلف النحويون في هـذا الـعائد أي العائد المجرور، فقال الكسائي: لا يجوز إلا أن يكون قد حذف الجار أولاً ثـم العائد ثانيًا، وقال بعضهم: لا يجوز إلا أن يكون المحذوف جملة الجار والمجرور معا، وقـال أكثر أهـل الـعربية ومنهم سيبويه والأخفش: يجوز الأمران، والقياس عندي أن يكون الحرف قد حذف أولًا فجعل مفعولا به كما في قوله:" ويوماً شهدناه".

قال اتسع فيه فحذف عنه الجار وأجري المفعول به، ثم حذف كما حذف من قوله: أو مال أصابوا .

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي من النفس الثانية العاصية ، أو من الأولى. وكأنه أريد بالآية نفي أن يدفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل، فإنه إما أن يكون قهراً أو غيره ، والأول: النصرة . والثاني إما أن يكون مجاناً أو غيره ، والأول أن يشفع له، والثاني إما بأداء ماكان عليه وهو أن يجزى عنه، أو غيره، وهو أن يعطى عنه عدلاً. والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كا ن فرداً فجعله الشفيع شفعاً بضم نفسه إليه . والعدل: الفدية. وقيل : البدل وأصله التسوية سُمي به الفدية؛ لأنها سميت بالمفدى. وقرأ ابن كثير وأبو عمر و: ولا تقبل بالتاء .

﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ[٤٨]﴾يمنعون من عذاب الله . والضمير لما دلت عليه النفس الثانيةالمنكرة الواقعةفي سياق النفس من النفوس الكثيرة ، وتذكيره بمعنى العباد. أو الأناسي، والنصر أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر. وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر. أجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة. ويؤيده أن الخطاب معهم ، والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن آبائهم تشفع لهم .

قوله : أو مال اصابوا: أي أصابوه، والأصل أصابوا فيه أي أصابوا فيه شيئًا يوجب التغير. تمام البيت : فما أدري لغيرهم ثناء وطول العهد أو مال أصابوا

البيت من قطعة قائلها الحارث بن كلدة وقد خرج إلى الشام وكتب بها إلى بني عمه فلم يجيبوه وإنما قال: أومال أصابوا ؛لأن الغني في أكثر الناس بغير إخوان على إخوانهم وهي من الطف عتاب وأحسنه .

قوله: لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفس: إشارة إلى أن الضميرليس عائداً إلى نفس نكرة من حيث كونها لعمومها بالنفي في معنى الكثرةعلى ما يقع في بعض العبارات بل إلى ما يدل عليه من النفوس الكثيرة حتى أن هذا يكون من قبيل ما تقدم ذكره معنىً بدلالة لفظ آخر، ثم استشعر أنه لما عاد الضمير إلى النفوس كان المناسب "هن" بالتأنيث لا "هم" بالتذكير فأجاب بأنه لتأويل النفوس بالعباد والأناسي كما تقول: ثلثة أنفس بالتاء مع تأنيث النفس لتأويل النفس بالأشخاص أو الرجال .

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ تفصيل لما أجمله في قوله :﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[٢. البقرة: ٤٠] وعطف على نعمتي عطف جبريل و ميكائيل على الملائكة . وقرئ أنجيتكم . وأصل آل أهل لأن تصغيره أهيل . وخص بالإضافة إلى أولي الخطر كالأنبياء والملوك . وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم . ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل إذا عتاوتجبر. وكان فرعون موسى مصعب بن ريان . وقيل ابنه وليد من بقايا عاد . وفرعون يو سف عليه السلام ريان وكان بينهما أكثر من أربعمائة سنة .

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يبغونكم . من سامه خسفاً إذا أولا ه ظلماً . وأصل السوم الذهاب في طلب الشيء. ﴿سُوٓءَ الْعَذَابِ﴾ أفظعه فإنه قبيح بالإضافة إلى سائره . والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم . والجملة حال من الضمير في نجينا كم . أو من آل فرعون . أومنهما جميعاً لأن فيها ضمير كل واحد منهما.

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف . وقرئ يُذْبِحُونَ بالتخفيف.وإنما فعلوا بهم ذلك: لأن فرعون رأى في المنام، أو قال له الكهنة : سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدرالله شيئاً.

قوله: لأن تصغيره أهيل: يعني لم يسمع في تصغيره الأويل فأبدل الهاء الفاء بخلاف القياس .

قوله: العمالقه: الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عاد أولاد عمليق بن لاود بن ارم بن سام بن نوح .

قوله: وقيل ابنه: أي وقيل كان فرعون موسىٰ ابن مصعب الذي اسمه وليد.

قوله: يبغونكم من سامه خسفًا: يعني أن يسومونكم من سامه خسفاً خسفًا لكونه متعدياً إلى مفعولين، وأصل السوم الذهاب في الطلب، فيكون"يسومونكم" بمعنى يبغونكم أي يطلبونه لكم.في الصحاح:بغيتكم الشيء طلبته لك، ويقال:خُسفاً بالضم:أي أولاه ذلًا.

قوله: فإنه قبيح بالإضافة إلى سائره، يجعل الأقطع أشد قبيحاً بالإضافة إلى ما سواه من العذاب، يعني أن الكل قبيح في نفسه لكن هذا قبيح بالإضافة إلى ما الباقي حتى كأنه ليس قبيح بالنسبة إليه .

قوله: لأنه فيها: أي في الجملة الواقعة حالا .

﴿وَفِى ذَٰلِكُـمْ بَلَاءٌ﴾ محنة إن أشير بـ" ذلكم" إلى صنيعهم . ونعمة إن أشير به إلى الإنجاء . وأصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة أطلق عليهما. ويجوز أن يشار بـ"ذلكم" إلى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما .

﴿مِنْ رَّبِّكُم﴾ بتسليطهم عليكم، أو ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم، أو بهما ﴿عَظِيْمٌ[٤٩]﴾ صفة بلاء . وفي الآية تنبيه على أن ما يصيب العبد من خير أو شر اختبار من الله تعالى ، فعليه أن يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين .

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْر﴾ فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه، أو بسبب إنجائكم ، أو ملتبساً بكم كقوله :

تَدُوسُ بِنَا الجَماجِم والتَّرِيبا

وقرئ فرَّقْنَا على بناء التكثير؛ لأن المسالك كانت اثني عشر بعدد الأسباط .

﴿فَأَنْجَيْنٰكُمْ وَ أَغْرَقْنَآ اٰلَ فِرْعُوْنَ﴾ أراد به فرعون وقومه، واقتصر على ذكرهم للعلم بأنه كان أولى به . وقيل شخصه كما روي أن الحسن رضي الله تعالى عنه كان يقول : "اللهم صل على آل محمد" أي شخصه، واستغني بذكره عن ذكر أتباعه .

﴿وَأَنْتُم تَنْظُرُوْنَ[٥٠]﴾ ذلك: أي غرقهم وإطباق البحر عليهم،أو انفلاق البحر عن

قوله: يراد به الامتحان الشائع بينهما:أي المنتشر المتفرق بين المحنة والنعمة، وهو أن يمتحن في المحنة بالصبر وفي النعمة بالشكر.

قوله : بسلوككم فيه:أو بسبب إنجائكم أو ملتبساً بكم .يعني أن الباء في "بكم" إما للاستعانة والتشبيه بالالة فيكون استعارة تبعية في باء الاستعانة أو للسببية الباعثة بمنزلة اللام أو للمصاحبة كقوله تدوس بنا إلى أي تدوسها ونحن راكبوها فيكون الظرف مستقرا بخلاف الوجهين الأولين فإنه فيهما لغو .

قوله: تدوس بنا:أوله: كأنّ خيولنا كانت قديمًا ... تسقي في قحوفهم الجلبيا

فمرت غير نافرة عليهم ... تدوس بنا الجماجم والتريبا

يصف خيله بأنها ألفت الحروب فلاتنفر من القتلى وأنها كرام كانت تسقي الحليب لأن العرب كانت تسقيه الجياد منهاخاصة، القحف العظم الذي فوق الدماغ والحلوب، والجماجم جمع جمجمة وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ، والترائب: عظام الصدور، واحدها تريبة.

طـرق يـابسة مذللة، أو جثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل ، أو ينظر بعضكم بعضاً . روي أنـه تـعـالـى أمـر موسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل ، فخرج بهم فصبحهم فرعون وجـنـوده، وصـادفـوهم على شاطئ البحر، فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر، فـضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقاً يابساً فسلكوها فقالوا: ياموسى نخاف أن يغرق بعضنا ولا نـعـلـم ، فـفتـح الله فيهـا كوىً فتراؤوا وتسامعوا حتى عبروا البحر. ثم لما وصل إليه فرعون ورآه منفلقاًاقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم وأغرقهم أجميعن.

واعـلـم أن هـذه الـواقـعة مـن أعظم ما أنعم الله به على بني اسرائيل، ومن الآيات الـمـلـجـئة إلى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه الصلاة والسلام . ثم إنهم بـعـد ذلك اتـخـذوا الـعـجـل وقالوا: ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾[٢. البقرة:٥٥] ونـحـو ذلك ، فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمة محمد صـلـى الله عـلـيـه وسلم . مع أن ما تواتر من معجزاته أمور نظرية مثل : القرآن والتحدي به والـفـضـائـل الـمـجـتـمـعة فيـه الشـاهـدة عـلـى نبوة محمد صلى الله عليـه وسلم دقيقة تدركهاالأذكياء ، وإخباره عليه الصلاة والسلام عنها من جملة معجزاته على مامر تقريره

﴿وَإِذْ وٰعَـدْنَـا مُـوْسىٰٓ أَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً﴾ لماعاد وا إلى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى أن يعطيه التوراة ، وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي؛ لأنهـا غـرر الشهـور. وقرأ ابن كثيرونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا؛ لأنه تعالى وعده الوحي، ووعده موسى عليه السلام المجيء للميقات إلى الطور.

﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ﴾ إلٰهاً، أو معبوداً.

﴿ مِنْ بَعْدِهٖ﴾ من بعد موسى عليه السلام ، أو مضيه.

﴿وَأَنْتُـمْ ظَـالِـمُـوْنَ[٥١]﴾بـإشـراكـكم ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ حين تبتم ، والعفو محو الـجريمة من عفا إذا درس ﴿ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾ أي الاتخاذ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ[٥٢]﴾ أي لكي تشكروا عفوه .

قوله: وعبـر عـنهـا بـالـليالي: يعني عبر عن ذي القعدة وعشرذي الحجة بالليالي وإنهـا بـأيـامهـا ولياليها؛ لأن الليالي غرر شهورالعرب المبنية على سير القمر بخلاف شهور الفرس والروم المبنية على سير الشمس؛ فإن غررها حين حلولها في أو ل الحمل.

﴿وَإِذ آتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ يعني التوراة الجامع بين كونه كتاباً منزلاً وحجة تفرق بين الحق والباطل . وقيل:أراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى، أو بين الكفر والإيمان. وقيل: الشرع الفارق بين الحلال والحرام،أو النصرالذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى﴿ يوم الفرقان﴾ [الأنفعال:٤١] يريد به يوم بدر.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ[٥٣]﴾ لكي تهتدوا بتدبر الكتاب، والتفكر في الآيات.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوْسىٰ لِقَومِهِ يقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰٓ بَارِئِكُمْ﴾ فاعزموا على التوبة والرجوع إلى من خلقكم برآء من التفاوت ومميزاً بعضكم عن بعض بصوروهيئات مختلفة. وأصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره ، إما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه، والمديون من دينه، أو الإنشاء كقولهم برأالله آدم من الطين أو فتوبوا.

﴿فاقْتُلُوٓاْ أَنْفُسَكُم﴾ إتماماً لتوبتكم بالبخع، أوقطع الشهوات كماقيل: من لم يعذب نفسه لم ينعمهما، ومن لم يقتلها لم يحيها . وقيل: أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً. وقيل: أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العبدة. روي أن الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لأمر الله فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فأخذوا يقتلون من الغداةإلى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة . وكانت

قوله: يعني التوراة الجامع بين كونه كتاباًمنزلاً وحجةً تفرق بين الحق والباطل: فيكون الواو داخلا بين الصفات تنبيها على استقلال كل منها بخلاف الوجوه الأُخر فإن الواو داخل في الموصوفات المتغائرة.

قوله: فاعزموا على التوبة. يعني أن المراد بالتوبة العزم عليها؛ لأن التوبة التي هي الرجوع إلى الخالق هو قتل الأنفس ﴿قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم﴾ بعبادتكم العجل فارجعوا عنها إلى عبادة خالقكم. قالوا: فما توبتنا؟ قال: فاقتلوا أنفسكم، أوحقيقة التوبة التي هي الرجوع إلى الخالق، فقتل الأنفس تمام لتوبتهم بالبخع وهو أن يقتل الرجل نفسه .

قوله: من التفاوت. المراد عدم تلاوم الأجزاء والأعضاء وهو لا ينا في التميز بالأشكال المختلفة .

قولة : ضبابة. الضبابة شبه سحابة تغشي الأرض كالدخان.

قوله: حتى دعا موسى وهارون عليهما السلام. وقالا: يارب هلكت بنوإسرائيل البقية أي سلم البقية فهو منصوب بفعل مضمر.

القتلى سبعين ألفاً، والفاء الأولى للتسبيب ، والثانية للتعقيب .

﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ من حيث إنه طهرة من الشرك ، ووصلة إلى الحياة الأبدية، والبهجة السرمدية.

﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بمحذوف إن جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره: إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم ، أو عطف على محذوف إن جعلته خطاباً من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات كأنه قال: ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم . وذكر البارئ وترتيب الأمر عليه إشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم إلى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة ، وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن لا يسترد منه؛ ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب .

﴿ إِنَّهُ هُوَالتَّوَّابُ الرَّحِيمُ[٥٤]﴾ الذي يكثر توفيق التوبة، أو قبولها من المذنبين ويبالغ في الإنعام عليهم.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَنْ نُؤمِنَ لَكَ﴾أي لأجل قولك ، أو لن نقرلك.

﴿حَتَّىٰ نَرَى اَللَّهَ جَهْرةً ﴾عياناً وهي في الأصل مصدر قولك :جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ، ونصبها على المصدر؛ لأنها نوع من الرؤية ، أو الحال من الفاعل، أو المفعول . وقرئ جهرة بالفتح على أنها مصدر كالغلبة، أو جمع جاهر كالكتبة فيكون حالاً من الفاعل قطعاً ، والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات .

قوله: إن جعلته من كلام موسى: يعني أن قوله :" فتاب عليكم" إما أن ينتظم في قول موسى لهم ومن جملة قوله فهو متعلق بمحذوف، وإما أن يكون خطاباً من الله وقولاً من الله لهم على طريقة الالتفات؛إذ الأصل"فتبت عليكم" فانتقل إلى الغائب فهو عطف على محذوف خالقهم الحكيم الذي يراهم بلطف، وحكمته على الأشكال المختلفة أبرياءً والتنافر في الخلقة .

قوله : للذي يكثر توفيق التوبة أو قبولها: وكل منهما معنى لغوي للتوبة قال في القاموس:تاب الله عليه: وفقه للتوبة، أو رجع به من التشديد إلى التحقيق، أو رجع به بفضله وكرمه .

قوله: لأجل قولك:لأن الإيمان يتعدى بالباء أو يضمن" نؤمن" معنى نقر.

قوله: استعيرت للمعاينة: إذ حقيقةالجهر فيالصوت.

وقيـل: عشـرـة الآف مـن قومه والمؤمنين به : إن الله الذي أعطاك التوراة و كلمك،أو إنك نبي.

﴿ فَـأَخَـذَتْـكُـمُ الـصّـعِقَةُ﴾لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل ؛فإنهم ظنوا أنه تـعـالـى يشبـه الأجسـام فطلبوا رؤيته رؤية الأجسام في الجهات والاحياز والمقابلة للرائي. وهـي مـحـال، بـل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية ، وذلك للمؤمنين في الآخرة، ولأفـراد مـن الأنبيـاء فـي بـعض الأحوال في الدنيا.قيل:جاء ت نا ر من السماء فأحرقتهم . وقيل: صيحة . وقيل: جنو د سمعوا بحسيسها فخرّوا صاعقين ميتين يوماً وليلة .

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ[٥٥]﴾ما أصابكم بنفسه، أو أثره .

﴿ثُـمَّ بَـعَثْـنٰـكُـمْ مِنْ بَعْدِ مُوْتِكُمْ﴾ بسبب الصاعقة ، وقيد للبعث؛ لأنه قد يكون عن إغماء، أو نوم كقوله تعالى :﴿ثم بعثناهم ﴾ [١٨. الكهف:١٢]

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [٥٦]﴾نعمة البعث، أو ما كفر تموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة.

﴿وَظَـلَّـلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ والسَّلْوىٰ﴾ الترنجبين والسماني.قيل:كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع ، وتبعث الجنوب عليهم السماني، وينزل بالليل عمود نا ر يسيرون في ضوئه، وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى .

﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ﴾ على إرادة القول.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾فيه اختصار، وأصله فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا.

﴿ وَلٰكِنْ كَا نُواْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ[٥٧]﴾ بالكفران ؛ لأنه لايتخطاهم ضرره.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾يعني بيتَ المقدس. وقيل؛أريحا أمروا به بعد التيه .

قوله: ماأ صابكم بنفسه :كالنار.

قوله: أوأثره: كالصيحة .

قوله: أو مـا كـفـر تـمـوه: مـن النعمة كسلامةالأعضاء والإرزاق حين رأيتم باس اللهبالصاعقة، فقوله:" لما"متعلق "بكفرتموه".

قوله: فيالتيه: التيه المفازة التي يتحير فيهاالانسان.

قوله: أريحا:بفتح الهمزة اسم قرية قريبة من بيت المقدس.

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾واسعاً ونصبه على المصدر، أو الحال من الواو.

﴿ وَادْخُلُواْ الْبَابَ﴾أي باب القرية، أوالقبةالتـي كانوا يصلون إليها؛ فـإنهم لـم يدخلوا بيتالمقدس في حياة موسى عليه الصلاة والسلام﴿سُجَّداً ﴾ متطامنين مخبتين، أو ساجدين لـلّـه شكـراً على إخراجهم من التيه﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾أي مسألتنا، أو أمرك حطة، وهي فعلة من الحط كالجلسة، وقرئ بالنصب على الأصل بمعنى: حطّ عنا ذنوبنا حطة، أو على أنه مفعول "قـولـوا" أي قـولـوا هـذه الـكـلمة . وقيل: معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية، ونقيم بهـا﴿نَّـغْـفِرْلَـكُـمْ خَـطٰيٰـكُـمْ﴾ بسـجـود كم ودعائكم . وقرأ نا فع بالياء وابن عامر على البناء لـلـمفعول، وخطايا أصله خطايء كخطايع. فعند سيبويه أنه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بـعـد الألف، واجتـمـعـت همزتان فأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفا ، وكانت الهمزة بين الألفين فأبدلت ياء . وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر .

﴿ وَسَـنَـزِيْدُ الْمُحْسِنِيْن[٥٨]﴾ثواباً، جـعـل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب لـلمحسن ، وأخرجه عن صورة الجواب إلى الوعد إيهاماً بأن المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله فكيف إذا فعله ، وأنه تعالى يفعل لا محالة.

﴿ فَبَـدَّلَ الَّـذِيْـنَ ظَـلَـمُـوا قَـوْلاً غَيْـرَ الَّـذِى قِيْـلَ لَهُمْ﴾بدلوا بما أمروا بـه من التوبة والاستغفار بطلب ما يشتهون من أعراض الدنيا.

قوله: أو باب القبة: أى مسجد هم، فإن صلوٰتهم لا تصح إلا فيها.

قوله: فإنهم لم يد خلوا: علة لكون المراد باب العقبة لا باب بيت المقدس.

قوله: متـطـامنين مخبتين: يعني أن المراد من السجو د أن يخبتو ا أو يتطامنو احال كونهم داخلين ليكون دخولهم بخشوعهم.

قوله: وقـرئ بالنصب على الأصل: يعني أن الأصل النصب على أنه مفعول مطلق ثم عدل إلى الرفع للثبات كما فى السبعة.

قوله: ثـم فـعـل بهـمـا مـا ذكـر: أي قـلبت الياء ألِفا لوقوعها بعد الألف ثم الهمزة ياء لوقوعها بين ألفين.

قوله: جـعـل الامتثـال تـوبة للمسيء وسبب زيادة ثواب: يعني "سنزيد" في المعنىٰ جواب الأمر كـ"نغفر" إلا أنه أخرجه عن صورة الجواب حيث لم يجزم وأدخل السين عليه إيهامًا بأنه بصدد زيادةالثواب وإن لم يفعله فكيف إذا فعله.

﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا﴾ كرره مبالغة في تقبيح أمرهم وإشعاراً بأن الإنزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه ، أو على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها.

﴿رِجْزاً مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوايَفْسُقُون[٥٩]﴾ عذاباً مقدراً من السماء بسبب فسقهم . والرجز في الأصل: ما يعاف عنه، وكذلك الرجس . وقرئ بالضم وهو لغة فيه، والمراد به الطاعون . روي أنه مات في ساعة أربعة وعشرون ألفاً ﴿وَإِذِ اسْتَسْقىٰ مُوسٰى لِقَومِهِ﴾ لما عطشوا في التيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ اللام فيه للعهد على ماروي أنه كان حجراً طورياً مكعبًاحمله معه، وكانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين.تسيل كل عين في جدول إلى سبط. وكانو ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا، أو حجراً أهبطه آدم من الجنة ، ووقع إلى شعيب عليه السلام فأعطاه لموسى مع العصا. أو الحجر الذي فربثوبه لما وضعه عليه

قوله: أو على أنفسهم: عطف على محذوف: أي الذين ظلموا على الناس بدلوا بما أمروا به طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا، فأنزلنا عليهم بهذا الظلم الذي هو وضع غير المامور به موضع المامور به، أوالذين ظلموا على أنفسهم بأن تركوا ما يو جب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها، فأنزلنا عليهم:أي على الذين ظلموا على أنفسهم بهٰذا الظلم الذي هو وضع غير المامور به موضع المامور به. قوله: ما يعا ف عنه: عاف الرجل الطعام أوالشراب يعافه عوافا.أى كرهه فلم يشرب فهو عائف.

قوله: مكعبا: المكعب جسم يحيط به ستة سطوح متوازية الأضلا ع، والسطوح الأربعة المحيطة من جوانبه الأربعة يسمى وجوها.

قوله: ووقع إلى شعيب عليه الصلاة والسلام :أي فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فأعطا ه مع العصا.

قوله :أو الحجر الذى فربثو به لما وضعه عليه. روينا عن البخارى ومسلم والترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺقال كان بنوا إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوء ة بعض وكان موسىٰ عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنعن أن يغتسل معناإلا أنه أدر، قال فذهب يغتسل مرة فوضع ثوبه علىٰ حجرففر الحجر بثو به فجمح موسى بإثره يقول ثوبى يا حجر!حتى نظرت بنو إسر ائيل إلى سوء ة موسى. فقالوا: والله ما بموسىٰ من أدرة، الحديث. الأ درة بالضم: النفخة بالخصية، يقال: رجل أدرورماه بكذا ونسبه إليه.

ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الأدرة، فأشار إليه جبريل عليه السلام بحمله،أو للجنس وهذا أظهر في الحجة قبل لم يأ مره بأن يضرب حجراً بعينه، ولكن لما قالو: كيف بنا لوأفضينا إلى أرض لا حجارة بها ؟ حمل حجراً في مخلاته، وكان يضربه بعصاه إذا نزل فينفجر ويضربه بهاإذا ارتحل فييبس، فقالوا: إن فقد موسى عصاه متناً عطشافأوحى الله إليه لا تفرغ الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون.وقيل:كان الحجر من رخام وكان ذراعًا فيذراع، والعصا عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة، ولها شعبتان تتقدان في الظلمة .

﴿ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنا﴾ متعلق بمحذوف تقديره:فإن ضربت فقد انفجرت،أو فضرب فانفجرت كما مر في قوله تعالى ﴿ فتاب عليكم ﴾[٢. البقرة:٥٤]وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل سبط﴿مَشْرَبَهُم﴾عينهم التي يشربون منها ﴿ كُلُواْ وَاشْرَبُوا ﴾على تقدير القول:

﴿مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ ﴾ يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون . وقيل: الماء وحده؛ لأنه يشرب ويؤكل مما ينبت به ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ[٦٠]﴾ لا تعتدوا حال إفسادكم وإنما قيده ؛لأنه وإن غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد .

قوله: فأشار إليه جبرئيل بعمله: قال له جبرئيل يقول الله تعالى: ارفع هذا الحجر فإن ليفيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته.

قوله: من رخام: الرخام حجر أبيض رخوا.والآس شجر معروف كذا فى الصحاح

قوله: يريد به مارزقهم الخ. جعل الرزق بمعنى المرزوق وفصله إلى الطعام نظرا إلى "كلوا" وإلى الماء نظرا إلى "اشربوا" ولا قرينة على الأول إلا أن يلاحظ ما سبق من قصة تظليل الغمام و إنزا ل المن والسلوى و لعدم التعرض لذلك في هذه القصة، فسر بعضهم الرزق بالماء وجعله مأكولاً بالنظرإلى ماينبت منه ومشروبا بحسب نفسه.واعترض عليه صاحب الكشاف بأنه لم يكن أكلهم فى التيه من زروع ذلك الماء وثماره.

قوله: قد يكون منه ما ليس بفساد: أيقديكون من الاعتداء ماليس بفسادأصلا كمقابلة الظالم المعتدى بفعله، فإ ن المقابل للظلم عدل، والعدل لا فساد فيه أصلا، وقد يكون منه ما فيه فساد وصلاح راجح كقتل الغلام، فإ ن القتل من حيث إنه بغيرحق فساد ومن حيث إنه خلاص عن إرهاق الأبوين طغياناوكفرا صلاح راجح ؛لأن فيه صلاحه وصلاح الأبوين .

كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ، ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرقه السفينة ، ويقرب منه العيث غير أنه يغلب فيما يدرك حساً . ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلّة تدبره في عجائب صنعه ؛ فإنه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يحلق الشعر، وينفر عن الخل، ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجراً يسخره لجذب الماء من تحت الأرض، أو لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحوذلك.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾يريدون به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى ، وبوحدته أنه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الأمير واحد، يريدون أنه لاتتغير ألوانه ولذلك أجمعوا أو ضرب واحد؛ لأنهما طعام أهل التلذذ" وهم كانوا فلاحة فنزعوا إلى عكرهم واشتهوا ما ألفوه ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ سله لنا بدعائك إياه﴿يُخْرِجْ لَنَا﴾يظهر ويوجد ، وجزمه بأنه جواب "فادع" فان دعوته سبب الإجابة﴿ مِمَّا تُنۢبِتُ الْأَرْضُ﴾ من الإسناد المجازى ، وإقامة القابل مقام الفاعل. ومن للتبعيض ﴿مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾تفسير وبيان وقع موقع الحال. وقيل: بدل بإعادة الجار. والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايبه التي تؤكل، والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا . وقيل: الثوم وقرئ قُثَّائِهَا بالضم وهو لغة فيه ﴿ قال﴾ أي الله ، أوموسى عليه السلام ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾أقرب منزلة وأدون قدراً ، وأصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة . فقيل: بعيد المحل بعيد الهمم. وقرئ أدنأ من الدناءة ﴿بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ يريد به المن والسلوى؛ فإنه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة إلى السعي﴿اهْبِطُواْ مِصْراً﴾انحدروا إليه من التيه. يقال: هبط الوادي إذا نزل به، وهبط منه إذا خرج منه . وقرئ بالضم، والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشيئين . وقيل: أراد به العلم . وإنما صرفه لسكون وسطه، أو على تأويل البلد.

قوله: لا تختلف: يعني قد يراد بوحدة الطعام عدم الاختلاف والتبدل حتى لو كان على مائدة رجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان إلاطعامًا واحدًا، وقد يراد بها وحدة النوع: أي نوع واحد من الطعام وهو طعام أهل التلذذ والترف.

قوله: والمراد به أطائبه التي تؤكل: جمع أطيب، قال الجوهري: أطعمنا فلان من أطائب الجزور جمع أطيب، وذلك كالنعناع، والكرفر، والكراس، وأشباهها.

قوله: وقيل أراد به العلم .لا جنس المصر أي مصر فرعون، وبه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

ويؤيدهأنه غير منون في مصحف ابن مسعود. وقيل أصله مصرائم فعرب﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أحيطت بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه، أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة . واليهود في غالب الأمر أذلاء مساكين ، إما على الحقيقة، أو على التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ رجعوا به ،أو صاروا أحقاء بغضبه من باء فلان بفلان إذا كان حقيقاً بأن يقتل به وأصل البوء المساواة ﴿ذلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة. والبوء بالغضب ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر، وإظلال الغمام، وإنزال المن والسلوى ، وانفجار العيون من الحجر، أو بالكتب المنزلة: كالإنجيل، والفرقان، وآية الرجم ، والتي فيها نعت محمد صلى اللّٰه تعالٰى عليه وسلم من التوراة، وقتلهم الأنبياء؛ فإنهم قتلوا شعياء وزكريا ويحيي وغيرهم بغير الحق عندهم ؛ إذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم . وإنما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما أشارإليه بقوله :﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْاوَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ[٦١]﴾أي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه إلى الكفر بالآيات، وقتل النبيين؛ فإن صغار الذنوب سبب يؤدي إلى ارتكاب كبارها كما أن صغار الطاعات أسباب مؤدية إلى تحري كبارها وقيل: كرر الإشارة للدلالة على أن ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدوداللّٰه تعالى .

قوله: وقيل أصله مصرائم: اسم أعجمي وهو اسم بانيه فغير بالتعريب، وإنما جاء الصرف لعدم الاعتداد بالعجمة لوجود التعريب والتصرف أو لعدم التانيث.

قوله: احيطت بهم احاطة. يعني أن في الذلة استعارة بالكناية حيث شبهه بالقبة أو بالطين، وضربت استعارة تبعية تحقيقية بمعنى الإحاطة والشمول لهم، أو اللزوم واللصوق بهم ولا تخييلية، وهذا كما مر في نقض العهد .

قوله: بغير الحق عندهم. فيه إشارة إلى دفع ما يقال أن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق فما فائدة ذكره؟ وتقرير الدفع أن المراد بغير حق عندهم ايضًا لأنهم لم يروا منهم ما يقصدون به جواز قتلهم لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعوهم فقتلوهم فلوسئلوا أوأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجهًا يستحقون به القتل عندهم.

وقيل: الإشارة إلى الكفر والقتل. والباء بمعنى مع، وإنما جوزت الإشارة بالفرد إلى شيئين فصاعداً على تأويل ماذكر، أو تقدم للاختصار. ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة:

فِيها خُطُوطٌ مِنْ سَوادٍ وَبَلَقْ كأنهُ في الجِلدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ

والذي حسن ذلك أن تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة . ولذلك جاء "الذي" بمعنى الجمع.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوا﴾بألسنتهم . يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين. وقيل: المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة ﴿وَالَّذِيْنَ هَادُوا﴾تهودوا. يقال: ها د وتهود إذا دخل في اليهودية ، ويهود إما عربي من هاد إذا تاب، سُمُّوا بذلك لمّا تابوا من عبادة العجل ، وإما معرب يهوذًا، وكأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام ﴿والنَّصَارىٰ﴾ جمع نصران كندامى وندمان. والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري ، سموابذلك ل؛أنهم نصروا المسيح عليه السلام ،أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران، أو ناصرة، فسموا باسمها، أومن اسمها﴿والصّٰبِئِيْنَ﴾ قوم بين النصارى والمجوس . وقيل: أصل دينهم دين نوح عليه السلام . وقيل: هم عبدة الملائكة، وقيل:عبدة الكواكب، وهو إن كان عربيا فمن صبأإ ذا خرج ، وقرأ نافع وحده بالياء إما لأنه خفف الهمزة وأبد لها ياء ، أو لأنه من صبأ إذا ما ل؛ لأنهم ما لوا عن سائر الأديان إلى دينهم ، أو من الحق إلى الباطل.

﴿مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَعَمِلَ صٰلِحاً ﴾من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ ، مصدقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد، عاملاً بمقتضى شرعه . وقيل: من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناًخالصاً ودخل في الإسلام دخولاًصادقاً﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾الذي وعدلهم على

قوله: يريد به المتدينين بدين محمد صلى اللّٰهتعالى عليه وسلم: إنما عمم مع أن الظاهر المخلصون ليناسب ما بعدهم لأن المراد باليهود والنصارى والصابئين أعم من المخلصين وغيرالمخلصين ثم أبدل منهم من اٰمن باللّٰه بمعنى من كان منهم في دينه الخ ليترتب عليه قوله:" فلهم اجرهم عند ربهم" ولم يبدل" من اٰمنواالمخلصين منهم لذلك" اعتمادًاعلى ما سبق من بيان حال المنافقين.

قوله: وقيل المنافقين لا نخراطهم في سلك الكفرة: فيصح الإخبار بأن من اٰمن منهم إيمانًا خالصًا فلهم أجرهم عند ربهم.

إيمانهم وعملهم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[٦٢]﴾حين يخاف الكفار من العقاب، ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب.و"من" مبتدأ خبره" فلهم أجرهم" الجملة خبر"إن"، أو بدل من اسم "إن" وخبرها﴿فلهم أجرهم﴾ والفاء لتضمن المسند إليه معنى الشرط، وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل لشرطية . وردّ بقوله تعالى ﴿إن الذين فتنوا المؤمنن والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم﴾[٨٥.البروج:١٠]

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ﴾ باتباع موسى والعمل بالتوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ﴾حتى أعطيتم الميثاق . روي أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها، فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا﴿خُذُوْا﴾على إرادة القول ﴿مَا أَتَيْنَاكُمْ﴾ من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزيمة﴿وَاذْكُرُوْا مَا فِيْهِ﴾ ادرسوه ولا تنسوه ، أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب، أو علموا به .

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[٦٣]﴾لكي تتقوا المعاصي، أوارجاءً منكم أن تكونوا متقين . ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف:أي قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيقكم للتوبة، أو بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه ﴿لَكُنْتُمْ مِّنَ الْخٰسِرِين[٦٤]﴾ المغبونين بالانهماك في المعاصي، أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل. و"لو" في الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره ، فإذا دخل على "لا" أفاد إثباتاً وهو امتناع الشيء لثبوت غيره. والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف؛ لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده . وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِيْنَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾اللام موطئة للقسم ، والسبت

قوله : والفاء لتضمن المسندإليه معنى الشرط: أي كلمة"من" وذلك لأنّ اسم إن والمعطوف عليه لا يتضمن بمعنى الشرط لفقد السببية فاعتبر التضمن في كلمة "من" الذي هو المبتداء والبدل الذي هو المقصود فكأنه اسم "أن".

قوله: ويجوز عندالمعتزلة: لأن الأصلح عندهم واجب على الله تعالى، فلا جرم يريد الله تعالى تقواهم لكن اختاروا خلافه.

مصدر قولك: سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت . وأصله القطع، أمروا بأن يجرروه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام، واشتغلوا بالصيد . وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية على ساحل يقال لها أيلة، وإذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطومه ؛ فإذا مضى تفرقت فحفروا حياضاً وشرعوا إليها الجداول وكان الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِئِينَ[٦٥]﴾ جامعين بين صورة القردة، والخسوء : وهو الصغار والطرد . وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم ، فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[٦٢. الجمعة : ٥]وقوله﴿ كونوا﴾ ليس بأمر؛إذ لا قدرة لهم عليه . وإنما المراد به سرعة التكوين ، وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم . وقرئ قَرِدة بفتح القاف وكسر الراء . وخاسين بغير همزة﴿فَجَعَلْنَاهَا ﴾أي المسخة ، أو العقوبة ﴿ نكالاً﴾ عبرة تنكل المعتبر بها:أي تمنعه. ومنه النكل للقيد﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ لما قبلها وما بعدها من الأمم إذ ذكرت حالهم في زبر الأولين ، واشتهرت قصتهم في الآخرين، أو لمعاصرهم ومن بعدهم ، أو لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها ، أو لأهل تلك القرية وما حواليها، أو لأجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِيْنَ[٦٦]﴾ من قومهم، أو لكل متق سمعها .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾أول هذه القصة قوله تعالى ﴿ وإذ قتلتم نفساً فادرأتم فيها ﴾[البقرة:٧٢] وإنما فكت عنه وقدمت عليه لا ستقلالها بنوع آخر من مساويهم . وهو الاستهزاء بالأمر، والاستقصاء في السؤال، وترك المسارعة إلى الامتثال . وقصته أنه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعاً في ميراثه، وطرحوه على باب المدينة، ثم جاؤ وايطالبون بدمه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوا﴾أي مكان هزوًا، أوأهل هزؤا

قوله :فقتل ابنه بنوأخيه ابنه: الصواب فقتله بنوعمه كما في سائر كتب التفسير.

قوله : أي مكان هزوٍ :إشارةإلى أن" اتخذ" يتعدى إلى مفعولين، هما المبتداء والخبر كجعل وصير، فوقع المصدرخبرًا عن الجماعة، فاحتاج إلى التاويل بالحذف فيقدر المضاف، فهو إما على مكان هزوٍ،أ وأهل هزو، والتجوز في المفرد بأن يجعل الهزو بمعنى المهزوبه، أوالتجوز في الحكم بأن يجعل الذات نفس المعنى نحو رجل عدل.

ومهزوءاً بنا ، أو الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعاداً لما قاله واستخفافاً به . وقرأ حمزة وإسماعيل عن نافع بالسكون . وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واواً ﴿ قَالَ أَعُوْذُ بِاللّٰهِ أَنْ أَكُوْنَ مِنَ الْجٰهِلِينَ[٦٧]﴾لأن الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه، نفى به عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان، وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعاً له .

﴿قَالُواْ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا ماهِيَ ﴾ أي ما حالها وصفتها . وكان حقهم أن يقولوا : أي بقرة هي؟ أوكيف هي؟ لأن "ما" يسأل به عن الجنس غالباً، لكنهم لما رأو ما أمروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه أجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَّلَا بِكْرٌ ﴾لا مسنة ولا فتية. يقال فرضت البقرة فروضاً من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها، وتركيب الكبر للأولية، ومن البكرة والباكورة .

قوله: نفى عن نفسه ما رمى به علىٰ طريقة البرهان: أي الكناية، أرادأنا لم أتخذكم هزوا؛لأن الهزوفى مقام الارشاد و تبيين الأحكا م جهل وسفه بخلاف مقام الاحتقار والتهكم، نحو "فبشرهم بعذاب عليم" و"لست من الجاهلين والسفهاء". قال الراغب: الجهل علىٰ ثلثة أضرب، الأول خلوالنفس عن العلم هذاهوالأصل. والثاني اعتقاد الشيء بخلاف ما هوعليه. والثالث فعل الشيء بخلا ف ما حقه أن يفعل سواء اعتقدفيه اعتقادًاصحيحًا أو فاسدًا كمن ترك الصلوةمتعمدًا، وعلى ذلك قوله تعالى حكايةعن موسى عليه السلام﴿أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ فجعل فعل الهزوجهلا، وأخرج في صورة الاستعاذة؛لأن اتخاذالهزو فى مثل هذالمقام من أقبح القبائح ينبغي أن يستعاذ منه.

قوله: أي ما حالها وصفتها: يعني أن المراد السوال عن حال البقرة وصفتها؛لأن مايسئل به عن الحقيقة والجنس، وهى غير مراد، فلا جرم أن يسئلواعن حالها وصفتها فكان حقه أن يقولوا؛ أي الموضع للسوال عن العارض المشخص، أو كيف الموضوع للسوال عن الحال والوصف، لكن لما كان المامور به على حال لم يوجد به شيء من جنسه و هو أ ن يضرب ببعضه ميت فيحيٰ فكأنه جنس آ خر لم يعرفوا حقيقة، فأورد العبارة الدالة على السوال عن الحقيقة وإن أرادوا صفتها، وإنما قال غالبًا؛ لأن ما قديسأل به عن وصف الشيء مثل مازيد، وجوابه: الفاضل أوالكريم أو نحوذلك.

قوله :كأنها فرضت سنها: أي قطعتها و بلغت آ خرها.

﴿عَوَانٌ﴾ نصف. قال : نواعِمُ بين اَبْكارٍ وَعُونُ

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك أضيف إليه بين؛ فإنه لا يضاف إلا إلى متعدد، وعود هذه الكنايات وإجراء تلك الصفات على بقرة يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب. ومن أنكر ذلك زعم أن المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة، ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم . ويلزمه النسخ قبل الفعل؛ فإن التخصيص إبطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوا زهما. ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه الصلاة والسلام "لو ذبحوا أي بقرة أرادو لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم" وتقريعهم بالتمادي وزجرهم على المراجعة بقوله ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤمَرُونَ[٦٨]﴾ أي ما تؤمرونه . بمعنى تؤمرون به من قولهم : أمرتك الخير فافعل ما أمرت به، أو أمركم بمعنى مأ موركم.

قوله: نصف: النصف بالتحريك المراةً بين الحديث والمسنة.

قوله: نواعم. أوله: طوال مشل أعناق الهوادي

أراد بالمشل ما يستر العنق من شللت الثوب من خطته. وطوله كناية عن طول العنق. والناعمة: الكريمة اللينة. والهوادي: أوائل الوحش، أراد تشبيه أعناقهن وطولهن كناية أعناق الظبأ، والأبكار جمع بكر وهى الفتية، والعون جمع العوان وهي المرأة بين الحديث والسنة.

قوله: وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على أن المراد بها معينة: يعني أن الضمائر في الأجوبة أعني أنها بقرة كذا وكذا تعود إلى بقرة، وكذا أجراء الصفات عليها فيكون هي المعينة.

قوله: ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به. يعنى أن الأصل استعمال تؤمرون بالجار فحذف الجار وقد شاع بالفعل وكثر استعمال أمرته كذا حتى لحقت بالأفعال المتعدية إلى مفعولين، فا لظاهر أنه من قبيل حذف المنصوب من أول الأمرولهذا قال بمعنى ما تؤمرون به ولم يقل فى تقدير ما تؤ مرون به لا من قبيل ما حذف الجار فيه أولا ثم استعمل فى تعدية الفعل إلى الضمير بلا واسطة ثم حذف الضمير، وأما جعل "ما" مصدرية والمصدربمعنى المفعول :أي المامور بمعنى المامور به فقليل جدًا و إنما كثر فى صيغة المصدر.

قوله: أمر تك الخير :أي بالخير آخره فقد تركتك ذامال وذانشب وماشية. والنشب: المال الأصيل صامتًا كان أوناطقًا.

﴿قَالُواادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ الفقوع نصوع الصفرة؛ ولذلك تؤكد به . فيقال:أصفر فاقع كما يقال: أسود حالك . وفي إسناده إلى اللون وهو صفة صفراء لملا بسته فضل تأكيد كأنه قيل:صفراء شديدة الصفرة صفرتها. وعن الحسن سوداء شديدة السواد. وبه فسر قوله تعالى:﴿ جملات صفر ﴾قال الأعشى: تِلْكَ خَيلي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابي هُنَّ صُفْرٌ أَولَادها كالزَّبيبِ

ولعله عبر بالصفرة عن السواد؛ لأنها من مقدماته، أو لأن سواد الإبل تعلوه صفرة وفيه نظر؛ لأن الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع﴿تسرُّ النَّظِرِيْنَ[٦٩]﴾أي تعجبهم . والسرورأصله لذة في القلب عند حصول نفع، أو توقعه من السر .

﴿قَالُوا ادْعُوا لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا هِيَ﴾تكرير للسؤال الأول واستكشاف زائد، وقوله:﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾اعتذارعنه: أي إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا . وقرئ إن الباقر وهو اسم لجماعة البقر والأباقر والبواقر، ويتشابه وتتشابه بالياء والتاء . وتشابه ويشابه ويتشابه بطرح التاء وإدغامها في الشين على التذكير والتأنيث. وتشابهت مخففاً ومشدداً. وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة .

قوله : وفي إسناده إلى اللون: يعنى أن الفقوع وهو نصوع الصفرة صفة الصفراء لا اللون التي هي الصفرة، أسند إلى الصفرة للملابسة بها كمافي" جد جده" و"جن جنونه" فصارالمعنى أنها شديدالصفرةصفرتها، وفيه فضل التاكيد والمبالغة ما لايخفى، وذلك أن صفة الشيئ كأنها صارت من الكمال بحيث سرت إلى صفاته التي من جملتها هذه الصفة.

قوله: تلك خيلي:الخيل: جماعة الفرس، والركاب: الإبل التي يسارعليها لا واحدله من لفظه، وإنما واحده الراحلة، والتشبيه با لزبيب علم في الوصف بالسواد وكون البعض من الزبيب أصفر وأحمر لا يدفع ذلك، ومنه أي من الممدوح ، والمعنى أن الإبل سود أولادها مثل الزبيب وجعل كالزبيب خبرًا عن الأو لا د، يعني أنها صفرة وأولادهاسود احتمال بعيد لا يحسن إلابالعاطف: أي وأولادها.

قوله: تكرير السوال الأول: يعني من جهة كونه سوالاً عن حال البقرة الموصوف بالوصف الأول وطلب لزيادة البيان وتشابه بطرح التاء أي با لتخفيف وطرح التاء الاولى، والأصل تتشابه، وتشابه بالتشديد بقلب التاء شينا، فإدغامها بالشين على الشين، التذكير والتانيث أي بالياء والتاء.

﴿وَإِنَّا إِنْ شَآءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ [٧٠]﴾إلى المراد ذبحها،أوإلى القاتل. وفي الحديث "لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد" واحتج به أصحابنا على أن الحوادث بإرادة الله سبحانه وتعالى ، وأن الأمر قد ينفك عن الإرادة وإلا لم يكن للشرط بعد الأمر معنى . والمعتزلة والكرامية على حدوث الإرادة . وأجيب بأن التعليق باعتبار التعلق.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي لم تذلل لكراب الأرض وسقي الحرث. و" لا ذلول" صفة لبقرة بمعنى غيرذلول، و"لا" الثانية مزيدة لتأكيد الأولى، والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل:لاذلول مثيرة وساقية . وقرئ لا ذلولَ بالفتح أي حيث هي . كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان:أي حيث هو، وتسقي من أسقى، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سلمها الله تعالى من العيوب،أو أهلها من العمل، أو أخلص لو نها من سلم له كذا إذا خلص له ﴿لَّا شِيَةَ فِيْهَا﴾ لا لون فيها يخالف لون جلدها، وهي في الأصل مصدر وَشاةَوشياً وشيةً إذا خلط بلونه لوناً آخر﴿قَالُواْ الْئٰنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ أي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا. وقرئ الآن بالمد على الاستفهام، والان بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام﴿فَذَبَحُوهَا﴾ فيه اختصار، والتقدير:فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها﴿وَمَا كَادُوْا يَفْعَلُونَ[٧١]﴾ لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم ، أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل، أو لغلاء ثمنها؛ إذ روي"أن شيخاً صالحاً منهم كان له عجلة، فأتي بها الغيضة وقال:اللهم إني استودعتكها لابني حتى يكبر، فشبّت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها من اليتيم وأمه حتى اشتروها بمل ء مسكها ذهباً وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير".وكاد من أفعال المقاربة وضع لدنوا الخبر حصولاً، فإذا دخل عليه النفي قيل:معناه الإثبات مطلقاً . وقيل: ماضياً، والصحيح أنه كسائر الأفعال ولا ينافي قوله ﴿وما كادوا يفعلون ﴾ قوله" فذبحوها" لا ختلاف وقتيها؛إذ المعنى أنهم ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم، وانقطعت تعللاتهم، ففعلوا كالمضطر الملجأ إلى الفعل .

قوله : أي حيث هي. أي لاذلول موجود في مكان تلك البقرة وإن كان موجودًا في غير ذلك المكان .

قوله : لتطويلهم . أي نفي المقاربة با لنظر إلى تطويلهم المسئلة وكثرة استكشافهم لا با لنظر إلى أنهم صاروا كالمضطرين إلى الذبح وفيه بيان الجماعة وإن كان القتل من اثنين باعتبارأن القتل بينهم واقع فيهم.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾ خطاباً للجمع لوجود القتل فيهم ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيْهَا﴾ اختصمتم في شأنها؛ إذ المتخاصمان يدفع بعضهما بعضاً ، أو تدافعتم بأن طرح قتلها كلٌ عن نفسه إلى صاحبه . وأصله تدارأتم، فأدغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل .

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ مظهره لامحالة، وأعمل مخرج لأنه حكاية مستقبل كما أعمل ﴿باسط ذراعه﴾ [١٨.الكهف:١٨] لأنه حكاية حال ماضية .

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ عطف على "ادرأتم" وما بينها اعتراض ، والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص،أو القتيل﴿بِبَعْضِهَا﴾أي بعض كان، وقيل: بأصغريها. وقيل: بلسانها. وقيل: بفخذها اليمنى. وقيل: بالأذن . وقيل: بالعجب﴿كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتىٰ﴾يدل على ما حذف وهو" فضربوه فحيي".والخطاب مع من حضر حياة القتيل، أو نزول الآية ﴿ويُرِيكُمْ ايٰتِهِ﴾دلائله على كمال قدرته﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[٧٢]﴾لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدرعلى إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها،أو تعملوا على قضيته . ولعله تعالى إنما لم يحيه ابتداءً وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب، وأداء الواجب، ونفع اليتيم، والتنبيه على بركة التوكل، والشفقة على الأولاد.

قوله: اختصمتم فى شا نها: يعني أنه مجازعن الاختصام أو كناية عنه لكون معناه الحقيقيوهو التدافع سبباًعن الاختصام أو تدافعتم؛ لأن البعض منكم يطرح قتلها على البعض فكل من الفريقين طارح ومطروح عليه، فكل منهما من حيث إنه مطروح عليه يدفع الآخر ومن حيث إنه يدفع طارح .

قوله: لأنه حكاية مستقبل: يعني أن هذا نقل وحكاية لما كان مستقبلًا في المحكي عنه لا في الحكاية، فوجد شرط العمل، وهذا كما يحكي ما هو حال ماضية:أي ما هو حال في الزمان الماضي ويوجد شرط العمل وهو الحال بالنسبة إلى ذلك الزمان وإن كان ماضيًا إلى زمان المتكلم.

قوله:بأصغريها: أي القلب واللسان والعجب: أصل الذنب الذي ينبت منه الذنب، قيل هو أول ما خلق من أجزاء الدابّة وآخر ما يبنىٰ منها .

قوله: أو تعملوا على قضيته: أي على مقتضي عقولكم وهو عطف على قوله:وتعلموا.

قوله:ما شرط: من ذبح البقرة وضربه ببعضها.

وأن من حق الطالب أن يقدم قربة، والمتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه"أنه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاث مائة دينار" وأن المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى ، والأسباب أمارت لاأثرلها، وأن من أراد أن يعرف أعدى عدوه السعي في إماتته الموت الحقيقي، فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبا، ولم يلحقها ضعف الكبر، وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا، مسلمة عن دنسها، لا سمة بها من مقابحها بحيث يصل أثره إلى نفسه . فتحياحياة طيبةً، وتعرب عما به ينكشف الحال، ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر.وقساوة القلب مثل في نبوّه عن الاعتبار، و"ثم" لا ستبعاد القسوة ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾يعني إحياء القتيل،أوجميع ما عد من الآيات فإنها مما توجب لين القلب ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في قسوتها﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾منها والمعنى أنها في القساوة مثل الحجارة ،أو أزيد عليها،أو أنها مثلها، أو مثل ما هو أشد منها قسوة كالحديد، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.ويعضده قراء ة الجر بالفتح عطفاً على الحجارة . وإنما لم يقل أقسى لمافي أشد من المبالغة .

قوله:وأن من حق الطالب:حيث أمر بأن يذبح البقرة ثم يشتغل بطلب القاتل.

قوله:وأن الموثر في الحقيقة هوالله تعالىٰ:لأن الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن يتولد منهما حيوة.

قوله: وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك: بمعنى أنها ينبغي أن لا يقع لوجود أسباب وقوع الضد.

قوله:والمعني أنها في القساوة مثل الحجارة أو أزيد عليهاأو أنها مثلها: يعني أنها في قسوتها مثل الحجارة ،أو هي في أنفسها زائدة عليها في القسوة، فعلى هذا يكون معطوفًا على "كالحجارة" وكذا في الوجه الثاني معطوف عليه إلا أنه بتقدير المضاف، فجعل الكاف اسما حيث عبر عنه بمثل ليحسن عطف" أشد" عليه، ولا يكون من عطف المفرد على الجملة الظرفية.

قوله:وإنما لم يقل أقسى: يعني لم يقل أقسى مع أن فعل القسوة مما يصح صوغ إسم التفضيل منه لما أنه لم يقصد اشتراك القلوب والحجارة في القسوة، ثم تفضيل القلوب فيها بل اشتراك قسوتهما في الشدة،ثم تفضيل شدة القلوب ووصفها بكونها أشد وأزيد، فعلى هذا يكون المراد بالزيادة فيما تقدم أو زيادة عليها الزيادة في القسوة بحيث اشتدت

والـدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة "أو"للتخيير،أوللترديد بمعنى:أن من عرف حالها شبهها بالحجارة، أو بما هو أ قصى منها.

﴿وَإِنَّ مِـنَ الْـحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأنْهٰرُوَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَـا لَـمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ﴾تعليل للتفضيل . والمعنى:أن الحجارة تتأ ثر وتنفعل، فان مـنهـا مـا يشـقق فينبع منه الماء ، وتنفجر منه الأنهار، ومـنهـا ما يتردى من أعلى الجبل انـقيـاداً لـمـا أرادالله تـعالى به، وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن أمره، فان منها ما يشقق فيـنبـع مـنـه الـمـاء، وتـنـفـجر منه الأنها. والتفجر التفتح بسعة وكثرة ، والخشية مجاز عن الانـقيـاد . وقـرئ "إن" عـلى أنها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين "إن" الـنـافية. ويهبط بالضم﴿ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[٧٤]﴾وعيد على ذلك . وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وأبو بكر بالياء ضمًا إلى ما بعده، والباقون بالتاء.

﴿أَفَتَـطْـمَـعُـونَ﴾الـخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين ﴿ أَنْ يُّؤْمِنُواْ لَـكُـمْ﴾أن يصدقوكم ،أو يؤمنوا لأجل دعوتكم يعني اليهود﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ﴾طائفة من أسلافهم ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللّٰهِ﴾ يعني التوراة .

زيادة اشتـداد لا مطلق الزيادة، فـ"أشد" ههناجارعلى أصل الوضع وهو الزيادة في الشدة لم يستعمل للتوصل وإن كان أكثر استعمالًا في التوصل .

قوله:أو للتخيير أو للترديد: تا ويل الكلمة الشك الواقعة فى كلام علام الغيوب بأن مـن عـرف حـالهـا شبههـا بـأحدالشيئين، وعلى الوجه الأول بأن من عرفها صدرعنه أحد الأمرين، إما التشبيه أوالقول بأنها أشد قسوة.

قوله: فـان منها ما يتشقق فينبع منه الما ء وتنفجرمنه الأنهار: جعل صاحب الكشاف الـحجارة ثلاثة أقسام كما هو ظاهر نظم الكلام فجعل التفجر والأنهاركليهما مجازعن تدفق الـمـاء الكثير، والكثرة مستفاد من صيغة الجمع، ولفظ النهر وهو المجر ىٰ الواسع، والمصنف جـعـلهـا قسـميـن: أحـدهـمـا مـا يتشـقـق فيـنبع منه ويتفجر منه الأ نهار، والثاني مايهبط من خشيةالله؛لأن الـمـقـصـود بيـان الـحـجـارة بأن يتفجرمنهاالأنهار، فيكون قوله: وإن منها لما يشقق، تفسيرلما يتفجر كما فى قوله تعالى:﴿ وكم من قرية فجاء ها باسنابياتًا أوهم قائلون﴾.

قوله: ضـمًا إلى مابعد ه. مناسبًا له وهوأن يؤمنوا. والباقون بالخطاب. ضمًاإلى ما قبله ومناسبًاله وهو قلوبكم.

﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ كـنعت محمد صلى الله عليه وسلم ، وآية الرجم، أو تأ ويله فيفسرونه بما يشتهون. وقيـل: هؤلاء من السبعين المختارين سـمـعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السـلام بـالـطـور، ثـم قـالوا: سمعنا الله تعالى يقول في آخره. إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فـافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾أي فهموه بقولهم، ولم يبق لهم فيه ريبة. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ[٧٥]﴾أنهم مفترون مبطلون . ومعنى الآية:أن أحبار هٰؤلاء ومـقدميهم كانوا على هذه الحالة، فما ظنك بسفلتهم وجهالهم، وأنهم إن كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك .

﴿وَإِذَا لَـقُـوا الَّـذِيْـنَ اٰمَـنُـوا﴾ يـعـنـي منافقيهم﴿ قَالُوا اٰمَنَّا ﴾بأنكم على الحق، وإن رسـولـكـم هو المبشر به في التوراة ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ قَالُوا﴾أي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على ما من نا فق﴿ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ﴾بما بين لكم في التوراة من نـعـت مـحمد صلى الله عليه وسلم ،أو الذين نافقوا لأعقابهم إظهاراً للتصلب في اليهودية، ومنعاً لهم عن إبداء ما وجد وا في كتابهم، فينافقون الفريقين، فالاستفهام على الأول تقريع وعـلـى الثاني إنكار ونهي ﴿ لِيُحَاجُّوْكُمْ بِهٖ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ ليـحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عندالله كذا .

قوله: كـنعت محمد ﷺوآيةالرجم. قيل كان من صفات النبى ﷺفى التوراةأن يـكـون أبيـض ربـعة، فـحـرفـوا ذلك بأنه يكون طويلا، وأما تحريف آية الرجم فبالتسخيم وبتسويد الوجه .

قوله: وقيـل هـٰؤ لاء مـن السبـعيـن المختارين. التحريف على الأول التغييروعلى الثـانـي الـزيادة فيه، ومعنى الاٰية أن أحبارهٰولاء :فعلى هذايكون المراداليهود الذين في زمنه ﷺ،يعني أن أحبارهم ومقدميهم لا يؤمنون بكم فكيف سفلتهم وجهالهم يؤمنون بكم،وأن أحبـار اليهـو د الذين في زمنه ﷺوإن لم يؤمنوا وكفروا فلهم جماعة سابقة في زمن موسىٰ عـليـه السلام في ذلك .لأن أسلافهم كانوا كذلك. وهذه الحالة سجية لهم من أسلافهم لا مبتدأة منهم فكيف يطمع من الأ خلا ف الإيمان وترك التحريف.

قوله: فيـنـا فـقوا الفريقين:أي المؤمنين واليهود، أما نفاقهم المومنين فلأنهم قالوا: اٰمـنـا ومـا هـم بـمـؤ مـنيـن، وأمـا نفاقهم لأتباعهم فلأ نهم يرونهم الصلب في دينهم وماهم بمتصلبين وإلا لم يقولو ا للمؤ منين اٰمنا.

قوله :ليحتجوا عليكم. يعني أن يحاجوكم من باب المغالبة والأصل ليحاجوكم

ويراد به أنه جاء في كتابه وحكمه. وقيل: عند ذكر ربكم،أو بماعند ربكم ،أو بين يدي رسول ربكم.وقيل: عند ربكم في القيامة، وفيه نظر إذ الإخفاء لا يدفعه ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[٧٦]﴾ إما من تمام كلام اللائمين، وتقديره:أفلا تعقلون أنهم يحاجونكم به فيحجونكم ،أوخطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله﴿أفتطمعون﴾والمعنى:أفلا تعقلون حالهم وأن لا مطمع لكم في إيمانهم .

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾يعني هؤلاء المنافقين،أو اللائمين، أوكليهما، أو إياهم والمحرفين ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ[٧٧]﴾ومن جملتهما إسرارهم الكفر، وإعلانهم الإيمان، وإخفاء ما فتح الله عليهم ، وإظهار غيره، وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه .

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتٰبَ﴾جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة . ويتحققوا ما فيها، أو التوراة ﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ استثناء منقطع. والأماني:جمع أمنية وهي في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه من منى إذا قدر؛ ولذلك تطلق على الكذب، وعلى ما يتمنى وما يقرأ. والمعنى: ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليداً من المحرفين،أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا ، وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة . وقيل: إلا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله :

فيحجونكم أي يغلبونكم بالحجة. وحاصله ليحجوا عليكم يد ل عليه قوله فيما بعد:﴿أ فلا تعقلون﴾ أنهم يحا جونكم فيحجو نكم .وليس المرادأن يحاجوكم وتحاجوهم ؛إذليس لقصد المشاركة كماقال العلامة التفتازاني في عبارة الكشاف.

قوله : بما أنزل ربكم في كتابه: فضميربه راجع إلى مافتح الله والمعنى عند ربكم في كتابه، وإنهما بمعنى واحد، فأما على وجه الآخر فهو بما عند الله، فعندالله على ظاهره وعندظرف مستقر حال من ضمير"به".

قوله :أومو اعيد فارغة: أي عن الوقوع.

قوله : إلا ما يقرؤون قرأة عارية عن معرفة المعنى وتدبره. يعني لا يعلمون التوراة لكن يقرؤون قرأة مجردة عارية عن معرفةالمعنى، فالاستثناء المنقطع أيضا كما يشعر به كلام صاحب الكشاف.

تَمَنَّى كِتَابَ اللّٰهِ أَوَّلَ لَيْلِه تَمَنِي دَاودَ الزبُورَ على رِسْلِ

وهـو لا يـناسب وصفهم بأنهم أميون ﴿وَإِنْ هُـمْ إِلّا يَظُنُّونَ[٧٨]﴾ما هم إلا قوم يـظـنـون لا عـلـم لهم ، وقد يطلق الظن بإزاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وإن جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة .

﴿فَوَيْلٌ﴾أي تحسر وهلك. ومن قال: إنه واد أو جبل في جهنم فمعناه :أن فيها مـوضعاً يتبوأ فيه من جعل له الويل، ولعله سماه بذلك مجازاً ، وهو في الأصل مصدرلا فعل لـه، وإنـمـا ساغ الابتداء به نكرة لأنه دعاء ﴿ لِـلَّـذِيْـنَ يِكْتُبُونَ الْكِتٰبَ ﴾ يعني المحرفين .

قوله: تـمـنى كتاب اللّٰه أول ليلة: أي توء دة وهينة، يصف عثمان بن عفان رضي اللّٰه تعالىٰ عنه في مرثيته بأن قرأ القرآن أول ليلة و في آخره أدركه الموت .

قوله: وهـو لا يـنـاسـب وصـفـهم بأنهـم أميون: لأن الأميّ منسوب إلى أمة العرب الـذيـن لا يـكتبـون ولا يقرؤن، أوالأم بمعنى أنه كما ولدت أمه، وأجيب بأ نه لا يقرؤن من الـكتـاب ولا يـعـلـمـون الـخـط إلاعـلـى سبيل الأخذ من الغير فكثيرًاما يقرؤن من غير علم بـالـمـعـانـي ولا يتـصـورون الـحروف، و روينا عن البخاري ومسلم أن رسول اللّٰه ﷺ يوم الـصـلـح أخـذ الـكـتـاب وليـس يـحسـن يـكتب فكتب "هذا ما قا ضى عليه محمد بن عبد اللّٰه".ويـمكن أن يقال:إن مقتضى ما ذكرمن تفسيرالأميأن لا يقرء الأمي شيئا، وإن قراء ته يقدح في كونه أميّا، و يحتمل أن يكون كتابته ﷺ من معجزاته فليتأمل.

قوله: والزائغ عن الحق لشبهة:أي وكاعتقاد الزائغ وهو الجهل المركب .

قوله: ومـن قال أنه واد أو جبل في جهنم: فإن قلت: قد ورد فى الحديث: ويل واد فـي جهـنـم. وفـي الـصحاح: الويل واد أو جبل في جهنم، لوأرسلت فيه الجبال لذابت من حـره فـمـاا لبـاعـث لـلـمصنف على تاويله؟ قلت: لعل الباعث عليه أن لا وجه للعدول عن المعنى الظاهر الكثير الوقوع إلى غير الظاهر .

قوله: لأنـه دعاء: يعني أنه مختص بنسبته إلى المتكلم لكونه دعاء، قال في اللباب والـعـبـاب: تـخـصـص المبتدأ المنكر بكونه مصدرًا منتسبًاإلى الفاعل ، رفع لغرض الثبوت نـحـو سلام عليك، ولا يكون هذا النوع من التخصيص إلا فى الدعاء له، أو فى الدعاء عليه، واعترض عليه الرضي بأن المراد مطلق الهلاك لا ويل لك .

ولعله أراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكيد كقولك: كتبته بيميني ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كي يحصلوا به عرضاً من أعراضَ الدنيا ؛ فإنه وإن جل قليل بالنسبة إلى ما استوجبوه من العقاب الدائم ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني المحرف ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ[٧٩]﴾ يريد به الرشى.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به ، واللمس كالطلب له؛ ولذلك يقال: ألمسه فلاأجده ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ محصورة قليلة . روي أن بعضهم قالوا: نعذب بعدد أيام عبادة العجل أربعين يوماً، وبعضهم قالوا: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ خبراً و وعداً بما تزعمون . وقرأ ابن كثير وحفص بإظهار الذال. والباقون بإدغامه ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ جواب شرط مقدر: أي إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده . وفيه دليل على أن الخلف في خبره محال ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ[٨٠]﴾ أم معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما، أو منقطعة بمعنى بل أتقولون.على التقرير والتقريع .

﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما نفوه من مساس النا ر لهم زمانًامديداً ودهراً طويلاً على وجه أعم . ليكون كالبرهان على بطلا ن قولهم وتختص بجواب النفي ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ قبيحة، والفرق بينهما وبين الخطيئة أنها قد يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض؛ لأنها من الخطأ. والكسب:استجلاب النفع. وتعليقه بالسيئة على طريق قوله ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾[٣. آل عمران : ٢١] وآيات أخرى.

قوله: ولعله أرادبه ما كتبوه من التاويلات الزائغة: لعل وجه أختياره عموم الحكم بحيث يشمل اليهود ومن يحذو حذوهم من أمة محمد ﷺ وليلا ئم عموم قوله من كسب سيئة

قوله:تأكيد كقولك كتبته بيميني: لأنه يفيد زيادة تقرير بحيث ير تفع شبهة كتابة الغير بأن كتبه بأمره، وهذا كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا ،كتبته بيمينك هذه.

قوله: وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الآف سنة: أي هكذا في التوراة وهو من محرفا تهم .

قوله: على سبيل التقرير للعلم بو قوع أحد هما: أي الحمل على الإقرار الانتفاء حقيقة لاستفهام أعني استواء الأمرين فى علم المستفهم و كون السوال عن التعيين؛ وذلك لأن علم المستفهم و هو النبي ﷺ حاصل بأن المتحقق هو آخر الأمرين وهو الافتراء على الله تعالىٰ.

﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيٓئَتُهُ﴾ أي استولت عليه، وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه. وهذا إنما يصح في شأن الكافر لأن غيره و إن لم يكن له سوى تصديق قلبه و إقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به؛ ولذلك فسرها السلف بالكفر. وتحقيق ذلك: أن من أذنب ذنباً ولم يقلع عنه استجرّه إلى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلاً إلى المعاصي مستحسنا إياها معتقداً أن لا لذة سواها، مبغضاً لمن يمنعه عنها مكذباً لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السؤآ أن كذبوا بآيات الله﴾[٣٠. الروم: ١٠] وقرأ نافع خطيئاته. وقرىء خطيته وخطياته على القلب والإدغام فيهما﴿ فَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ﴾ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها في الدنيا ﴿هُمْ فيهَا خَٰلِدُونَ[٨١]﴾ دائمون، أو لا بثون لبثاً طويلاً. والآية كماترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها.

﴿وَالَّذِيْنَ اٰمَنُواْ وَ عَمِلُوالصّٰلِحٰتِ أُولٰٓئِكَ أَصْحٰبُ الْجَنَّةِهُم فِيْهَا خٰلِدُونَ[٨٢]﴾جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعده بوعيده لترجيح رحمته ويخشى عذابه، وعطف العمل على الإيمان يدل على خروجه عن مسماه.

قوله: وهذا إنما يصح في شان الكافر: لأنه وإن كسب حسنة فإنما كسب لأجل آلهتهم ورضا ئهم فهي قبيحة و كفر أيضًا، فا لخطيئة أحاطت به و شملت جملة أحواله. أو يقال: إن أعمالهم "كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء" فهي في حكم العدم، فلم يبق لهم إلا الكفر محيطا بظاهرهم و باطنهم، و لهذا فسرها السلف با لكفر كما روي عن ابن عباس و مجاهد و غير هما رضي الله تعالىٰ عنهم.

قوله: أولابثون لبثًا طويلاً. هذا على تقدير أن يراد با لخطيئة غير الكفر كما قال صاحب الكشاف فلا حجة فى الآية للمعتزلة والخوارج على خلود صاحب الكبيرة.

قوله: والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة. لأنه بين أولاً أنه في شان الكا فر لا في شان ما هو أعم من الكافر والفاسق، وفيه ردعلى صاحب الكشاف وغيره من المعتزلة و الخوارج، وكذا في الآية التي قبلها وهو﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب﴾ لأن المراد مما يكسبون الرشى لارتكاب الكبيرة.

قوله: وعطف العمل على الإيمان يدل على خروجه عن مسماه: فيكون الإيمان هو الاعتقاد لاالاعتقاد مع الأعمال كما هو مذهب الشافعي.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَ بَنِىٓ إِسْرآءِ يلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللّٰهَ﴾إخبار في المعنى النهي كقوله تعالى:﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾[٢.البقرة:٢٨٢]وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إبهام أن المنهي سارع إلى الانتهاء، فهو يخبر عنه ويعضده قراءة: لا تعبدوا. وعطف "قولوا" عليه فيكون على إرادة القول.وقيل: تقديره أن لايعبدوا فلما حذف أن رفع كقوله.

أَلا أَيّهذا الزاجري أَحضُرَ الْوَغَى   وَأَنْ أَشْهَدَ اللذاتِ هَلْ أَنْتَ مُخلِدِي

ويدل عليه قراءة: ألا تعبدوا، فيكون بدلًا عن الميثاق، أو معمولًا له بحذف الجار، وقيل: إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال:وحلفناهم لايعبدون. وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمر ووعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به. والباقون بالياء لأنهم غيب ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾تعلق بمضمر تقديره: وتحسنون، أووأحسنوا﴿وَذِى الْقُرْبىٰ وَالْيَتٰمىٰ وَالْمَسٰكِيْنِ﴾عطف على الوالدين.واليتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل، ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾أي قولًا حسناً. وسماه حسناً للمبالغة. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسناً بفتحتين. وقرئ حسناً بضمتين وهو لغة أهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد﴿وَأَقِيْمواْ الصَّلوٰةَ وَاٰتُوالزَّكوٰةَ﴾ يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب،أي أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه.

قوله: عطف قولوا: لأن المناسب أن يعطف الإنشاء على الإنشاء أو في معناه.

قوله: ألا أيهذا الزاجري أحضرالوغى: أى أن أحضر. والوغى صوت الإبطال في الحرب. وتمامه: وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي. والمعنى ألا أيها الإنسان الذي يلومني على حضور الحرب وشهود اللذات هل أنت تخلد في أن كففت عنهما.

قوله: وحسنىٰ على المصدر كبشرى. ردعلى الزجاج حيث منع هذه القراءة وهمأمنه أن "حسنىٰ" تانيث الأحسن فلا يستعمل بدون اللام.

قوله: والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد :لأن المتكلم إما أن يتكلم من جهة نفسه فينبغي أن لا يصدرمنه لا ما يدخل تحت مكارم الأخلاق. وإما من جهة مخاطبة فينبغى أن لا يتكلم إلا بما يرشده إلى الطريق الحق والصراط المستقيم.

﴿ إِلَّا قَلِيْلاً مِّنْكُمْ﴾ يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ [٨٣]﴾قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة ، وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآئَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ﴾ على نحو ما سبق والمراد به أن لا يتعرض بعضهم بعضاً بالقتل والإجلاء عن الوطن . وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه؛ لا تصا له به نسباً أو ديناً، أو لأنه يوجبه قصاصاً. وقيل: معناه لا تركبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم ،أولا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة، ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم؛ فإنه الجلا ء الحقيقي﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾بالميثاق واعترفتم بلزومه ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ[٧٤] ﴾توكيد كقولك :أقر فلان شاهداً على نفسه. وقيل: وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم ، فيكون إسناد الإقرار إليهم مجازاً.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلآءِ﴾استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشهادة عليه.و"أنتم" مبتدأ و" هؤلاء"خبره على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك: أنت ذلك الرجل

قوله: على طريقة الالتفات: لأن ذكر بني إسرائيل إنما وقع بطريق الغيبة والخطابات إنماهي في حيز القول، والفائدة التوبيخ كأنه استحضر هم فوبخهم .

قوله: يريد به من أقام اليهودية علىٰ وجهها قبل النسخ، ومن أسلم منهم: وقيل: هم الذين أسلموا منهم .

قوله: وأنتم معرضون قوم عاد تكم الإعراض. يعني أن الجملة اعتراض وتذئيل لا حال لقلة فائدتها وإن جاز نحو ﴿ثم وليتم مد بر ين﴾ .

قوله: على نحو ما سبق: أي في نحو لا تعبد ون من الوجوه.

قوله: لاتصاله به نسبًا أو دينًا: فهو من باب المجاز بأدنى ملا بسة وأما على الوجه الآخر وهو أنه يو جبه قصاصا فهومن باب إطلاق المسبب على السبب .

قوله: على معنى أنتم بعد ذلك هو لاء الناقضون. أراد أن المعنى أن صفتكم الآن غير الصفة التى كنتم عليها فنزل تغير الصفة منزلة تغير الذات فأدخل "هولاء" وأوقع خبرًا عن"أنتم" فكأنه قال: انتم قوم آخرون غير أولئك المقرين، وهذا كما تقول: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به .

الذي فعل كذا ، نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما أسند إليهم حضورًا أو باعتبار ما سيحكي عنهم غيّباً، وقوله تعالى ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيْقاً مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ إما حال، والعامل فيها معنى الإشارة، أو بيان لهذه الجملة . وقيل: هؤلاء تأكيد، والخبر هو الجملة . وقيل: بمعنى "الذين" والجملة صلته والمجموع هو الخبر. وقرئ تُقَتِّلُونَ على التكثير ﴿تَظٰهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ حال من فاعل "تخرجون" ،أو من مفعوله، أو كليهما . والتظاهر: التعاون من الظهر. وقرأ عاصم وحمزة والكسأي بحذف إحدى التائين. وقرئ بإظهارها. وتظّهرون بمعنى تتظهرون ﴿وَإِنْ يَّأْتُوكُمْ أُسٰرٰى تُفٰدُوهُمْ﴾

روي أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج. فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاء ه في القتل، وتخريب الديار، وإجلاء أهلها، وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه . وقيل: معناه إن يأتوكم أسارى في أيدي الشياطين تتصدون لإنقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم كقوله تعالى:

قوله: وعدهم باعتبار ما أسند إليه الخ: يعني عبر عنهم بصيغة الخطا ب في أنتم نظرًا إلى المسند وهو ﴿تقتلون﴾ لأنه خطاب، وبصيغة الغيبة في هؤلاء نظراً إلى ما سيحكى عنهم وهو ﴿ أولئك الذين اشتروا الحيٰوة الدنيا﴾ لأنه غائبة.

قوله: روي أنه قريظة :بنو قريظه والنضير قبيلتان من اليهود والأوس والخزرج من المشركين وكان بين الأوس والخزرج إحن ومحاربات فحالف الأوس بنى قريظة، والخزرج النضير لنصرتهم، وإن لم تكن بين اليهود مخاصمة وقتال، و إنما كانوا يقاتلون مجتمعين مع حلفائهم من المشركين إذا حاولوا مخالفة أعدائهم، وإذا أُسر رجل من الفريقين أي بني قريظة والنضير جمعوا أي مجموع الفريقين حتى يفد وه من المشركين فعيرتهم العرب وقالت: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم، فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم، ولكنا نستحيي أن نذل حلفاء نا كما روي أن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم، وإيما عبدا وأمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه. قال في الصحاح: حالفه: عاهده، والحليف: المحالف. ويقال لبني أسد وطي الحليفان. ويقال أيضاً لفزار وأسد حليفان؛ لأن خزاعة لما أجلت بني أسد عن الحرم خرجت فحالفت طيا ثم حالفت بني فزارة.

﴿أتأ مرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [٢. البقرة :٤٤] وقرأحمزة أسرى، وهو جمع أسير كجريح وجرحى.وأسارى جمعه كسكرى وسكارى . وقيل: هو ايضاً جمع أسير، وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾متعلق بقوله:" وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم". وما بينهما اعتراض، والضمير للشأن، أو مبهم ويفسره إخراجهم ،أو راجع إلى ما دل عليه، وتخرجون من المصدر، وإخراجهم بدل أو بيان ﴿أَفَتُؤمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾يعني الفداء.

﴿ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾يعني حرمة المقاتلة والإجلاء ﴿فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ كقتل بني قريظة وسبيهم، وإجلاء بني النضير، وضرب الجزية على غيرهم. وأصل الخذي ذُلّ يستحيا منه؛ ولذلك يستعمل في كل منهما .

﴿وَيَومَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلىٰٓ أَشَدِّالْعَذَابِ﴾لأن عصيانهم أشد﴿ وَمَااللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[٨٥]﴾تأكيد للوعيد:أي الله سبحانه وتعالى با لمرصاد لا يغفل عن أفعالهم . وقرء عاصم في رواية المفضل" تردون" على الخطاب لقوله:" منكم" وابن كثير ونافع و عاصم في رواية أبي بكر، وخلف ويعقوب"يعملون" على أن الضمير لـ"مَن" .

﴿أُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ ﴾آثَرُوا الحياة الدنيا على الآخرة﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ ﴾بنقض الجزية في الدنيا، والتعذيب في الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ[٨٦] ﴾بدفعهما عنهم .

﴿وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتٰبَ ﴾أي التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾أي أرسلنا على أثره الرسل كقوله سبحانه وتعالى ﴿ ثم أرسلنارسلنا تترآ﴾[٢٣.المؤمنون:٤٤] يقال قفّاه إذا أتبعه ، وقفاه به إذا أتبعه إياه من القفا. نحو ذنبه من الذنب ﴿ وَاٰتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰتِ﴾المعجزات الواضحات كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والبرص، والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل .

قوله: كقتل بني قريظة. قال ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما كان عادة بني قريظة القتل وعادة بني النضير الإجلاء عن الدار فنها هم ا للّٰه تعالى عن ذلك وأخذعليهم الميثاق أن لاتفعلوا، فلما غلب رسول اللّٰهﷺ أجلى بني النضير وقتل رجال بني قريظة وأسر نسائهم وأطفالهم .

قوله: أوالإ نجيل: عطف على المعجزات الواضحات.

وعيسى بالعبرية يسوع . ومريم بمعنى الخادم . وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال. قال رؤبة : قُلْتُ لِزِيْرٍ لَمْ تَصُلْهُ مَرْيمه . ووزنه مفعل إذ لم يثبت فعيل، ﴿وَأَيَّدْنَهُ﴾وقويناه . وقرئ آيدناه بالمد ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بالروح المقدسة كقولك :حاتم الجود، ورجل صدق . وأراد به جبريل. وقيل:روح عيسى عليه الصلاة والسلام. ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان، أو لكرامته على الله سبحانه وتعالى؛ ولذلك أضافه إلى نفسه تعالى،أو لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث،أو الإنجيل، أو اسم الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى. وقرأ ابن كثير القدس بالإسكان في جميع القرآن ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهوىٰٓ أَنْفُسَكُمْ﴾بمالا تحبه . يقال: هَوِيَ بالكسر هَوىً إذا أحب هُوياً بالفتح هَوىً بالضم إذا سقط، ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخ

قوله: وعيسىٰ بالعبريةيسوع: ومعناء السيد، وقيل؛ عربي من العيس وهوا لبياض في الإبل. ومريم يحتمل أن يكون عبريا بمعنى الخادم، ويحتمل عربيا، وعلى التقديرين سميت به، أما على الأول فظاهر، وأما على الثاني فمن تسمية الشيء باسم النقيض، والجمهورعلى أنه في الأصل أعجمي، معناه الخادم فلا يعتبر له الاشتقاق. وعجزالبيت : ضليل أهواء الصبي مندمه.

والزير من الرجال الذي يكثر زيارة النساء ومحادثتهن، ومريم: المرأة التي تكثر زيارة الرجال ومحادثتهم، والضليل: مبالغة الضال.

قوله: بالروح المقدسة: يعني أن الأصل الروح المقدسة فأ ضيف الروح إلى القدس تنبيها على زيادة اختصاص الروح بالقدس؛لأن من شان الصفة أن يكون منسوبا إلى الموصوف فاذاأضيف الموصوف الى الصفة يكون الموصوف منسوبا إلى الصفة فيفيد زيادة الاختصاص.

قوله: أولكرامته: يعني وصف الروح بالقدس للكرامة كما أضافها إلى نفسه تعالىٰ حيث قال ﴿وروح منه، فنفخنا فيه من روحنا﴾ للكرامة ، ومبنى الوجه الثالث على أن مريم عليها السلام لم تحض.

قوله :ووسطت الهمزة بين الفاء وماتعلقت به: يعني أدخلت الهمزة بين أثناء الكلام أي بين المعطوف والمعطوف عليه مع أن الأصل أن يقع في صدر الكلام لأن رتبتها الصدر لأجل التوبيخ والتعجيب من ترتب مثل هذ الفعل على ما سبق بأن أنعمنا عليكم ببعثة موسىٰ عليه السلام وإيتاء الكتاب ثم اتبعناه بالرسل بإيتائه عيسى عليه السلام البينات ليشكرو اتلك النعم بالقبول فعكستم بأن كذبتم فريقا وقصدتم قتل اٰخرين ويجوز أن يكون هذاالكلام استينافًا لتوبيخهم والفاء للعطف على مقد رأي أكفرتم وخالفتم كلما جاء كم رسول.

لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيباً من شأنهم . ويحتمل أن كون استئنافاً والفاء للعطف على مقدر﴿اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ عن الإيمان واتباع الرسل ﴿ فَفَرِيْقاً كَذَّبْتُمْ﴾ كموسى وعيسى عليهما السلام، والفاء للسببية أو للتفضيل ﴿ وَفَرِيْقاً تَقْتُلُونَ[٨٧] ﴾ كزكريا ويحيي عليهما السلام، وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها في النفوس؛ فإن الأمر فظيع، أومراعاة للفواصل، أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم، لولا أني أعصمه منكم؛ ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة .

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ مغشاة بأغطية خلقية لايصل إليها ما جئت به ولا تفقه . مستعار من الأغلف الذي لم يختن. وقيل: أصله غُلُف جمع غلاف فخفف. والمعنى أنها أوعية للعلم لا تسمع علماً إلاوعته، ولا تعي ما تقول، أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره ﴿بَلْ لَّعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ﴾رد لما قالوه.والمعنى أنهاخلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم ،أو أنها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه، بل لأن الله تعالى خذلهم بكفرهم كما قال تعالى ﴿ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[٤٧ .محمد:٢٣]أوهم كفرة ملعونون ، فمن أين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك ؟﴿فَقَلِيْلاً مَّا يُؤمِنُونَ[٨٨] ﴾ فإيماناً قليلاً يؤمنون. وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو إيمانهم ببعض.وقيل:أراد بالقلة العدم.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتٰبٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ ﴾يعني القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ من كتابهم . وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف، وجواب "لمّا" محذوف دل عليه جواب "لما" الثانية ﴿وَكَانُواْ مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِيْنَ كَفَرُوا﴾أي يستنصرون على المشركين ويقولون:اللهم انصرنا بنبي آخرالزمان المنعوت في التوراة .

قوله : وجواب لما محذوف دل عليه إلخ: أي كفروا به أو كذبوا به واستهانوالمجيئه، وفيه إشارة إلى ضعف ما يقال: إن قوله ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهٖ﴾ جواب لما؛ إذلم يجيء في فصيح الكلام جواب لما إلافعاد ما ضيًا بدون الفاء، وقيل: إن "لما" الثانية تكرار للأولى والجواب" كفروا به" والفاء للاشعار بأن مجيئه كان عقيب استفتاحهم به.

أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبياً يبعث فيهم وقد قرب زمانه . والسين للمبالغة والإشعار أن الفاعل يسأل ذلك عن نفسه ﴿فَلَمَّا جَاءَ هُمْ مَّا عَرَفُواْ﴾من الحق ﴿كَفَرُواْ بِهِ﴾ حسداً وخوفاً على رياسة ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَفِرِيْن[٨٩]﴾أي عليهم. وأتى بالمظهر للدلالة على أنهم لعنوا لكفرهم ، فتكون اللام للعهد. ويجوز أن تكون للجنس ويدخلون فيه دخولاً أوليًا لأن الكلام فيهم .

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل المستكن ، واشتروا صفته ومعناه باعوا، أو اشتروا بحسب ظنهم ، فإنهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلا﴿ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هو المخصوص بالذم ﴿بَغْياً﴾ طلباً لما ليس لهم وحسداً، وهو علة ﴿ أن يكفروا﴾ دون ﴿ اشتروا﴾ للفصل﴿أن ينزل الله ﴾لأن ينزل:أي حسدوه على أن ينزل الله. وقرأ ابن كثير وأبوعمرووسهل ويعقوب بالتخفيف ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾يعني الوحي﴿عَلىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ على من اختاره للرسالة.

قوله : والسين للمبالغة: أي السين على هذا الوجه للمبالغة والإشعار بأن الفاعل سأل ذلك عن نفسه يعني أنه من باب التجريد جردو امن أنفسهم أشخاصا ويسئلونهم الفتح المعنى يا نفس عرفي الكافرين أن نبيا يبعث إليهم.

قوله: دخولاأولياً: أي قصديا.

قوله : طلبا لما ليس لهم وحسدًا: يعني أن معنى البغي الطلب، والمراد ههنا الطلب لما ليس لهم وهوالحسد "فإن ينزل اللّٰه" إما متعلق به باعتبار أصل المعنى فالتقدير لأن ينزل الله ؛لأن تعدية الطلب باللام،أو باعتبار المراد، فالتقدير على أن ينزل اللّٰه؛لأن تعديته بعلى.

قوله:وهو علة" أن يكفروا" دون "اشتروا" للفصل: قال صاحب الكشاف: هو علة اشتروا والمصنف عدل عنه للزوم الفصل بالأجنبي لأنه إما مبتداء خبره فعل الذم أو خبر مبتداء محذوف وعلى كل تقدير فهو أجنبي؛لأنه ليس من معمولاته وإنكان له به تعلق من حيث المعنى. قال الرضي في شرح: مع أنهم لو رفعوافصلوابين أحسن و معموله بأجنبي، و أعني بالأ جنبي ههنا مالا يكون من جملة معمولات ذلك العامل لا الذى لا تعلق له بذلك العامل بوجه، كيف و"الكحل" مبتدأ و"أحسن" خبره، فله تعلق بهذا الو جه، وقيل بأن المعنى على ذم ما با عوا به أنفسهم وهو الكفر حسداًعلى أن قو له" أن يكفروا" خصوصا بالذم فلا يكون فاصلا، ورد عليه بأن هذا تحكم والفصل بالأجنبي لازم كمامر.

﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾للكفر والحسد على من هو أفضل الخلق. وقيل : لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام، أو بعد قولهم عزيرُ ابنُ الله، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ[٩٠]﴾يراد به إذ لا لهم بخلاف عذاب العاصي؛ فإنه طهرة لذنوبه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾يعم الكتب المنزلة بأسرها﴿ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾أي بالتوراة ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ ﴾حال من الضمير في قالوا. ووراء في الأصل مصدر جعل ظرفاً . ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه، وإلى المفعول فيراد به مايواريه وهو قدامه؛ ولذلك عد من الأضداد ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾الضمير لما وراءه، والمراد به القرآن ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ﴾حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم ؛ فإنهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[٩١]﴾ اعتراض عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة، والتوراة لا تسوغه. وإنما أسند إليهم؛لأنه فعل آبائهم وأنهم راضون به عازمون عليه . وقرأ نافع وحده أنبئاء الله مهموزاً في جميع القرآن .

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ﴾يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى﴿ولقد اٰتينا موسىٰ تِسْعَ آياتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[١٧. الإسرائيل :١٠١]﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ أي إلٰهاً ﴿ مِنْ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد مجيء موسى ، أو بعد ذهابه إلى الطور﴿ وَأَنْتُمْ ظَٰلِمُونَ[٩٢]﴾ حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته، أو بالإخلال بآيات الله تعالى . أواعتراض بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم، ومساق الآية أيضاً لإبطال قولهم ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾[٢.البقرة:٩١] والتنبيه على أن طريقتهم مع الرسول طريقة أسلافهم مع موسى عليهما الصلاة والسلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعده .

قوله: و"وراء" في ألا صل مصدر:يعني أن وراء في أصل اللغة مصدر ويضاف إلى الفاعل، يعني أن الضمير البارز المضاف اليه في ما وراءه إما فاعل فيكون ساترًا والأمر مستور، فالمرادبما وراءه الأمر الذي يستره الشيء ويواريه، فيكون مايواريه الشيء خلفه وذلك الشيء قدامه، أومفعول فالأمر يوارى الشيء ويستره، فالأمر ساتر و الشيء مستور فالمراد بماوراء الأمر الذى يسترالشيء ويواريه فيكون ما وراءه قدّامه.

قوله: بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم: فلا عَجَبَ منكم اتخاذ العجل الذي هو من الظلم.

قوله: لالتكريرالقصّة: أى قصة موسٰى و إن كانت مختلفة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَآ اٰتَيْنٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾أي قلنا لهم: خذوا ما أمرتم به في التوراة بجدّ واسمعوا سماع طاعة ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا﴾قولك ﴿وَعَصَيْنَا ﴾أمرك ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته؛ لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب، والشرب أعماقَ البَدن، وفي قلوبهم. بيان لمكان الإشراب كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ في بُطُونهمْ ناراً﴾[٤.النساء: ١٠]﴿بِكُفْرِهِمْ﴾بسبب كفرهم؛ وذلك لأنهم كانوا مجسمة، أو حلولية، ولم يروا جسماً أعجب منه، فتمكن في قلوبهم ما سولّ لهم السامري ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهٖ إِيْمَانُكُمْ﴾ أي بالتوراة، والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الأمر، أو ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث إلزاماً عليهم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ[٩٣]﴾تقرير للقدح في دعواهم الإيمان بالتوراة. وتقديره؛ إن كنتم مؤمنين بها ماأمركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها إيمانكم بها، أو إن كنتم مؤمنين بها فبئسما يأمركم به إيمانكم بها، ولأن المؤمن ينبغي أن لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان بها لا يأمر به، فإذًا لستم بمؤمنين.

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْاٰخِرَةُ عِنْدَ اللّٰهِ خَالِصَةً ﴾خاصة بكم كما قلتم:"لن يدخل الجنة إلا من كان هودا" ونصبها على الحال من الدار ﴿مِّنْ دُونِ النَّاسِ﴾ سائرهم واللام للجنس، أو المسلمين واللام للعهد﴿ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ[٩٤]﴾ لأن

قوله: وفى قلوبهم بيان لمكان الإشراب:يعني أنهم أشربوابجملتهم العجل نفسه و ذكر القلوب لبيان مكان الإشراب لالبيان أنها هى المشربة دون جملتهم.

قوله: قل بئسما يأمركم به إيمانكم: نسبة الأ مرإلى الايمان تهكم كما قال قوم شعيب عليه الصلاة والسلام:" أصلوتك تأمرك" ولذا أضيف الإيمان إليهم.

قوله: ولايرخص لكم فيها أي ومارخص لكم فهوعطف على أمركم.

قوله: أو إن كنتم مؤمنين بها: فبئسما أ مركم به إيمانكم بها، تقريره إن كنتم مؤمنين بالتوراة فقد أمركم بالقبيح الذى أتيتم به؛ لأن المو من ينبغى أنه لا يتعاطى إلاما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان بالتوراة لايأمربه فلستم بمو منين؛ لأن انتفاء اللازم يو جب انتفاء ا لملزوم.

قوله: سا ئرهم: أي المسلمين وغيرهم فاللام للجنس.

من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها، وأحب التخلص إليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله تعالى عنه:" ولا أبالي سقطت على الموت،أو سقط الموت عليّ" وقال عمار رضي الله تعالى عنه بصفين:"الآن ألاقي الأحبة محمداً ثم حزبه" وقال حذيفة رضي الله عنه حين احتضر:" جاء حبيب على فاقةفلا أفلح اليوم من قد ندم"أي على التمني سيما إذا علم أنها سالمة له لا يشاركه فيها غيره .

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن ، وتحريف التوراة . ولما كانت اليد العاملة مختصة بالإنسان.آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها أكثر منافعه.عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى . وهذه الجملة إخبار بالغيب وكان كما أخبر؛ لأنهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر؛ فإن التمني ليس من عمل القلب ليخفى، بل هو أن يقول : ليت لي كذا .ولو كان بالقلب لقالوا: تمنينا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم "لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه، وما بقي على وجه الأرض يهودي "﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّلِمِيْنَ[٩٥]﴾ تهديد لهم وتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم . ونفيه عمن هو لهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ علىٰ حَيَاةٍ﴾ من "وجد" بعقله الجاري مجرى "علم" . ومفعولا ه"هم"

قوله: كماقال علي رضى الله تعالي عنه: روي أن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن: ما هذا بزي المحار بين؟ فقال: يا بنيّ لا يبالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت ، والصفّان صفّه وصف معاوية، والغلالة: ثوب رقيق يلبس تحت الدرع. وسقوطه على الموت: أن يكون عالما بأسبا به، وسقوط الموت عليه أن يفاجئهُ الموت.

قوله: جاء حبيب على فاقة: أي حاجة وشوق إلى الموت، أراد با لحبيب الموت: أي جاء الموت وقت حاجة وشوق إليه ولم يفلح من ندم عليه. يعني أنه كان يتمنى الموت وما ندم اذجاء ه وصفين بالكسر موضع كان فيه حرب علي كرم الله تعالىٰ وجهه ومعاوية.

قوله: ولوكان بالقلب: يعني لوسلم أن التمني بالقلب فلا بدّ من الإظهار بالقول بأن يقولوا" اتمنينا بقلو بنا"ردا لقوله:﴿ ولن يتمنوه أبدًا﴾ ولكن ما نقل أنهم قالوا، فعلم أنهم ما تمنوه.

قوله: من وجد بعقله الجارى مجرى علم.النحويون يقولون وجد بمعنى علم ووجد بمعنى أصاب، والظاهر أن المصنف يقول إنّ" وجد" يكون بمعنى الإصابة وأن الإصابة قد يكون بالعقل وقد يكون بالجوارح والبدن، والمآل واحد؛ لأن الإصابة با لعقل هو العلم .

وأحرص الناس وتنكير حياة؛ لأنه أريد بها فرد من أفرادها وهي: الحياة المتطاولة . وقرئ بالـلام ﴿ وَمِنَ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوا﴾ محمول على المعنى وكأنه قال :أحرص من الناس على الحياة ومن الذين أشركوا. وإفراده بالذكر للمبالغة ؛ فإن حرصهم شديد؛ إذ لم يعرفوا إلا الحياة العاجلة ، والزيادة في التوبيخ والتقريع ؛ فإنهم لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون إلى النار . ويجوز أن يراد: وأحرص من الذين أشركوا ، فحذف أحرص لدلالة الأول عليه، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ على أنه أريد بالذى أشركوا اليهود لأنهم قالوا:عزير ابنُ اللّٰه:أي ومن هم ناس يود أحدهم، وهو على الأولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف ﴿ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾حكاية لودادتهم و"لو" بمعنى" ليت "وكان أصله: لوأعمر فأجرى على الغيبة لقوله:يودكقولك حلف اللّٰه ليفعلن ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهٖ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُّعَمَّرَ﴾الضمير لأحدهم ، و"أن يعمر" فاعل" مزحزحه":أي وما أحدهم بمن يزحزحه من العذاب تعميره، أو لما دل عليه يعمر وأن يعمر بدل منه، أو منهم، وأن يعمر موضحه وأصل سنة سنوة لقولهم: سنوات. وقيل: سنهة كجبهة لقولهم:سانهته وتسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون. والزحزحة: التبعيد﴿وَاللّٰهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُوْن[٩٦]﴾ فيجازيهم.

قوله: لأنه أريد بها فرد من أفرادها:لاجنس الحياة بحيث يشمل جميع أفرادها حتى يتعرف اللام، وأما أن ذلك الفرد هي الحياة المتطاولة فبقرينة أحرص.

قوله: إذلم يعرفوا إلاالحياة العاجلة:لأنهم لا يؤمنون بالآخرة فلاجرم يشتد حرصهم عليها؛ لأنها جنتهم.

قوله: دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون إلى النار: لعلمهم بحالهم وهو كفرهم بالرسول وتحريفهم التوراة وسائر أنواع المعاصي.

قوله: و يجوز أن يراد وأحرص من الذين: وفى هذاالوجه يكون "أحرص" المحذوف معطوفا على "أحرص" المذكور، في الوجه الأول المعطوف الجار والمجرور المذكور، والمعطوف عليه الجار والمجرور المدلول عليه بالإضافة .

قوله: أولما دل عليه: من مصدره كأنه قيل: وما التعمير بمز حزحه من العذاب تعميره، وفيه ضعف من جهة قلة الفائدة فى البدل ومن جهة الفصل با لخير .

قوله: أومنهم: على نحو فسوٰهن لاعلىٰ أنه ضمير الشان حتى يرد عليه أن المفسر

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيْلَ﴾نزل في عبد الله بن صوريا. سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه بالوحي؟ فقال: جبريل.فقال:ذاك عدوناعادانا مراراً، وأَشَدَّها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر.فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل.وقال:إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وإلا فيم تقتلونه ؟ وقيل :دخل عمر رضي الله تعالى عنه مدراس اليهود يوماً. فسألهم عن جبريل فقالوا: ذاك عدونا يطلع محمداً على أسرارنا وإنه صاحب كل خسف وعذاب، وميكائيل صاحب الخصب والسلام. فقال: ومامنزلتهما من الله ؟ قالوا:جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وبينهما عداوة فقال: لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير . ومن كان عدوأحدهما فهوعدوالله.ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه الصلاة والسلام: "لقد وافقك ربك يا عمر " وفي جبريل ثمان لغات، قرئ بهن أربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قرأه حمزة والكسائي . وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير . وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية أبي بكر .

لضمير الشان الجملة "وأن يعمر" ليس بجملة، وفى هذاالوجه أيضاًضعف للزوم الفصل .

قوله: فرأه ببابل:غلامًا مسكينًا.

قوله: فبم تقتلونه:أي بأي سبب تقتلونه فصدقه صاحبنا ورجع إلينا وكبر بخت نصرو قوى وغزانا وخرب بيت المقدس.

قوله:وقيل:دخل عمر رضى الله تعالى عنه:روي أنه كان لعمر رضى الله تعالى عنه أرض بأعلى المدينة، وكان ممره على مدارس اليهودية، وكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا: يا عمر! قد أحببنا ك وأنا لنطمع فيك فقال: والله ما أجيئكم بحبكم، ولا أسئلكم لأني شاك في ديني، وأدخل عليكم لأزداد بصيرة فى أمرمحمد وأرى آثاره في كتابكم،ثم سألهم عن جبرائيل فقالوا: ذلك عد و نا إلىٰ آخر القصة. والمدراس صاحب كتاب اليهودية من أبنية المبالغة، والمدراس أيضا البيت الذى يد رسون فيه التوراة، ومفعل ومفعال غريب في المكان.

قوله: فليسا بعد وين. لأن القرب من الله ينافي الحسد والعداوة.

قوله: ولأنتم أكفر من الحمير. لأن الكفر نتيجة الجهل والبلادة والحمار مثل فيهما، وقيل: لأن صاحبه يعلفه وهو ير محه، وقال الميداني: قولهم أكفرمن حماروهو رجل من عاد يقال له حماربن مويلغ ،كأنه له وادطوله من مسيرة يوم في عرض أربعة فراسخ

وجبـريـل كـقـنـديل قراءة الباقين . وأربع في الشواذ : جبرئل وجبرائيل وجبراعيل وجبرئل وجبـريـن ومـنع صرفه للعجمة والتعريف. ومعناه عبدالله ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾البارزالأول لجبريل، والثـانـي لـلقرآن . وإضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهوته لم يـحتـج إلـى مـاسبـق ذكـره﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾فإنه القابل الأول للوحي ومحل الفهم والحفظ .

وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كأنه قال: قل: ماتكلمت به ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾بأمره، و تيسيره حال من فاعل"نزله" ﴿ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِيْنَ[٩٧]﴾ أحوال من مفعوله، والـظاهر أن جواب الشرط﴿فإنه نزله﴾ والمعنى أنّ مـن عـادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الإنصاف، أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته إياه لـنـزول عليك بالوحي؛لأنه نزل كتاباً مصدقاً للكتب المتقدمة، فحذف الجواب وأقيم علته مقامه، أو من عاداه، فالسبب في عداوته أنه نزله عليك . وقيل: محذوف مثل فليمت غيظاً،

لم يكن ببلاد العرب أخصب منه، فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا ، فقال لا أعبـد مـن فعل هذا، ودعا قومه إلى الكفر فمن عصاه قتله فأهلكه الله وخرب واديه فضرب به المثل، فيجوز أن يكون الحميرعبارة عنه وعن قومه الذين كفروا.

قوله: بكسر الراء:أي مع فتح الجيم .

قوله: وجبرئيل بتشديد اللام وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل.

قوله: وكان حقه على قلبي: لأن الرسول قائل لأنه مخاطب بـ"قل".

قوله: كـأنـه قال: قل ما تكلمت به: من قولي:" من كان عدوا لجبرائيل فانه نزله على قلبك" .

قوله: والـظـاهـر أن جـواب الشرط فإنه نزله: يعني أن الظاهر المتبادر من الكلام أن جـواب الشـرط يـكـون مسببـا عـن الشـرط ولازمـا لـه والأمر هنا با لعكس، وتوجيهه أمران: أحدهما أنه علة الجواب المحذوف أقيمت مقامه، والثاني أن التقدير: فالسبب في عداوته أنه نزله .فان قيل: هذان الأمران أيضا لا يفيدان سببية مضمون الشرط لمضمون الجزاء وهو ظاهر. قـلـنا: يحمل على سببيته للإخباروالإعلام بمضمون الجزاء كما في قوله تعالىٰ:﴿ وما بكم من نعمة فمن الله﴾ .وقيل:الجواب محذوف و"فإنه نزله" علة له وهوخلاف الظاهرمن الكلام.

أوفهوعدولي ،أوأناعد وّه . كما قال:

﴿ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ[٩٨]﴾أراد بعداوة الله مخالفته عناداً، أو معاداة المقربين من عباده.وصدر الكلام بذكره تفخيماً لشأنهم كقوله تعالى:﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾[٩. التوبة:٦٢.]وأفرد الملكين بالذكر لفضلهما، كأنهما من جنس آخر. والتنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى، وأن من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع؛ إذ الموجب لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد، ولأن المحاجة كانت فيهما، ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم.وأن عداوة الملائكة والرسل كفر. وقرأ نافع ميكائل كميكاعل ، وأبوعمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد.والباقون ميكائيل بالهمزة والياء بعدها . وقرئ ميكئل كميكعل، وميكئيل كميكعيل وميكايل .

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَمَايَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا الْفَٰسِقُونَ[٩٩] ﴾ أي المتمردون من الكفرة والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دل على عظمه كأنه متجاوز عن حده. نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك﴿أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُوا عَهْداً﴾الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف تقديره: أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا. وقرئ بسكون الواو على أن التقدير إلا الذين فسقوا، أو كلما عاهدوا

قوله :كأنهما من جنس آخر: و ذلك أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات .

قوله : والتنبيه.قيل: هو وجه آخر للإفراد بالذكر على حدة، فالظاهر أو للتنبيه بكلمة أو، ويمكن أن يقال:إن إفراد الملكين بخصوصهما يتضمن فائدتين .أحدهما من حيث خصوصيتهما والثاني من حيث إنهما ملكان ولا وجه لذكر هما من حيث خصوصيتهمالأجل الفائدة الآخرة فقط ،إذ يحصل بذكر الملكين أيهماكانا.

قوله:دل على عظمه: فالمراد بالفسق اعظم الكفر وهو التمرد فيه لأنه خرج عن حده والفسق الخروج.

قوله: على أن التقدير إلا الذين فسقوا أو كلما عاهدوا: فيكون كلما عاهدوامعطوفا على صلة الألف واللام وعطف الفعل على الاسم لأنه في معني الفعل كما في "فالق الإصباح وجعل الليل".

وقرئ عوهدوا وعَهدوا ﴿ نَّبَذَهُ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ ﴾ نقضه. وأصل النبذ الطرح.لكنه يغلب فيما ينسى.وإنما قال فريق؛لأن بعضهم لم ينقض﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[١٠٠] ﴾رد لما يتوهم من أن الفريق هم الأقلون، أو أن من لم ينبذ جهاراً فهم مؤمنون به خفاء .

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ نَبَذَ فَرِيْقٌ مِّنَ الَّذِيْنَ أُوتُو الْكِتٰبَ كِتٰبَ اللّٰهِ﴾يعني التوراة ؛ لأن كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه. ونبذٌ لما فيها من وجوب الإيمان بالرسل المؤيدين بالآيات . وقيل: مامع الرسول صلى الله عليه وسلم هو القرآن.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِم﴾مثل لإعراضهم عنه رأساً بالإعراض عما يرمي به وراء الظهور لعمد الالتفات إليه﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[١٠١] ﴾أنه كتاب الله . يعني أن علمهم به رصين يقين ولكن يتجاهلون عناداً . واعلم أنه تعالى دل بالآيتين على أن جلّ اليهود أربع فرق: فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الأقلون المدلول عليهم بقوله:﴿بل أكثرهم لايؤمنون﴾ وفرقه جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمرداً وفسوقاً وهم المعنيون بقوله ﴿ نبذ فريقٌ منهم ﴾[٢.البقرة:١٠٠] وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذ وا لجهلهم بها وهم الأكثرون . وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذ وها خفية عالمين بالحال بغياً وعناداً وهم المتجاهلون.

﴿وَاتَّبَعُوْا مَا تَتْلُوا الشَّيٰطِينُ﴾عطف على "نبذ" أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها، أو تتبعها الشياطين من الجن، أو الإنس، أو منهما﴿عَلٰى مُلْكِ سُلَيْمٰنَ﴾أي عهده و"تتلو"حكاية حال ماضية.قيل:كانوا يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب، ويلقونها إلى الكهنة وهم يد ونونها ويعلمون الناس. وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل:إن الجن يعلمون الغيب.وأن مُلْكَ سليمان تَمَّ بهذا العلم، وأنه تسَخَّر به الجن والإنس والريح له ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٰنُ ﴾تكذيب لكن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر، وأن من كان نبياً معصوماً منه﴿وَلٰكِنَّ الشَّيٰطِين

قوله:أى عهده.أي عهد ملكه وفي زمانه، وهوعلى حذف المضاف فيكون "على" بمعنى في.

قوله: ليدل على أنه كفر: أي العمل به مع اعتقاد جوازه كفر كما سيصرح به وإلا فا لسحر على الإطلاق ليس بكفر .قال الشيخ ابو منصور رحمه الله تعالى:القول بأن السحر كفر على الإطلاق خطاء بل يجب البحث عن حقيقته، فإن كان في ذلك رد ما لزم في شرط الإيمان فهو كفرو إلا فلا. قال العلامة التفتازاني: لا يروى خلاف في أن العمل به

﴿كَفَرُواْ﴾باستعماله. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكنْ بالتخفيف ورفع الشياطين .
﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾إغواءً وإضلالاً ، والجملة حال من الضمير. والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يستقبل به الإنسان ؛ وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس، فإن التناسب شرط في التضام والتعاون. وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي. وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية، أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم . وتسميته سحراً على التجوز،أو لما فيه من الدقة ؛لأنه في الأصل لما خفي سببه﴿وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾عطف على السحر والمراد بهما واحد ، والعطف لتغاير الاعتبار، أو المراد به نوع أقوى منه، أو على "ما تتلو" وهما ملكان أنزل لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس، وتمييزاً بينه وبين المعجزة .وما روي أنهما مثّلا بشرين ، وركب فيهما الشهوة فتعرّضا لامرأة يقال لها:زهرة.فحملتهما على المعاصي والشرك،ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما فحكي عن اليهود، ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر . وقيل:رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما،

كفر، وعدّه نوعًا من الكبائرمغايرا للإشراك لاينافي ذلك؛لأن الكفر أعم والإشراك نوع منه.

قوله: بمعونة الألات والأدوية: كأهل الإكسير.

قوله:لتغاير الاعتبار: فإنه من حيث إنه أنزل على الملكين ابتلاء ومن حيث إنه من الشياطين إغواء أوإضلال ولا يعتقد حقًا .

قوله: أنهما مُثِّلا بشرين :قيل: لما خلق الله آدم وعمل بنوه المعاصي تعجبت الملائكة فأمرهم الله أن يختاروا ثلثة من خيارهم فاختاروا عزا وهو هاروت، وعزايل وهو ماروت، وعزاريل: فزرع الله في قلوبهم الشهوة وجعل لهم مذاكيروأمرهم أن يقضوا بين الناس الحق ولايشربوا الخمر ولا يز نوا ولا يسرقوا، فأما عزاريل سأل الله أن يرفعه فرفعه والأخران افتتنا بالزهرة، وكانت من بنات نوح فعلمها الاسم الأعظم وراوداها عن نفسها فقالت: لا، إلا أن يشربا الخمر ففعلا، ثم دخلت بيتها فتكلمت بالاسم الأعظم فصعدت فمسخها الله كوكبا، ثم خرجاهاربين فمراعلى رجل من بنى آدم فظنا أنه قد رأهما فقتلاه، فغضب اللهعليهما فسما هما هاروت وماروت، وخيّر بين عذاب الدنيا والآخره فاختاراعذاب الدنيا لما علماأنه ينقطع واستغفرت الملائكة لمن في الأرض وسألت لهم الرزق فذلك قوله:﴿ يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾وهاروت من هرت

ويؤيده قراءة الملِكين بالكسر . وقيل:ما أنزل نفي معطوف على" ما كفر سليمان" تكذيب لليهود في هذه القصة ﴿بِبَابِلَ﴾ظرف، أو حال من الملكين ،أوالضمير في "أنزل" والمشهور أنه بلد من سواد الكوفة ﴿ هَارُوتَ وَمَا رُوتَ ﴾عطف بيان للملكين، ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كان من الهرت والمرت بمعنى الكسر لا نصرفا، ومن جعل "ما" نافية أبد لهما "من الشياطين" بدل البعض ، وما بينهما اعتراض . وقرئ با لرفع على "هما هاروتُ وماروتُ"﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُر﴾فمعناه على الأول ما يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويقولا له: إنما نحن ابتلاء من اللّٰه . فمن تعلم منا وعمل به كفر، ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان، فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به، وفيه دليل على أن تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور . وإنما المنع من اتباعه والعمل به، وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا إنما نحن مفتونان فلا تكن مثلنا.﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾الضمير لما دل عليه من أحد .

اللحم: إذا طبخه، وهرت الثوب: مزّقه، وهرت عرضه: طعن فيه، والمرت: مفازة لا نبات فيه.

قوله : ولعله من رموز الأوائل: أي لعل مايحكيه اليهود من جملة رموز ذكرها المتقدمون ورمزوابه إلى أن صاحب النفس القدسية العارف با للّٰهالمداوم على طاعته وتقواه قديسبق عليه القضاء فيستولي عليه القوة الشهوانية فيحجب فيتنزل من أعلى المدارج إلى أسفل المدارج، فيتقيد بقيود الطبيعةالبشرية ويحبس في حب ا لنفس الأمارة منكوسا بتقلب الأحوال متعطشاإلى ما به الحيوة الأبدية ولا ينال كبلعم بن باعور من الإنس وإبليس من الجن فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بعلومه وتقواه.

قوله: لوكانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لا نصر فا:لا نتفاء العجمة لأنهما حينئذ يكونا عربيين.

قوله:وفيه دليل على أن تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور: لأن النهي عن الكفر يو جب التحرز عنه ولا يكمل التحرز عنه قبل العلم به.

قوله: وعلى الثانيما يعلّمانه: أى على أن يكون "ما" في "ما أنزل" نا فية، معناه لا يعلمان أحداإلاأن يقولا: إنا فتنة وابتلاء فلاتكن مثلنا.والمفتون من الفتنة مصدر كا لمعقول والمجلود والمحلوف كذا في الصحاح .

قوله:الضمير لما دل عليه من أحد:وهو معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي.

﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾أي من السحر ما يكون بسب تفريقهما﴿وَمَا هُمْ بِضَآرِّيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ﴾لأنه وغيره من الأسباب غير مؤثرة بالذات، بل بأمره تعالى وجعله. وقرئ بضارّي على الإضافة إلى أحد، وجعل الجار جزء منه والفصل بالظرف﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾لأنهم يقصدون به العمل، أو لأن العلم يجرّ إلى العمل غالباً ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾إذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين . وفيه أن التحرز عنه أولى﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾أي اليهود﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾أي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله تعالى، والأظهر أن اللام لام الإبتداء علقت علموا عن العمل ﴿مَالَهُ فِى الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلٰقٍ﴾ نصيب ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾يحتمل المعنيين على مامر﴿لَوْكَانُوا يَعْمَلُونَ[١٠٢]﴾ يتفكرون فيه، أو يعلمون قبحه على التعيين، أو حقيةَ ما يتبعه من العذاب، والمثبت لهم أولًا على التوكيد القسمي العقل الغريزي، أو العلم الإجمالي بقبح الفعل، أو ترتب العقاب من غير تحقيق. وقيل:معناه لوكانوا يعملون بعلمهم ؛ فإن من لم يعمل بما علم فهوكمن لم يعلم .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ اٰمَنُوا﴾ بالرسول والكتاب﴿واتَّقَوا ﴾بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ﴾جواب" لو".

قوله: وجعل الجارجزء منه: أى جعل كلمة "من" جزء لا حد لأنه زيد لتعميم أحد ونصه في العموم فكأنه من أجزائه والظرف هو الجار والمجرور اعني به.

قوله: والأظهرأن اللا م لام الابتدا ء وقيل: إن اللام تو طئة القسم له" وما له في الآخرة" جواب قسم محذوف ويكون خبر" لمن اشتراه" محذوفا انتهى كلامه. فيكون مفعولا "علموا"أيضًا محذوف وحينئذ تقدير الكلا م: والله لقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق.واللّٰهماله في الاٰخرة من خلاق، بيّن تعالىٰ أولًا بالتاكيد القسميعلمهم أن من اشتراه ليس في الاٰخرة من نصيب ثم بيّن بان الحكم في الواقع و نفس الأمر كذلك ثم بين ذلك الحكم بالتاكيد القسمي.

قوله: يحتمل المعنيين:أى البيع والشراء على زعمهم .

قوله: يتفكرون فيه:إشارةإلى دفع التنافي بين إثبات العلم لهم ونفيه عنهم وجواب "لو"محذوف فالتقديرالأ ول: لوكانوا يعلمون لعملوه بمقتضاه، وعلى الثاني: لوكانوا عاملين بمقتضاه لكان خيرًا لهم.

وأصله لأثيبوا مثوبةً من عند اللّٰه خيراً مما شروا به أنفسهم ، فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها، وحذف المفضل عليه إجلالاً للمفضل من أن ينسب إليه، وتنكير المثوبة؛ لأن المعنى لشيء من الثواب خير.وقيل: "لو" للتمني، و"لمثوبة" كلام مبتدأ. وقرئ لمثوبة كمشورة . وأنما سمي الجزاء ثواباً مثوبة: لأن المحسن يثوب إليه﴿لَّوْ كَانُوا يَعْمَلُونَ[١٠٣﴾أن ثواب اللّٰه خير مما هم فيه، وقد علموا لكنه جَهَّلَهُم لترك التدبر، أو العمل بالعلم.

﴿يٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا لَا تَقُولُوارَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾الرعي حفظ الغير لمصلحته . وكان المسلمون يقولون للرسول عليه الصلاة والسلام :راعنا:أي راقبنا، وتأنّ بنا فيما تُلقينا حتى نفهمه، وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوا به مريدين نسبته إلى الرعن .

قوله: والمثبت لهم أولا: يعني إن أريد بيعلمون يتفكرون فالمثبت لهم بقوله "ولقد علموا" العقل الغريزى الذي هوالاستعداد المحض، يعني أن لهم عقلاً غريز يًا لوكانوا يتفكرون به لامتنعوا عن السحر .وإن أريد به يعلمون قبحه علىٰ التعيين فالمثبت لهم العلم الإجمالي بقبح ما شروابه أنفسهم، يعني أن لهم علمًا بقبحه على الإجمال والاحتمال لو كانوا يعلمون بقبحه على التفصيل والتعيين لامتنعوا عنه، وإن أريد به حقيقة ما يتبعه من العذاب وكنهه فالمثبت لهم ترتب العقاب من غير تحقيق للعقاب، يعني أن لهم علما بترتب العقاب من غير تحقيق و علم لحقيقة العقاب الذى يترتب عليه لوكانوا يعلمون بحقيقته لامتنعو اعن السحر.

قوله: وأصله لأثيبوا مثوبة من عنداللّٰهخيرا: إشارة إلى دفع مايرد أن الا سمية لا تصلح جواب" لو"لإ طباق النحاة على أنه لا يكون إلا فعلية ما ضية، وتقرير الجواب ظاهر، وهو أن الجواب محذوف والأصل أثيبوا فحذف الفعل فركب الباقى جملة اسمية ليدل على دوام المثوبة لأن دوام الخيرللمثوبة يستلزم دوام المثوبة.

قوله: من أن ينسب إليه: أي إلى المفضل عليه الخاص.

قوله: وتنكير المثوبة :يعني لم يقل لمثوبة اللّٰه لأن المعنى لشيء من المثوبة خير فكيف الكثير منها.

قوله: فا فترصوه: أي ا غتنموه، قال الجوهري: ا لفرصة:ا لنوبة وا نتهز فلان ا لفرصة اغتنمها.

قوله: نسبة الى الرعن. الرعن بفتحتين الاسم من الرعونة وهو الهوج أى الحمق قال الجوهرى: رجل هوج بين الهوج أي طويل وبه تسرع وحمق.

أ و سبّه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها: وهي "راعينا". فنهي المؤمنين عنها وأمروا بـمـا يـفيـد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس ، وهو"أُنظرنا" بمعنى أُنظر إلينا،أو انتظرنا من نظره إذا انتـظـر. وقـرئ أنـظـرنا من الإنظار أي أمهلنا لنحفظ . وقرئ "راعونا" على لفظ الجمع لـلتـوقيـر ، وراعنًا بالتنوين: أي قولا ذا رعن نسبة إلـى الـرعـن وهو الهَوَج ؛ لما شابه قولهم: راعينا وتسبب للسب﴿وَاسْمَعُوا﴾ وأحسنوا الاستماع حتـى لا تفتروا إلى طلب المراعاة ، أو واسـمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود، أو واسمعوا ماأمرتم به بجد حتى لا تعودوا إلى ما نهيتم عنه﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ[١٠٤]﴾يعني الذين تهاونوا بالرسول عليه الصلاة والسلام وسبّوه.

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾نزلت تكذيباً لجمع من اليهـود يُظهـرون مـودة المؤمنين، ويزعمون أنهم يودون لهم الخير . والود: محبة الشيء مع تـمنيـه؛ولـذلك يستعمل في كل منهما. و"من" للتبيين كما في قوله تعالى ﴿لم يكن الذين كـفـروا مـن أهـل الـكتـاب والـمشـركيـن﴾[٩٨.البيـنة:١]﴿ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾مـفعول" يود". و"من" الأولى مـزيدة لـلاستـغـراق، والثـانية للابتداء . وفسر الخير بـالـوحـي، والـمـعـنـى أنهـم يـحسـدونكم به وما يحبّون أن ينزل عليكم شيء منه، وبالعلم وبـالـنـصـرة . ولعل المراد به ما يعم ذلك ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾يستنبئه ويعلمه الـحكمة ويـنـصـره لا يـجب عليـه شيء، ولـيـس لأحـد عـلـيـه حق ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ[١٠٥]﴾إشعار بأن النبوة من الفضل ، وأن حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله، بل لـمشيـئتـه، ومـا عـرف فيـه مـن حكمته.﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾نزلت لما قال المشركون أو اليهـود:ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينها هم عنه ويأمر بخلافه . والنسخ في اللغة : إزالة الـصورة عن الشيء وإثباتها في غيره كـنسـخ الظل للشمس والنقل . ومـنه التناسخ . ثم استعمل

قوله: وأحسنوا الاستماع. ويريد أنه لا فائدة في الأمر بنفس السماع الحاصل عند سـلامةالحاسّة فوجب الحمل على ما يفيد وبينه بو جوه ثلثة ومعنى الثالث اسمعوا ما أمر تم به من القول با نظرنا حتى لا تعودوا إلى القول الذى نهيتم عنه.

قوله :لا يجب عليه شيء:كما قالت المعتزلة .

قوله: كـنسـخ الـظـل لـلشمس. فان الشمس يزيل الظل من جانب من الأ رض و يثبت بد له في جانب آخر . قوله: والنقل، عطف علي إزالةالصورة.

قوله: ومنه التناسخ :لأنه نقل الروح من بدن إلي بدن آخر.

لـكـل واحد منهما كقولك: نسخت الريح الأثر، ونسخت الكتاب . ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراء تها، أو الـحكم المستفاد منها، أو بهما جميعاً . وإنساؤها إذهابها عن القلوب . و"مـا" شـرطية جـازمة لـ"نـنسـخ" مـنتصبة به على المفعولية . وقرأ ابن عامر ما نُنسخ من أنسخ أي نـأمـرك: أو جبـريل بنسخها، أو نجدها منسوخة . وابن كثير وأبو عمرو ننسأها أي نـؤخـرهـا مـن النسء . وقرئ ننسها أي ننس أحداً إياها، وتنسها أي أنت ، وتُنسها على البـنـاء لـلـمـفعول ، وننسكها بإضمار المفعولين﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَا ﴾أي بما هو خير لـلعباد في النفع والثواب،أو مثلها في الثواب . وقرأ أبو عمرو بقلب الهمزة ألفاً﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ عَـلٰـى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيْر[١٠٦]﴾فيقدرعلى النسخ والإتيان بمثل المنسوخ ،أو بما هو خير مـنـه . والآية دلـت عـلـى جـواز الـنسـخ وتأخير الإنزال؛إذ الأصل اختصاص" أن" و"ما" يتـضمنها بالأمور المحتملة؛ وذلك لأن الأحـكـام شرعت. والآيات نزلت لمصالح العباد وتـكـميـل نفوسهم فضلاً من اللّٰه ورحمته. وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كـأسبـاب الـمـعاش؛ فإن النافع في عصر قد يضر في عصرغيره. واحتج بها من منع النسخ بـلا بـدل، أو بـدل أثـقـل .ونسـخ الـكـتـاب بالسنة . فإ ن الناسخ هو المأتي به بدلاً والسنة ليست كذلك والكل ضعيف .

قوله : انتهـاء التعبد بقراء تها: أي التكليف بها فالأ ول مثل ما نقل عن عمر رضي اللّٰه تـعـالـىٰ عنه أنه يقول: كان فيما أنزل"الشيخ والشيخة إذازنيا فارجموهماالبتة نكالا من اللّٰه ورسـوله واللّٰه عزيز حكيم" فإن حكمه باق لوجوب الرجم على الزاني المحصن اتفا قا وقد نسخت تلا وته. والثاني مثل قوله تعالى:﴿ والذين يتو فون منكم ويذرون أزوا جًا وصية لأ زوا جهـم متا عاإلى الحول ﴾فإنه نسخ حكمها بأ ربعة أشهر وعشرا. والثالث كما روي عـن عـائشة رضـى اللّٰه تـعـالـىٰ عـنهـا أنهـاقالت :كان فيما أنزل عشر رضعات محرمات فنسخن بخمس رضعات معلومات.

قوله: من أنسخ:أي جعل شيئا ناسخاً لشيء .

قوله: مايتضمنها: أراد بما يتضمنها كلمات الشرط وهي "ما" و"من" وغيرهما .

قوله: بالأمور المحتملة: فيكون وقوع النسخ محتملا.

قوله: والسنة ليست كذلك: لأنها ليست مماأتى بها اللّٰه حتٰى يكون بدلاً.

إذ قد يكون عدم الحكم ،أو الأثقل أصلح . والنسخ قد يعرف بغيره . والسنة مما أتى به الله تعالى، وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ. والمعتزلة على حدوث القرآن؛ فإن التغير والتفاوت من لوازمه. وأجيب بأنهما من عوارض الأمور والمتعلقة بالمعنى القائم القديم .

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو أمته لقوله:﴿ومالكم﴾وإنما أفرده ؛لأنه أعلمهم ومبدأ علمهم ﴿ أَنَّ اللّٰهَ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وهو كالدليل على قوله﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ أو على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف ﴿ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍ وَلَا نَصِيْرٍ[١٠٧]﴾وإنما هو الذي يملك أموركم ويجريها على ما يصلحكم . والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة . والنصير قد يكون أجنبياً عن المنصورفيكون بينهما عموم من وجه.

﴿أَمْ تُرِيْدُونَ أَنْ تَسْـَٔلُوارَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسٰى مِنْ قَبْلُ﴾أم معادلة للهمزة في﴿ألم تعلم ﴾أي ألم تعلموا أنه مالك الأمور قادرعلى الأشياء كلها يأمر وينهى كما أراد، أم تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام، أومنقطعة، والمراد أن يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه. قيل:نزلت في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل الله عليهم كتاباً من السماء. وقيل: في المشركين لما قالوا﴿لن نؤمن لرقيك

قوله: إذ قد يكون عدم الحكم أ والاثقل أصلح :يعني أن الآيات نزلت لمصالح العباد، وقد يكون ا لمصلحة في عدم الحكم والأثقل، ويعرف النسخ بعدم الحكم ورفعه بدليلٍ شرعي متأخر كما ذهب إليه الجمهور، فلا يلزم البدل، والآية تدل على أن نسخ الآية يستلزم الإتيان بآية أخرى ، ولا يلزم منه الإتيان بحكم بدل الحكم المنسوخ، ولئن سلمنا لكن جاز أن يكون النسخ بلا بدل أعني عدم التكليف بحكم بدلاًعن الحكم المنسوخ خيراً لقوله تعالى:﴿يريد الله بكم اليسر﴾ وجاز أن يكون النسخ ببدل أثقل خيراً ؛لأن الأثقل أفضل وأكثر ثوابًا لقوله عليه السلام:"أفضل الأعمال أحمزها"أي أشقها وإن حكم السنة مماأتىٰ به الله قال تعالىٰ:﴿وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحى﴾ فيكون خيراً من حكم المنسوخ أو مثلاً له، والآية تدل عليه لا علي أن يكون خيراً أو مثلاً في اللفظ حتٰى يلزم أن لا يكون السنة ناسخاً للكتاب، كذا في العبري شرح المنهاج.

حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾[١٧.الإسرائيل: ٩٣]﴿ وَمَنْ يَّتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْاِيْمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيْلِ[١٠٨]﴾ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها واقترح غيرهافقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الإيمان . ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل. ويؤدي بكم الضلال إلى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالإيمان . وقرئ يُبدل من أبدل﴿وَدَّ كَثِيْرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ ﴾يعني أحبارهم ﴿لَوْ يَرُدُّوْنَكُمْ ﴾أن يردوكم فإن "لو" تنوب عن" أن" في المعنى دون اللفظ ﴿مِّنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّاراً ﴾مرتدين، وهو حال من ضمير المخاطبين﴿حَسَداً ﴾علة ودَّ ﴿مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾يجوزأن يتعلق بـ"ودّ"أي تمنوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيهم، لا من قبل التدوين والميل مع الحق،أو بحسداً أي حسداًبالغاً منبعثًا من أصل نفوسهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ العفوترك عقوبة المذنب، والصفح ترك تثريبه ﴿حَتّٰى يَأْتِىَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ﴾ الذي هو الإذن في قتالهم، وضرب الجزية عليهم ،أو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير . وعن ابن عبا س رضي الله عنهما أنه منسوخ بآية السيف . وفيه نظر إذ الأمر غير مطلق ﴿ إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ[١٠٩]﴾فيقدرعلى الانتقام منهم.

﴿ وَأَقِيْمُوْا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ﴾عطف على 'اعفوا" كأنه أمرهم بالصبر والمخالقة واللجاء إلى الله تعالى بالعبادة والبر﴿وَمَا تُقَدِّمُوْا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ ﴾كصلاة وصدقة . وقرئ تُقدموا من أقدم ﴿تَجِدُوْهُ عِنْدَ اللّٰهِ ﴾ أي ثوابه .

﴿إِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ[١١٠]﴾لا يضيع عنده عمل.وقرئ بالباء فيكون وعيداً.

﴿وَقَالُوْا﴾ عطف على" ودّ". والضمير لأهل الكتاب من اليهود والنصارى

قوله:فإن "لو" تنوب عن "أن" في المعنى دون اللفظ: يعني أنها قد يكون مصدرية ولا تعمل على النصب.

قوله: إذ الأمر غير مطلق: يعني أن النسخ إنما يتصورإذا كان الأمر مطلقا حتى يكون محتملا للأبد فيبين مدة انتهاء الحكم وههنا الأمر مقيد بقوله تعالىٰ: حتى يأ تي الله بأمره.

قوله: كأنه أمر هم با لصبرو المخالقة واللجاء: أما الصبر والمخالقة فبقوله فاعفوا واصفحوا: أي أعرضواعنهم ولاتوافقواعلى مجرد المخالفةحتى أمر القتال، وأما اللجاء إلى الله تعالى بالعبادة والبرّلقوله:﴿ وأقيموا الصلاة وآتواالز كوٰة﴾.

﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصارىٰ﴾لف بين قولي الفريقين كما في قوله تعالى ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى﴾[٢. البقرة:١٣٥] ثقة بفهم السامع. وهود جمع هائد كعوذ وعائذ . وتوحيد الاسم المضمر في "كان" وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى .

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ إشارة إلى الأماني المذكورة . وهي أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم، وأن يردوهم كفاراً، وأن لا يدخل الجنة غيرهم، أو إلى ما في الآية على حذف المضاف: أي أمثال تلك الأمنية أمانيهم. والجملة اعتراض، والأمنية: أفعولة من التمني كالأضحوكة والأعجوبة ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ على اختصاصكم بدخول الجنة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ[١١١]﴾في دعواكم فإن كل قول لا دليل عليه غير ثابت.

﴿بَلىٰ﴾إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ﴾ أخلص له نفسه ، أو قصده . وأصله العضو﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾في عمله ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾الذي وعد له على عمله ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ثابتاً عن ربه لا يضيع ولا ينقص.والجملة جواب "من" إن كانت شرطية، وخبرها إن كانت موصولة. والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط، فيكون الرد بقوله: بلى وحده .

قوله: لف بين قولي الفريقين. يعنى أن المعنى: قالت اليهود: لن يد خل الجنة إلا من كان هودا، والنصارىٰ لن يدخل الجنة إلا من كان نصارىٰ، فلف بين القولين في قوله ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق.

فإن قيل: لما كان اللف بطريق الجمع كان المناسب أن يكون النشر كذلك ؛لأنه رد السامع مقول كل فريق إلى صاحبه فيما إذاكان مقولين وكلمة "أ و" لاتفيد إلا مقولية أحدالامرين، وأجيب أن مقول الجميع لم يكن دخول الفريقين بل دخول أحدهما لكن بعضهم هذا بالتعيين وبعضهم ذاك با لتعيين.

قوله : أوإلى ما فى الآية: أي أوإشارة إلى مافي هذه الآية، وهي قوله:" لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارىٰ" من الأمنية وأنه على حذف المضاف:أي أمثال تلك الأمنية أمانيهم التي يتمنو نها.

قوله تعالىٰ :برهانكم:البرهان الحجة التي تتركب من المقدمات اليقينية وهي تفيد اليقين.

قوله: أخلص له نفسه: لا يشرك به غيره، فلا يكون مشتركا بينهما أوأخلص قصده بأن لا يكون القصد إلى غيره أصلا.

قوله: فيكون الرد بقوله بلى وحده: وحسن الوقف عليه و"من أسلم" كلام مبتداء.

ويحسن الوقف عليه . ويجوز أن يكون" من أسلم" فاعل فعل مقدر مثل" بلى" يدخلها "من أسلم" ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[١١٢]﴾في الآخرة.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصٰرىٰ عَلىٰ شَيءٍ وَقَالَتِ النَّصٰرىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلىٰ شَيءٍ﴾أي على أمر يصح ويعتد به. نزلت لمّا قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتٰبَ﴾الواوللحال ، والكتاب للجنس :أي قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب﴿كَذٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك﴿قَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ كعبدة الأصنام والمعطلة، وبّخهم على المكابرة والتشبه بالجهال .فإن قيل:لم وبّخهم وقد صدقوا، فإن كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء؟ قلت: لم يقصدوا ذلك، وإنما قصد به كل فريق إبطال دين الآخر من أصله. والكفر بنبيه وكتابه مع أن ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به ﴿فَاللّٰهُ يَحْكُمُ﴾يفصل﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين﴿يَومَ الْقِيٰمَةِ فِيْمَا كَانُوا فِيْهِ يَخْتَلِفُون[١١٣]﴾ بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب. وقيل: حكمه بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار.

جواب سوال، فإنه لمّا نفوا دخول الجنة عن غيرهم وأثبتوا لأنفسهم رد عليهم بأنه يدخل غيرهم، فا تجه السوال بأن ذلك الغير من هو وما حاله الذييدخل الجنة، وأما على الوجه الثاني وهو أن يكون "من أسلم" فاعل فعل مقدر فيكون "بلى" لايجاب دخول الجنة التي نفوه.

قوله: وفدنجران : من النصارى .

قوله : فتنا ظروا وتقاولوا بذلك: أي قالت اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإ نجيل، وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسىٰ والتوراة.

قوله : وهم من أهل العلم والكتاب: يؤ منون به وكتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضهابعضا، فحق من آمن بكتاب أن لا يكفر بآخر.

قوله : كذلك مثل ذلك؛ صفة مصدر محذوف، و"مثل قولهم" مفعول به:أي قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب لكل أهل دين ليسواعلى شيء قولا كذلك:أي كماقالت اليهود والنصارىٰ عن هوى كذلك قالوا عن هوى، فلا يكون فيه تكرار فيكونون مثل الجهلة مشبهابهم .

قوله: على المكابرة. المكابرة إنكار الحق بعد ظهوره .

قوله: بما يقسم لكل فريق .كلمة ما مصدرية والأظهر أن يقال بأن يقسم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسٰجِدَاللّٰه﴾ عام لكل من خرّب مسجدا أو سعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة . وإن نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا أهله، أو في المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ﴿أَنْ يُذْكَرَ فِيْهَا اسْمُهٗ﴾ ثاني مفعولي "منع" ﴿ وَسَعىٰ في خَرَابِهَا﴾ بالهدم، أو التعطيل ﴿أُولٰٓئِكَ﴾ أي المانعون﴿مَاكَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَآئِفِيْنَ﴾ ماكان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخشوع فضلاً عن أن يجترئوا على تخريبها، أو ماكان الحق أن يدخلوها إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً عن أن يمنعوهم منها .

قوله: عام لكل من خرب:جواب عما يقال كيف قيل" مساجد الله" مع أن المنع والتخريب إنما وقع على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام؟ فأجاب بأن الحكم عام وإن كان السبب خاصا، والظاهر أن المراد بالمكان المزين للصلاةالمسجد وإلا فمسجد البيت ليس له حكم المسجد لا ظلم فى تخريبها، وإنما عبر بهذه العبارة للتعظيم والزجرعن تخريبها.

قوله: أوفي المشركين: بيان للاختلاف فى شان النزول.

قوله: ثاني مفعولي منع: يعني عدي "منع" إلى المفعولين بنفسه، تقول: منعته كذا، ومثله" وما منعنا أن نرسل بالآيات" "وما منع الناس أن يؤمنوا" ويجوز أن يكون على حذف الجار. قال الجوهري: منعت الرجل عن الشيء.

قوله: با لهدم: كما فعلوابيت المقدس أو التعطيل كما فعلوا با لمسجد الحرام .

قوله: ما كان ينبغي:دفع لما يتوهم من الكلام أنه إخبار بأنهم لا يدخلون إلا خائفين لكنهم يد خلون بدون ذلك فأجاب بائ المراد ما كان ينبغى أوالحق :أي واجب أن يدخلوهاخائفين بطش المؤمنين بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعون المؤمنين منها،أوفي علم الله تعالىٰ أنهم يدخلوها خائفين فيظهر ولو بعد حين، أوأنه خبرفي معنى النهي عن تمكينهم من الدخول فيها.قيل:إن العبارة يفيد نهيهم عن الدخول كما في قوله تعالى:﴿وماكان لكم أن توذوا رسول الله﴾ لا نهي المومنين عن التمكين وهو حاصل الوجه الأول، وقد أجيب بأن هذا على وجه الكناية؛ لأن نهيهم عن التمكين يستلزم كونهم داخلين مع الخوف ، وهذاكما إذا قلت لصا حبك:لا ينبغي لعبدك أن يفعل كذا على إرادة النهي للسيد .

أو ماكان لهم في علم الله وقضائه ، فيكون وعداً للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم، وقد أنجز وعده . وقيل: معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد، واختلف الأئمة فيه فجوز أبو حنيفة ومنع مالك.

وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره﴿لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ ﴾ قتل وسبي، أو ذلة بضرب الجزية﴿وَلَهُمْ فِى الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ[١١٤]﴾بكفرهم و ظلمهم .

﴿وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾يريد بهما ناحيتي الأرض: أي له الأرض كلها لايختص به مكان دون مكان، فإن منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام، أو الأقصى فقد جعلت لكم الأرض مسجداً ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ففي أي مكان فعلتم التولية شطر القبلة ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ ﴾أي جهته التي أمر بها، فإن إمكان التولية لايختص بمسجداً ،أو مكان ،أو فثم ذاته: أي هو عالم مطلع بما يفعل فيه.

﴿إِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ﴾بإحاطته بالأشياء، أو برحمته يريد التوسعة على عباده ﴿عَلِيْمٌ[١١٥]﴾بمصالحهم وأعمالهم في الأماكن كلها. وعن ابن عمررضي الله تعالى عنهما"أنها نزلت في صلاة المسافرين على الراحلة" وقيل: في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة، فلما أصبحوا تبينوا خطأهم . وعلى هذا لو أخطأ المجتهد ثم تبين له الخطألم يلزمه التدارك . وقيل: هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود أن يكون في حيز وجهة .

قوله : واختلف الأيمة فيه فجوز ابو حنيفة رحمه الله تعالى. واحتج بما روي أن وفد ثقيف قد موا إلى رسول ﷺ فانزلهم المسجد وأن للكافر الدخول فى سائر المساجد فكذا فى المسجد الحرام، واحتج الشافعي رحمه الله تعالى بقوله تعالى: ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد بعدعامهم هذا﴾ والظاهرأن مالك رحمه الله تعالى احتج بهذه الآية.

قوله: قتل وسبى:إن لم يقبلوا الجزية وإن قبلوا بضرب الجزية عليهم، فالظاهر كلمة أو لاالواو كما قيل .

قوله: أي عالم مطلع بما يفعل فيه: يعني أن المراد بـ"ثَم ذاته" أنه عالم مطلع بما يفعل على طريق ذكر الملزوم وإرادة اللازم وإلا فالله تعالى منزه عن المكان .

قوله: يريد التوسعة على عباده: وهو خلاف التضييق؛ لأن الإحاطة بالشي يستلزم الحفظ له وهو يستلزم التوسعة عليه، وأما استلزام الإحاطة برحمة المتوسعة فظاهر.

﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً﴾نزلت لماقالت اليهود:عزير ابنُ اللّٰه ، والنصارى: المسيح ابن اللّٰه، ومشركوا العرب: الملائكة بنات اللّٰه. وعطفه على "قالت اليهود"، أو"منع "أو مفهوم قوله تعالى: ومن أظلم وآيات أخرى. وقرأ ابن عامر بغير واو﴿سُبْحٰنَهُ﴾ تنزيه له عن ذلك؛ فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء . ألا ترى أن الأجرام الفلكية مع إمكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ لها مايكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختياراً أو طبعاً ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ والأرض﴾ رد لما قالوه، واستدلال على فساده . والمعنى أنه تعالى خالق ما في السموات والأرض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح ﴿وَكُلٌّ لَّهُ قٰنِتُوْنَ[١١٦]﴾منقادون لايمتنعون عن مشيته وتكوينه ، وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته ، فلا يكون له ولد؛ لأن من حق الولد أن يجانس والده، وإنما جاء بـ"ما"الذي لغير أولي العلم . وقال: قانتون على تغليب أولي العلم تحقيراً لشأنهم . وتنوين" كل" عوض عن المضاف إليه . والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة أوجه . واحتج بها الفقهاء على أن من ملك ولده عتق عليه؛ لأنه تعالى نفى الولد بإثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما.

﴿بَدِيْعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرضِ﴾مبدعهما. ونظيره السميع في قوله :

قوله: وتنزيه للمعبود: أن يكون في حيز وجهة؛ لأنه لوكان في حيز وجهة لتعين تلك الحيز والجهة للتوجه.

قوله: يقتضي التشبيه والحاجة: أما التشبيه فلأن التوالد يقتضي التجانس ، وأما الحاجة فلأن الوالد يحتاج في التوليد إلى المرأة.

قوله: وإنما جاء بـ"ما" الذى لغيرأ ولي العلم. جواب سوال وهو أنه قال:" قانتون" على تغليب أولى العلم فينبغي أن يؤ تى بـ"مَن" على التغليب أيضاليتناسبا، فأجاب بأنه إنما أتى بما تحقيرًا لشان العقلاء الذين جعلوا ولداللّٰه، وأما تغليب العقلاء فجاء علي الأصل .

قوله:من ثلثة أوجه: الأ ول﴿سجانه﴾ فإنه يدل على عدم التشبيةالموجب للتوالد. و الثاني﴿بل له ما في السموات والأرض﴾ فإنه يدل على المخلوقية و المملوكية المنا فيةللولد ؛لأنه يكون مثل الوالد. والثا لث ﴿كل له قا نتون﴾ فإنه يدل علي عدم الا متناع من مشيةالمنا في"للولد" .فإنه يكون جزء الوالد يسرى فيه خوا صه .

قوله: و نظيره السميع:لأنه بمعنى مسمع .

أَمِنْ ريحانة الداعي االسَّمِيع يُؤَرَّقني وأصحَابي هُجُوعُ

أو بـديـع سمواته وأرضه من بدع فهو بديع . وهوحجة رابعة . وتقرير ها أن الولد عـنصـر الـوالـد بـانـفـصال مادته عنه، والله سبحانه وتعالى مبدع الأشياء كلها، فاعل على الإطـلاق، مـنزه عن الانفعال فلا يكون والداً. والإبداع:اختراع الشيء لاعن الشيء دفعة . وهـو أليق بهذا الموضوع مـن الـصـنع الذي هو تركيب الصورلا بالعنصر. والتكوين الذي يـكـون بتـغيير وفـي زمـان غـالبـاً . وقـرئ "بديع" مجروراً على البدل من الضمير في" له" و"بديع" منصوبا على المدح.

﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْراً ﴾أي أراد شيئـاً. وأصل القضاء إتمام الشيء قولاً كقوله تعالى ﴿وقـضـى ربك)[١٧ . الإسـرائيـل:٢٣]أو فـعلاً كـقـولـه تـعـالـى ﴿فـقـضـاهـن سبع سـمـوات﴾[فصلت: ١] وأطلق على تعلق الإرادة الإلهية بوجود الشيء من حيث إنه يوجبه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[١١٧]﴾من" كان" التامة بمعنى أحدث فيحدث . وليس المراد به حقيقة أمر وامتثال.بل تمثيل حصول ما تعلقت به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا تـوقف. وفيـه تـقـريـر لـمـعـنـى الإبـداع. وإيـماء إلى حجة خامسة ، وهي أن اتخاذ الولد مما

قوله : أمـن ريحانة:الريحانة اسم اخته والداعي: يعني داعي الشوق فاعل الظرف الـمـعتمد على الاستفهام، ويورقني:أي يوقظني،حال أوصفة علىٰ زيادة اللام كما في اللئيم يسبـنـي، وهـجـوع: أي نيـام، والـمـعـنى أثبت وحصل من ريحانة الشوق الداعي المسمع لدعوته للشاعر يوقظني وأصحابي نيام .

قـوله: وهـو أليـق بهـذاالـمـوضـوع: وهـو مـوضـع الاحـتـجاج على تنزيه الله عن اتخاذالولد؛ وذلك لأن التوالد يكون بتركيب الصورة بالمادة السابقة بأطوار وبأزمنة لادفعة من غير سبق شيء.

قوله:بل تمثيل حصول ماتعلقت به إرادته: يعني أنه استعارة تمثيلية شبهت الحالة التـي يتـصـور من تعلق إرادته تعالىٰ بشيء من المكونات وسرعةإيجاده إياه من غيرامتناع، ولاتـوقف بـحـالة أمـرالأمـر الـنـافذ تصرفه في المامور المطيع الذي لايتوقف في الامتثال، فـأطـلـق على هذه الحالة ماكان يستعمل في تلك الحالة من غير أن يكون هناك قول وأمر، وقيـل: أريـد ذكرالأمر والتكلم بها على الحقيقة لاالمجاز عن الإيجاد، وقد أجري سنة في الإيجاد بعبارة الأمر.

يكون بأطوار و مهلة. وفعله تعالى مستغن عن ذلك . وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون.

واعلم أن السبب في هذه الضلالة أن أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الأب على الله تعالى باعتبار أنه السبب الأول حتى قالوا: إن الأب هوالرب الأصغر، والله سبحانه وتعالى هو الرب الأكبر، ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة ، فاعتقدوا ذلك تقليداً ؛ ولذلك كُفِرَ قائله ومنع منه مطلقاً حسماً لمادة الفساد.

﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ لَايَعْلَمُونَ﴾أي جهلة المشركين،أو المتجاهلون من أهل الكتاب ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ﴾هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة،أويوحى إلينا بأنك رسوله﴿أَوْتَأْتِينَا آيةٌ﴾حجة على صدقك ، والأول استكبار والثاني جحود؛أنّ ما أتاهم آيات الله استهانةً به وعنادا ً ﴿كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾من الأمم الماضية ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾فقالوا:﴿أرنا الله جهرة﴾[٤.النساء:١٥٣] ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينامائدة من السماء﴾[٥.المائدة:١١٢]﴿تَشٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد. وقرئ بتشديد الشين ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْأٰيٰتِ لِقَومٍ يُوقِنُونَ [١١٨]﴾ أي يطلبون اليقين، أو يوقنون الحقائق لايعتريهم شبهة ولا عناد. وفيه إشارة إلى أنهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات،أو لطلب مزيد اليقين، وإنما قالوه عتوًا وعناداً.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنٰكَ بِالْحَقِّ﴾ملتبساً مؤيداً به﴿بَشِيْراً وَنَذِيْراً ﴾فلا عليك إن أصروا وكابروا﴿وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحٰبِ الْجَحِيْمِ[١١٩]﴾مالهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت . وقرأ نافع ويعقوب : لا تَسْأَل. على أنه نهي للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال

قوله: أوالمتجاهلون من أهل الكتاب.أي الذين يتكلفون الجهل ويظهرونه وإن كانوا من أهل العلم حيث قالوا هلايكلمنا بأنك رسوله مع أنهم يعلمون أن الرسالة لايثبت بالتكلم من الله بل بالوحي والإخبار في الكتب السابقة أ و بالمعجزات استكبارًا وعتوًا لا استظهارًا للحق ودفعًا للشك فيه.

قوله :استهانة به وعنادًا: وذلك أن ماآتهم ايات فى الحقيقة.

قوله: أي يطلبون اليقين: أي يريدون اليقين ويطلبونه لخفاء فى الايات ويوقنون الحقائق فيوقنون الآيات فبيناها لطلب مزيد اليقين فقوله لخفاء فى الآيات ناظر إلى الأول وقوله أو لطلب مزيد اليقين ناظرا إلى الثاني.

قوله :على أنه نهي للرسول صلى اللهعليه وآله وسلم عن السوال عن حال أبويه: روي أنه صلى اللهتعالى عليه و آله وسلم قال: ليت شعرى ما فعل أبوايفنهي عن سوال

أبويه، أو تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها لا يقدر أن يخبر عنها، أوالسامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال . والجحيم: المتأجج من النار.

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ مبالغة في إقناط الرسول ﷺ من إسلامهم ؛ فإنهم إذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم، فكيف يتبعون ملته، ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال ﴿قُلْ﴾ تعليماً للجواب ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ أي هدى الله الذي هوالإسلام هو الهدى إلى الحق، لاماتدعون إليه ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ آرائهم الزائغة، والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه من أمللت الكتاب إذا أمليته. والهوى: رأي يتبع الشهوة ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي من الوحي، أو الدين المعلوم صحته ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ[١٢٠]﴾ يدفع عنك عقابه وهو جواب "لئن".

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يريد به مؤمني أهل الكتاب ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبير في معناه والعمل بمقتضاه، وهو حال مقدرة والخبر ما

أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله .

قوله: أو تعظيم لعقوبة الكفار: كما تقول كيف فلان سائلا عن واقع في بلية فيقال لك لأ تسال عنه ووجه التعظيم أن المتخبر يجزع ولا يقدرأن يجري على لسانه ويخبر عنه لِفَظَاعَته فلا تسأله أوالسامع لا تصيرعلى استماع خبره لإيحا شِه وإضجاره فلا تسئل والمتاجج المتلهب.

قوله: ولعلهم قالوا مثل ذلك. فحكى الله تعالى عنهم .يعنى ليس قوله :﴿ولن ترضى عنك اليهود﴾ ابتداء إخبار من الله تعالى بعدم رضاهم بل هو حكاية عنهم كأنهم قالوا: لن ترضى عنك وإن بلغت في طلب رضانا حق تتبع ملتنا إقناطا منهم لرسو ل الله ﷺعن دخولهم في الإسلام فحكى الله تعالى كلامهم ولذلك قال: قل، تعليما للجواب، ولولا أنهم قالوا ذلك ماعلم الله تعالى الجواب لهم.

قوله : أي هدى الله الذي هوالإسلام هوالهدى. لاماتدعون إليه بيان لفا ئدة ضمير الفصل وتعريف الخبر وهوالحصرووجه كون هذا الكلام جوا با عن مقا لتهم أنهم كانوا ادعوا أن ملتهم هوا لهدي لاهدي سوا ها فقلبت عليهم القضية .

قوله : وهو حال مقدرة: لأن تلا وتهم ليست في وقت إيتا ئهم الكتاب وإنزاله عليهم.

بعده ، أوخبر على أن المراد بالموصول مؤمنوا أهل الكتاب ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بكتابهم دون المحرفين﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ بالتحريف والكفر بما يصدقه﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ[١٢١]﴾حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ[١٢٢]﴾﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ[١٢٣]﴾لما صدر قصتهم بالأمر بذكر النعم . والقيام بحقوقها، والحذر من إضاعتها. والخوف من الساعة وأهوالها. كررذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح . وإيذاناً بأنه فذلكة القضية والمقصود من القصة.

﴿وَإِذِابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ كلفه بأو امر . ونواه والا بتلا ء في الأصل التكليف بالأمر الشاق من البلاء. لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة إلى من يجهل العواقب ظن ترادفهما. والضمير لإبراهيم . وحسن لتقدمه لفظا وإن تأخر رتبة . لأن الشرط أحد التقدمين . والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله تعالى﴿التائبون العابدون ﴾[٩.التوبة: ١١٢]الآية وقوله تعالى ﴿ إن المسلمين والمسلمات﴾[٣٣.الأحزاب:٣٥] إلى آخر الآيتين.وقوله﴿قد أفلح المؤمنون إلى قوله:أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُوْنَ﴾[٢٣.المؤمنون:١]كما فسرت بها في قوله ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ [٢٣.المؤمنون:١٠]

قوله: على أن المراد بالموصول مؤمنوا أهل الكتاب: قيل هذا تكرار.

قوله: بالخصال الثلثين: المكررة وغيرالمكررة، العشرة في سورة البراء ة بناءً على أن قوله:﴿وبشرالمؤمنين﴾ يدل على خصلةالإيمان، والعشرة في سورة الأحزاب في قوله:﴿إن المسلمين والمسلمات ﴾وهو ظاهر، والعشرة في سورةالمؤمنون في قوله:﴿ قد أفلح المؤمنون﴾ بناء على أن قوله:﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ فإنه يتضمن ثلث خصال، أداء حق الأزواج، والمملوكة، وحفظ الفروج عن غيرهما حتى لايكون من العادين. وأن قوله:﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ يتضمن خصلتين: وهمارعاية الأمانة، ورعاية العهد.

وبالعشر التي هي من سننه. وبمناسك الحج، وبالكواكب، والقمرين، والختان، وذبح الولد، والنار، والهجرة . على أنه تعالى عامله بها معاملة المختبربهن وبما تضمنته الآيات التي بعدها . وقرئ إبراهيم ربه على أنه دعا ربه بكلمات مثل ﴿أرني كيف تحيي الموتى﴾[٢. البقرة: ٢٦٠] ﴿واجعل هذا البلد آمنا﴾[١٤.إبراهيم: ٣٥] ليرى هل يجيبه . وقرأ ابن عامر إبرهٰم بالألف جميع ما في هذه السورة ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فأداهن كملاً وقام بهن حق القيام . لقوله تعا لى ﴿وإبراهيم الذي وفّٰى﴾[٥٣. النجم:٣٧] وفي القرأة الأخيرة الضمير لربه . أي أعطاه جميع ما دعاه ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ استئناف إن أضمرت نا صب إذ كأنه قيل: فماذا قال ربه حين أتمهن . فأجيب بذلك . أو بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الإمامة . وتطهير البيت . ورفع قواعده .والإسلام . وإن نصبته بـ"قال" فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها . أو جاعل من جعل الذي له مفعولا ن . والإمام اسم لمن يؤتم به وإمامته عامة مؤبدة........................

قوله: و بالعشرة التي هي من سنته: أي سنن إبراهيم، وهي خمس في الراس: الفرق، وقص الشارب، والسواك، والمضمضة، والاستنشاق. وخمس في البدن:الختان، والاستحداد، والاستنجاء، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط. والفرق هو تفريق شعر الراس في الجانبين، والاستحداد استعمال الحد يد في حلق العانة .

قوله: على أ نه تعالى الخ: متعلق بـ"فسرت" المقدر في قوله "بالكواكب والقمرين"؛ إذلا يتصور التكليف فيهما، وفي النار التي ألقاه نمرود فيها فحمل على المعنى المجازي، وهو أنه تعالى عامل بها معاملة المختبربهن فأظهر الكواكب والقمرين ليعبدها أم لا، وهل يصبر في النار أم لا كالمختبر.

قوله: وبما تضمنته الآيات التي بعدها: وهي تطهير البيت، ورفع القواعد، والإمامة، والإسلام.

قوله: الضمير لربه: أي الضمير المستتر في "أتمهن" لربه.

قوله: استينا ف إن أضمرت ناصب كلمة "إذ". وهو 'اذكر' فقال: إما استيناف، أو بيان وإن نصبته بـ"قال" فليس باستيناف، بل المجموع جملة معطوفة على ما قبلها.

إذ لـم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته مأ موراً باتباعه . ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ عطف على الكاف أي وبعض ذريتي. كما يقول : وزيداً.في جواب: سأكرمك . والذرية نسل الرجل . فعلية أو فعولة قلبت راؤها الثانية ياء كما في تقضيت . من الذر بمعنى التفريق . أو فعولة أو فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق. وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة .﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّٰلِمِيْنَ[١٢٤]﴾ إجابة إلى ملتمسه . وتنبيه على أنه قد يكون من ذريته ظلمة . وأنهم لا ينالون الإمامة لأنها أمانة من الله تعالى وعهد . والظالم لايصلح لها. وإنما ينا لها البررة الاتنقياء منهم. وفيه دليل على عصمة الأنبياء من الكبائر قبل البعثة. وأن الفاسق لايصح للإمامة . وقرئ الظالمون والمعنى واحد إذ كل ما نالك فقد نلته.

قوله: عطف على الكاف أي و بعض ذريتي: و يسمى هذاالعطف تلقين، كأن إبراهيم يلقن ويقول: و بعض ذريتي، و على هذاالمنوال جاء في الحديث على ما رويناه عن البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال:اللهم ارحم المحلقين، قالوا: والمقصرين؟ يا رسول الله ، قال: والمقصرين ، وهذا كما يقال لك: سأكرمك، فتقول: و زيدًا، تريد تلقينه ذلك، ولم يجعله بتقدير أمر:أي "واجعل بعض ذريتي"احترازًا عن صورة الأمر ودلالة على أنه كأنه واقع البتة. وههنا وجه اٰخر وهو أن قول﴿ومن ذريتي﴾ استيناف كأنه قيل: فماذا قال إبراهيم حين قيل له ذلك، قال: اجعلني إماما، وبعض ذريتي، فيكون "ومن ذريتي" معطوفا على محذوف، فلا يرد ما يقال: كيف جاز كون المعطوف مقول قائل والمعطوف عليه مقول قائلٍ آخر؟وأما الإشكال بأن الجار والمجرور لا يصلح أن يكون مضافًا إليه فكيف يعطف عليه، وأن الضمير المجرور لا يعطف عليه بدون إعادة الجار فمد فوع بأن الإضافة اللفظية في تقدير الإنفصال، وأن "من ذريتي" في معنى بعض ذريتي، فكأنه قال: وجاعل بعض ذريتي .

قوله: أو فعلية أو فعولة: فعلى الأول من تضعيف اللام، وعلى الثاني من تضعيف العين من الذر، والأصل ذريرة أو ذرورة، فقلبت رائها الثانية ياء، و فعولة وفعيلةبتضعيف العين وبالهمزة من الذرء، والأصل ذرؤية، فقلبت همزتها ياء .

قوله: وفيه دليل على عصمة الأنبياء من الكبائر قبل البعثة: وجه الدلالة أن مرتكب الكبيرة ظالم، والظالم لا يصلح للإمامة .فإن أريد بالإمامة النبوة فالدلالة بطريق العبارة، وإن أريد دونها فبطريق الدلالة .

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ أي الكعبة. غلب عليها كالنجم على الثريا ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾مرجعاً يثوب إليه أعيان الزوار و أمثالهم ، أو موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره . وقرئ : مثابات أي لأنه مثابة كل أحد .﴿وَأَمْناً﴾وموضع أمن لا يتعرض لأهله كقوله تعالى ﴿حرماً آمِناً وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ[٣٧. الصافات:٥٧] ،أو يأمن حاجُّهُ من عذاب الآخرة من حيث إن الحج يجب ما قبله، أو لا يؤاخذ الجاني الملتجيء إليه حتى يخرج ، وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيْمَ مُصَلًّى﴾على إرادة القول، أو عطف على المقدر عاملاً لإذ. أو اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا إليه واتخذوا . على أن الخطاب لأمة محمد ﷺ . وهو أمر استحباب . ومقام إبراهيم بناء البيت وهو الذي فيه أثر قدمه، أو الموضع الذي كان فيه

قوله: أي الكعبة غلب عليها: يعني أن البيت بد ون اللام اسم لكل بيت، ومع اللام غلب على الكعبة،كالنجم بدون اللام لكل كوكب، وغلب معه على منزل القمر الذي هو الثريا.

قوله: مثابة للناس مرجعًا يثوب إليه أعيان الزوار و أمثالهم: الظاهر أن المراد بالناس جميع الزوار، فالمعنى أن الزائرين يثوبون إليه بأعيانهم وأنفسهم،أو بأمثالهم وأشباههم لظهور أن الزائر ربما لا يثوب بل قلما يثوب، لكن صح إسناد الثواب إلى الكل لاتحادهم في القصد.

قوله: لأنه مثابة كل أحد: يعني أنه وإن كان واحدًا بالذات إلا أنه متعدد باعتبار الإضافات .

قوله: إرادة القول: يعني أن"اتخذوا" معطوف على "جعلنا" بتقدير القول:أي إذ جعلنا البيت مثابة للناس وقلنا: اتخذوا، أو عطف على المقدر عاملًالـ"إذ"أي أذكروا واتخذوا، أو اعتراض بناءً على أنه معطوف على ما هو اعتراض بين "جعلنا" و"عهدنا" المرتبطين أحدهما بالآخر وهو" توبوا".

قوله : أوالموضع الذي كان فيه: أي كان الحجر فيه حين قام عليه، وهو اليوم موضعه، ويسمى بمقام إبراهيم عليه السلام .

الحجر حين قام عليه ودعا الناس إلى الحج. أو رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم . روي أنه عليه الصلاة والسلام أخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه وقال" هذا مقام إبراهيم . فقال عمر: أفلا نتخذه مصلى . فقال: لم أومر بذلك . فلم تغب الشمس حتى نزلت" وقيل المراد به الأمر بركعتي الطواف ؛ لما روى جابر" أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ:﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾"وللشافعي رحمه الله تعالىٰ في وجوبهما قولان: وقيل:مقام إبراهيم الحرم كله. وقيل:مواقف الحج واتخاذهامصلىّ أن يدعي فيها .ويتقرب إلى الله تعالى : وقرأ نافع وابن عامر واتَّخَذُوا بلفظ الماضي عطفاً على جعلنا. أي : واتخذوا الناس مقامه الموسوم به . يعني الكعبة قبلة يصلون إليها.﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرٰهِمَ وَإِسْمٰعِيْلَ﴾أمرنا هما ﴿ أَنْ طَهِّرا بَيْتِىَ﴾ويجوز أن تكون أن مفسرة لتضمن العهد معنى القول . يريد طهراه من الأوثان والأنجاس وما لا يليق به . أو أخلصاه . ﴿ لِلطَّآئِفِيْنَ﴾حوله. ﴿وَالْعَاكِفِيْنَ﴾المقيمين عنده. أو المتعكفين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ[١٢٥]﴾أي المصلين. جمع راكع و ساجد .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذا﴾ يريد به البلد . أو المكان . ﴿ بَلَداً ءَامِناً﴾ ذا

قوله: و قيل مقام إبراهيم الحرم كله:لأنه كان اتخذه مقامًا ومسكنًا حيث أسكن ذريته، فمعنى الأمر استحباب أداء العبادات فيه لمن تيسر،أووجوب التوجه إليه للآفاقي كما فيقراء ته" واتخذوا"بلفظ الماضي، فإنه ليس بمعنى كل الناس يصلون فيه بل إليه.

قوله: و قيل مواقف الحج: كعرفة ومزدلفةوالجمار وغيرها.

قوله:أن طهرّا: يعنى أن كلمة "أن" مصدرية، و جعل كلمة "أن" موصولة بالأمر والنهي مذهب صاحب الكشاف، والجمهورعلى أن صلتها لاتكون إلاخبرية كموصولات الأسماء.

قوله: لتضمن العهد معنى القول: يعني إن شرط "أن" المفسرة أن يكون تفسيرًا لمافي معنى القول لاحقيقة ، والعهد في معنى القول.

قوله: المقيمين عنده أوالمعتكفين فيه: يقال: عكف على الشيء أي أقام مواظبًا وكل من المجاوروالمعتكف فيه مقيم مواظب.

قوله: يريد به البلد أو المكان: بناءً على الروايتين؛إذقدروي أن الدعاء بعدبناء البلد، وروي أيضاً أن الدعاء قبله، فعلى الأول يكون المسئول نفس الأمن، وعلى الثاني يكون المسئول البلدية أيضاً .

أمـنٍ كقوله تعالى: ﴿ في عيشة راضية ﴾[٦٩.الحاقة:٢١] أو آمناً أهله كقولك : ليل نائم ﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ﴾أبدل من ﴿ من آمن﴾أهله بدل البعض للتخصيص ﴿ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ﴾ عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر. قاس إبراهيم عليه الصلاة والسلام الرزق على الإمامة . فنبه سبحانه على أن الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الإمامة والتقديم في الدين، أو مبتدأ متضمن معنى الشرط ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيْلاً﴾ خبره. والكفر وإن لم يكن سبباً للتمنيع لكنه سبب لتقليله . بأن يجعله مقصوراً بحظوظ الدنيا غير متوسل به إلى نيل الثواب ؛ ولذلك عطف فيه ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إلى عَذَابِ النَّارِ﴾ أي الزه إليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم . وقليلاً نصب على المصدر. أو الظرف وقرئ بلفظ الأمر فيهما على أنه من دعاء إبراهيم،وفي قال ضميره. وقرأ ابن عامر فأمتعه من أمتع. وقرئ فنعمته ثم نضطره ؛ واضطره الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة . وأضطره بإدغام الضاد وهو ضعيف لأن حروف (ضم شفر) يدغم فيها ما يجاورها دون العكس.

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ[١٢٦]﴾المخصوص بالذم محذوف. وهو العذاب.

﴿وَإِذْيَرْفَعُ إِبْراهِمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾حكاية حال ماضية . والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس صفة غالبة من القعود. بمعنى الثبات. ولعله مجاز من المقابل للقيام.

قوله: أوآمنا أهله: فيكون من الإسناد المجازي كما في" ليله نائم، ونهاره صائم".

قوله :عطف على من آمن: عطف تلقين،كأنه قال:قل وارزق من آمن ومن كفر.

قوله: قاس إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بيانه لوجه تخصيص إبراهيم من آمن.

قوله: أي ألزه: أي أشده وألصقه. أراد أن فيه استعارة تبعيّة شبه حال الكافر الذي أدرّالله عليه النعم فضيعها وكفر بحال المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر إليه .

قوله: بإدغام الضاد: أي في الطاء .

قوله: دون العكس: أي لا يدغم هي فيمايجاورها، والشفرأحد أشفار العين .

قوله: وإذيرفع: روي أنه كان مؤسّسًا قبل إبراهيم فبنى على الأساس.

قوله: صفة غالبة: أي صارت با لغلبة من الأسماء بحيث لا يذكر موصوف ولا يقدر.

قوله: ولعله مجاز من المقابل للقيام: يعني أن معنى القعود خلاف القيام فيكون القعود بمعنى الثبات مجازًا عنه لاستلزام القعود الثبات.

ومنه قعدك الله . ورفعها البناء عليها فإنه ينقلها عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع. ويحتمل أن يراد بها سافات البناء فإن كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها. وقيل المراد رفع مكانته وإظهار شرفه بتعظيمه . ودعاء الناس إلى حجه . وفي إبهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها . ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ كان يناوله الحجارة. ولكن لما كان له مدخل في البناء عطف عليه . وقيل: كان يبنيان في طرفين ، أو على التناوب ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ أي يقولان ربنا تقبل منا. وقد قرئ به الجملة حال منهما ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ [١٢٧]﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيْم﴾ بنياتنا.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ مخلصين لك من أسلم وجهه، أو مستسلمين من أسلم إذا استسلم وانقاد. والمراد طلب الزيادة في الإخلاص والإذعان . أو الثبات عليه

قوله: ومنه "قعدك الله" مصدر بحذف الزوائد وفى موضع المفعول المطلق لفعل محذوف، والتقدير قعدتك الله تقعيدًا: أي سألته أن يحفظك. والقعيد: الحافظ. وأن يثبتك كما أن عمرك الله، معناه عمرتك الله تعميرًا بمعنى سألته أن يعمرك وحقيقة عمرك أعطيتك عمرًا، ولا يتصور هذامن المخلوق فاستعمل فيه معنى سألت الله أن يعمرك، فلما ضمن معنى السوال عدي إلى مفعول آخر أعني اسم الله ، وكذا قعدتك أي جعلتك قاعدًا و إن لم يستعمل قعدته أي سألت الله أن يقعدك أي يثبتك تقعيدًا، ثم أقيم المصدرمقام الفعل مضافًا إلى المفعول .

قوله: فإنه ينقلها: بتخفيف بيان لكون المراد برفع القواعد البناء عليها؛إذ الظا هر من رفع الشيء جعله عاليًا مرتفعًا، والأساس لا يرتفع بل هو بحاله.

قوله: سافات البناء: الساف بالفاء السف من اللبن والطين.

قوله: وبرفعها: أي يراد برفعها البناء عليها؛ فإنه إذا وضع سافًافوق ساف فقد رفع السافات.

قوله: وفي إبهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها: حيث ذكر مجملاً أولاً ثم مفصلاً ثانيًا.

قوله: ربنا: الثاني والثالث تكرير للتاكيد بين المعطوف والمعطوف عليه.

قوله: والمراد طلب الزيادة في الإخلاص والإذعان أوالثبات عليه: لأن أصل الإخلاص والإذعان حاصل.

وقرئ مسلمين على أن المراد أنفسهما وهاجر. أو أن التثنية من مراتب الجمع . ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾أي واجعل بعض ذريتنا . وإنما خصا الذرية بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة . ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع . وخصا بعضهم لما أعلما أن في ذريتهما ظلمة . وعلما أن الحكمة الإلهية لا تقتضي الاتفاق على الإخلاص والإقبال الكلي على الله تعالى:فإنه مما يشوش المعاش . ولذلك قيل: لولا الحمقى لخربت الدنيا. وقيل: أراد بالأمة محمد ﷺ . ويجوز أن تكون من للتبيين كقوله تعالى:﴿وعد الله الذين آمنوا منكم﴾[٢٤.النور:٥٥]قدم على مبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى:﴿ خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾[٦٥.الطلاق:١٢] ﴾

﴿وَأَرِنَا ﴾من رأى بمعنى أبصر . أو عرف . ولذلك لم يتجاوز مفعولين﴿مَنَاسِكَنَا﴾ متعبداتنا في الحج . أو مذابحنا. والنسك في الأصل غاية العبادة . وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العبادة . وقرأ ابن كثير والسوسي عن أبي عمرو ويعقوب أرنا. قياساً على فخذ فيفخذ . وفيه إجحاف ل أن الكسرة منقولة . من الهمزة الساقطة دليل عليها. وقرأالدوري عن أبي عمرو بالاختلاس.﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾استتابه لذريتهما . أو عما فرط منهما سهواً. ولعلهما قالا حضمًا لأنفسهما وإرشاداً لذريتهما﴿إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ[١٢٨]﴾لمن تاب.﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ ﴾في الأمة المسلمة﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ ولم يبعث من ذريتهما غير محمد ﷺ فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه الصلاة والسلام " أنا دعوة إبراهيم . بشرى عيسى . ورؤيا أمي" ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيتِكَ﴾ يقرأ

قوله: أوأن التثنية من مراتب الجمع:على ماهو رأي البعض من أن أقل الجمع إثنان، أوبمعنى أن في التثنية ضم شيء إلى شيء، وهذا معنى الجمع لغةً، فجاز إطلاق صيغة الجمع عليها بهذه المناسبة.

قوله: ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع:لأن الناس يتوجهون إلى ذريات السلف من الأنبياء والأولياء، فإذا صلحوا يدعون الناس إلى صلاحهم فصلح الأتباع.

قوله: لأن الكسرة منقولة:الأصل أرء نا كأرعنا، فنقلت كسرة الهمزة إلى الراء فسقطت الهمزة، والكسرة دليل عليها، فإسقاط الكسرة إحجاف للهمزة بالكلية .

قوله: وبشرى عيسى: قال تعالى حكاية عنه عليه السلام﴿ ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ وقال عليه السلام: رأت أمي حين وضعتني وقد خرج لها نور أضأت له قصور الشام.

عليهم ويبلغهم ما توحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة ﴿ويُعَلِّمُهُمُ الكِتٰبَ﴾ القرآن. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما تكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام ﴿ وَيُزَكِّيْهِمْ ﴾ عن الشرك والمعاصي ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ﴾ الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد ﴿الْحَكِيْمُ[١٢٩]﴾ المحكم له .

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرٰهِمَ﴾ استبعاد وإنكار لأن يكون أحد يرغب عن ملته الواضحة الغراء . أي لا يرغب أحد عن ملته.﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهٗ﴾ إلا من استمهنها وأذلها واستخف بها . قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم . ويشهد له ما جاء في الحديث "الكبر أن تسفه الحق . وتغمص الناس" وقيل: أصله سفه نفسه على الرفع. فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه . وقول النابغة الذبياني.

وَنَأْخُذُ بَعْدَهُ بِذنَابِ عِيشٍ أَجَبِّ الظَّهْرِ لَيسَ لَهُ سِنَامٌ

أو سفه في نفسه . فنصب بنزع الخافض . والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلاً من الضمير في يرغب لأنه في معنى النفي.﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنٰهُ فِى الدُّنْيَاوَإِنَّهٗ فِى الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ[١٣٠]﴾ حجة وبيان لذلك . فإن من كان صفوة العبار في الدنيا مشهوداً له بالا ستقامة والصلاح يوم القيامة . كان حقيقاً بالاتباع له لا يرغب عنه إلا سفيه . أو متسفه أذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ[١٣١]﴾ ظرف لاصطفيناه ، أو تعليل له، أو منصوب بإضمار"اذكر". كأنه قيل : اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم . وأنه نال ما نال بالمبادرة إلى الإذعان وإخلاص السر حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية إلى المعرفة الداعية إلى الإسلام . روي أنها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني أخيه. سلمة ومهاجراً إلى الإسلام . فأسلم سلمة وأبى مهاجر.

﴿وَوَصّٰى بِهَا إِبْرٰهِمُ بَنِيْهِ﴾التوصية هي التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة .

قوله: ونأخذ بعده: أوله:

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

يمدح نعمان بن المنذر، وأراد بالربيع: طيب العيش، وبالشهرالحرام الأمن، والأجب: الجمل المقطوع السنام، وذناب الشيء: بالكسر عقبه: أي ينفي بعد الممدوح في طرق عيش قد مضى صدره وخيره وبقى ذنبه، وما أخبرفيه واستشهد بأنه نصب الظهر بالأجب على التمييز.

وأصلهـا الوصل يقال. وصاه إذا وصله . وفصاه : إذا فصله . كأن الموصي يصله فعله بفعل الـموصى. والضمير في بها للملة . أو لقوله أسلمت على تأويل الكلمة. أو الجملة .وقرأ نا فع وابن عامر وأوصى والأول أبلغ ﴿ وَيَعْقُوبُ ﴾عطف على ابراهيم . أي ووصى هو أيضاً بهـا بنيـه . وقرئ بالنصب على أنه ممن وصاه ابراهيم .﴿يٰبَنِيَّ﴾ علـى إضمار القول عند البصرين متعلق بوصى عند الكوفيين لأنه نو ع عنه . ونظيره.

رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةَ أَخْبَرانا   إنّا رَأَيْنا رَجُلاً عَريَانا

بـالـكسـر. وبـنـو إبراهيم كانوا أربعة : إسماعيل وإسحاق ومدين ومدان . وقيل: ثمانية . وقيل: أربعة عشر: وبنو يعقوب اثنا عشر : رويل وشمعون ولا وي ويهوذا ويسشو خور وبـولـون وتـفتوني ودون وكودا وأو شير وبنيامين ويوسف ﴿ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفىٰ لَكُمُ الدِّيْنَ﴾ دين الإسـلام الذي هو صفوة الأديان لقوله تعالى ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ[١٣٢]﴾ ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام .والمقصود هو النهي عن أن يكونوا على خلاف تـلك الـحـال إذامـاتـوا . والأمـر بـالثبـات عـلـى الإسـلام كـقـولك: لا تـصـلِّ إلا وأنـت

قوله: والأول أبلغ: لأن باب التفعيل يجي لتكثير الفعل .

قوله: عـلـى إضـمـار القول عند البصريين: يعنى أن قوله "يابني ! إن اللّٰه اصطفى" جـمـلة، والـجـمـلة لا يـقـع مـفـعـولا إلا فـي أفـعـال الـقـلـوب،أو فـي حيـز القول فقدر البـصـريـون"الـقـول" وعـند الكوفيين الجملة يقع مفعولا لكل فعل في معنى القول، فجعلوه مفعول "أوصى" .

قوله: من ضبة: هي قبيلة، وإنا بكسرالهمزة؛ لأن الإخبار بمعنى القول .

قوله: بنيامين: كإسرائيل أخو يوسف، وابن يامين خطاء كذا فى القاموس.

قوله:لقوله تعالىٰ:﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾. يعني أن المراد بالدين الذي وصى به دين الإسلام لااليهودية كما يدعي اليهود لقول يعقوب﴿ فلا تموتن إلاو أنتم مسلمون﴾.

قوله: ظـاهـره الـنهـي: يـعني أن ظاهر معنى الآية النهي عن الموت في حال عدم الإسـلام، والـشـخـص لا يـنـهـى عـن الموت؛ لأنه غير مقدور، وإنماينهى عماله تركه، فلا يـكـون المراد الظاهر بل المراد النهي عن حال الموت وهو ترك الإسلام عند الموت بطريق الكناية، والأمر بالثبات على الإسلام عنده كقولك:لا تصل إلا وأنت خاشع؛ فان المقصود منه النهي عن ترك الخشوع لاعن مطلق الصلوٰة.

خاشع . وتغيير العبارة للدلالة على أن موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه . وأن من حقه أن لا يحل بهم . ونظيره في الأمر: مت وأنت شهيد. وروي أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار . أي ما كنتم حاضرين إذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ماقال فلم تدعون اليهودية عليه . أو متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شاهدين . وقيل : الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهد تم ذلك وإنما علمتموه بالوحي وقرئ حضر بالكسر. ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ بدل من إذ حضر. ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ أي: أي شيء تعبدونه . أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام . وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما. و"ما" يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف. فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن تعيينه. وإن سئل عن وصفه قيل : ما زيد أفقيه أم طبيب؟

قوله: وتغيير العبارة: يعني لم يقل "لاتكونواعلى غيردين الإ سلام عند الموت" وقال: ﴿فلا تموتن إلاو أنتم مسلمون﴾ تنبيهًا على أن هذا الموت قبيح لاخير فيه؛ لأن المنهي عنه يكون قبيحًا.

قوله: أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار: يعنى أن أم المنقطعة بمعنى بل والهمزة، ومعنى الهمزة الإنكار، ومعنى بل الإضراب عما قبله، وجعله في حكم المسكوت والانتقال إلى المقصود، وذلك أن المقصودهنا التفريع على اليهود بأنهم ما كانوا حاضرين عند موت يعقوب فكيف يدعون عليه الوصية باليهودية ويكابرون به النبي عليه السلام مع أنه أوصى بدين الإسلام، وإذاكان الخطاب للمومنين فمعنى الإعراض ظاهر؛لأن المقصود الامتنان منه عليهم بأن علمهم إنماكان بالوحي .

قوله: أو متصلة بمحذوف: ومعنى الهمزة التقريرأي الحمل على إقرارأحد الأمرين أوكون أحد الأمرين مقررًا ثابتًا، فعلى تقريرأي من الأمرين يثبت الإلزام، أماعلى تقريرأنهم غائبون فظاهر، وأما على أنهم حاضرون؛ فلأنه إنماأوصى دين الإسلام لااليهودية.

قوله: وقيل الخطاب للمومنين: فيكون هذا امتنانًامنه عليهم.

قوله: وقرىء حضر بالكسر: وهي لغة.

قوله: فاذا عرف خص العقلاء بـ"من": يعني إذا لم يعرف الشيء لم يفرق بين العقلاء وغيرهم، ويطلق كلمة "ما" ويسأل بها.

﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾المتفق على وجوده وألوهيته ووجوب عبادته. وعد إسماعيل من آبائه تغليباً للأب والجد. أو لأنه كالأب لقوله عليه الصلاة والسلام ."عم الرجل صنو أبيه " كما قال عليه الصلام والسلام في العباس رضي الله عنه "هذا بقية آبائي " وقرئ إله أبيك. على أنه جمع بالواو والنون كماقال:

وَلَما تَبَيَّنَّ أُصوَاتَنَا بَكَيْنَ وَفَد يننَا بالأَبِينا

أ ومفرد وإبراهيم وحده عطف بيان.

﴿إِلَٰهاً وَّاحِداً﴾بدل من إله آبائك كقوله تعالى ﴿ بالناصية ناصية كاذبة﴾[٩٦.العلق:١٦] وفائدة التصريح بالتوحيد. ونفي التوهم الناشيء من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد، أو نصب على الاختصاص﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ[١٣٣]﴾ حال من فاعل نعبد، أو مفعوله،أو منهما. ويحتمل أن يكون اعتراضاً.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾يعني إبراهيم ويعقوب وبنيهما، والأمة في الأصل المقصود وسمي بها الجماعة؛ لأن الفرق تؤمها﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ﴾لكل أجر عمله. والمعنى أن انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم.وإنما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلاة والسلام " لا يأ تيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم " ﴿وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ[١٣٤]﴾أي لاتؤاخذون بسيئاتهم كمالا تثابون بحسناتهم.

﴿وَقَالُواْ كُونُوا هُوْداً أَوْ نَصٰرىٰ﴾الضمير الغائب لأهل الكتاب وأو للتنويع. والمعنى مقالتهم أحد هذين القولين . قالت اليهود كونوا هودا. وقال النصارى كونوا

قوله: صنوأبيه: الصنوالمثل، وأصله أن يطلع نخلتان من عرق:أي مثل أبيه لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة.

قوله: وإبراهيم وحده عطف بيان:أي"لأ بيك" ويكون إسمعيل وإسحٰق عطفًا على أبيك

قوله: لتعذر العطف: علة للتكرير.

قوله: والأمة في الأصل المقصود: من أمّه بمعنى قصده .

قوله: لا يأتينى: خبرفي معنى النهي وتاتوني بالنصب على أن الواو للصرف والنون للوقاية، وقد حذفت نون الإعراب: أي لايكن من الناس الإ تيان بالأ عمال ومنكم بالأنساب.

نصارى﴿تَهْتَدُوا﴾جواب الأمر﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرٰهِمَ﴾أي بل نكون ملة إبراهم . أي أهل ملته . أو بل نتبع ملة إبراهيم . وقرئ بالرفع أي ملته ملتنا. أو عكسه . أو نحن ملته بمعنى نحن أهل ملته ﴿حنيفاً﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحق . حال من المضاف . أو المضاف إليه كقوله تعالى ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً﴾ [٧. الأعراف: ٤٣] ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [١٣٥]﴾تعريض بأهل الكتاب وغيرهم . فإنهم يدعون اتباعه وهم مشركون،

﴿قُولُوآ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ ﴾الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴾ [٢.البقرة:١٣٧] ﴿ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ القرآن . قدم ذكره لأنه أول بالإضافة إلينا. أو سبب للإيمان بغيره﴿ وَمَآ أُنْزِلَ إِلىٰٓ إِبْرٰهِمَ وَإِسْمٰعِيْلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ الصحف. وهي وإن نزلت إلى إبراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها.فهي أيضاً منزلة إليهم . كما أن القرآن منزل إلينا. والأسباط جمع سبط وهو الحافد . يريد به حفدة يعقوب. أو أبناء ه وذراريهم فإنهم حفدة إبراهيم وإسحاق ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسٰى وَعِيْسٰى ﴾التوراة والإنجيل .أفردهما بالذكر بحكم أبلغ لأن أمرهما بالإضافة إلى موسى وعيسى مغاير لما سبق. والنزاع وقع فيهما﴿ وَمَآ أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ جملة المذكورين منهم وغير المذكورين ﴿مِنْ رَّبِّهِمْ﴾ منزلاً عليهم من ربهم ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ كاليهود . فنؤمن ببعض ونكفر ببعض . وأحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ أن يضافإليه بين .﴿ وَنَحْنُ لَهُ﴾ أي لله﴿مُسْلِمُونَ[١٣٦]﴾ مذعنون مخلصون.

قوله:أوالمضاف إليه: للإطباق على جواز ذلك إذا كان المضاف جزء من المضاف إليه أو بمنزلة الجزء بحيث يصح قيامه مقامه مثل" نتبع ملة" واختلفوا فى عامل مثل هذا الحال فقيل: معنى الاضافة لمافيه من معنى الفعل المشعربه حرف الجر كأنه قيل: نتبع ملة تثبت لإبراهيم، والصحيح أن عامله عامل للمضاف لما بينهما من الاتحاد بالوجه المذكور.

قوله: أفردهما بحكم أبلغ:يعنيأفرد التوراة والإنجيل ولم يد رجهما في ماأنزل على الأسباط بحكم الإيتاء الذى هو أبلغ من الإنزال؛ لأنه أعتبر فيه الوصول؛لأن معناه الإعطاء، والعطاء التناول بخلاف الإنزال؛ لأنهما من حيث أنهما مضافان إلى موسى وعيسى واختصاصهما بهما مغايرلما أنزل على الأسباط الذي لااختصاص له بالبعض، وأن النزاع وقع فيهما حيث ينكر كل من اليهود والنصارى كتاب الآخر، فلا جرم يخص بحكم أبلغ الذي يدل على أنهما وصلا إليهما من الله تعالىٰ.

﴿فَـإِنْ ءَامَنُـوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ مـن بـاب التعجيز والتبكيت . كـقوله تـعـالـى ﴿ فـائتـوا بسورة من مثله ﴾[٢. البقرة : ٢٣] إذ لا مثل لما آمن به المسلمون .ولا ديـن كـديـن الإسـلام. وقيـل: البـاء لـلآلة دون التـعدية . والمعنى إن تـحروا الإيمان بطريق يهـدي إلـى الحق مثل طريقكم . فإن وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق. أو مزيدة للتأكيد كـقوله تعالى﴿جزاء سيئة سيئة بمثلها﴾[١٠.يونس: ٢٧] والمعنى فإن آمنوا بالله إيماناً مثل إيمـانـكم به أو الـمثـل مقحم كـمـا فـي قـولـه ﴿وشهـد شـاهـد مـن بنى إسرائيل على مثله﴾[٤٦.الأحقاف: ١٠] أي عليه . ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به . أو بالذي آمنتم بـه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ أي إن أعـرضوا عن الإيمان . أو عما تقولون لهم فـمـا هـم إلا فـي شقاق الحق . وهو المناوأة والمخالفة . فإن كل واحد من المتخالفين في شـق غيـر شـق الآخـر﴿فَسَيَـكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ تسلية وتسكين للمؤمنين . ووعد لهم بالحفظ والـنـصـرة عـلـى مـن ناوأهـم ﴿وَهُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ[١٣٧]﴾ إما من تمام الوعد. بمعنى أنه يسـمـع أقـوالكم ويعلم إخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة. أووعيد للمعرضين . بمعنى أنه يسمع مايبدون ويعلم ما يخفون وهومعاقبهم عليه .

قوله: مـن بـاب التـعجيز والتبكيت: لما كان ظاهر الكلام إن للدين الذي آمن به الـمومنون مثلا يحصل به الاهتداء كما يحصل بدينهم وليس كذلك دفعه بوجهين:أحدهما أن ذلك عـلـى سبيل الفرض والتقدير قصدًا إلى التبكيت والإلزام: يعني إن حصلوا دينًا مثل ديـنـكم وآمنوا فقد اهتدوا ولكن ذلك منتف؛ لأن طريق الحق واحد، فلا طريق إلى الاهتداء سـوى هـذا الـديـن، والثاني أن "الباء" ليس صلة لـ"آمنوا" حتى يلزم أن لذلك الدين مثلا بل للاستعانة، فحينئذ يكون الوسيلة والطريق متعددًا ولا يلزم من تعددالطرق تعدد المقصود.

قوله: أو"المثل" مقحم :يؤتى به في الكلام ولم يقصد الكناية ولا التاكيد كما في الزائدة.

قوله: أي إن أعـرضـوا عـن الإيمان،أو عما تقولون لهـم: وهو"آمنا بالله وما أنزل إليـنـا" فـعلى الأول يكون متعلقا بقوله:﴿ فان آمنوا﴾ وهو الظاهر، وعلى الثاني يكون متعلقًا بقوله:﴿ قولوا آمنابالله﴾ .

﴿صِبْغَةَ اللّٰهِ﴾أي صبغنا الله صبغته. وهي فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها . فإنها حلية الإنسان كما أن الصبغة حلية المصبوغ . أو هدانا الله هدايته وأرشدنا حجته. أو طهر قلوبنا بالإيمان تطهيره . وسماه صبغة لأنه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ . وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب . أو للمشاكلة. فإن النصارى كانوا يغمسون أو لادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون . هو تطهير لهم وبه تتحقق نصرانيتهم . ونصبها على أنه مصدر مؤكد لقوله آمنا. وقيل على الإغراء . وقيل على البدل من ملة إبراهيم عليه السلام.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً﴾لا صبغة أحسن من صبغته. ﴿وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ[١٣٨]﴾تعريض بهم . أي لا نشرك به كشرككم . وهو عطف على آمنا. وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن ينصبها على الإغراء . أو البدل أن يضمر قولوا معطوفاً على الزموا. أو اتبعوا ملة إبراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا. حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب .

قوله: وهي فطرة الله التيفطر الناس عليها:أي خلقته التي خلقهم عليها، وهي قبولهم للحق وتمكنهم من أدركه، فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم اليها، والمعنى خلقنا الله خلقته أي خلقنا على خلقته التي خلقنا عليها، أوالمعنى هدانا الله هدايته بمعنى أرشدنا حجة،أو المعنى:طهر قلوبنا بالإيمان، وعلى هذه الوجوه يكون "صبغة الله" مصدرًا مؤكدًا لنفسه لـ"آمنا" لأنه لايحتمل غيرالإيمان. وقيل: نصب على الإغراء أي معمول لـ"ألزم المقدر.وقيل: بدل من ملة إبراهيم.

قوله: ولمن ينصبها على الإغراء أو البدل: قال الواحدي: صبغة الله نصب على الإغراء أيمعمول لـ"ألزم" المقدر. وقال محي السنة عن الأخفش نصب على البدل من ملة إبراهم .فاعترض عليها صاحب الكشاف بأن فيهما فك النظم و سوء الترتيب؛ لأن في كل منهما فصلا بين المعطوف والمعطوف عليه أعني جملة "آمنا ونحن له عابدون" بالأجنبي الذى لا يتعلق بما تعلق الجملتان؛ إذلم يدخل البدل ولاالإغراء في حيز" قولوا" بل ا لأول من حيزعامل"ملة إبراهيم" والثاني مستقل وبمنزلة البيان والتاكيد لقوله تعالى "قولوا" وفي هذا فك لنظم الكلام وإخراج عن الالتيام. وأجاب عنه المصنف بأنه لا يجعل عطفا على"آمنا" بل على فعل الإغراء بتقدير القول" أي ألزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون" وعلى تقدير البدل يضمر بل اتبعوا لا نتبع وقولوا بدل من اتبعوا والبدل في حكم المبدل منه فلا يكون صبغة الله أجنبيا.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾اتجادلوننا. ﴿فِى اللَّهِ﴾ في شأنه واصطفائه نبياً من العرب دونكم . روي أن أهل الكتاب قالوا. الأنبياء كلهم منا. لو كنت نبياً لكنت منا. فنزلت:﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾لا اختصاص له بقوم دون قوم . يصيب برحمته من يشاء من عباده . ﴿وَلَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا . كأنه ألزمهم على كل مذهب ينتحلونه إفحاماً وتبكيتاً . فإن كرامة النبوة إما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء. وإما إفاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالإخلاص . وكما أن لكم أعمالاً ربما يعتبرها الله في إعطائها . فلنا أيضاً أعمال . ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ[١٣٩]﴾موحدون نخصه بالإيمان والطاعة دونكم .

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ أم منقطعة والهمزة للإنكار . وعلى قراء ة ابن عامر وحمزة والكسأي وحفص بالتاء يحتمل أن تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا . بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة. أو ادعاء اليهودية. أو النصرانية على الأنبياء . ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَمِ اللَّهُ﴾ وقد نفى الأمرين عن إبراهيم بقوله ﴿ ماكان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾[٣. آل عمران:٦٥] واحتج عليه قوله ﴿ وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ﴾[٢. آل عمران:٦٧]وهؤلاء المعطوفون عليه أتباعه في الدين وفاقاً. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراء ة عن اليهودية والنصرانية. والمعنى لا أحد أظلم من أهل الكتاب. لأنهم كتموا هذه الشهادة . أو منا لو كتمنا هذه الشهادة . وفيه تعريض بكتمانهم

قوله: أم منقطعة: يعني على قراء ة ياء الغيبة لايكون إلا منقطعة لما فيه من الاضطراب عن الخطاب في"أتحاجوننا" وعلى قراء ة إبن عامر يحتمل أن يكون منقطعة و متصلة، والمراد إنكارهما معا بمعنى أن كلا من الأمرين منكر ينبغى أن لايكون وإلا فالعلم حاصل بثبوت الأمرين.

قوله: أوادعاء اليهودية أوالنصرانية على الأنبياء:حتى تقولوا: الأنبياء كلهم منا فلو كنت نبيًا لكنت منا.

قوله: وقد نفى الأمرين: أي الله تعالى نفى اليهودية والنصرانية عن إبراهيم، وأن إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط أتباعه فى الدين إتفاقا فقد نفيا عنهم أيضاً .

قوله: وفيه تعريض:أي في المعنى الثاني دون الأول، وذلك أن المعنى لانكتم ما

شهادةالله لمحمد عليه الصلاة والسلام بالنبوة في كتبهم وغيرها . ومن للابتداء كما في قوله تعالى﴿براءة من الله ورسوله﴾[٩.التوبة:١]﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[١٤٠]﴾وعيدلهم. وقرئ بالياء.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُم وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ[١٤١]﴾

تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم . وقيل: الخطاب فيما سبق لهم . وفي هذه الآية لنا تحذيراً عن الاقتداء بهم . وقيل: المراد بالأمة في الأول الأنبياء . وفي الثاني أسلاف اليهود والنصارى.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاس﴾ الذين خفت أحلامهم . واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر. يريد به المنكرين لتغير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين . وفائدة تقديم الإخبار به توطين النفس وإعداد الجواب وإظهار المعجزة.﴿مَا وَلَّٰهُمْ﴾ ما صرفهم ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾يعني بيت المقدس. والقبلة في الأصل الحالة التي عليها الإنسان من الاستقبال . فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة.﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾لا يختص به مكان دون مكان بخاصية ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه. وإنما العبرة بار تسام أمره لابخصوص المكان.﴿يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم[١٤٢]﴾وهو ما ترتضيه الحكمة . وتقتضيه المصلحة من التوجه إلى بيت المقدس تارة . والكعبة أخرى.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة . أي كما جعلناكم مهديين إلى صراط مستقيم. أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل. ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَّسَطاً﴾أي خياراً . أو عدولاً مزكين بالعلم والعمل. وهو في الأصل اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب. ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط . كالجود بين الإسراف والبخل . والشجاعة بين التهور والجبن . ثم أطلق على المتصف بها. مستوياً فيه الواحد والجمع . والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي وصف بها . واستدل به على أن الإجماع حجة إذ لو كان اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم

في كتابنا من هذه الشهادة وقد كتموا ما في كتبهم من شهادة محمد صلى اللهعليه وسلم وغيرها من سائر الشهادات كآية الرجم وشهادة إبراهيم .

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءُ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيْدا﴾ علة للجعل . أي بالتأ مل فيما نصب لكم من الحجج . وأنزل عليكم من الكتاب أنه تعالى ما بخل على أحد وما ظلم . بل أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا . ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات . والإعراض عن الآيات . فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين من قبلكم . أو بعدكم .روي "أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء . فيطالبهم الله بينة التبليغ. وهو أعلم بهم . إقامة للحجة على المنكرين . فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون . فتقول الأمم من أين عرفتم ؟ فيقولون : علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق. فيؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمته. فيشهد بعدالتهم " وهذه الشهادة وإن كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على أمته عدى بعلى . وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم، يكون الرسول شهيدا عليهم . ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَآ﴾أي الجهة التي كنت عليها . وهي الكعبة فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي إليها بمكة . ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفا لليهود . أو الصخرة لقول ابن عباس رضي الله عنهما(كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينها فالمخبر به على الأول الجعل الناسخ . وعلى الثاني المنسوخ. والمعنى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس.

قوله: وهذه الشهادة وإن كانت لهم:أي شهادة الرسول بعد التهم وإن كانت لهم لانتفاعهم بها بخلاف شهادة الأمة على الناس، فإنهاعليهم حيث أنكروا تبليغ الأنبياء لكن لما كان الرسول كا لرقيب ضمن الشهيد معنى الرقيب فعدي بـ"على" .

قوله:على اختصاصهم بكون الرسول شهيدًا عليهم: بالتعديل دون غيرهم من الأمم.

قوله: بينه وبينها: أحد الضميرين للنبي ﷺ والآخر لبيت المقدس، ولم يكن ذلك بالمدينة ؛لأنها بين مكة و بين المقدس .

قوله: فا لمخبر به على الأول الجعل الناسخ: وهوجعل الكعبة قبلة؛لأنه ناسخ لجعل بيت المقدس قبلة، والجعل المنسوخ هوجعل بيت المقدس قبلة، والمعنى على الثاني أصل أمرك أن يكون الكعبة قبلتك ولكن جعلنا قبلتك بيت المقدس لأمر عرض وهو الامتحان والعلم فى حين الصلوة إليها من يتبعك في الصلوة ممن يرتد،أو العلم الآن أي فى حين جعله قبلة من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما لعارض يزول بزوا له فينسخ لزوال الامتحان .

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقِبَيْه﴾إلا لنمتحن به الناس ونعلم من يتبعك في الصلاة إليها ممن يرتد عن دينك إلفاً لقبلة آبائه . أو لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه . وما كان لعارض يزول بزواله . وعلى الأول معناه . ما رددناك إلى التي كنت عليها . إلا لنعلم الثابت على الإسلام ممن ينكص على عقيبيه لقلقه وضعف إيمانه. فإن قيل: كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالماً . قلت: هذا وأشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء. والمعنى ليتعلق علمنا به موجوداً . وقيل: ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه أسنده إلى نفسه لأنهم خواصه . أو لتميز الثابت من المتزلزل كقوله تعالى﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾[٨.الأنفال:٣٧]فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه . ويشهد له قراء ة ليعلم على البناء للمفعول . والعلم إما بمعنى المعرفة . أو معلق لما في مَنْ من معنى الاستفهام . أو مفعوله الثاني ممن ينقلب . أي لنعلم من يتبع الرسول متميزاً ممن ينقلب . ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيْرَةً﴾ إن هي المخففة من الثقيلة. واللام هي الفاصلة . وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى إلا. والضمير لما دل عليه قوله تعالى ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾[٢. البقرة:١٤٣]من الجعلة . أو الردة . أو التولية. أو التحويلة. أو القبلة . وقرئ لكبيرةٌ بالرفع فتكون كان زائدة ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّٰه﴾إلى حكمة الأحكام الثابتين على الإيمان والاتباع . ﴿وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِيْعَ إِيْمَانِكُمْ﴾أي ثباتكم على الإيمان .وقيل: إيمانكم بالقبلة المنسوخة. أو صلاتكم إليها لما روي "أنه عليه السلام لما وجه إلى الكعبة قالوا: كيف بمن ما ت يا رسول الله قبل التحويل من إخواننا" فنزلت﴿إِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوْفٌ رَحِيْمٌ[١٤٣]﴾فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاحهم . ولعله قدم الرؤف وهو أبلغ محافظة على الفواصل وقرأ.

﴿قَدْ نَرىٰ﴾ربما نرى﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَآءِ﴾تردد وجهك في جهة السماء تطلعاً للوحي. وكان رسول الله ﷺ يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة .

قوله: أو لتميز: عطف على قوله لنمتحن .

قوله:لكبيرة: أي ثقيلة شاقة .

قوله: هى الفاصلة: أي بين "إن" المخففة من المثقلة وبين "إن" النافية .

قوله: الثابتين على الإيمان والاتباع: أراد أن المراد بهم من يتبع في مقابلة من ينقلب، ولهذ فسر إيمانكم با لثبات على الإيمان .

لأنها قبلة أبيه إبراهيم . وأقدم القبلتين وأدعى للعرب إلى الإيمان. ولمخالفة اليهود. وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً ﴾فلنمكننك من استقبالها من قولك: وليته كذا . إذا صيرته والياً له . أو فلنجعلنك تلي جهتها﴿تَرْضَىٰهَا﴾تحبها وتتشوق إليها. لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته. ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾اصرف وجهك .﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾نحوه . وقيل: الشطر في الأصل لما انفصل عن الشيء من شطر إذا انفصل . ودار شطور: أي منفصلة عن الدور . ثم استعمل لجانبه. وإن لم ينفصل كالقطر. والحرام المحرم أي محرم فيه القتال . أو ممنوع من الظلمة أن يتعرضوه . وإنما ذكر المسجد دون الكعبة لأنه عليه الصلاة والسلام كان في المدينة. والبعيد يكفيه مراعاة الجهة . فإن استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب . روي"أنه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة. فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً . ثم وجه إلى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين . وقد صلى بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر. فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب . وتبادل الرجال والنساء صفوفهم . فسمي المسجد مسجد القبلتين"﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾خص الرسول بالخطاب تعظيماً له وإيجاباً لرغبته. ثم عمم تصريحاً بعموم الحكم وتأكيدا لأمر القبلة وتحضيضاً للأمة على المتابعة . ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُو الْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾جملة لعلمهم بأن عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة . وتفصيلاً لتضمن كتبهم أنه ﷺ يصلي إلى

قوله: من قولك وليته كذا: يعني إذا كان "فلنولينك" بمعنى فلنمكننَّك يكون ماخوذًا من ولي ولاية، وإذا كان بمعنى فلنجعلنك يكون من وليه يليه .

قوله: أصرف وجهك: معنى قوله:﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ اجعله واليًا جانب المسجد الحرام بأن يتمكن من استقبالها أواجعله يلي جهتها.

قوله: أصرف: بيان للحاصل المراد.

قوله: كا لقطر: أي جانب الشيء.قال الجوهري: القطر بالضم: الناحية والجانب، والجمع: الأقطار . قوله: و تاكيداً لأمر القبلة. باعتبار أنها قبلة للكل لا للبعض .

قوله: تخصيص كل شريعة بقبلة: أي بقبلة غير قبلة الشريعة السابقة كقبلة محمد ﷺ فإنه غير مطلع الشمس الذي هي قبلة عيسى عليه السلام وإلا فالكعبة لآدم وإبرهيم و محمدعليهم السلام، فلا يرد ماقيل: إن هذه القبلة كانت لإبراهيم فلا تخص شريعتنا .

الـقبـلتين. والضمير للتحويل أو للتوجه. ﴿ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ[١٤٤]﴾وعد ووعيد للفريقين . وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالياء.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِيْنَ أُوتُوالْكِتٰبَ بِكُلِّ اٰيَةٍ﴾برهان وحجة على أن الكعبة قبلة. واللام موطئة للقسم ﴿ مَّـا تَبِعُوْا قِبْلَتَكَ﴾ جواب للقسم المضمر. والقسم وجوابه سادٌّ مسدَّ جواب الشـرط. والـمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة. وإنما خالفوك مكابرة وعناداً﴿وَمَآ أَنْـتَ بِتَـابِـعٍ قِبْـلَتَهُـمْ﴾قطع لأطماعهم . فإنهم قالوا: لو ثبتَّ على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صـاحبـنـا الذي ننتظره . تغريراً له وطمعاً في رجوعه . وقبلتهم و إن تعددت لكنها متحدة بـالبـطـلان ومـخـالـفة الحق ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ فإن اليهود تستقبل الصخرة . والـنـصـارٰى مـطـلـع الشـمس. لا يرجىٰ توافقهم كما لا يرجٰى موافقتهم لك . لتصلب كل حـزب فيـمـا هو فيه﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَ هُمْ مِّنْ بَعدِ مَاجَآءَ كَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ على سبيل الفرض والتـقـديـر. أي: ولـئـن اتبـعتهم مثلاً بعد ما بان لك الحق وجاء ك فيه الوحي﴿إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظّٰلِمِيْنَ[١٤٥]﴾وأكد تهديده وبالغ فيه من سبعة أوجه تعظيماً للحق المعلوم، وتحريضاً على اقتفائه، وتحذيراً عن متابعة الهوى، واستفظاعاً لصدور الذنب عن الأنبياء.

قوله: والـلام مـو طـئة لـلقسم : وهي اللام الداخلة على أداة الشرط للايذان بأن الجواب بـعدها مبني على قسم مقدر قبلها لا على الشرط، و هذا تسمى اللام المؤذنة وتسمى الموطئة؛ لأنها وطائت الجواب للقسم أي مهدته نحو لئن أخرجوا لا يخرجون معهم كذا في المغني لابن هشام .

قوله: وقبـلتهم وإن تعددت. جواب سوال وهو أن يقال: كيف قال: قبلتهم، مع أنه لأهـل الكتاب قبلتين قبلةلليهود وقبلة للنصارى. أجاب بأن كلتا القبلتين باطلة مخالفةلقبلة الحق فكانت متحدين بالبطلان ومخالفة الحق وصارتا قبلة واحدة .

قوله: مـن سبـعة أوجة .قيـل: الوجوه السبعة: لام القسم، وإن، واللام في خبرها، والجملة الاسـمية، والتـقييـد بــ"إن"، و نسبة الـظلم إليه وجمعه، واستغراقه،لافادته أن ذلك مقرر محقق وأنه مـعـدود فـي زمـرتهم. قيل: وفيه وجوه أخر تسمية ما ذهبوا إليه أهواء، ووقوع ذلك بعد مجيء العلم، وذكـر ذلك بـعد بيان أن بعضهم لا يتبع بعضا، وجعله أتباع الأ هواء لاهوى واحدا : أحدها: الإتيان بـالـلام الـموطئة للقسم، ثانيها: القسم المضمر، ثالثها:حرف التحقيق وهو" أن"، رابعها: تركيبه من جملةاسمية، وخامسها: الإتيان باللام في الخبر، وسادسها: جعله من الظالمين، ولم يقل إنك ظالم؛ لأن في الاندراج معهم إيهاماً بحصول أنواع الظلم . وسابعها : التقييد بمجيء العلم.

﴿الَّذِيْنَ اٰتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ﴾يعني علماء هم ﴿يَعْرِفُوْنَهٗ﴾الضمير لرسول الله ﷺ وإن لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه . وقيل للعلم . أو القرآن . أو التحويل ﴿كَمَا يَعْرِفُوْنَ أَبْنَآءَ هُمْ﴾ يشهد للأول : أي يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم أبناء هم لا يلتبسون عليهم بغيرهم . عن عمر رضي الله تعالى عنه (أنه سأل عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه . عن رسول الله ﷺ فقال: أنا أعلم به مني بابني قال: ولم قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته قد خانت ﴿وَإِنَّ فَرِيْقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُوْنَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ[١٤٦]﴾تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن.

﴿اَلْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ﴾ كلام مستأنف. والحق إما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد. والإشارة إلى ماعليه الرسول ﷺ أو الحق الذي يكتمونه .أو للجنس ، والمعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله تعالى كالذي أنت عليه لا مالم يثبت كالذي عليه أهل الكتاب. وإما خبر مبتدأ محذوف أي هوالحق. ومن ربك حالم، أو خبر بعد خبر، وقرئ بالنصب على أنه بدل من الأول أو مفعول يعلمون﴿فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ[١٤٧]﴾ الشاكين في أنه من ربك.أو في كتمانهم الحق عالمين به. وليس المراد به نَهيَ الرسول ﷺ عن الشك فيه . لأنه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار، بل ما تحقيق الأمر ولأنه بحيث لايشق ناظرا أو أمر الامة باكتساب معارف المزيحة للشك على الوجه الأبلغ .

قوله: لدلالة الكلام عليه: يعني لا يشترط أن يذكر صريحا وإنما يشترط أن يفهم من الكلام السابق وهو حاصل لأن قوله:﴿ وما أنت بتابع قبلتهم﴾ مسوق لشان الرسول صلى الله عليه وسلم .

قوله: وقيل للعلم:أي في قوله من العلم أي الوحي .

قوله: فلعل والدته قدخانت: فقبل عمر رضى اللهتعالىٰ عنه رأسه .

قوله: تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن: يعني أن هذا الكلام تخصيص وبيان للمعاندمنهم واستثناء للمؤمن منهم بطريق مفهوم المخالفة والمعنى أن أهل الكتاب يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم يقينا بحيث لا يلتبس عليهم إلا أن المعاند منهم يكتمون الحق والمومنون منهم لا يكتمون .

قوله : وليس المراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه:لأنه عليه السلام ليس بقاصد ومختار فيه حتى يتوقع منه فينهى عنه، بل المراد تحقيق الأمر وبيان ما هو في نفس الأمروهو أنه أ مرظاهر مكشوف ليس محلا للشك حتى يشك فيكون النهي

﴿وَلِـكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ولكل أمة قبلة، أولـكـل قوم من المسلمين جهة و جانب من الكعبة، والتـنـوين بدل الإضافة ﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أحـد الـمفعولين محذوف. أي هو موليها وجهه، أو اللّٰه تـعـالى موليها إياه . وقرئ ولكل وجهةٍ بالإضافة . والمعنى: وكل وجهة اللّٰه مـوليهـا أهلها. واللام مزيدة للتأكيد جبـراً لضعف العامل. وقـرأ ابن عامر. مولا ها أي هو مـولّى تلك الجهة أي قد وليها ﴿ فَـاسْتَبِـقُـوا الْـخَيْـرٰتِ ﴾ من أمر القبلة وغيره مما تنال به سعادة الدارين ، أو الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة

بـمـعـنـى الـنـفـي يعني انتفى الشك منك لأنه ليس محلا للشك،أو المراد للأمة المسلمين بـاكتسـاب الـمـقدمات المزيلة على وجه الكناية التي هي أبلغ من الصريح وذلك أن النهي يستلزم الأمر بالمقدمات المزيلةإياه .

قوله: أو لـكـل قـوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة. يصلى اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية.

قوله: أحـد الـمفعولين محذوف أي هو موليها وجهه. يعني أن ضمير "هو" يجوز أن يـكـون "لـكل" والمفعول محذوف أي وجهه وأن يكون للّٰه والمفعول المحذوف ضمير عائدإلى الكل وأما على تقدير الإضافة فالضمير لله قطعا إذ لا ذكر للغير .

قوله: جبـراً لـضـعف العامل. لتأ خره عن المفعول وكونه فرعا في العمل والعامل محذوف والمذكور تفسير له أي لكل وجهة اللّٰه مول موليها والمفعول الآخر محذوف أي أهـلهـا. قـال فـي الـمـغـنـي الـلام المسماة لام التقوية هى المزيدة لتقوية عامل ضعيف إما بتأخره أو بكونه فرعا في العمل نحو﴿ مصدقا لما معكم﴾ .

قوله: أى قـد وليهـا:أي ولـي كل تلك الجهة وترك ذكر الفاعل معنى وهو المولى لكونه معلوما.

قوله: وهـي الـمسـامتة لـلكعبة: أي الجهات المسامتة للكعبة والمسامتة مختلفة لحصولها في الجوانب فلهذا قال فاستبقوا الخيرات وفسر بالفاضلات الخيرات .

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيْعاً ﴾أي. في أي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الأجزاء ومفترقها . يحشركم الله المحشر للجزاء . أ وأينما تكونوا من أعماق الأرض وقلل الجبال. يقبض ارواحكم ، أو أينما تكونوا من الجهاة المتقابلة. يأت بكم الله جميعاً ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ[١٤٨]﴾ فيقدر على الإماتة والإحياء والجمع.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ ومن أي مكان خرجت للسفر﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إذا صليت ﴿ وَإِنَّهُ﴾ وإن هذا الأمر﴿لَلْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [١٤٩]﴾وقرأ أبو عمر و بالياء.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَام وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوْا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ كرر هذا الحكم لتعدُّدِ عِلله . فإنه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل. تعظيم الرسول ﷺ بابتغاء مرضاته. وجري العادة الإلهية على أن يولّى كل أهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها. ودفع حجج المخالفين على ما نبينه . وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريباً وتقريراً . مع أن القبلة لها شأن . والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبا لحري أن يؤكد أمرها ويعاد ذكرها مرة بعد أخرى ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاس عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾علة لقوله فولوا. والمعنى أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة . وأن محمداً يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا . والمشركين بأنه يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته. ﴿ إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ استثناء من الناس. أي لئلا يكون لاحد من الناس حجة إلا المعاندين منهم، فإنهم يقولون: ما تحول إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده. أو بداله فرجع إلى

قوله: يأت بكم الله جميعا: أي يجمعكم ويجعل صلا تكم مع اختلاف جهاتها في حكم متحدة الجهة كأنها كلها مسامتة لعين الكعبة في المسجد الحرام فيكون الإتيان بكم جميعا تجوزا عن جعل صلوتهم متحدة الجهة .

قوله: كرر هذا الحكم لتعدد علله:أي حول القبلة، وأمر بالتولية إلى المسجد الحرام أولا لتعظيم الرسول بابتغاء مرضاته، وثانيا لأجل جري العادة الإلٰهية، وثالثا لدفع حجج المخالفين كما قال:﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ وقرن بكل علة معلولها ليقرب ويؤدي إلى الغرض المطلوب وليقرر أمر المطلوب حيث ثبت بثلث علل .

قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم . وسمى هذه حجة كقوله تعالى:﴿حجتهم داحضة عند ربهم﴾[٤٢.الشورى:١٦] لأنهم يسوقون مساقها. وقيل: الحجة بمعنى الاحتجاج. وقيل: الإستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأساً كقوله.

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيوفَهُم بِهِنَّ فُلولٌ مِنْ قِراعِ الْكَتَائِبِ

للعلم بأن الظالم لا حجة له . وقرئ : إلا الذين ظلموا منهم . على أنه استئناف بحرف التنبيه ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾فلا تخافوهم .فإن مطاعنهم لا تضركم ﴿ وَاخْشَونِى ﴾ فلا تخالفوا ما أمرتكم به ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ[١٥٠]﴾ علة محذوف أي و أمرتكم لا تمامي النعمة عليكم وإرادتئ إهتداء كم . أو عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لأحفظكم منهم ولأتم نعمتي عليكم . أو لئلا يكون. وفي الحديث"تمام النعمة دخول الجنة" وعن علي رضي الله تعالى عنه: " تمام النعمة الموت على الإسلام"

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنْكُم﴾متصل بما قبله . أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة. أو في الآخرة كما أتممتها بإرسال رسول منكم . أو بما بعده أي كما ذكرتكم بالإرسال فاذكروني﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءايٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يحملكم على ما تصيرون به أزكياء . قدمه باعتبار القصد وأخّره في دعوة إبراهيم عليه السلام باعتبارالفعل ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوْا تَعْلَمُونَ[١٥١]﴾ بالفكر والنظر. إذ لا طريق على معرفته سوى الوحي . وكرّر الفعل ليدل على أنه جنس آخر.

﴿فَاذْكُرُونِى﴾ بالطاعة﴿أَذْكُرْكُمْ ﴾بالثواب﴿وَاشْكُرُوا لِى﴾ما أنعمت به عليكم ﴿وَلَا تَكْفُرُون[١٥٢]﴾ بجحد النعم وعصيان الأمر.

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اسْتَعِيْنُوْابِالصَّبْرِ﴾ عن المعاصي وحظوظ النفس﴿وَالصَّلوٰةِ﴾ هي أم العبادات . ومعراج المؤمنين . ومناجاة رب العالمين . ﴿إِنَّ اللّٰه مَعَ الصّٰبِرِينَ[١٥٣]﴾ بالنصر وإجابة الدعوة ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ يُّقْتَلُ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ أَمْوٰاتٌ﴾أي هم أموات.

قوله: وسمي هذه حجة: يعني إنما سمي هذه الحجة.حجة مع أنها شبهة ظاهرة البطلان والحجة والبرهان ما يكون قطعيا لأنهم يسوقونها مساق الحجة .

قوله: الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة: وذلك أنه أستثني من صفة ذم منفية صفة المدح على تقدير دخولها في صفة ذم وصفة الذم هوأن يكون للناس عليكم حجة وصفة المدح هوحجة الذين ظلموا .

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ أي بل هم أحياء ﴿وَلَكِنْ لَّا يَشْعُرُونَ[١٥٤]﴾ ما حالهم، وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحسُّ به من الحيوانات . وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل بل بالوحي. وعن الحسن: إن الشهداء أحياء عندربهم تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح . كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدواً و عشياً فيصل إليهم الألم والوجع . والآية نزلت في شهداء بدر. وكانوا أربعة عشر. وفيها دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يُحِسُّ به من البدن تبقى بعد الموت درَّاكة عليه جمهورا لصحابة والتابعين . وبه نطقت الآيات والسنن. وعلى هذا فتخصيص الشهداء لا ختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيدة البهجة والكرامة .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ ولنصيبنكم إصابة من يختبر لأحوالكم . هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ﴾أي بقليل من ذلك . وإنما قلَّله بالإضافة إلى ما وقاهم منه ليخفف عليهم . ويريهم أن رحمته لا تفارقهم . أو بالنسبة إلى

قوله: بل هم أحياء: يعني ليس عطفا على أموات عطف مفرد على مفرد ولا عطفا على هم أموات عطف جملة على جملة لأنها ليست في حيز القول بل هو إضراب عن نهيهم إلى الإخبار بهذه الجملة فليتدبر .كذا قرر العلامة التفتازا ني ويجوز أن يكون إعراضا عن هم أموات أي قولواهم أحياء عند ربهم كما هو الواقع الحق .

قوله: ولكن لا تشعرون ما حالهم .أي كيفية حالهم فى حيوتهم، وذلك أن حياتهم ليست با لجسد كما هو الظاهر من قبل ولا من جنس حيات الحيوانات أعني مبدا الحس والحركة بل بأنها جواهر قائمة بأنفسها ليست حالة في البدن كما ذهب إليه بعض المتكلمين دراكة للامورالمعقولة والمعارف الالٰهية لا كما للحيوانات .

قوله: وعلى هذا فتخصيص الشهداء. يعني هذه الحيوة المذكورة لا يختص بالشهداء بل يعمهم وغيرهم فتخصيص الشهداء لاختصاصهم با لقرب من الله تعالٰى .

قوله: ولنصيبنكم إصابة من يختبر: يعني أن هذا استعارة تبعية لأن حقيقة البلاء على الله تعالى محال .لأن الامتحان والاختبار إنما يكون ممن لا يعرف عاقبة الأمر .

قوله:بشيء من الخوف.وقال ابن عباس: يعني خوف العدو والجوع يعني القحط.

قوله: وإنما قلله بالإضافة إلى ما وقٰهم.يعني أن ما وقاهم عنه كثير وكذا ما يصيب به معا نديهم وهذا قليل بالنسبة إليه وإنما جعل ماابتلاهم به قليلا بالنسبه إليه لئلا يثقل

ما يصيب به معا نديهم في الآخرة . وإنما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرٰتِ﴾ عطف على شيء . أو الخوف . وعن الشافعي رضي الله عنه :الخوف خوف الله . والجوع. صوم رمضان . والنقص : من الأموال الصدقات والزكات . ومن الأنفس . الأمراض . ومن : الثمرات موت الأولاد. وعن النبي ﷺ "إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة:أقبضتم روح ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول الله: أقبضتم ثمرة فؤاده . فيقولون: نعم . فيقول الله تعالى : ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حَمِدَكَ واسترجع. فيقول الله : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ﴿وَبَشِّرِ الصّٰبِرِيْنَ[١٥٥]﴾

﴿اَلَّذِيْنَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيْبَةٌ قَالُوْا إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رٰجِعُوْنَ[١٥٦]﴾ الخطاب للرسول ﷺ . أو لمن تتأتى منه البشارة، والمصيبة تعم ما يصيب الإنسان من مكروه. لقوله عليه الصلاة والسلام: "كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة " وليس الصبر بالاسترجاع باللسان. بل به وبالقلب بأن يتصور ما خلق لأجله. وأنه راجع إلى ربه ؛ ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما بقي عليه أضعاف ما استرده منه فيهوّن على نفسه . ويستسلم له . والمبشر به محذوف دلَّ عليه.

﴿أُولٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ الصلاة في الأصل الدعاء . ومن الله تعالى التزكية والمغفرة. وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها . والمراد بالرحمة اللطف والاحسان . وعن النبي ﷺ "من استرجع عند المصيبة . جبرالله مصيبته. وأحسن عقباه . وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه "﴿وَأُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ[١٥٧]﴾للحق والصوابِ حيث استرجعوا وأسلموا لقضاء الله تعالى .

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾هما علمان جبلين بمكّةَ ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللّٰهِ﴾من أعلام مناسكِ جمع شعيرة وهي العلامة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾الحج لغة القصد.

عليهم ويرون أن رحمته لا تفارقهم حيث وقاهم عن كثير وأصاب غيرهم بكثير .

قوله: بل به و بالقلب: ويتصور الاسترجاع بالقلب وذلك بأن يتصور إنا لله خلقا وملكا وهو تعالىٰ مالك على الإطلاق.ولما ذاخلقنا من العبادة والمعرفة وإناإليه راجعون فيحافظ عليهما و يستسلم له فيما أخذ ويذكر فيما أبقى.

قوله:وسلموا لقضاء الله تعالىٰ: أي سلموا أنفسهم .

قوله: منا سكه: المنسك موضع النسك أي العبادة .

والاعتمار الزيارة ، فغلبا شرعاً على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾كان إساف على الصفا ونائلة على المروة ، وكان أهل الجاهلية إذا سمعوا مسحوهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فنزلت . والإجماع على أنه مشروع في الحج والعمرة . وإنما الخلاف في وجوبه . فعن أحمد أنه سنة. وبه قال أنس وابن عباس رضي الله عنهم لقوله﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾[٢. البقرة:١٥٨] فإنه يفهم منه التخير وهو ضعيف . لأن نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب . فلا يدفعه ؛ وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه واجب . يجبر بالدم . وعن مالك والشافعي رحمهما الله أنه ركن لقوله عليه الصلاة والسلام" اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي "﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً﴾أي فعل طاعة فرضاً كان أو نفلاً . أو زاد على ما فرض الله عليه من حج أ و عمرة . أو طواف أو تطوع بالسعي إن قلنا إنه سنة . وخيراً نصب على أنه صفة مصدر محذوف. أو بحذف الجار وإيصال الفعل إليه . أو بتعدية الفعل لتضمنه معنى أتى أو فعل . وقرأ حمزة والكسأي ويعقوب يطّوّع.وأصله يتطوع، فأدغم مثل يطوف﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيْمٌ[١٥٨﴾مثيب على الطاعة لا تخفى عليه .

قوله: كان إساف على الصفا. إساف كان صنما على صورة رجل ونائلة كان صنما علىٰ صورة إمرأة. روي أنهما كانا رجلا وإمرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله تعالىٰ فكان أهل الجاهلية، إلى آخر ما ذكره .

قوله: لأن نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب. يعني أن نفي الجناح يدل على الجواز بمعنى رخصة الفعل وهو داخل فى الوجوب أعني رخصة الفعل مع المنع عن الترك بخلاف الجواز بمعنى رخصة الفعل والترك فإنه مقابل له فلا يدفع الوجوب حتى يثبت التخيير بل الوجوب ثابت بدليل الحديث والآية لا ينافى الوجوب .

قوله: لقوله: اسعوا فان الله كتب عليكم السعي: قيل: هذاإنما يدل على الوجوب وهو القدر المشترك بين المذهبين لا على الركنية وهو ظاهر، وأجيب بأن الأمر بالسعي مع التعليل والتاكيد بان الله كتبه عليكم يفيد غاية الوجوب بحيث يفوت الجواز بفوته وهو معنى الركنية .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتُمُونَ﴾ كاحبار اليهود﴿ مَآ أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنٰتِ﴾ كالآيات الشاهدة على أمر محمد ﷺ ﴿وَالْهُدى﴾وما يهدى على وجوب اتباعه والإيمان به﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنّٰهُ لِلنَّاسِ﴾لخصناه﴿ فِى الْكِتٰبِ﴾في التوراة﴿ أُولٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللّٰعِنُونَ[١٥٩]﴾أي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوْا﴾عن الكتمان و سا ئر ما يجب أن يتاب عنه ﴿وَأَصْلَحُوْا﴾ ما أفسدوا بالتدراك﴿ وَبَيَّنُوْا﴾ ما بينه اللّٰه في كتابهم لتتم تو بتهم . وقيل ما أحد ثوه من التوبة ليمحوا به سمة الكفر عن أنفسهم ويقتدي بهم أضرابهم ﴿ فَأُولٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بالقبول والمغفرة.﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ[١٦٠]﴾ المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْاوَمَا تُواْ وَهُمْ كُفَّار﴾ أي ومن لم يتب من الكاتمين . حتى مات ﴿أُولٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّٰهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ[١٦١]﴾ استقر عليهم اللعن من اللّٰه . ومن يعتد بلعنه من خلقه . وقيل : الأول لعنهم أحياء . وهذا لعنهم أمواتاً. وقرئ والملائكة والناس أجمعون عطفاً على محل اسم اللّٰه لأنه فاعل في المعنى. كقولك أعجبني ضرب زيد وعمرو. أو فاعلا لفعل مقدر نحوتلعنهم والملائكة.

﴿خٰلِدِيْنَ فِيْهَا﴾ أي في اللعنة .أو النار. وإضمارها قبل الذكر تفخيماً لشأنها وتهويلاً . أو اكتفاء بدلالة اللعن عليها﴿ لَايُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ[١٦٢]﴾ أي لا يمهلون . أو لا ينتظرون ليتعذروا. أو لا ينظر إليهم نظر رحمة.

قوله: أي الذين يتأتى منه اللعن عليهم: فسربذلك إشارة إلى أن هذا في الفاعل ومثل من قتل قتيلا في المفعول فإنه ليس على عمومه إذ من اللاعنين من لايلعنهم بل غيرهم وأيضا لا يطلق عليهم اسم اللاعن إلا بعد اللعن لا في حين اللعن ولا قبله وقال بعضهم المراد دواب الأرض أيضا تقول منعنا القطر بمعاصي بني آدم .

قوله: ما بينه اللّٰه تعالى في كتابهم: تر كتموه .

قوله: ومن يعتد بلعنه من خلقه: وهم المؤمنون كذا في الكشاف وإلا فالكفار لايلعنهم.

قوله: أي لا يمهلون: يعني أن"ينظرون" إما من الإ نظار بمعنى الإمهال أومن النظر بمعنى الانتظار أومن النظر بمعنى الروية على أن المراد نظر الرحمة .

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ خطاب عام . أي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح أن يعبد أو يسمى إلها ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقرير للوحدانية . وإزاحة لأن يتوهم أن في الوجود إلهاً ولكن لا يستحق منهم العبادة ﴿ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ[١٦٣ ﴾ كالحجة عليها. فإنه لما كان مولى النعم كلها أصولها وفروعها وما سواه إمانعمة أو منعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره . وهما خبران آخران لقوله إلهكم. أو لمبتدأ محذوف . قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا: إن كنت صادقاً فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾إنما جمع السموات وأفردالأرض.لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تعاقبهما كقوله تعالى﴿جعل الليل والنهار خِلْفَةً﴾[٢٥ .الفرقان:٦٢]﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاس﴾ أي بنفعهم أو بالذي ينفعهم .والقصد به الى الاستدلال بالبحروأحواله . وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه . ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب . لأن منشأهما البحر في غالب الأمر . وتأنيث

قوله: وإزاحة لأن يتوهم أن فى الوجود إلهاو لكن لا يستحق منكم العبادة. أي لا يطلب منكم حقه من العبادة وذلك أنه نفي أن يكون في الوجود إله غير الذى يستحق منكم العبادة.

قوله : لما سمعه المشركون.أي قوله:﴿ وإلهكم إله واحد﴾.

قوله: متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة.يعني أن كل واحد من الأفلاك أنواع مختلفة الحقائق لأن حقيقة كل فلك مغاير لحقيقة الآخر بخلاف الأرضين فإنها نوع واحدمتفقة بالحقيقة وإنما تختلف بالعوارض وهي طبقة الأرض المجاور للهواء، والطبقة الطينية المركبة من الماء والأرض، والترابية الخالصة القريبة من المركب، وكل ذلك مذكور في الحكمة.

قوله: خلفة. أي يخلف كل واحد منهما الآخر .

قوله: أي بنفعهم: أي ينفع البحرأو لجري الناس على أن يكون كلمة ما مصدرية أو بالذى ينفعهم بالربح مما يحمل فيها على أن يكون ما موصولة .

قوله:ولذلك قدمه على ذكر المطر: يعني لأجل أن المقصود الاستدلال بالبحر وأحواله قدم ذكر الفلك وإلا فالأنسب تقديم المطرو السحاب وذكرهما بجنب السموات والأرض .

الفلك؛ لأنه بمعنى السفينة. وقرئ بضمتين على الأصل ،أو الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَآءِ مِنْ مَّآءٍ﴾ "من" الأولى للإبتداء، والثانية للبيان. والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو ﴿فَأَحْيىٰ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات ﴿وَبَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ عطف على أنزل . كأنه استدل بنزول المطر وتكوين النبات به وبث الحيوانات في الأرض ، أو على أحيىٰ فإن الدواب ينمون بالخصب ويعشون بالحياء. والبث النشر والتفريق ﴿ وَّتَصْرِيْفِ الرِّيٰحِ﴾ في مهابها وأحوالها . وقرأ حمزة والكسائي على الإفراد ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾ لا ينزل ولا ينقشع

قوله: على الأصل: أي على الإفراد؛ لأن نحو "قفل" يجوز فيه قفل بضمتين ،أو على أنه جمع، ويقدر التغيير فيه بأن يجعل ضمة الجمع غير ضمة الواحد، وذلك بأن ضمة المفرد كضمة "قفل" وضمة الجمع كضمة "أسد" هذا عند المحققين وهو مذهب سيبوية والخليل وأكثر النحاة، وقال ابن مالك: الأصح أنه مشترك بين المفرد واسم الجمع لا بينه وبين الجمع لاستغنائه عن تقدير التغيير الذي هو خلاف الأصل، واكتفى في القراء ة المشهورة بذكر الأصل عن ذكر الجمع استغناء عن ذكره في قراء ة الضمتين.

قوله: عطف على أنزل. يعني يجوز أن يكون عطفا على" أنزل" فيكون كل منها دليلا. ويجوز أن يكون عطفا على "أحيىٰ" فيحتاج إلى تقدير الباء، فيؤول إلى قولنا "أحيىٰ بالمطر" الأرض وبث بالمطر في الأرض الدواب من العقلاء وغيرهم، ووجه السببية أنهم ينمون بالخصب وكثرة الأوراق ويعيشون بالأمطار المبني عليها أمر النبات والأشجار والزروع والثمار والمياه والأنهار فيكثرون وهو معنى البث، والوجه الأول هو الظاهر لاشتماله على كثرة الأدلة بخلاف الثاني ولاستغنائه عن تقدير الجار والمجرور، وعن التكلف في "من" الداخلة على "كل دابة" لظهور كونها بيانية بخلاف الثاني؛ إذالظاهر أنها زائدة ؛إذبث فيها كل دابة لكن الحق أنها تبعيضية بالنظر إلى مالكل من الأفراد المقدرة الثابتة في علم اللّٰه تعالى .

قوله: في مهابها: من مطلع الشمس ومغربها وناحية الشمال والجنوب. قال الجوهري: الصبا: مهبها المستوي أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار وتسمى قبولا ويقابله الدبوروالشمال التى تهب من ناحية القطب، وتقابله الجنوب وأما الأحوال فكونها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقماو لواقح .

قوله: ولا ينقشع :قشعت الريح السحاب فانقشع ،كشفته فا نكشف .

مـع أن الطبع يقتضي إحداهما حتى يـأتـي أمـر الله تعالى وقيل: مسخر الرياح تقلبه في الجو بـمشيئة الله تعالى. واشتقاقه من السحب ؛لأن بعضه يجر بعضاً ﴿ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ[١٦٤] ﴾ يتـفكرون فيها وينظرون إليها بعيون عقولهم . وعنه ﷺ "ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها" أي لم يتفكر فيها.

واعـلـم أن دلالة هـذه الآيـات عـلـى وجـود الإلـه ووحـدته من وجوه كثيرة يطول شـرحهـا مـفـصلاً . والـكلام المجمل أنها أمور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجـوه مـحتملة، وأنحاء مختلفة؛ إذكان من الجائز مثلاً أن لا تتحرك السموات ، أو بعضها كالأرض، وأن تتحرك بعكس حركاتها وبـحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين، وأن لا يـكون لها أوج وحضيض أصلاً. وعلى هذا الـوجه لبساطتها وتسـاوي أجزائها فلابد لها مـن مـوجـد قـادر حـكيـم يـوجـد هـا على ما تستد عيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعالياً عن مـعـارضة غيـره ؛ إذ لـو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه الآخر ، فإ ن توافقت إرادتهما فـالـفـعـل إن كان لهمالزم اجتماع مؤثرتين على أثر واحد ، وإن كـان لأحدهمالزم ترجيح الفاعلبلا مرجح،وعجزالآخرالمنافيلالٰهيته، وإن اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار إليه بـقـولـه تـعالى ﴿لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[٢١.الأنبياء :٢٢] وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله، وحث على البحث والنظر فيه .

قـوله: مـع أن الـطبع يقتضى إحـداهـمـا: لأن السـحاب مركب من أجزاء هوائية وأجـزاء صـغار مائية تمازجها ولا يتميز عنها فى الحس من غاية الصغر، فبالنظر إلى الأجزاء المائية ينزل إلى مركز الماء و بالنظر إلى الأجزاء الهوائية ينقشع با لريح كما ينقشع الهواء .

قوله: وأن تتـحـرك بـعـكس حركاتها: كان يتحرك فلك الأفلاك من المغرب إلى المشرق وخارج من مركز الشمس من المشرق إلى المغرب، والمنطقة أعظم دائرة تتحرك عـليهـا الـفـلك، والأوج أبـعـد نـقـطة مشتـركة بيـن منطقي الحامل المركزو بين الممثل، والحضيض أقرب نقطة مشتركة بينهما.

قوله: لبسـاطتهـا: يـعني أن الأفلاك بسيطة، والبسيط لايصدر عنه الأثار المختلفة فلايكون أحد النقطين أوجا والأخرحضيضا، و إن أجزاء ها متساوية في الحقيقة كالماء فان حـقيـقة الـجـزء كـحقيقة الكل وكذا حقيقة كل واحد من أجزائه حقيقة الأخر فلا يقتضي أحدهما كونه أوجاوالآخركونه حضيضا.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّتَخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَنْدَاداً﴾من الأصنام . وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى : ﴿إذ تبرأ الذين اتّبعوا من الذين اتبعوا﴾[٢. البقرة:١٦٦] ولعل المراد أعم منهما وهو ما يشغله عن اللّٰه ﴿ يُّحِبُّونَهُمْ﴾ يعظمونهم ويطيعونهم ﴿ كَحُبِّ اللّٰه﴾ كتعظيمه والميل إلى طاعته:أي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة . والمحبة : ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب؛لأنه أصابها ورسخ فيها. ومحبة العبد للّٰه تعالى إرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه، ومحبة اللّٰه للعبد إرادة إكرامه واستعماله في الطاعة، وصونه عن المعاصي﴿ وَالَّذِينَ اٰمَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلّٰه﴾لأنه لا تنقطع محبتهم اللّٰه تعالى بخلاف محبة الأنداد؛ فإنها لأغراض فاسدة موهومة تزول بأدنى سبب؛ ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى اللّٰه تعالٰى عند الشدائد، ويعبدون الصنم زماناً ثم يرفضونه إلى غيره .

﴿وَلَو يَرَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا﴾ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرَونَ الْعَذَابَ﴾ إذ عاينوه يوم القيامة. وأجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله تعالى ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الجنة﴾ [٧.الأعراف:٤٤]

﴿أَنَّ الْقُوَّةَ للّٰه جَمِيْعاً﴾ ساد مسد مفعولي "يرى" وجواب "لو" محذوف :أي لو يعلمون أن القوة للّٰه جميعاً ؛إذا عاينوا العذاب لندموا أشد الندم . وقيل: هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان . والتقدير: ولو يرى الذين ظلموا أندادهم لا تنفع لعلموا أن القوة للّٰه كلما لا ينفع ولا يضر غيره . وقرأ ابن عامر و نافع ويعقوب: ولو ترى على أنه خطاب للنبي ﷺأي ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً . وابن عامر: إذ يُرون على البناء للمفعول . ويعقوب إن بالكسر وكذا﴿وَأَنَّ اللّٰه شَدِيْدُ الْعَذَابِ[١٦٥]﴾على الاستئناف، أو اضمار القول.

﴿إِذْ تَبَرَّأَالَّذِيْنَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوا﴾بدل من "إذ يرون" أي إذ تبرأ المتبعون من الأتباع . وقرئ بالعكس. أي تبرأ الأتباع من الرؤساء ﴿وَرَأَوُ الْعَذَابَ﴾أي رائين له .

قوله: والمحبة ميل القلب من الحب:يعني أن المحبة في الأصل ميل القلب ماخوذ من الحب لما فيه من الميل إلى النمو استعير لحبة القلب أي سويداؤه ثم اشتق أي أخذ منه الحب لأن الحب أصاب حبة القلب ورسخ فيها .

قوله: وأجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه: يعني أن "إذ" للماضي فدخولها على المستقبل لإجرا ئه مجرى الماضي لتحقق وقوعه .

والواو للحال. و"قد" مضمرة . وقيل: عطف على" تبرأ" ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ[١٦٦]﴾ يحتمل العطف على "تبرأ" أو" رأوا" والواو للحال. والأول أظهر . والأسباب :الوصل التي كانت بينهم من الأتباع والاتفاق على الدين ، والأغراض الداعية إلى ذلك . وأصل السبب: الحبل الذي يرتقي به الشجر. وقرئ وتُقُطِّعت على البناء للمفعول.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوأَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾"لو" للتمني ولذلك أجيب بالفاء :أي ليت لنا كرة إلى الدنيا فنتبرأ منهم ﴿كَذٰلِكَ﴾مثل ذلك الاراء الفظيع . ﴿يُرِيْهِمُ اللّٰهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ندامات : وهي ثالث مفاعيل" يُرى" إن كان من رؤية القلب وإلا فحال ﴿ وَمَا هُمْ بِخٰرِجِيْنَ مِنَ النَّارِ[١٦٧]﴾أصله وما يخرجون ، فعدل به إلى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناطمن الخلاص والرجوع إلى الدنيا.

﴿يٰأَيُّهَاالنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً﴾نزلت في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس. و"حلالاً" مفعول "كلوا" أو صفة مصدر محذوف ، أو حال مما في الأرض و"من" للتبعيض إذ لا يؤكل كل ما في الأرض﴿طَيِّباً﴾

قوله: وقيل عطف على تبرأ: اعترض عليه بأن العطف يؤدى إلى إبدال "رأواالعذاب" من" إذيرون" وليس فيه كثير فائدة ؛لأن الحقيق بالاستعظام هو تبرئهم فى حال روية العذاب لا هو بنفسه، ويمكن أن يجاب بأن البدل هو مجموع المعطوف والمعطوف عليه أعني مجموع الأمورالثلثلة فلا يرد الاعتراض، والأ ول أظهر لأن المقصود أن التبرء حاصل وقت رؤية العذاب ورؤية العذاب مقيدة بتقطع الأسباب .

قوله: فعدل به إلى هذه العبارة للمبالغة في الخلود:يعني أن تقديم المسند إليه سيما إذاكان ضميرا سيما إذا كان ولي حرف النفي كثير، إما يكون لاختصاص وحصر النفي فيما يلي حرف النفي مثل﴿ وما أنت علينا بعزيز﴾﴿ وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ ونحوذلك. وقديكون بمجرد التقوى إذالم يناسب لاختصاص المقام كما في الآية فإنه ليس المقام مقام تردد ونزاع في أن الخارج هم أم غيرهم على الشركة أو على الانفراد بل اللائق بمقام إرأة أعمالهم حسرات عليهم للقطع والبت بأنهم لا يخرجون من النار البتة .

قوله: ومن للتبعيض: يعني على الوجهين الأخيرين لأنه فى موضع المفعول أي كلوا بعض ما في الأرض وأما في الوجه الأول فمن للابتداء .

يستطيبه الشرع ، أو الشهوة المستقيمة؛ إذ الحلال دل على الأول ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ﴾لا تقتدوابه في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام . وقرأ نافع وأبو عمر و حمزة والبزي وأبو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة ، وهي ما بين قدمي الخاطي.وقرىء بضمتين وهمزة جعلت ضمة التاء كأنها عليها وبفتحتين على أنه جمع خطوة وهي المرة ما بين الخطو﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ[١٦٨]﴾ ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وإن كان يظهر الموالاة لمن يغويه ؛ ولذلك سماه ولياً في قوله تعالى ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ﴾بيان لعداوته . ووجوب التحرز عن متابعته . واستعير الأمر لتزيينه، وبعثه لهم على الشر تسفيهاً لرأيهم وتحقيراً لشأنهم ، والسوء والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه الشرع. والعطف لاختلاف الوصفين فإنه سوء لاغتمام العاقل به، وفحشاء باستقباحه إياه . وقيل: السوء يعم القبائح . والفحشاء ما يتجاوز الحد في القبح من الكبائر . وقيل: الأول ما لاحد فيه . والثاني ما شرع فيه الحد ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ مَالَا تَعْلَمُونَ[١٦٩]﴾ كاتخاذ الأنداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات . وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأساً . وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظن مستند إلى مدرِكٍ شرعي فوجوبه قطعي ، والظن في طريقه كما بيّناه في الكتب الأصولية.

قوله: يستطيبه الشرع أو الشهوة المستقيمة: كشهوة الخلص من عبادالله فإنهم لا يشتهون إلى المشتبهات وطبيعتهم يتنفر عنها .

قوله: كأنها عليها. أي كأن الضمة على الواو. والواو المضمومة قد تقلب همزة كما في أجوه وأقتت.

قوله: تسفيهًا لرأيهم. من حيث أنهم صاروا بمنزلة المامورين لأجل طاعتهم له.

قوله: فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الأصولية: وهو أن الحكم المظنون للمجتهد يجب العمل به قطعا لدليل القاطع وهو الإجماع، وكل حكم يجب العمل به قطعا علم قطعا أنه حكم الله تعالى،وكل ماعلم قطعاأنهحكمالله تعالى فهو معلوم قطعا، فكل مايجب العمل به قطعا معلوم قطعا، فالحكم المظنون للمجتهد معلوم قطعا، فالحكم قطعي والظن فى طريقه، وأجاب عنه العلامة التفتازاني فى التلويح شرح التوضيح بأن لانسلم أن كل حكم يجب العمل به قطعا علم قطعا أنه حكم اللهتعالى لم لا يجوز أن يجب العمل قطعا بما يظن أنه حكم الله،فقوله وإلا لم يجب العمل به عين النزاع

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم للنداء علـى ضـلالهـم ، كأنه التفت إلى العقلاء قال لهم : انظروا إلى هؤلاء الحمقى ما ذا يجيبون ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ ما وجد ناهم عليه . نزلت في المشركين أمروا باتباع القـرآن وسـائـر مـا أنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا إلى التقليد. وقيل: في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباء نا؛لأنهم كانوا خيـراً مـنا وأعلم . وعلى هذا فيعم ما أنزل الله التوراة ؛لأنها أيضاً تدعوا إلى الإسلام﴿ أَوَ لَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ[١٧٠]﴾الواو للحال ، أو العطف . والهمزة للرد والتـعـجيب . وجواب "لو" محذوف: أي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين . ولايهتـدون إلـى الـحـق لا تبـعـوهـم . وهـو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهـاد ، وأمـا اتباع الغير في الدين إذا علم بدليل ما أنه محق كالأنبياء والمجتهدين في الأحكام . فهو في الحقيقة ليس بتقليده بل اتباع لما أنزل الله.

﴿وَمَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدآء﴾على حذف مـضـاف تـقـديـره.ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق ، أو مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق . والمعنى أن الكفرة لإ نهما كهم في التقليد لا يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عـليهـم ، ولا يتـأمـلـون فيـمـا يـقـرر معهم . فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الـصـوت ولا تـعـرف مـغزاه . وتحس بالنداء ولا تفهم معناه . وقيـل: هو تمثيلهم في اتباع آبـائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولاتفهم ماتحته ،أو تـمثيـلهـم فـي دعـائهـم الأصـنـام بـالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم . وهذا يغني الإضمار ولكن لا يساعده قوله: إلا دعاء ونداء .

وإن بـنـي ذلك عـلـى أن كل ما هو مظنون المجتهد فهو حكم الله تعالى قطعا كما هو رأي البعض يكون ذكر وجوب العمل ضائعالامعنى له.

قوله: وعـدل بـا لـخـطـاب: يعني صرف عنهم الخطاب وذكروا بلفظ الغيبة لنداء الآخرين على ضلالتهم فإنهم أحقاء بأن يعرض عنهم ويصرف عن خطابهم لفرط جهلهم

قوله: على حذف مضاف:إما قبل الذين أو قبل الذي .

قوله:وقيل هو تمثيلهم: وهذا هو الوجه الثاني بعينه لا فرق بينهما إلا بأن المشبه به هنا نفس الذيالتى أريد بها البهائم وهناك المضاف المحذوف قبله .

لأن الأصنام لاتسمع إلا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾رفع على الذم ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ[١٧١]﴾أي بالفعل للاخلال بالنظر.

﴿يٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُلُوا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ﴾ لما وسع الأمر على الناس كافة و أباح لهم ما في الأرض سوى ما حرم عليهم أمر المومنين منهم أن يتحرّوا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال:﴿وَاشْكُرُوا لِلّٰهِ﴾على مارزقكم وأحل لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ[١٧٢]﴾إن صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه مولى النعم. فإن عبادته تعالى لا تتم إلا بالشكر ، فانّ المعلق بفعل العبادة هو الأمر بالشكر لإتمامه. وهو عدم عند عدمه . وعن النبي ﷺ " يقول الله تعالى إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري"﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾أكلها، أو الانتفاع بها. وهي التي ماتت من غير ذكاة ، والحديث ألحق بها ما أبين من حي. والسمك والجراد أخر جهما العرف عنها، أو استثناه الشرع. والحرمة المضافة إلى العين تفيد عرفاً حرمة التصرف فيها مطلقاً إلا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيْرِ﴾إنما خص اللحم بالذكر ؛ لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه كالتابع له ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهٖ لِغَيْرِ اللّٰهِ﴾ أي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم . والإهلال أصله رؤية الهلال . يقال: أهل الهلال وأهللته.

قوله: إلا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب: قد تقررفي علم البيان أن التمثيل ما يكون وجهه منتزعة من تعدد الطرفين فلا جرم أن يعتبر فى أحد هما ما اعتبر فى الآخر فبدون الدعاء والنداء فى الأصنام لا يصح التشبيه المركب .

قوله: إن صح أنكم تخصونه بالعبادة: أي إن صح أنكم تخصونه تعالىٰ بالعبادة، ولا تشركون به شيئا، وتعرفون أنه مولى النعم كلها، فأنتم مامو رون بالشكر ولا بد لكم أن تشكروه ليتم عبادتكم. وأما المشركون فلا يصح عبادتهم حتى يؤمروا بالشكر لاتمام العبادة ويدل على الا ختصاص تقديم المفعول .

قوله: والسمك والجراد أخرجهما العرف .يعني أن السمك والجراد وان كانا من الميتات إلا أن العرف أو الشرع استثنا هما لأنه إذاقيل: أكل فلان ميتة لم يسق الوهم إلى السمك والجراد كما لو قال: أكل دما لم يسبق إلى الكبد و الطحال. قال عليه الصلاة والسلام: أحلت لنا ميتتان ودمان.

قوله: أي رفع به الصوت عند ذبحه:وذلك قول الجاهلية باللات والعزىٰ .

لـكـن لـمـا جـرت العادة أن يرفع الصوت بالتكبير إذا رُئي سمي ذلك إهلالًا، ثم قيل لرفع الـصوت وإن كان لغيره ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ بالاستيثار عـلى مضطر آخر. وقرأ عاصم وأبـو عـمـروو وحمزة بكسر النون ﴿وَلَا عَادٍ﴾ سد الرمق ، أو الـجوعة . وقيل: غير باغ إلى الـوالي ولا عاد بقطع الطريق. فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقـول أحـمـد رحـمـهـمـاالله تـعـالـى ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تناوله﴿إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ﴾ لما فعل ﴿رَحِيْمٌ[١٧٣]﴾ بـالـرخـصة فيـه . فان قيل : إنما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر . قلت: المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقاً ، أو قصر حرمته على حال الاختيار، كأنه قيل: إنما حرم عليكم هذه الأشياء مالم تضطروا إليها.

﴿إِنَّ الَّـذِيْـنَ يَـكْـتُـمُـونَ مَـآ أَنْـزَلَ اللّٰهُ مِـنَ الْـكِـتٰـبِ وَيَشْتَرُونَ بِهٖ ثَمَناً قَلِيْلا﴾عوضاً حـقـيـراً﴿أُولٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ إما في الحال؛لأنهم أكلوا ما يلتبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار كقوله:

أَكَلْتُ دَماً إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضرةٍ　　بَعِيدة مَهوى القرطِ طيبة النَّشر

يـعني الدية، أو في المال:أي لا يأكلون يوم القيامة إلا النار. ومعنى في بطونهم ملء بطونهم . يقال: أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه كقوله :

كُلوا في بعضِ بَطنِكُمو تُعِفُّوا

قوله: بـالاستيثـار:أي طـلـب أن يـوثـر نفسه على ذلك المضطر الآخر بأن يتفرد بتناولها فيهلك الآخر .

قوله: الرمق: الرمق بقية الروح .

قوله: الـمراد قصرالحرمة على ما ذكر فيما استحلوه لا مطلقا:يعني أن هذا القصر إضـافـى لا حقيقى أي بالإ ضافة إلى ما حرمه الناس من المستلذات لا بالإضافة إلى جميع مـاعـداه حتى لا يـصـح لـوجـود مـحـرمـات أخرفعلى هذا فالصواب مما حر موه بدل مما استـحـلـوه كـمـا قيل أو مقيد بحال الاختيار بخلاف حرمة غيره فإن حرمته على الإطلاق لايختص بغير حال الاضطراب .

قوله: أكـلـت دمـا: مـعـناه كنت أكلت دية إن لم أخو فك بضرة أتزوجها عليك طـويلة العنق، طيبة الرائحة، ووجه الحلف بذلك أن أكل الدية عار عندهم لأنه يتضمن قتل أعزته .

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَومَ الْقِيٰمَةِ﴾عبارة عن غضبه عليهم . وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ﴿وَلَا يُزَكِّيْهِمْ﴾ لا يثني عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ[١٧٤]﴾مؤلم.

﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُ الضَّلٰلَةَ بِالْهُدٰىٰ﴾ في الدنيا ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والأغراض الدنيوية﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَىَ النَّارِ[١٧٥]﴾تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة . وما تامة مرفوعة بالابتداء . وتخصيصها كتخصيص قولهم .

شَرٌّ أَهَرَّذَا نَابٍ

أو استفهامية وما بعدها الخبر، أو موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ نَزَّلَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ﴾أي ذلك العذا ب بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب أو الكتمان﴿وَ إِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِى الْكِتٰبِ﴾اللام فيه إما للجنس. واختلافهم إيمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض ،أو للعهد. والإشارة إما إلى التوراة . واختلفوا بمعنى تخلفواعن المنهج المستقيم في تأويلها، أو خلفوا خلاف ماأنزل الله تعالى مكانه: أي حرفوا ما فيها، وإما إلى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر. وَتَقَوَّلَ وكلام علمه بشر وأساطير الأولين ﴿لَفِى شِقَاقٍ بَعِيْدٍ[١٧٦]﴾ لفى خلاف بعيد عن الحق﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾البر كل فعل مرضيّ . والخطاب لأهل الكتاب فإنهم أكثروا الخوض في أمرالقبلة حين حولت.وادعى كل طائفة أن البِرّ هو التوجه إلى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال: ليس البر ما أنتم عليه فإنه

قوله: لا يثنى عليهم: فيكون من تزكية الشواهد العدول وقيل لا يطهر من دنس الذنوب .

قوله: وتخصيصهامنه كتخصيص " شرأ هر ذاناب" يعني بتقديم الحكم، وأما إذا كان استفهامية فتخصيصها بالاستفهام .

قوله: أي لفي خلاف بعيد:أي بعيد عن المنهج المستقيم والهدى.

قوله: فانهم أكثروا الخوض في أمر القبلة:كانت اليهود قبل المغرب يحسب أفق مكة، والنصارى قبل المشرق، وأكثروا الخوض في أمر القبلة حين حولت وادعى كل من الفريقين أن البر هو التوجه إلى قبلته .

منسوخ . ولكن البر ما بيّنه الله واتبعه المومنون . وقيل: عام لهم وللمسلمين: أي ليس البر مقصوراً بأمر القبلة، أو ليس البر العظيم الذي يحسن أن تذهلوا بشأنه عن غيره أمرها. وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾أي ولكن البر الذي ينبغي أن يهتم به بِرّمن آمن بالله، أو لكن ذا البِر من آمن. ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار. والأول أوفق وأحسن، والمراد بالكتاب الجنس، أو القرآن . وقرأ نافع وابن عامرولكن بالتخفيف ورفع "البر"﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾. أي على حب المال قال عليه الصلاة والسلام لما سئل أي الصدقة أفضل فقال ﷺ:"أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر" وقيل: الضمير لله ،أو للمصدر . والجار والمجرور في موضع الحال ﴿ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ يريد المحاويج منهم، ولم يقيد لعدم الالتباس . وقدم ذوي القربى:لأن إيتاء هم أفضل كما قال عليه الصلاة والسلام " صدقتك على المسكين صدقة، وعلى ذوي رحمك اثنتان. صدقة وصلة" ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾جمع المسكين، وهو الذي أسكنته الخلة. وأصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ المسافر. سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق . وقيل الضيف لأن السبيل يرعف به ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾الذين ألجأتهم الحاجة إلى السؤال . وقال عليه السلام "للسائل حق وإن جاء على فرسه ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين، أو فك الأسارى ، أو ابتياع الرقاب لعتقها .

قوله: والأول أو فق وأحسن:أما إنه أوفق فلموا فقته قوله ليس البر.وأما إنه أحسن فلأن الكلام في أمر القبلةوهو بر.

قوله:والمراد بالكتاب الجنس أوالقرآن: الأول على تقدير أن الكتاب فى ذلك بأن الله نزل الكتاب للجنس والثاني على تقدير كونه للقرآن .

قوله: أو للمصدر: أي الإيتاء، يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه .

قوله: يريد المحاويج: جمع محووج كذا في القاموس .

قوله: كما سمي القاطع: أي للطريق.

قوله: لأن السبيل يرعف به: رعف الفرس إذا سبق ورعف به الطريق إذا قدمه والباء للتعدية .

﴿ وَأَقَامَ الصَّلوٰةَ﴾المفروضة﴿وَاٰ تَى الزَّكوٰةَ﴾يحتمل أن يكون المقصود منه ومن قوله: وآتى المال الزكاة المفروضة، ولكن الغرض من الأول ببيان مصارفها، ومن الثاني أداؤها والحث عليها. ويحتمل أن يكون المراد بالأول نوافل الصدقات أوحقوقاً كانت في المال سوى الزكاة . وفي الحديث" نسخت الزكاة كل صدقة" ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عٰهَدُوا﴾عطف على من آمن﴿ وَالصّٰبِرِينَ فِى الْبَأسَآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الأعمال . وعن الازهري : الباساء في الأموال كالفقر. والضراء في الانفس كالمرض ﴿ وَحِينَ الْبَأسِ﴾وقت مجاهدة العدو﴿أُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوا ﴾ في الدين واتباع الحق وطلب البر﴿ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ[١٧٧]﴾عن الكفر وسائر الرذائل . والآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها دالة عليها صريحاً أو ضمناً؛ فإنها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء : صحة الاعتقاد. وحسن المعاشرة . وتهذيب النفس. وقد أشير إلى الأول بقوله ﴿من آمن بالله﴾ إلى﴿والنبيين﴾ وإلى الثاني بقوله ﴿وآتى المال﴾ إلى ﴿وفى الرقاب﴾ وإلى الثالث بقوله:﴿ وأقام الصلاة ﴾ إلى آخرها؛ ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظراً إلى إيمانه واعتقاده وبالتقوى اعتباراً بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق . وإليه أشار بقوله عليه السلام " من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان".

﴿يـٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمنوا كُتب عَلَيكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلى الحُرُّ بِالحُرِّوَالعَبدُ بِالعَبدِ وَالْأُنْثٰى بِالْأُنْثٰى﴾ كان في الجاهلية بين حيّين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما طول على الآخر. فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى . فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله ﷺ فنزلت، وأمرهم أن يتباوأوا . ولا تدل على أن لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى.

قوله: ولكن الغرض من الأول بيان مصارفها: حيث قرن المصارف به .

قوله: نسخت الزكوٰة كل صدقة. أي وجوبها وعن الشعبي أن في المال حقا سوى الزكوٰة بهذه الآية.

قوله: يتباوأوا: أي يتساووامن "باء فلان بفلان" إذا صار كفواً له .

قوله: ولا تدل: ذكر في كتب الحنفية أن الشافعي قال: لا تقتل الحر بالعبد بهذا النص، وعندنا يجري بين الحر والعبد بقوله تعالىٰ:﴿ إن النفس بالنفس﴾ كما بين الذكر والأنثى، وأن هذه الآية منسوخة بقوله: إن النفس بالنفس، وبقوله عليه السلام: تكافؤا دمائكم

كـمـا لا تـدل عـلـى عكسه؛ فإن المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الـحـكم . وقد بينا ماكان الغرض .وإنما منع مالك والشافعي رضي الله تعالى عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده أوعبد غيره؛ لما روي عن على رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قتل عبده فـجـلـده الرسول ﷺ ونفاه سنة ولم يقده به. وروي عنه أنه قال من السنة أن لا يقتل مسلم بـذي عهـد، ولا حـر بـعبد. ولأن أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كانا لا يقتلان الحر بـالـعبـد بيـن أظهر الصحابة من غير نكير.وللقياس على الأطراف ومن سلم دلالته فليس له دعـوى نسـخه بقوله تعالى ﴿النفس بالنفس﴾[٥.المائدة:٤٥]لأنه حكاية ما في التوراة فلا يـنسـخ مـا فـي القرآن . واحتـجـت الـحنفية بـه عـلـى أن مـقـتـضـى الـعـمد القود وحده

وبـأن تـخـصـيـص الـحـكم بنوع لا ينفيه عن نوع اٰخر بل يبقى الحكم فيه موقوفا على ورود دليل آخر، فرد المصنف بأن الآية لاتدل على أن لا تقتل الحر بالعبد، فإن مفهوم المخالف إنـمـا يتـحـقـق بحيث لم يظهر لتخصيص غرض وفائدة سوى تخصيص الحكم، وههنا قد تـحـقـق غـرض وفـائدة أخرى: وهي أن الآية إنما نزلت للمفهوم وهي الواقعة في الجاهلية أعـنـي قتـل الـحـر بـالـعبد.وحاصله أن تقييد القتل بالحر لأجل المفهوم الذي هو قتل الحر بـالـعبـد فيكون التقييد بصريحه دالا على نفي قتل الحر بالعبد لا أنه بصريحه يدل على قتل الحر بالحر ويدل بالمفهوم على عدم قتل الحر بالعبد فلا يستدل الشافعي بها، وإنما استدل بما روي عن علي رضي الله تعالىٰ عنه وبالقياس على الأطراف، فإن عنده إذا قطع العبد يد حـر لا يـقـتـص خـلافـا لأبـي حنيفة وإن سلم دلالة الآية على لا يقتص الحر بالعبد فليس له دعـوى لـنسـخـه بـقـولـه:"الـنفس بالنفس" حتى لا ينتهض الآية حجة له؛لأنه حكاية مافي التـورلـة فـلا ينسخ ما في القرآن؛لأن شرط الناسخ تأخره عن المنسوخ، وإنماينسخ لو كان مـافـي التـوراة متعبد ا لنا، فحينئذ يكون من شريعتنا متأخر بالنسبة إلينا. وأجيب بأن شرائع من قبلنا سيما إذا ذكرت في كتابنا حجة، وكم مثلها فى أدلة أحكامنا حتى يظهر الناسخ .

قوله: واحتـجت الحنفية به:أي بقوله:" الحر بالحر والعبد بالعبد" على أن مقتضى العمد القود وحـده وهـو ضـعيف، إذ الـواجـب عـلى التخيير يصدق عليه أنه وجب وكتب ولذلك كان التخيير بين الـواجـب وغيـره لـيس نسـخاً لوجوبه كما في خصال الكفارة فإنه إذا أتى بأحدها يكون آتيابالواجب، وإنما يلزم ذلك لوكان وجه الاحتجاج بالآيةأنه لوكان التخيير بين القود والدية لم يبق القود واجبًا. أما إذا كان وجه الاحتجاج كما ذكر فى كتب الحنفية أن المفهوم من الآية القصاص فإيجاب المال زيادة .

وهو ضعيف؛ إذ الواجب على التخيير يصدق عليه أنه وجب وكتب ؛ ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخاً لوجوبه . وقرئ "كتب" على البناء للفاعل والقصاص بالنصب. وكذلك كل فعل جاء في القرآن ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيْهِ شَيْءٌ﴾ أي شيء من العفو؛ لأن "عفا" لازم، وفائدة الإشعار بأن بعض العفو كالعفو التام في إسقاط القصاص. وقيل:"عفي" بمعنى ترك ، و"شيء" مفعول به وهو ضعيف ؛ إذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل أعفاه . وعفا يعدى بـ"عن" إلى الجاني وإلى الذنب. قال الله تعالى ﴿عفا الله عنك﴾[٩. التوبة:٤٣] وقال﴿ عفا الله عما سلف﴾[٥. المائدة:٩٥] فإذا عدي به إلى الذنب عدي إلى الجاني باللام وعليه ما في الآية كأنه قيل: فمن عفي له عن جنايته من جهة أخيه. يعني ولي الدم . وذكره بلفظ الأخوّة الثابتة بينهما من الجنسية والإسلام ليرق له ويعطف عليه ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾أي فليكن اتباع، أو فالأمر اتباع. والمراد به وصية العافي بأن يطلب الدية بالمعروف فلا يعنف . والمعفو عنه بأن يؤديها بالإحسان: وهو أن لا يمطل ولا يبخس. وفيه دليل على أن الدية أحد مقتضى العمد. وإلا لما رتب الأمر بأدائها على مطلق العفو، وللشافعي رضي الله تعالى عنه في المسألة قولان ﴿ ذَلِكَ﴾ أي الحكم المذكور في العفو والدية ﴿تَخْفِيْفٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾لما فيه من التسهيل والنفع. قيل: كتب على اليهود القصاص وحده. وعلى النصارى العفو مطلقاً .

قوله: أي شيء من العفو: يريد أن "شيء" فى موقع المفعول المطلق المقيد الموصوف، مثل ضرب ضرب شديد؛لمافي تنكير"شيء" من الدلالة على ذلك. وله مفعول به لكن بواسطة حرف الجر وأسند إلى المصدر الفعل لكون المفعول بواسطة حرف الجر مساويا له ولغيره في جواز الإسناد إليه.

قوله: وإلا لما رتب الأمر باد ائها على مطلق العفو: يعني أ ن الدية إما أن يكون بدل صلح لا يكون إذا برضاء القاتل كما هو مذهب أبي حنيفة أوموجب القتل العمد كما هو مذهب الشافعي والأول منتف لترتبه على مطلق العفو بدون التقييد برضاالقاتل .

قوله: كتب على اليهود القصاص وحده. أي حرم العفو وأخذ الدية كذا في الكشاف. قيل: وفيه نظر لقوله تعالىٰ:﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ إلى قوله ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾

قوله: وعلى النصارى العفو مطلقا: أي حرم القصاص والدية .

وخيرت هذه الأمة بينهما وبين الدية تيسيراً عليهم وتقديراً للحكم على حسب مراتبهم ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾أي قتل بعد العفو وأخذ الدية ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ[١٧٨]﴾في الآخرة وقيل في الدنيا بأن يقتل لا محالة لقوله عليه السلام" لا أعافي أحداً قتل بعد أخذه الدية "

﴿وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده . وعرف القصاص ونكر الحياة ؛ ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم نوعاً من الحياة عظيماً . وذلك لأن العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ، ولأنهم كا نوا يقتلون غير القاتل ، والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم ، فإذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سبباً لحياتهم . وعلى الأول فيه إضمار وعلى الثاني تخصيص . وقيل: المراد بها الحياة الآخروية. فإن القاتل إذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة﴿ولكم في القصاص﴾ يحتمل أن يكونا خبرين لـ"حياة" وأن يكون أحدهما خبراً والآخر صلة له ، أو حالا من الضمير المستكن فيه . وقرئ في القصص أي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة ، أو في القرآن حياة للقلوب ﴿يَٰأُولِى الْأَلْبَابِ﴾ذوي العقول الكاملة. ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[١٧٩]﴾ في المحافظة على القصاص والحكم به والإذغان له ،أو عن القصاص فتكفوا عن القتل.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾أي حضرت أسبابه وظهرت أمارته .

قوله: على حسب مراتبهم:هذه الأمة ليعفو الفقير على الدية، ويقتص الغني، والمتبتل إلى الله تعالى يعفوه مطلقا .

قوله: وعلى الأول فيه إضمار: وعلى الثاني تخصيص. وذلك أن تقديره على الأول "ولكم في شرع القصاص نوع من الحيوة عظيم" وعلى الثاني يخرج القاتل والمقتول عن المخاطبين ؛إذهما ميتان بالقتل والاقتصاص، فالمراد بالقصاص نفس الاقتصاص لا شرع القصاص فلا إضمار .

قوله: ناداهم للتأمل: يعني أن الغرض من النداء التأمل فى حكمة القصاص لاالخطاب ؛لأن الخطاب حصل بـ" لكم" .

قوله: أو عن القصاص: أي لعلكم تتقون وتحترزون عن القصاص:أي قتل أنفسكم فتكفوا عن القتل.

﴿إِنْ تَـرَكَ خَيْراً﴾ أي مالاً، وقيل: مالاً كثيراً؛ لما روي عن علي رضي الله تعالى عنه "أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة درهم ، فمنعه وقال: قال الله تعالى: إن ترك خيراً. والخير هو المال الكثير" وعن عائشة رضي الله تعالى عنها"أن رجلاً أراد أن يوصي فسألته كم مالك فقال : ثلاثة آلاف، فقالت: كم عيالك قال: أربعة قالت: إنما قال الله تعالى: إن ترك خيراً، وأن هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك"﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِيْنَ﴾ مرفوع بـ"كتب" وتذكير فعلها للفصل، أو على تأويل أن يوصي،أو الإيصاء؛ ولذلك ذكر الراجع في قوله ﴿فَمَنْ بَدَّ لَهُ﴾ والعامل في "إذا" مدلول "كتب" لا الوصية لتقدمه عليها. وقيل مبتدأ خبره للوالدين ، والجملة جواب الشرط بإضمار الفاء كقوله .

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللّٰه يَشكُرها وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللّٰه مِثْلَانِ

ورُدَّ بأنه إن صح فمن ضرورات الشعر. وكان هذا الحكم في بدء الإسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه الصلاة و السلام: "إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث" وفيه نظر:لأن آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث إنها تدل على تقديم الوصية مطلقاً . والحديث من الآحاد ، وتلقي الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر، ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين بقوله: يوصيكم

قوله: وتذكير فعلها للفصل. أي لم يلحقه التاء لأجل وقوع الفاصل بين الفعل وفاعله، أولكون المصدر بمعنى "أن والفعل":أي أن يوصى. وهذا وجه حسن للتذكير واختياره وإلا فهو جائز فى المؤنث الغير الحقيقي بلا فصل .

قوله: والعامل في "إذا"مدلول كتب:أي مدلوله الالتزامى وهو الوجوب لانفسه؛ لأن الكتاب وهو الحكم أي خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين قديم لايكون في زمن. قال الجوهري: الكتاب: الفرض والحكم والقدر.

قوله: من حيث أنها تدل على تقديم الوصية مطلقا: أي لوارث ولغيره حيث ذكر فيها من بعد وصية .

قوله: وتلقى الأمة له بالقبول: يريد أن السلف وإن نقلته على طريق الأحاد لكن الخلف الحقته بالمتواتر لتلقيهم إياه بالقبول أي أجمعوا على صحته ونسخوا القرآن به فالجواب عنه أن التلقي بالقبول لا يخرجه عن حدالأحاد إلٰى حد المتواتر حتٰى يلحق به .

قوله: ولعله احترز عنه:أي احترز عن النسخ من فسر "الوصية" بالإيصاء.

الله ،أو بإيصاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى به الله عليهم ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾بالعدل فلا يفضل الغنى ، ولا يتجاوز الثلث ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ[١٨٠]﴾مصدر مؤكد أي حق ذلك حقاً.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ غيره من الأوصياء والشهود ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾أي وصل إليه وتحقق عنده ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ فما إثم الإيصاء المغير أو التبديل، إلا على مبدليه لأنهم خافوا وخالفوا الشرع ﴿إِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ[١٨١]﴾وعيد للمبدل بغير حق.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوْصٍ﴾ أي توقع وعلم من قولهم أخاف أن ترسل السماء . وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبوبكر مُوَصٍّ مشدداً﴿ جَنَفًا﴾ ميلاً بالخطأ في الوصية﴿أَو إِثْمًا﴾ تعمداً للجنف﴿ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الموصى لهم بإجرائهم على نهج الشرع ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في هذا التبديل؛لأنه تبديل باطل إلى حق بخلاف الأول﴿ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيم[١٨٢]﴾وعد للمصلح. وذكر المغفرة لمطابقة ذكرالإثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم.

﴿يٰأَيُّهَاالَّذِيْنَ اٰمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُم﴾يعني الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام . وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب على النفس. والصوم في اللغة :الإمساك عما تنازع إليه النفس . وفي الشرع: الإمساك عن المفطرات بياض النهار. فإنها معظم ما تشتهيه النفس ﴿ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ[١٨٣] ﴾المعاصي، فإن الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه الصلاة والسلام " فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء "

المذكور فى قوله تعالى ﴿يوصيكم الله فى أو لادكم﴾ وقال؛ معناها"كتب عليكم" ما أوصٰى به الله من توريث الوالدين والأقربين بقوله تعالى ﴿يوصيكم الله فى أولادكم﴾ أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم عليهم وأن لا ينقص من إيصائهم .

قوله: أي توقع وعلم:لا خفاء أنه لا معنى للخوف من الميل والإثم سيما بعد الوقوع فلهذا ذهبوا إلى أن الخوف في مثل هذا الموقع مستعمل فيما يلزمه من التوقع والظن الغالب بل بمعنى العلم. قال الواحدي: الخوف يستعمل بمعنى العلم، وذلك أن القائل إذا قال أخاف أن يقع أمر كذا كأنه يقول: أعلم وإنما يخاف لعلمه بوقوعه فاستعمل فى العلم .

قوله: بإجرائهم على نهج الشرع. بأن يرد الوصية إلى الثلث .

قوله: تنازع إليه النفس. قال الجوهري: نزع إلٰى أهله ينزع نزعا إذا اشتاق .

قوله: وجاء الخ: الوجاء نوع من الخصاء وهو أن ترض عروق الأنثيين ويترك الخصيات أي أنه يقطع شهوة الجماع كقطعها الخصاء .

أو الإخلال بأدائه لأصالته وقدمه.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾مؤقتات بعدد معلوم، أو قلائل؛ فإن القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلاً، ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل بإضمار"صوموا" لدلالة الصيام عليه . والمراد به رمضان، أو ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به ، وهو عاشوراء أو ثلاثة أيام من كل شهر، أو بـ"كما كتب" على الظرفية ،أو على أنه مفعول ثان لـ"كتب" عليكم على السعة . وقيل معناه: صومكم كصومهم في عدد الأيام ؛ لما روي أن رمضان كتب على النصارى فوقع في برد أو حر شديد فحولوه إلى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله . وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيْضًا﴾ مرضاً يضره الصوم أو يعسر معه ﴿ أو عَلٰى سَفَرٍ﴾ أو راكب سفر . وفيه إيماء إلى أن من سا فر أثناء اليوم لم يفطر ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾أي فعليه صوم عدد أيام المرض ، أو السفر من أيام أخر إن أفطر، فحذف الشرط والمضاف والمضاف إليه للعلم بها . وقرئ بالنصب أي فليصم عدة . وهذا على سبيل الرخصة . وقيل: على الوجوب وإليه ذهب الظاهرية، وبه قال

قوله: ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما: قال صاحب الكشاف: وانتصاب "أياماً" بالصيام، ورد عليه المصنف بأن نصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما، قال في التسهيل وشرحه التعليق: ومعموله كصلة في منع فصله منه، ويضمر عامل فيما، أوهم خلاف ذلك والرضي: جوز الفصل بينهما بالأجنبي فقال: ويجوز أيضا الفصل بينه وبين معمو له فلا يقدرالفعل لقوله تعالٰى:﴿أياما معدودات﴾ انتهٰى .

قوله: على السعة:أي جعله مفعولا به، والأصل"في أيام معدودات". فإن قيل: ما وجه تخصيص السعة إذا كان متعلقا بكتب؟ قلت: لعل وجه تخصيص السعة المبالغة في إتيان الصوم والتاكيد فيه كما في قوله:"يا سارق الليلة أهل الدار" حيث جعل الليل مسروقا والمعنى على الظرفية .

قوله: وقيل زادواذلك لموتان. كتب على أهل الإنجيل رمضان فأصابهم موتان فزادوا عشراً قبله وعشراً بعده فجعلوه خمسين يوما والموتان بضم الميم موت الماشية .

قوله: أو راكب سفر. إشارة إلٰى أن كلمة"على" استعارة تبعية شبه تلبسه بالسفر باستعلاء الراكب واعتلائه على المركوب يتصرف فيه كيف يشاء، وإلا فمجرد الظرف لايدل إلا معنى الكون .

قوله: وفيه إيماء إلٰى أن من سافر في أثناء اليوم لم يفطر؛لأنه ليس براكب سفر لما فيه من شائبة إقامة لأنه مقيم في بعض اليوم .

أبو هريرة رضي الله عنه ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيْقُونَهُ﴾ وعلى المطيقين للصيام إن أفطروا ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِيْنٍ﴾ نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق. ومُدّ عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك أول الأمر لما أمروا بالصوم فاشتد عليهم ،لأنهم لم يتعودوه ثم نسخ . وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان بإضافة الفدية إلى الطعام وجمع المساكين . وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير إضافة الفدية إلى الطعام . والباقون بغير إضافة و توحيد مسكين . وقرئ يطوقونه أي يكلفونه ويقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة، أو القلادة . ويطوقونه أي يتكلفونه، أو يتقلدونه . ويطوقونه بالإدغام . ويطيقونه على أن أصلهما يطيقونه من فيعل وتفعيل بمعنى يتطيقونه، وعلى هذه القراء ت يحتمل معنى ثانياً وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده . وهم الشيوخ والعجائز في الإفطار والفدية فيكون ثابتاً، وقد أول به القراء ة المشهورة أي يصومونه جهدهم وطاقتهم ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً﴾ فزاد في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ فالتطوع أو الخير ﴿خَيْرٌ لَّهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ أيها المطيقون،أو المطوقون وجهدتكم طاقتكم،أو المرخصون في الإفطار ليندرج تحته المريض والمسافر ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفدية أو تطوع الخير أو منهما ومن التأخير للقضاء ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ[١٨٤]﴾ ما في الصوم من الفضيلة وبراء ة الذمة. وجوابه محذوف دل عليه ما قبله أي اخترتموه. وقيل معناه إن كنتم من أهل العلم والتدبر علمتم أن الصوم خير لكم من ذلك ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ مبتدأ خبره ما بعده، أوخبر مبتدأ محذوف تقديره: ذلكم شهر رمضان ، أو بدل من الصيام على حذف المضاف: أي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان . وقرئ بالنصب على إضمار "صوموا"، أو على أنه مفعول. وأن تصوموا وفيه ضعف، أو بدل من أيام معدودات.والشهر:من الشهرة . ورمضان: مصدر رمض إذا احترق فأضيف إليه الشهر وجعل علماً ومنع من الصرف للعلمية والألف والنون.

قوله:مبتدأ خبره مابعده:فالمبتدأ ضمير يعود إلى "أياماًمعدودات"أو إلى "الصيام"بتأويل المذكور.

قوله: وفيه ضعف: لأن فيه فصلا بين العامل والمعمول بالخبر، سيما معمول هو بمنزلة جزء من الكلمة؛لأن"أن" المصدرية حرف مو صول والفعل مع ما في خبره صلة لها.

قوله: وجعل علما:أي مجموع المضاف والمضاف إليه علما وإلا لم يحسن إضافة" شهر"إليه كما لايحسن" إنسان زيد" ولهذا لم يسمع "شهر رجب" ومع ذلك المضاف إليه حكمه حكم العلم أيضاً كما في" ابن داية" للغراب فيمنعون من الصرف مع أنه جزء من العلم كذا في بعض شروح الكشاف .

كمامنع دأية في ابن دأية علما للغراب للعلمية والتأنيث . وقوله عليه الصلاة والسلام " من صام رمضان " فعلى حذف المضاف لأمن الالتباس . وإنما سموه بذلك إما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش ، أو لا رتماض الذنوب فيه، أو لوقوعه أيام رمض الحر حيث ما نقلوا أسماء الشهورعن اللغة القديمة ﴿الَّذِىٓ أُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْآنُ﴾أي ابتدئ فيه إنزاله، وكان ذلك ليلة القدر،أو أنزل فيه جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل منجماً إلى الأرض، أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله ﴿ كتب علكيم الصيام ﴾ وعن النبي ﷺ"نزلت صحف إبراهيم عليه السلام أول ليلة من رمضان ؛ وأنزلت التوراة لستّ مضين . والإنجيل لثلاث عشرة . والقرآن لأربع وعشرين "والموصول بصلته خبر المبتدأ أو صفته والخبر" فمن شهد" . والفاء لو صف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط. وفيه إشعار بأن الإنزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم ﴿ هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنٰتٍ مِّنَ الْهُدىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾حالان من القرآن :أي أنزل وهو هداية للناس بإعجازه وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق. ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافراً فليصم فيه . والأصل فمن شهد فيه فليصم فيه . لكن وضع المظهر موضع المضمر الأول للتعظيم . ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع . وقيل: فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول به كقولك: شهدت الجمعة أي صلاتها فيكون ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيْضًا أَوْ عَلٰى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾مخصصاً له؛

قوله: ونصب على الظرف:لأن الفاء في قوله "فمن شهد" لتفصيل ما أجمل في قوله:" شهر رمضان" من وجوب التعظيم. وذلك أن إجراء الصفة عليه أوجب تعظيمه على مدركه، ومدركه إما حاضرأ ومسافر، فمن كان حاضرا فحكمه كذا ومن كان مسافرا فيه فكذا، ولا يحسن أن يقال من أدرك الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فليقض، لأن المقيم والمسافر شاهدان للشهر، وعطف الشرط على الشرط على سبيل التفصيل يقتضي المغايرة وهذا يرجح كون الشهر مفعولا فيه لا مفعول به، و لهذا ذهب إليه أكثر المفسرين لأنه على تقدير كونه مفعولا به، يكون﴿من شهد منكم الشهر﴾عاما متناولا للمسافر والمريض والصحيح المقيم فلا يحسن عطف ﴿ومن كان مريضاأو على سفر﴾ عليه.

قوله: فيكون. أي على تقدير أن يكون شهد من "شهده شهودا" أي حضره يكون قوله﴿ ومن كان مريضًا﴾مخصصا لقوله﴿ فمن شهد منكم الشهرفليصمه﴾ لأنه على هذا التقدير عام شامل لهما بخلاف ماإذا كان "من شهد" بمعنى حضرخلاف سافر.

لأن المسافر والمريض ممن شهد الشهر، ولعل تكريره لذلك، أو لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه ﴿يُرِيدُ اللّٰه بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾ أي يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر؛ فلذلك أباح الفطر في السفر والمرض ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللّٰه عَلىٰ مَاهَدٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥] ﴾ علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق: أي وشرع جملة ماذكر من أمر الشاهد بصوم الشهور والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما أفطر فيه، والترخيص لتكملوا العدة إلى آخرها على سبيل اللف؛ فإن قوله "ولتكملوا العدة" علة الأمر بمراعاة العدة، "ولتكبرواالله" علة الأمر بالقضاء وبيان كيفيته. و"لعلكم تشكرون" علة الترخيص والتيسير. أو الأفعال كل لفعله، أو معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم، أو لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا العدة . ويجوز أن يعطف على اليسر: أي ويريد بكم لتكملوا كقوله تعالى ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله﴾ والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه؛ ولذلك عدى بـ"على" وقيل: تكبير يوم الفطر. وقيل: التكبير عند الإهلال، و"ما" يحتمل المصدر والخبر أي الذي هداكم إليه. وعن عاصم برواية أبي بكر و"لتكمّلوا" بالتشديد.

قوله: ولعل تكريره لذلك. أي للتخصيص أولئلايتوهم نسخه كمانسخ قرينه أعني ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ لأن الأكثر على أنه منسوخ بقوله: ﴿ فمن شهدمنكم الشهر فليصمه﴾ .

قوله: أو لأفعال. أي أوهي علل لأفعال كل منها علة لفعله ﴿فلتكملوا العدة﴾ علة الأمر بمراعاة العدد ﴿ولتكبر وا الله﴾ علة الأمر بالقضاء وبيان كيفيته﴿ ولعلكم تشكرون﴾ علة الترخيص والتيسر.

قوله: أومعطوفة على علة مقدرة :وهي علة لفعل محذوف أي شرع لكم وبين وجوب الصوم على الصحيح المقيم ورخصة إفطار المريض والمسافر ليسهل عليكم ولتكملوا الخ أو لتعلموا ما تعملون ولتكملوا.

قوله: ﴿لتكملوا العدة﴾. أي يريد بكم إكمال العدة وتكبير الله وإرادة الشكر كمافي قوله: ﴿ يريدون ليطفؤوا نور الله﴾ أي إطفاء نوره وقوله تعالىٰ ﴿ يآأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ أي إرادة التقوى فاللام مزيدة في مفعول الارادة لقصد التاكيد لما فيه من معنى الارادة مثل: جئتك لإ كرامك، وأعترض عليه بأن زيادة اللام في مفعول الإرادة لقصد التاكيد إنما يحسن إذا لم يلتبس وههنا العطف على اليسر مع التخطي عن العسر الأقرب وارتكاب وقوع الفصل ملبس .

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ أي فقل لهم إني قريب . وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم . روي" أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه" فنزلت ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ تقرير للقرب ، ووعد للدواعي بالإجابة ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى﴾إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم ﴿وَلْيُؤْمِنُوابِى﴾ أمر بالثبات والمداومة عليه ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ[١٨٦]﴾ راجين إصابة الرشد وهوإصابة الحق. وقرئ بفتح الشين وكسرها . واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة . وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم ، سميع لأقوالهم ، مجيب لدعائهم ، مجازيهم على أعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه . ثم بين أحكام الصوم فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ روي " أن المسلمين كانوا إذا أمسوا حل لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الآخرة أو يرقدوا. ثم إن عمر رضي الله تعالى عنه با شر بعد العشاء فندم وأتى النبي ﷺ واعتذرإليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت" وليلة الصيام : الليلة التي تصبح منها صائماً . والرفث: كناية عن الجماع ؛ لأنه لا يكاد يخلو من رفث وهوالإفصاح بما يجب أن يكنى عنه . وعدي بـ"إلى" لتضمنه معنى الإفضاء : وإيثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه؛ ولذلك سماه خيانة . وقرئ الرفوث﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُم لِبَاسٌ لَّهُن﴾استيناف يبين سبب الإحلال وهو قلة الصبر عنهن . وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة . ولما كان الرجل

قوله: وهو تمثيل لكمال علمه. يعني أن القرب حقيقة في القرب المكاني وهو على الله محال فاستعمل في حال الشبيه بحال من قرب مكانه مع اعتبارعدة امور ليكون لفظ قريب استعارة تبعية تمثيلية .

قوله: بعد العشاء :أي بعد صلوٰة العشاء كذا في الكشاف .

قوله: لأنه لايكاد. أي الجماع لا يخلوا من رفث أي إفصاح وإظهاربما يجب أن يكنى عنه .فإن قيل: فلم آثرهنا لفظ الرفث الدال على التقبيح دون لفظ الافضاء والمباشرة وغيرهما مع أن الواجب أن يكنى عنه؟. قلنا: لأجل استقباح ما ارتكبوه قبل الاباحة كما سماه اختيانا في قوله:﴿كنتم تختانون أنفسكم﴾ .

والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منها على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي:

إِذَا مَا الضَجِيعُ ثَنَّى عِطْفَهَا تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسَا

أو لأن كل واحد منها يسترحال صاحبه ويمنعه من الفجور ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تظلمونها بتعريضها للعقاب، وتنقيص حظها من الثواب . والاختيان أبلغ من الخيانة كا لا كتساب من الكسب ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ لما تبتم مما اقترفتموه ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ ومحاعنكم أثره ﴿فَالْئَنَ بَاشِرُوهُنّ﴾ لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن . والمباشرة. إلزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾ واطلبوا ما قدره لكم وأثبته في اللوح المحفوظ من الولد. والمعنى أن المباشرأن يكون غرضه الولد فإنه الحكمة من خلق الشهوة . وشرع النكاح لاقتضاء الوطر. وقيل: النهي عن العزل. وقيل: عن غير المأتي. والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين: أبيض وأسود. واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله: من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه . وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل .

قوله: شبه باللباس. أي شبه كل واحد منهما باللباس المشتمل على صاحبه.

قوله: إذاما الضجيع: الضجيع: المضاجع، ثنى عطفها: مال شقها، تثنت: مالت .

قوله: كا لاكتساب: من الكسب: أي أبلغ من الكسب .

قوله: وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم. أي حلله وهو القبل دون مالم يكتب لكم من المحل المحرم وهو الدبر.

قوله: من الفجر المعترض في الأفق. احتراز عن المستطيل وهو الفجر الكاذب فانه ليس منتهى الليل، والغبش بالتحريك البقية من الليل، وبقاء ظلمة آخر الليل .

قوله: عن بيان الخيط الأسود. بغبش الليل وظلمته.

قوله: وبذلك خرجاعن الاستعارة إلى التمثيل. أي التشبيه لذكر المشبه كما أن قولك رأيت أسدا استعارة فاذا زدت من فلان رجع تشبيها. فإن قيل: فلم زيد"من الفجر" حتى كان تشبيها وهذا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه لما فيها من إدعاء كون المشبه من جنس المشبه به لاأمرا مغايراله مشبها به. قلنا: لأن من شرط المستعار أن

و يـجوز أن تكون من للتبعيض فـإن مـا يبدو بعض الفجر . ومـا روي أنها نزلت ولـم يـنزل "من الفجر" .فـعـمـد رجال إلى خيطين: أسود وأبيض، ولا يزالون يأكلون ويشربون حتـى يتبينـا لهـم فـنـزلـت.إن صح فلعله كان قبل دخول رمضان. وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جا ئز،أو اكتفى أولاً باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهـم . وفـي تـجـويـز الـمبـاشـرة إلى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم الـمـصبـح جـنباً ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾بيان لأخر وقته، وإخراج الليل عنه فينفي صوم الـوصـال ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾معتكفون فيها . والاعتكاف.: هي الـلبـث في المسجد بقصد القربة . والمراد بالمباشرة :الوطء . وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيـخـرج إلى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك .وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في

يـدل عـليـه الـحـال أو الـكـلام، ولـو لـم يـذكر "من الفجر" لم يعلم أن الخيطين مستعاران فزيد"من الفجر" فكأن تشبيها بليغا وأخرج عن أن يكون استعارة .

قوله: ويجوز أن يكون من للتبعيض. فيكون من الفجر بدلا من الخيط الأبيض.

قوله:وما روي أنها نزلت ولم ينزل "من الفجر". جواب سوال أنها نزلت ولم ينزل "مـن الـفـجـر" فـكيف يـكـون" مـن الفجر" بيانًا لخيطين؟. وتقرير الجواب أن من لايجوّز تـاخيـرا لبيـان وهـم أكثر الفقهاء والمتكلمين فلم يصح عندهم هذا الحديث، وأمامن يجوّزه فـلـعـل ذلك قبـل دخـول رمـضـان، ونـزل "من الفجر" عنددخوله، وتاخير البيان إلى وقت الحاجة جائز، والحاجة ماسة عند دخول رمضان .

قوله: وفـى تـجـويـز المباشرة إلى الصبح الدالة الخ. وذلك أن المباشرة إذا كانت مباحة إلى الصبح لم يكن الاغتسال إلا بعد الفجر.

قوله: وفيـه دليـل على أن الاعتكاف يكون في المسجد. قيل وجه الدفع ظاهر بل ربـمـا يدعي دلالته على أن الاعتكاف قد يكون في غير المسجد وإلا لماكان للتقييد فائدة وإنما الخفاء في وجه الدلالة وهو أن المباشرة حرام في الاعتكاف إجماعا فلو لم يكن ذكر فـي الـمسـاجـد لبيان أن الاعتكاف لايكون إلا في المسجد لزم اختصاص حرمة المباشرة باعتكاف يكون في المسجد وهو باطل وفاقا .

المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد . وأن الوطء يحرم فيه ويفسده ؛لأن النهي في العبادات يوجب الفساد﴿تِلْكَ حُدُودُاللّٰهِ﴾أي الأحكام التي ذكرت﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ نهى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلاً عن أن يتخطى عنه. كما قال عليه الصلاة والسلام: " إن لكل ملك حمًى وإن حمَى اللّٰه محا رمه فمن رتع حول الحمٰى يوشك أن يقع فيه " وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها . ويجوز أن يراد بحدوداللّٰه محارمه ومناهيه ﴿كَذٰلِكَ﴾مثل ذلك التبيين﴿يُبَيِّنُ اللّٰهُ اٰيٰتِهٖ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ[١٨٧]﴾ مخالفة الأوامر والنواهي.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾أي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه اللّٰه تعالى . و"بين" نصب على الظرف،أو الحال من الأموال ﴿وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ﴾ عطف على المنهي، أو نصب بإضمار "أن" والإدلاء: الإلقاء؛ أي ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيْقًا﴾طائفة﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ بما يوجب إثما ؛ كشهادة الزور واليمين الكاذبة ، أو ملتبسين بالإثم ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ[١٨٨]﴾أنكم مبطلون . فإن ارتكاب المعصية مع العلم بها أقبح . روي "أن عبدان الحرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة من أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول اللّٰه ﷺ بأن يحلف امرؤ القيس" .

قوله: ولا يختص بمسجد دون مسجد: حيث نهي عن المباشرة في اعتكاف المساجد كلها. وقال سعيدبن المسيب: لايجوز إلا في مسجد المدينة وهو لنبينا صلى ا للّٰه عليه واله وسلم، والمسجد الحرام وهو لإبراهيم عليه السلام، وضم بعض العلماء إليهما المسجد الأقصى وهو لبعض الأنبياء عليهم السلام. والقول بأنه لا يجوز إلا في مسجد محكي عن الزهري وابن المنذر وقول العامة لا يخالف عموم الآية لأن المرادبمسجد الجماعة ما أذن في إقامة الجماعة حتى لا يجوز في مسجد البيت أي الموضع الذي هيأه من بيته للصلاة فانه لا يدخل في إطلاق المسجد. وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ أنه لا يجوز إلا في مسجد له إمام ومؤذن معلوم ويصلى فيه الصلوٰت الخمس بالجماعة .

قوله: أي تلك الأحكام التى ذكرت: يعني أن باشروا وابتغوا و كلوا واشربوا واتموا الصيام ولا تباشر وهن حدوداللّٰه حاجزات بين الأمور التى هي الحق والأمور التي هي الباطل وقس عليه النواهي فلا تقربوها بالمخالفة فضلا عن أن يتعداها فهو أبلغ من

"لاتعتدوها" وفيه دفع للسوال وهو أن "لاتعتدوها" لا يمنع عن القربان ولا تقربوها يمنع عنه. فهم به فقرأ رسول الله ﷺ ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾[٣. آل عمران:٧٧] الآية . فارتدع عن اليمين . وسلم الأرض إلى عبدان . فنزلت: وفيه دليل على أن القاضي لا ينفذ باطناً . ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام "إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي. ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض . فأقضي له على نحو ما أسمع منه . فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقضي له قطعة من نا ر"

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا: (مابال الهلال يبدو دقيقاً كالخيط. ثم يزيد حتى يستوي . ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا) ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ فإنهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل أمره . فأمره الله أن يجيب بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن تكون معالم للناس يؤقتون بها أمورهم . ومعالم للعبادات المؤقتة يعرف بها أو قاتها. وخصوصاً الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء . والمواقيت : جمع ميقات . من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان. أن

قوله: وفيه دليل على أن حكم القاضي لا ينفذ باطنا: إذلو نفذ باطنا وكان حقا عند الله لارتفع الاثم .

قوله: فأمره الله أن يجيب بأن الحكمة الظاهرة. فعلى هذا يكون السؤال عن الحكمة والجواب بالحكمة أيضا وإنما أمرالله تعالى أن يجيب بالحكمة الظاهرة لما أن الحكمة الخفية التي يترتب على الأوضاع الفلكية بين الشمس والقمر التي لا يعلمها إلا المنجم لا يلا ئم بحالهم. وقيل: إنه من الأسلوب الحكيم بأن يكون السوال عن السبب والجواب بالحكمة والغرض تنبيها على أن اللائق بحالهم والمهتم لهم أن يسألوا عن الغرض لاعن السبب لما فيه من دقائق الهيئة.

قوله: أن يكون معالم للناس يو قتون بها أمورهم: وذلك أن بدوالهلال كالخيط علامة إبتداء الشهر والاجتماع أعني المحاق علامة تمام الشهر. وقس عليه بقية الأحوال. والأعوام مركبة من الشهور. والشهور والأعوام وكذا أجزاء هما أوقات خاصة لآجال الناس وتعليقاتهم بخلاف ما إذا لم يكن اختلاف حال القر بان لم يكن بينهما محاذاة فانه لا يعلم حينئذالشهور والأعوام إلا بمراجعة المنجم ؛فان الشهرالقمري تمام الدور القمري المنقسم على الأيام ولادليل عليه حينئذ حتى يعلم كما أن الشمسية لا يعلم بدون مراجعة المنجم .

المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها. والزمان : مدة مقسومة .
والوقت : الزمان المفروض لأمر : ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾وقرأ أبو عمر و وورش بضم الباء . والباقون بالكسر﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى﴾وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف ولكِنْ . ورفع البر. كانت الانصار إذا أحرموا لم يدخلوا داراً ولا فسطاطاً من بابه . وإنما يدخلون من نقب أو فرجة وراء ه . يعدون ذلك براً . فبين لهم أنه ليس ببر وإنما البر من اتقى المحارم والشهوات. ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الأمرين . أو أنه لما ذكر أنها مواقيت الحج وهذا أيضاً من أفعالهم في الحج ذكره للاستطراد. أو أنهم لما سألوا عماً لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة. عقب بذكره جواب ما سألوا تنبيهاً على أن اللائق بهم أن يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها . أو أن المراد به التنبية على تعكيسهم في السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه . والمعنى: وليس البر بان تعكسوا مسائلكم ولكن البر برمن اتقى ذلك ولم يجسر على مثله﴿وَأْتُواالْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ إذ ليس في العدول بر فباشروا الأمور من وجوهها ﴿وَاتَّقُوااللّٰهَ﴾في تغير أحكامه والاعتراض على أفعاله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[١٨٩]﴾لكي تظفروا بالهدى والبر.

﴿وَقَاتِلُوا فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾جاهدوا لإعلاء كلمته وإعزاز دينه . ﴿الَّذِيْنَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ قيل: كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين . وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء. أو الكفرة كلهم فإنهم بصدد قتال المسلمين وعلى

قوله: والزمان مدة مقسومة:لأن الزمان مقدارحركة الفلك الأعظم، والحركة أمر تدريجي لا آني، فيكون منقسما فكذامقداره.

قوله: والوقت الزمان المفروض لأ مر: كوقت الصلوٰة للصلوٰة ووقت الحج للحج .

قوله: بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت. يعني أن مثلهم في التعكيس كمثل من ترك باب البيت ويدخله من ظهره.

قوله: قيل: كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة. ثم نسخ بقوله:﴿ وقاتلوا المشركين كافة﴾والمقاتلون الذين يناجزونكم القتال والمحاجزون الذين يمتنعون عن القتال.

قوله: أو الكفرة كلهم. أي المشركون وأهل الكتاب لأنهم بصدد قتال المسلمين قاصدين له فهم في حكم المقاتل قاتلوا أولم يقاتلوا .

قصده . ويؤيد الأول ماروي "أن المشركين صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية ، وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة . شرفها الله . ثلاثة أيام ، فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يوفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم ،أو الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت﴿ وَلَا تَعْتَدُوا﴾بابتداء القتال ، أو بقتال المعاهد ،أو المفاجأة به من غير دعوة ، أو المثلة،أو قتل من نهيتم عن قتله ﴿إِنَّ اللّٰهَ لَايُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ[١٩٠]﴾لا يريد بهم الخير.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾حيث وجدتموهم في حل أو حرم. وأصل الثقف:الحذق في إدراك الشيء علماً كان أو عملاً، فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال:

فَأَمَّا تَثْقِفُوني فَاقْتُلُوْنِي فَمَنْ أُثْقِفْ فَلَيْسَ إلى خُلُودِ

﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي من مكة ، وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾أي المحنة التي يفتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها، وقيل: معناه شركهم في الحرم وصدهم إياكم عنه أشد من قتلكم إياهم فيه ﴿وَلَا تُقٰتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتّٰى يُقٰتِلُوكُمْ فِيْهِ﴾ أي لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام ﴿ فَإِنْ قٰتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فلاتبالوا بقتالهم ثمه؛ فإنهم الذين هتكوا حرمته. وقرأ حمزة والكسائي: ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فيه فإن قاتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم: قتلنا بنوأسد ﴿كَذٰلِكَ جَزَآءُ الْكٰفِرِينَ[١٩١]﴾ مثل ذلك جزاؤ هم يفعل بهم مثل ما فعلوا.

﴿فَإِنْ انْتَهَوْا﴾ عن القتال والكفر.﴿فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيْمٌ[١٩٢]﴾ يغفرلهم ما قد سلف ﴿وَقٰتِلُوهُمْ حَتّٰى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّيْنُ لِلّٰهِ﴾ خالصاً له ليس للشيطان فيه نصيب ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الشرك ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظّٰلِمِيْنَ[١٩٣]﴾ أي فلا تعتدوا على

قوله: أوقتل من نهيتم عن قتله. من المشائخ والصبيان والرهبان والنساء.

قوله: الحذق:أي المهارة يقال:حذق الصبي القرآن، والعمل يحذق حذقا وحذاقة إذا مهر فيه.

قوله: فأما تثقفوني:أي فإن تدركوني أيها الأعداء وقدرتم على قتلي فاقتلوني؛ فإن من أدركته منكم فليس صائرا إلى بقاء ولاأخليته بل أقتله .

قوله: والمعنى حتى يقتلوا بعضكم .لأنهم لو قتلوا جميعا فكيف يومرون بقتل المشركين أو ينهون عنه .

المنتهين؛إذ لا يحسن أن يظلم إلا من ظلم ، فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله:﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم﴾[٢. البقرة: ١٩٤] أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الأمر عليكم . والفاء الأول للتعقيب، والثانية للجزاء .

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه، وكرهوا أن يقاتلوهم فيه لحرمته ، فقيل لهم:هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به ﴿وَالْحُرُمٰتُ قِصَاصٌ﴾ احتجاج عليه:أي كل حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيها القصاص، فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله، وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال: ﴿فَمَنِ اعتَدىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلَ مَا اعْتَدىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وهوفذلكة التقرير﴿وَاتَّقُواْ اللّٰهَ﴾ في الانتصار ولا تعدوا إلى ما لم يرخص لكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰه مَعَ الْمُتَّقِينَ[١٩٤]﴾ فيحرسهم ويصلح شانهم .

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ ولا تمسكوا كل الإمساك ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيْكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بالإسراف وتضييع وجه المعاش، أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه ، فإن ذلك يقوي العدو ويسلطهم على إهلاككم . ويؤ يده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: (لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها

قوله: فوضع العلة موضع الحكم. يعني أن الحكم هو فلا تعتدوا على المنتهيين عن الشرك والعلة هو لا عدوان إلا على الظالمين أي لا يحسن الظلم أي جزاء ه إلا على الظالم فاقيمت مقام الحكم .

قوله: قاتلهم المشركون عام الحديبية. قيل: في هذه الرواية نظر؛ لأن عام الحديبية لم يكن فيه قتال بل كان صد؛ وذلك أن النبى صلى الله تعالىٰ عليه واٰله وسلم خرج معتمرا في ذى العقدة، فصده المشركون عن البيت بالحديبية، فصالحهم على أن ينصرف ويرجع فى العام القابل فيقضي عمرته، فرجع صلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم في العام القابل وقضى عمرته . وقيل: يجوز تسمية العزم على القتال مع الصد قتالا على أنه قد روي أنه كان منهم ترامي في ذلك العام، أو سمي صدهم عن البيت الحرام قتالا بل هو أشد من القتال .

قوله: فافعلو بهم مثله:أي الصدعن المسجد الحرام بأن أدخلوا عليهم عتوة فإن خرجوا فذلك وإن قاتلوكم فاقتلوهم حتى يخرجوا فيصدوا.

ونـصـلـحهـا فنزلت، أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك الموبد. ولذلك سمي البـخـل هـلاكـاً وهـو فـي الأصـل انتهـاء الشيء في الفساد. والإلقاء . طرح الشيء . وعدى بـ"إلـى" لتـضـمـن مـعنى الانتهاء ؛ والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس. والتهلكة والهلاك والهـلك واحـد فهـي مـصـدر كالتضرة والتسرة . أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك وقيل : معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم . أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول . ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ أعـمـالـكم وأخـلاقـكـم . أو تـفـضـلـوا عـلـى الـمحـاويج ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ[١٩٥]﴾﴿وَأَتِمُّواالحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى . وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراء ة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة لله . ومـا روى جابر رضي الله تعالى عنه . أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج . فقال: لا ولكن أن تعتمر خير لك " فمعارض بما روي " أن رجلاً قال لعمر رضي الله تعالى عنه . إنـي وجـدت الـحج والعمرة مكتوبين عليَّ أهللت بهما جميعاً . فقال : هديت لسنة نبيك" ولا يقال إنـه فسَّر وجد انهما مكتوبين بقوله أهللت بهما جميعاً فجاز أن يكون الوجوب بسبب إهلاله بهما. لأنه رتب الإهلال على الوجدان وذلك يدل على أنه سبب الإهلال دون العكس. وقيل إتما مهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك. أو أن تفرد لكل منهما سفراً . أوأن تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي . أو أن تكون النفقة حلالاً ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُم﴾

قوله: وقيـل مـعناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم:أي لاتجعلوا التهلكة آخذة بأيديكم مالكة لكم وهذا لأنه إذا ألقي شيء إلى أحد يكون أخذا لذلك الشيء مالكا له .

قوله: أو لا تـلـقـوا بأيديكم أنفسكم .فحذف المفعول والباء للاستعانة كما يقال: أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب لهلا كها .

قوله: وهـو عـلـى هـذا يـدل على وجوبهما .لأنه على هذاالمراد أمر بأدائهما وهو دليـل الـوجـوب بخلاف ظاهر اللفظ وهو الأمر بالإتمام فإنه لايدل على الأمر بأصل ا الفعل الذى أمر بإتمامه فيجوز أن يكون مباحا كما إذا كبر بالتطوع من الصلوٰة .

قوله: إنـه فسـروجد انهما مكتوبين بقوله أهللت بهما جميعا. يعني أن قوله:"أهللت بهـمـا جـمـيـعـا" استيـنـاف لبيـان الموجب. والمعنى وجدتهما مكتوبين مفروضين لأجل أني أهللت وأحرمت بهما فالوجوب لأجل الشروع فيه كماإذا كبر بالتطوع من الصلاة .

قوله: لأنه رتب الإهلال على الوجدان. لأن المعنى وجدتهما مكتوبين فأهللت بهما .

منعتم . يقال حصره العدوا وأحصره إذا حبسه ومنعه عن المضي . مثل صده وأصده. والمراد حصر العدو عند ما لك والشافعي رحمهما الله تعالى لقوله تعا لى ﴿ فإذا أمنتم ﴾[٢. البقرة:١٩٦] ولنزوله في الحديبية . ولقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدوأو مرض أو غيرهما عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى . لما روي عنه عليه الصلاة والسلام . " من كسر أو عرج فقد حل فعليه الحج من قابل " وهو ضعيف مؤول بما إذا شرط الإحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير"حجي واشترطي وقولي. اللهم محلي حيث حبستني"﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾فعليكم مااستيسر،أو فالواجب ما استيسر . أو فاهدوا ما استيسر. والمعنى إن أحصرالمحرم وأراد أن يتحلل تحلل بذبح هدي يسري عليه. من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر . لأنه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل. وعند أبي حنيفة رضي الله تعالى يبعث به . ويجعل للمبعوث على يده يوم أمار فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتّٰى يَبْلُغَ الْهَدْىُ مَحِلَّهُ﴾أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدي المبعوث إلى الحرم بلغ محله أي مكان الذي يجب أن ينحر فيه . وحمل الأولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل الذبح فيه حلاً كان أو حرماً . واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء . وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى يجب القضاء. والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان . والهدي : جمع هدية كجدي وجدية . وقرئ من الهدى جمع هدية كمطي في مطية﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيْضًا﴾ مرضاً يحوجه إلى الحلق﴿ أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَّأسِهِ﴾ كجراحة وقمل ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ فعليه فدية إن حلق. ﴿مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ بيان لجنس الفدية . وأما قدرها فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لكعب بن عجرة " لعلك آذاك هُوَأُمُّكَ . قال: نعم يا رسول الله قال:
احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين أو انسك شاة " والفرق ثلاثة آضع﴿فَإِذَآ اَمِنْتُمْ﴾ الإحصار . أو كنتم في حال سعة وأمن ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى

قوله:لقوله تعالى فإذا أمنتم. وهو يفيد الظن القوي بأن المرادحصرالعدو .

قوله:لأنه عليه السلام ذبح عام الحديبية. وهى من الحل فلا يشترط الحرم، وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالىٰ يشترط الحرم ويبعث به إلى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم أمارة أي يواعد الحامل يوما بعينه يذبحها فيه فإذا ذبحت تحلل .

﴿الْحَجِّ﴾ فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في أشهره. وقيل: فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ فعليه دم استيسره بسبب التمتع. فهو دم جبر ان يذبحه إذا أحرم با لحج ولا يأكل منه. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: إنه دم نسك فهو كالأضحية ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ أي الهدي ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى الْحَجِّ﴾ في أيام الاشتغال به بعد الإحرام وقبل التحلل. قال أبو حنيفة رحمه الله في أشهر بين الإحرامين. والأحب أن يصوم سابع ذي الحجة وثامنة و تاسعة. ولا يجوز صوم يوم النحر وأيام التشريق عند الأكثرين ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم وهو أحد قولي الشافعي رضي الله تعالى عنه. أو نفرتم و فرغتم من أعماله وهوقوله الثاني ومذهب أبي حنيفة رحمه اللهتعالى وقرئ سبعة بالنصب عطفاً على محل ثلاثة أيام ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ فذلكة الحساب. وفائدتها أن لا يتوهم متوهم أن الواو بمعنى أو كقولك جالس الحسن وابن سيرين. وأن يعلم العددجملة كما علم تفصيلا فإن أكثر العرب لم يحسنوا الحساب. وأن المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فإنه يطلق لهما ﴿كَامِلَةٌ﴾ صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد

قوله: فمن استمتع وانتفع بالتقرب إلى الله تعالىٰ: التمتع هو أن يحرم بالعمرة فيأشهر الحج ويأتى بمناسكها ثم يحرم بالحج من جوف مكة ويأتى بأعماله. والقران أن يحرم بهما معا ويأتى بمناسك الحج فيدخل فيها مناسك العمرة. والإفراد أن يحرم بالحج وبعد الفراغ منه بالعمرة.

قوله: باستباحة محظورات الإحرام: من لبس المخيط وغيره مما يحرم على المحرم من الانتفاع بالنساء والطيب.

قوله: فهو دم جبر: لأن الواجب على الآفاقي أن يحرم عن الحج من الميقات، فلما أحرم من الميقات عن العمرة ثم أحرم عن الحج لا عن الميقات فقد حصل هناك الخلل، فجعل مجبورا بهذا الدم. والمكي لا يجب إحرامه عن الميقات فإقدامه على التمتع لا يوقع خللا في حجه فلا يجب عليه الهدي. وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ أنه دم نسك لأن الهدي عنده وجب شكرا لإصابة نعمة الجمع بين العبادتين.

قوله: فذلكة الحساب: الفذلكة في الحساب الإجمال بعدالتفصيل.

قوله: تفيد المبالغة في محافظة العدد: يعني ينبغي محافظة عدد العشرة حتى لا ينقص منه.

أو مبينة كمال العشرة فإنه أول عدد كامل إذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها . أو مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى الحكم المذكور عندنا. والتمتع عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لأنه لامتعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده. فمن فعل ذلك أي التمتع منهم فعليه دم جناية ﴿لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا. فإن من كان على أقل فهو مقيم في الحرم . أو في حكمه . ومن مسكنه وراء الميقات عنده وأهل الحل عند طاؤس وغير المكي عند مالك ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ﴾ في المحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصاً في الحج ﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ[١٩٦]﴾ لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان ﴿اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ أي وقته . كقولك البرد شهران ﴿مَّعْلُومٰتٌ﴾ معروفات وهي: شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة بليلة النحر عندنا. والعشر عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى . وذي الحجة كله عند مالك . وبناء على الخلاف على أن المراد بوقته وقت إحرامه . أو وقت أعماله ومناسكه . أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقاً. فإن مالكاً كره العمرة في بقية ذى الحجة. وأبو حنيفة رحمه الله وان صح الإحرام به قبل شوال فقد استكرهه. وإنما سمي شهران وبعض شهر أشهر إقامة للبعض مقام الكل . أو إطلاقا للجمع على ما فوق الواحد ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ فمن أوجبه على نفسه بالإحرام فيهن عندنا. أو بالتلبية أو سوق الهدي عند أبي حنيفة رحمه الله وهو دليل على ما ذهب إليه الشافعي رحمه الله تعالى وأن من أحرم بالحج لزمه الإتمام .

قوله: ويتم مراتبها: أي الأحاد إذبعده العشرات فيكون كمال الأحاد .

قوله : تفيد كمال بدليتها. يعني أنها كاملة فى البدلية من الهدي بخلاف غير العشرة مما هو عشرةتقريبا فإنهما غير كاملة في البدلية .

قوله: إشارة إلى الحكم المذكور: وهو وجوب الهدي أو الصيام .

قوله: وهو دليل على ما ذهب إليه الشافعي وأن من أحرم بالحج لزمه الإتمام: قيل: وأن من أحرم الخ عطف على ما ذهب إليه الشافعي يجرى مجرى التفسير انتهى. والمقصود بيان أن ما ذهب إليه الشافعي يثبت بالآية وإن كان هذا مذهب غيره ويثبت بها أيضا إلا أن عادته فى مثل هذه المواضع أن يثبت بالآية مذهب الشافعي دون غيره ترجيحا له. وقيل: ما ذهب إليه الشافعي أن الإحرام بالحج لا ينعقد فى غيرها وعند أبى حنيفة ينعقد قبل أشهر

﴿فَلَا رَفَثَ﴾ فلا جماع، أو فلا فحش من الكلام ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ ولا مراء مع الخدم والرفقة ﴿فِي الْحَجِّ﴾ في أيامه ، نفي الثلاثة على قصد النهي للمبالغة وللدلالة على أنها حقيقة بأن لا تكون ، وما كانت منها مستقبحة في أنفسها ففي الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة، والتطريب بقراءة القرآن؛لأنه خروج عن مقتضى الطبع والعادة إلى محض العبادة . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والأوّلين بالرفع على معنى:لا يكونن رفث ولا فسوق . والثالث:بالفتح على معنى الإخبار بانتفاء الخلاف في الحج. وذلك أن قريشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام ، فارتفع الخلاف بأن أمروا بأن يقفوا أيضاً بعرفة ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستدل به ويستعمل مكانه ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ وتزودوا لمعادكم التقوى؛ فإنه خير زاد. وقيل: نزلت في أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن متوكلون فيكونون كلًا على الناس. فأمروا أن يتزودوا ويتقوا الإبرام في السؤال والتشقيل على الناس ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ[١٩٧]﴾ فإن قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى، ثم أمر هم بأن يكون المقصود بها هو الله تعالىٰ فيتبرأ من كل شيء سوى الله تعالىٰ وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى ؛ فلذلك خص أولي الألباب بهذا الخطاب.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا﴾ أي في أن تبتغوا أي تطلبوا ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عطاء ورزقا منه . يريد الربح بالتجارة. وقيل: كان عكاظ و مجنة وذوالمجاز أسواقهم في

الحج لكن الآية دليل عليه لا على ما ذهب إليه أبو حنيفة. والآية أيضا دليل على أن من أحرم بحج لزمه الإتمام سواء كان الإحرام شروعا فى الحج وهو كالركن له كما هو مذهب الشافعي أو شرطا خارجا عنه كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى .

قوله: وما كانت منها مستقبحة في أنفسها: أي ماكانت من الأمورالمذكورة مستقبحة فى نفسها غيرالجماع ففي الحج أقبح ولهذا أمروا باجتنابها مع أنها واجبة الاجتناب فى كل حال .

قوله: فيقف بالمشعرالحرام: لأن قريشا كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وخاصته فلا نخرج من الحرم وكانوا يقفون بالمزدلفة وهي من الحرم وأما عرفات فمن الحل.

الجاهلية يقيمونها مواسم الحج ، وكانت معايشهم منها ، فلما جاء الإسلام تأثموا منه فنزلت﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ دفعتم منها بكثرة من أفضت الماء: إذا صببته بكثرة . وأصله "أفضتم أنفسكم" فحذف المفعول كما حذف في "دفعت من البصرة" وعرفات جمع سمي به كأذراعات، وإنما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث؛لأن تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين، ولذلك يجمع مع اللام،وذهاب الكسرةتبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف. وهنا ليس كذلك ،أو لأن التأ نيث إما أن يكون بالتاء وهي ليست تاء التانيث، وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث، أو بتاء مقدرة كما في "سعاد" ولا يصح تقديرها؛ لأن المذكورة تمنعه من حيث إنها كالبدل لها لا ختصاصها بالمؤنث كتاء بنت.وإنما سمي الموقف عرفة؛لأنه نعت لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فلما أبصره عرفه.

قوله: حثهم على التقوىٰ: بقوله" فإن خير الزاد التقوىٰ". ثم أمرهم بقوله:" واتقون" أن يتبرأوا من كل ما سوى الله تعالى؛لأن المقصود بالتقوىٰ هو الله وذالا يتحصل الا بالتبراء عن كل ما سواه وإنما قدم قوله بأن يكون المقصود الخ على التبرأ لانه المقصود من التبرأ، وأما قوله: وتزود وا، فالمراد به الأمر بإتقاء القبائح .

قوله: وكانت معا يشهم: أي تجاراتهم من إقامة تلك الأسواق.

قوله: وعرفات جمع سمي به كأذرعات .إسم بلدة الشام ينسب إليها الخمرفي أنه لا واحدله إذلم يوجد أذرعة ولا عرفة .

قوله: وإنما نون وكسر: جواب سوال. تقرير السوال أن فيه العلمية والتانيث فلم نوّن وكسر؟ و تقرير الجواب أنه غير منصرف كما ذهب إليه البعض والتنوين للمقابلة، وذهاب الكسر تبع لذهاب التنوين من غير تعويض اللام لأجل منع الصرف وهنا لم يذهب التنوين لأجل منع الصرف لأنه تنوين المقابلة فدخل الكسر، أو منصرف ؛لأن التانيث فيه إما أن يكون بالتاء المذكورة وهي ليست بتاء تانيث وإنما هي مع الالف علامة الجمع أوبتاء مقدرة كما في زينب وسعاد ولا يصح تقديرها لأن المذكورة تمنعه لأنها لاختصاصها بالمونث كانت كالتانيث كتاء بنت هي بدل من الواو لاختصاصها بالمونث كأنت بتاء التانيث فكان تقديرها جمعا بين علامتي التانيث .

قوله: لأنه نعت بها لإبراهيم: أي وصف وبين حين طلب من اللّٰه تعالى معرفة المناسك بقوله:﴿ أرنا منا سكنا﴾.

أ ولأن جبـريل عليه السلام كان يد ور به في المشاعر، فلما أراه قال: قد عرفت،أ ولأن آدم وحـواء التـقيا فيه فتعارفا، أ و لأن الناس يتعارفون فيه. وعـرفات للمبالغة في ذلك وهي من الأسـماء المرتجلة إلـى أن يـجـعل جمع عارف. وفيه دليل على وجوب الوقوف بها؛ لأن الافاضة لا تكون إلا بعده، وهي مأمور بها بقوله تعالى ﴿ثم أفيضوا ﴾[٢. البقرة:١٩٩] أو مـقـدمة للذكر المأمور به، وفيه نظر؛ إذ الذكر غير واجب بل مستحب، وعلى تقدير أنه واجب فهو واجب مقيد لا واجب مطلق حتى تجب مقدمته والأمر به غير مطلق .

﴿فَاذكُرُوا اللّٰه ﴾ بالتلبية والتهليل والدعاء . وقيل: بصلاة العشاء ين ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْـحَـرَامِ﴾جبـل يـقف عـليـه الإمـام وسمى قزح. وقيل:ما بين مازمَى عرفة ووادي محسر. ويـؤيـد الأول مـاروى جابر "أنه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركـب نـاقتـه حتـى أتـى الـمشعر الحرام فدعا وكبّر وهلل،ولم يزل واقفًا حتى أسفر".وإنما سمي مشعرًا؛لأنه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته.ومعنى عند المشعر الحرام: مما يليه ويقرب منه؛ فإنه أفضل، وإلافالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر.

قوله: يدوربه: أي بإبراهيم .

قوله: وعـرفات للمبالغة في ذلك: يعني أن عرفات لكونه جمعا ودالا على الكثرة يكون مبالغة في التعارف فسمي به كما سمي بعرفة .

قوله: وهـي مـن الأسـمـاء المرتجلة: وهي مالم يستعمل قبل العلمية لغيرها إلا أن يجعل عرفة جمع عارف كطلبة جمع طالب .

قوله: لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده: يعني أ ن الذكر عند الإفاضة من عرفات واجـب، وهـو يتـوقف عـلـى الإفـاضة وهـي على الوقوف، وما لايتم الواجب إلابه فهو واجـب، فـالوقوف واجب. وفيه نظر؛ لأنا لانسلم أن الذكر واجب. ولوسلم أنه واجب فـالأمـر بـه غيـر مـطلق بل مقيد بالإفاضة، وما لا يتم الواجب المطلق إلابه فهو واجب بـخـلاف الـمـقيـد كـالـزكـوٰة فإنها مقيدة بالنصاب وهي يتوقف عليه مع أن تحصيل النصاب ليس بواجب .

﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدٰكُمْ﴾ كما علمكم، أو اذكروه ذكراً حسناً كماهداكم هداية حسنة إلى المناسك وغيرها. و"ما" مصدرية،أو كافة ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ﴾ أي الهدى ﴿لَمِنَ الضَّآلِّيْنَ[١٩٨]﴾ أي الجاهلين بالإيمان والطاعة، و"إن" هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة. وقيل: "إن" نافية واللام بمعنى إلا كقوله تعالى:﴿وإن نظنك لمن الكاذبين﴾[٢٦.الشعراء:٦٦]

﴿ثُمَّ أَفِيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾أي من عرفة لا من المزدلفة . والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعاً عليهم ، فأمروا بأن يساووهم ، و"ثم"لتفاوت ما بين الإفا ضتين كما في قولك:أحسن إلى الناس ثم لا تحسن

قوله: وما مصدر ية أوكافة: يعني يتأتي كل من المعنيين على تقديري المصدرية والكافة. والفرق بين المعنيين أن الهداية في الثاني على إطلاقها، وفي الأول مقيدة بكيفية الذكر:أي أذكروه على الوجه الذي علمكم، وأيضًا" الكاف" على الثاني لقصد التشبيه وعلى الأول للتقييد أي أذكروه على الوجه الذى علمكم ولا تعد لوا عن ذلك الوجه والطريق .

قوله: بجمع: إسم للمزدلفة. وسميت به لأنه آدم صلوات اللّٰه تعالىٰ عليه اجتمع فيها مع حواء. وعن قتادة أنه يجمع فيها بين الصلوتين .

قوله: وثم لتفاوت مابين الإفاضتين: جواب سوال. تقرير السوال أن الإفاضة المذكورة بعد" ثم" هي بعينها الإفاضة المذكورة قبلها فما معنى عطف الأمر بها بكلمة"ثم" الدالة على التراخي عن الأمر بالذكر المقارن لها بل المتأخر عنها، فأجاب عنه بأن إذاأفضتم يدل على وجوب الإفاضة من عرفات ومعنى" ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس" لتكن إفاضتكم منه لامن المزدلفة فصار كأنه قيل: أفيضوا ياأيهاالناس من عرفات ثم لا تفيضوا أيهاالقريش من المزدلفة ومعنى ثم الدالة على بعد ما بين الإفاضتين أعني الإفاضة من عرفات والإفاضة من المزدلفة؛ لأن الأولىٰ حق والثانية خطاء وبينهما بون بعيد. هذا قال العلامة التفتازاني: وعلة سوال ظاهر وهو أن التفاوت والبعد في المرتبة إنما يعتبر بين المعطوف والمعطوف عليه وهو ههنا عدم الإفاضة من المزدلفة وعدم الإحسان إلى غيرالكريم لكن جرت عادته أي عادة صاحب الكشاف في الكشاف وتبعه المصنف أنه يعتبرفى أمثال هذه المواضع التفاوت والبعد بين المعطوف عليه وما دخله النفي من المعطوف لا بينه وبين النفي .

إلـى غيـر كريم . وقيل: من المزدلفة إلى منًى بعد الإفاضة من عرفة إليها. والخطاب عام . وقـرئ "الـنـاس" بالكسر أي الناسي يريد آدم من قوله سبحانه وتعالى ﴿فنسي﴾[٢٠. طه: ١١٥] والـمـعـنـى أن الإفـاضة مـن عـرفة شـرع قـديـم فـلا تغيروه ﴿واسْتَغْفِرُوا اللّٰه ﴾من جـاهـليتـكـم في تغير المناسك ونحوه ﴿إِنَّ اللّٰه غَفُورٌ رَحِيْمٌ[١٩٩]﴾ يغفر ذنب المستغفر ويـنـعـم عـليـه﴿فَـإذا قَـضَيْتُـمْ مَّـنَـاسِـكَـكُـم﴾فـإذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها. ﴿فَـاذْكُـرُوااللّٰه كَـذِكْرِكُـمْ اٰبَآءَكُـمْ﴾ فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في الـمـفاخرة . وكانت العرب إذا قضوا منا سكهم وقفوا بمنًى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخرآبائهم ومحاسن أيامهم ﴿أوْأَشَدَّ ذِكْراً﴾إما مجرور معطوف على الذكربجعل الذكر ذاكراً على المجاز. والمعنى: فاذكرواللّٰه ذكراً كذكركم آباء كم،أوكذكر أشد منه وأبلغ أو على ما أضيف إليه عـلـى ضعف بمعنى:أو كذكر قوم أشد منكم ذكراً . وإما منصوب بـالـعطف على آباء كم وذكـرًا من فعل المذكور بـمـعنى: أو كذكركم أشد مذكورًا من آبـائـكـم، أو بـمـضـمر دل عليه المعنى تقديره:أوكونوا أشدذكراً للّٰه منكم لآبائكم ﴿ فَمِنَ النَّـاسِ مَـنْ يَّـقُـولُ﴾تـفـصيل للذاكرين إلى مقل لا يطلب بذكر اللّٰه تعالى إلا الدنيا ومكثر يـطـلـب بـه خير الدارين . والمراد الحث على الإكثار والإرشاد إليه ﴿ رَبَّنَآ اٰتِنَا فِى الدُّنْيَا﴾ اجـعـل إيتـاء نـا ومنحتنا في الدنيا ﴿وَمَالَهٗ فِى الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ[٢٠٠]﴾أي نصيب وحظ؛ لأن همه مقصورة بالدنيا،أو من طلب خلاق.

قوله: أوكـذكـر أشـدمـنـه وأبلغ:أي من ذكركم آبائكم. وهذا المعنى من جعل الذكر ذاكرا.

قوله: أوعلى ما أضيف إليه: أي أضيف الذكر إليه بدون إعادة الجار وهذا ضعف إلا أنه بتقدير مضاف .

قوله: وذكـرا مـن فـعـل الـمذكور:أي من ذكر الذى بني للمذكور وهو المفعول فيكون بمعنى المذكور.

قوله: لأن همه مقصورة بالدنيا: لكفره بالأخرة .

قوله: أومن طلب خلاق: وإنما قدر؛ لأن مجرد طلب الدنيا لايقتضي أن لايكون له نصيب فى الأخرة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير. ﴿وَفِى الْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ يعني الثواب والرحمة ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[٢٠١]﴾ بالعفو والمغفرة. وقول علي رضي الله تعالى عنه "الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة، وفي الآخرة الحوراء، وعذاب النار المرأة السوء، وقول الحسن :" الحسنة في الدنيا العلم والعبادة ، وفي الآخرة الجنة " وقنا عذاب النار معناه: احفظنا من الشهوات والذنوب والمؤدية إلى النار أمثلة للمراد بها .

﴿أُولَئِكَ﴾إشارة إلى الفريق الثاني.وقيل إليهما﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أي من جنسه وهو جزاؤه، أو من أجله كقوله تعالى﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾[٧١.النوح:٢٥] أو مما دعوا به نعطيهم منه ماقدرناه فسمي الدعاء كسباً ؛لأنه من الأعمال ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ[٢٠٢]﴾يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدارلمحة، أو يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا إلى الطاعات واكتساب الحسنات.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ كبروه في أدبار الصلاة وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في أيام التشريق﴿ فَمَن تَعَجَّلَ﴾ فمن استعجل النفر﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ يوم القر والذي بعده:أي فمن نفر في ثاني أيام التشريق بعد رمي الجمار عندنا، وقبل طلوع الفجر عند أبي حنيفة ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيهِ﴾ باستعجاله ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال . وقال أبو حنيفة : يجوز تقديم رميه على الزوال. ومعنى نفي الإثم بالتعجيل والتأخير:التخيير بينهما، والرد على أهل الجاهلية؛ فإن منهم من أثم المتعجل ومنهم من أثم المتأخر.

قوله: أمثلة للمراد بها:يعني أن قول علي وقول الحسن أمثلة للمراد بالآية وجزئيات له لا أنهما نفس المراد .

قوله: أي من جنسه: فى كونه حسنا إذلا يعطى لهم نفس ماكسبوا وإنما يعطى مايناسب الكسب من الثواب .

قوله: نعطيهم منه ما قدرنا: فى الأزل لا جميع ما دعوابه .

قوله: يوم القر:هو يوم الغد من يوم النحرلأنهم يقرون أي يسكنون ويقيمون فيه بمنى .

﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ أي الذي ذكر من التخيير، أو من الأحكام لمن اتقى؛ لأنه الحاج على الحقيقة والمنتفع به، أو لأجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مجامع أموركم ليعبأ بكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ[٢٠٣]﴾ للجزاء بعد الإحياء. وأصل الحشر: الجمع وضم المتفرق.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ يروقك ويعظم في نفسك. والتعجب: حيرة تعرض للإنسان لجهله بسبب المتعجب منه ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متعلق بالقول: أي ما يقوله في أمور الدنيا وأسباب المعاش، أو في معنى الدنيا فإنها مراد من إدعاء المحبة وإظهار الإيمان، أو بـ"يعجبك" أي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة، أو لأنه لا يؤذن له في الكلام ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ يحلف ويستشهد الله على أن ما في قلبه موافق لكلامه ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ [٢٠٤]﴾ شديد العداوة والجدال للمسلمين . والخصام: المخاصمة. ويجوز أن يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى أشد الخصوم وخصومة . قيل: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلوالمنطق يوالي رسول الله ﷺ ويدعي الإسلام . وقيل: في المنافقين كلهم.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ أدبر وانصرف عنك . وقيل: إذا غلب وصار والياً ﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ كما فعله الأخنس بثقيف، إذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف ، أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ[٢٠٥]﴾ لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه .

قوله: أي الذى ذكر. يريد أن اللام فى لمن اتقى إما للبيان كما فى هيت لك أي هذا الخطاب لك. فالظرف عند التحقيق خبر مبتداء محذوف. وتخصيص بالحاج المتقي لأنه الحاج على الحقيقة والمنتفع به، أو للتعليل يعني أن التخيير لأجل من اتقى حتى لا يتضرر بترك ماهو المهم من التعجيل والتاخير بخلاف غير المتقي فإنه يتخالج فى قلبه شيء منهما فيحسب أن أحدهما يرهق صاحبه آثام فى الإ قدام عليه فينزله فيتضرر بتركه لعدم وصوله إلى المهم من الأغراض .

قوله: كما فعله الأخنس بثقيف: كان بينه وبين ثقيف خصومة .

﴿وَإِذَا قِيْلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذى يؤمر باتقانه لجاجاً من قولك: أخذته بكذا: إذا حملته عليه وألزمته إياه ﴿فَحَسْبُهٗ جَهَنَّمُ﴾ كفته جزاءً وعذاباً . وجهنم: علم لدار العقاب، وهو في الأصل مرادف للنار. وقيل: معرب ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ[٢٠٦]﴾جواب قسم مقدر، والمخصوص بالذم محذوف للعلم به، والمهاد: الفراش. وقيل: ما يوطأللجنب .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ﴾يبيعها أي يبذلها في الجهاد، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ﴿ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ﴾ طلبا لرضاه . قيل: إنها نزلت في صهيب بن سنان الرومي أخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال: إني شيخ كبير لا ينفعكم إن كنت معكم ولا يضركم إن كنت عليكم فخلوني وما أنا عليه، وخذوا مالي، فقبلوه منه وأتى المدينة﴿وَاللّٰهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ[٢٠٧]﴾حيث أرشدهم إلى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء ﴿يٰٓأَيُّهَاالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ادْخُلُوْا فِى السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ؛ ولذلك يطلق في الصلح والإسلام . فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون . وكافة: اسم للجملة؛ لأنها تكف الأجزاء من التفرق حال من الضمير، أو السلم؛ لأنها تؤنث كالحرب قال:

السَّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيْتَ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيْكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ

والمعنى استسلموالله وأطيعوه جملة ظاهراً وباطناً، والخطاب للمنافقين، أو ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره. والخطاب لمؤمني أهل الكتاب؛ فإنهم

قوله: لجاجا: أي خصومة .

قوله: وما أنا عليه. أي الإسلام .

قوله: السلم تاخذ: الجرعة من الماء حسوة منه يحرضه على الصلح ويثبطه عن الحرب ويقول الصلح له محال واسع ومنافع ترضى ببعض منها. والحرب لها مضائق ومضار لايقاسى وقليل منها يهلك .

قوله: والخطاب للمنافقين:لأنهم آمنوا بألسنتهم ولم يومنوا بقلوبهم فلم يومنوا باطنا .

قوله: بكليتكم : أي بكلية أفعالكم وأحوالكم بأن لا تخلطوا به غيره وعلى هذا يكون "كافة" حالا من "السلم" .

بعد إسلامهم عظموا السبت وحرموا الإبل وألبانها، أو في شرائع الله كلها بالإيمان بالأنبياء والكتب جميعاً، والخطاب لأهل الكتاب ، أو في شعب الإسلام وأحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ﴾ بالتفرق والتفريق ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ[٢٠٨]﴾ظاهر العداوة.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ عن الدخول في السلم﴿ مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ الْبَيِّنَٰتُ﴾ الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق﴿فَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾لا يعجزه الانتقام ﴿حَكِيمٌ[٢٠٩]﴾لا ينتقم إلا بحق.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ استفهام في معنى النفي؛ ولذلك جاء بعده ﴿إِلَّآ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي يأتيهم أمره،أو بأسه كقوله تعالى ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [١٦. النحل: ٣٣]﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾[٧. الأعراف:٤]أو يأتيهم الله ببأسه، حذف المأتي به للدلالة عليه بقوله تعالى : ﴿ان اللّه عزيز حكيم ﴾آيات كثيرة ﴿ فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة كقلة وقلل، وهي ما أظلك ، وقرئ ظلال كقلال﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾السحاب الأبيض. وإنما يأتيهم العذاب فيه؛ لأنه مظنة الرحمه. فإذاجاء منه العذاب كان أفظع؛ لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أصعب فكيف إذا جاء من حيث يحتسب الخير﴿ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ﴾فإنهم الواسطةفي إتباع أمره، أوالآتون على الحقيقة ببأسه . وقرئ بالجر عطفاً على ظلل، أو الغمام ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾أتم أمر إهلاكهم وفرغ منه . وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه . وقرئ وقضاء الأمر عطفاً على الملائكة .

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ[٢١٠]﴾قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو و عاصم على البناء للمفعول على أنه من الراجع .وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على أنه من الرجوع . وقرئ أيضاً بالتذكير وبناء المفعول .

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَآئِيلَ﴾ أمر للرسول ﷺ ، أو لكل أحد، والمراد بهذا السؤال

قوله: بالتفرق والتفريق: التفرق أن يدخل البعض في السلم دون بعض. والتفريق أن يؤمن ببعض الشرائع دون بعض، أو يؤمن ببعض شعب الإيمان ويخل ببعضها .

قوله: للدلالة عليه بقوله تعالىٰ :﴿ فإن الله عزيز حكيم ﴾فإن معناه كما مر لايعجزه الانتقام وهو يستلزم المنتقم به .

قوله: على أنه من الرجع: لأنه حينئذ يكن متعدياوإذا كان من الرجوع يكون لازما.

تقريعهم ﴿كَمْ ءَاتَيْنٰهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ معجزة ظاهرة، أو آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على أيدي الأنبياء. و"كم" خبرية أو استفهامية مقررة، ومحلها النصب على المفعولية، أو الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر إلى المبتدأ، وآية مميزها. و"من" للفصل ﴿وَمَنْ يُّبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّٰهِ﴾أي آيات الله فإنها سبب الهدى الذي هو أجل النعم. يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس، أو بالتحريف والتأويل الزائغ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ من بعد ما وصلت إليه وتمكن من معرفتها. وفيه تعريض بأنهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل: تقديره فبدلوها، ومن يبدل ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ[٢١١]﴾فيعاقبه أشد عقوبة ؛لأنه ارتكب أشد جريمة﴿زُيِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا﴾حسنت في أعينهم وأشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وأعرضوا عن غيرها . والمزيِّن في الحقيقة هو الله تعالى؛ إذ ما من شيء إلاوهو فاعله. ويدل عليه قراءة زَيَّنَ على البناء للفاعل. وكل من الشيطان، والقوةالحيوانية، وما خلقه الله فيها من الأمور البهية والأشياء الشهية مزين بالعرض.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوا﴾ يريد فقراء المؤمنين كـ"بلال وعمار وصهيب:أي يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا وإقبالهم على العقبى.و"من" للابتداء كأنهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم﴿وَالَّذِيْنَ اتَّقَوا فَوْقَهُمْ يَومَ الْقِيٰمَةِ﴾لأنهم في عليين وهم في

قوله: معجزة ظاهرة:يعنييحتمل أن يكون المراد بالآيات معجزات أنبيائهم على ما هو المعنى اللغوي أن تكون آيات كتبهم على ما هو المتعارف من آيات القرآن والتوراة.
قوله:خبريةأو استفهامية مقررة .أي للتقرير فإن قيل على تقدير الخبرية ما معنى السوال؟ وعلى تقدير الاستفهام كيف يكون السوال للتقريع والاستفهام للتقرير ومعني التقريع الاستنكاروالاستبعاد، ومعنى التقرير التحقيق والتثبيت. قلنا: على تقدير الخبرية فالسوال عن حالهم و فعلهم في مباشرة أسباب التقريع، وعلى تقدير الاستفهام فمعنى التقرير الحمل على الإقرار وهو لا ينافي التقريع .

قوله: للفصل: و ذلك أنه إذا فصل بين كم الخبرية ومميزها بفعل متعد وجب الإتيان بـ"من" لئلا يلتبس المميز بمفعول ذلك المتعدي.

قوله:أو بالتحريف والتأويل الزائغ. أي على تقدير أن يكون المراد بالآيات آيات الكتب

قوله: لأنهم في عليين: من السماء. أي في جنة عالية فيكون الفوقية مكانية وفي الوجه الثاني رتبية وفي الثالث استعلائية.

أسفل السافلين ، أو لأنهم في كرامة وهم في مذلة، أو لأنهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا. وإنما قال "والذين اتقوا" بعد قوله" من الذين آمنوا" ليدل على أنهم متقون، وأن استعلاء هم للتقوى﴿وَاللّٰهُ يَرْزَقُ مَنْ يَّشَآءُ﴾في الدارين ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ[٢١٢]﴾ بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجاً تارة وابتلاء أخرى.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَّاحِدَةً﴾ متفقين على الحق فيما بين آدم وإدريس ، أو نوح، أو بعد الطوفان، أو متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس أو نوح ﴿ فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيّينَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ﴾أي فاخلتفوا فبعث اللّٰه . وإنما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه.وعن كعب الذي علمته من عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، والمرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰبَ﴾ يريد به الجنس ولا يريد به أنه أنزل معه كل واحد كتاباً يخصه .

قوله: وإنما قال والذين اتقوا بعدقوله من الذين آمنوا: أى إنما قال ذلك مع أن الظاهر بعده "والذين اٰمنوا" ليدل على أنهم متقون كما أنهم مؤمنون وإن استعلائهم لأجل التقوى لا نفس الإيمان .

قوله :ليدل على أنهم متقون :فالمراد بالتقوٰى التقوٰى عن الشرك .

قوله :استدراجا: أي بالنعمة كما لقارون وغيره .

قوله: أونوح: عن ابن عباس رضى اللّٰه تعالىٰ عنهما أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون على شريعة من الحق .

قوله: أي اختلفوا فبعث اللّٰه تعالىٰ : هذا على المعنى الأول وأما على المعنى الثاني فلا حاجة إلى هذا التقدير لإ تفاق الناس على الكفر .

قوله: يريد به الجنس ولا يريد أنه أنزل إلى آخره: قال صاحب الكشاف: يريد الجنس أو مع كل واحد كتابه، يعني يحتمل أن يريد أنزل مع كل نبي جنس الكتاب سواء كان كتابه كمحمد وموسى عليهم الصلاة والسلام أوكتاب غيره كسليمان عليه الصلاة والسلام وغيره ،على أن يكون اللام للجنس، ويحتمل أن يريد أنزل مع كل نبي كتابه على أن يكون للعهد وتعويض تعريف اللام عن تعريف الإضافة. ورد عليه المصنف بأ نه ليس لكل نبي كتابه حتى أنزل معه كتاب. ووجه العلامة التفتازاني بأن المراد بالنبيين الذين لهم كتاب أي أنزل مع كل واحد من النبيين لهم كتاب كتابه.

فإن أكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم . وإنما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم .
﴿بِالْحَقِّ﴾حال من الكتاب:أي ملتبساً بالحق شاهداً به ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾أي الله، أو النبي المبعوث ،أوكتابه ﴿ فِيْمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ﴾ في الحق الذي اختلفوا فيه، أو فيما التبس عليهم ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ﴾في الحق،أو الكتاب ﴿ إِلَّا الَّذِيْنَ أُتُوهُ﴾ أي الكتاب المنزل لإزالة الخلاف أي عكسوا الأمر فجعلوا ما أنزل مزيحاً للاختلاف سبباً لا ستحكامه﴿مِنْ بَعْدِ مَاجَآءَ تْهُمُ الْبَيِّنٰتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾حسداً بينهم وظلماً لحرصهم على الدنيا﴿ فَهَدَى اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لِمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ﴾أي للحق الذي اختلف فيه من اختلف ﴿مِنَ الْحَقِ﴾بيان لما اختلفوا فيه ﴿بِإِذْنِهِ﴾بأمره أو بإرادته ولطفه ﴿وَاللّٰهُ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ إِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْم[٢١٣]﴾لا يضل سالكه.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ خاطب به النبي ﷺ والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الأمم على الأنبياء بعد مجيء الآيات تشجيعاً لهم على الثبات مع مخالفتهم . و"أم" منقطعة، ومعنى الهمزة فيها الإنكار﴿وَلَمَّا يَأتِكُمْ﴾ولم يأتكم. وأصل "لمّا" لم، زيدت عليها "ما" وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل "قد" ﴿مَثَلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ حالهم التي هي مثل في الشدة ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ﴾ بيان له على الاستيناف ﴿وَزُلْزِلُوْا﴾ وأزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد ﴿ حَتّٰى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ﴾لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر.وقرأ نافع "يقول" بالرفع على أنه حكاية حال ماضية كقولك :مرض حتى لا يرجونه﴿مَتٰى نَصْرُاللّٰهِ﴾ استبطاء له لتأخيره .

﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللّٰهِ قَرِيْبٌ[٢١٤]﴾استيناف على إرادة القول:أي فقيل لهم ذلك اسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر. وفيه إشاره إلى أن الوصول إلى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات. ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام " حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات "

قوله: ولذلك جعل مقابل قد: فكما أن "قد" في الإثبات يكون الفعل المذكور بعدها متوقعا منتظرا لكون كذلك "لما" في النفي يكون الفعل المذكور بعدها متوقعا.
قوله: هى مثل في الشدة: لما تقررأن المثل مستعارللحال والقصة العجيبة الشان .
قوله: على الاستيناف: كأن قائلا قال: كيف كان ذلك المثل؟ فقيل: ذلك المثل "مستهم البأساء" .

﴿يَسْـئَـلُـونَكَ مَـاذَا يُنفِقُونَ﴾ عن ابن عبا س رضي الله تعالى عنهما " أن عمروبن الـجـمـوح الأنصاري كان شيخاً ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا وأين نـضـعـهـا فـنـزلـت﴿قُـل مَـآ أَنـفَـقْـتُـم مِّـنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِيْنَ وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْن وَابْنَ السَّبِيْـلِ﴾سئل عن المنفق، فأجيب ببيان المصرف؛ لأنه أهم، فإن اعتداد النفقة باعتباره . ولأنه كان في سؤال عمرو، وإن لم يكن مذكوراً في الآية. واقتصر في بيان المنفق على ما تـضـمـنـه قـولـه مـا أنـفـقـتـم مـن خيـر﴿وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ﴾ في معنى الشرط﴿فَإِنَّ اللّٰهَ بِهٖ عَلِيمٌ[٢١٥]﴾ جوابه:أي إن تفعلوا خيراً فإن الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينا فيه فرض الزكاة لينسخ به .

﴿كُتِـبَ عَـلَيْـكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾شاق عليكم مكروه طبعاً ، وهو مصدر نعت به للمبالغة، أو فـعـل بمعنى مفعول كالخبر . وقرئ بالفتح على أنه لغة فيه كالضعف والـضـعـف، أو بـمـعـنى الإكراه على المجاز كأنه أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تـعالى ﴿حملته أمه كُرهاً ووضعته كُرهاً﴾[٤٦ .الأحقاف: ١٥] ﴿ وَعَسٰى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَهُـوَ خَيْـرٌ لَّـكُـمْ﴾وهـو جميع ما كلفوا به ؛ فإن الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم فلاحهم ﴿وَعَسٰـى أَنْ تُـحِبُّـوْا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّلَّكُمْ﴾وهو جميع مانهوا عنه؛ فإن النفس تحبه وتهواه وهو يـقـضـي بهـا إلـى الـردى . وإنما ذكر "عسى"؛لأن النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها ﴿وَاللّٰهُ يَـعْـلَـمُ﴾ مـا هـو خير لـكـم ﴿وَأَنْتُـمْ لا تَعْلَمُونَ[٢١٦]﴾ذلك . وفيـه دليل على أن الأحـكـام تتبع المصالح الراجحة وإن لم يعرف عينها ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ روي أنـه عـلـيـه الـصلاة والسلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبـل بـدر بشهـريـن ليترصّد عِيراً لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه .فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا الـعيـر وفيها من تجارة الطائف ، وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من

قوله: ولأنه كان فى سؤال عمرو:و هو قوله: وأين نضعها .

قـولـه: وليـس فـى الآية مـاينـافيـه فـرض الزكوة: روي عن السدي أن هذه الآية مـنسـوخة بـفرض الزكوٰة. ورد عليه المصنف بأن ليس فى الآية ماينافيه فرض الزكوة لأنها لاتدل على فرض إيتاء المال في المصارف حتى ينسخ به .

قوله: وهو مصدرنعت به للمبالغة: كأن القتال في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له

قوله: واستاقوا. أي ساقوا .

جمادى الآخرة . فقالت قريش: استحل محمد الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف ويبذعرّفيه الناس إلى معايشهم، وشق ذلك على أصحاب السرية وقالوا: ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله ﷺ العير والأسارى". وعن ابن عباس رضي الله عنهما" لما نزلت أخذ رسول الله ﷺ الغنيمة وهي أول غنيمة في الاسلام". والسائلون هم المشركون كتبوا إليه في ذلك تشنيعاً وتعييراً وقيل أصحاب السرية ﴿قِتَالٍ فِيْهِ﴾بدل اشتمال من الشهر الحرام . وقرئ عن قتال بتكرير العامل ﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيْهِ كَبِيْرٌ﴾ أي ذنب كبير، والأكثر على أنه منسوخ بقوله تعالى ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [٩. التوبة:٥]خلافاً لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام، وفيه خلاف. والأولى منع دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقاً ؛ فإن "قتال" فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم ﴿وَصدٌّ﴾صرف ومنع﴿عَنْ سَبِيْلِ اللّهِ﴾أي الاسلام ،أوما يوصل العبد إلى الله سبحانه وتعالى من الطاعات ﴿ وَكُفْرٌ بِهِ﴾ أي بالله﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾على إرادة المضاف:أي وصد المسجد الحرام كقول أبي داؤاد: أَكُلَّ امْرِىءٍ تَحْسَبِينَ امرأ وَنارتوقدُ بِاللَّيْل نَاراً

ولا يحسن عطفه على ﴿ سبيل الله﴾ لأن عطف قوله "كفر به"على "وصدٌ"ما نع منه؛ إذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في "به". فإن العطف على الضمير المجرور إنما يكون بإعادة الجار .

قوله: ويبذ عرّ:أي يتفرق .

قوله: على أصحاب السرية:أي التي بعثها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليترصد العير .

قوله: والأكثر على أنه منسوخ بقوله تعالى:"فاقتلو المشركين حيث وجدتموهم" فإن قيل: هذه الآية إنما تعم الأمكنة بقوله:"حيث وجدتموهم" دون الأزمنة فغايته النسخ فى البلد الحرام دون الشهر الحرام. قلنا بعضهم على أن الإيجاب المطلق يرفع التحريم المقيد كالعام والخاص. ولو سلم فالإجماع على أن حرمتي المكان والزمان لا يفترقان فيجعل عموم الأمكنة قرينة عموم الأزمنة ويرتفع عموم الأشهر .

قوله: فلايعم :قيل يعم بعموم الوصف أو بقرينة المقام .

قوله: فان العطف على الضمير المجرور إنمايكون بإعادة الجار. وأيضا لامعنى للكفر بالمسجد الحرام إلا بتكلف.

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ أهل المسجد الحرام وهم النبي ﷺ والمؤمنون ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللّٰهِ﴾مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الأشياء الأربعة المعدودة من كبائر قريش . و"أفعل" مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾أي ما ترتكبونه من الإخراج والشرك أفظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي. ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتّٰى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ﴾ إخبارعن دوام عداوة الكفار لهم وإنهم لا ينفكون عنهاحتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك:أعبد اللّٰه حتى أدخل الجنة ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوْا﴾ وهو استبعاد لا ستطاعتهم كقول الواثق بقوله:على قرنه إن ظفرت بي فلا تبق علي، وإيذان بأنهم لايردونهم ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهٖ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾قيد الردة بالموت عليها في إحباط الأعمال كما هو مذهب الشافعي رحمه اللّٰه تعالى والمراد بها الأعمال النافعة. وقري حبطت بالفتح وهي لغة فيه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾لبطلان ما تخيلوه وفوات ماللإسلام من الفوائد الدنيوية ﴿وَالْاٰخِرَةِ﴾ بسقوط الثواب﴿ وَأُولٰئِكَ أَصْحٰبُ النَّارِهُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْن [٢١٧]﴾ كسائر الكفرة .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوا﴾نزلت في أصحاب السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر﴿ وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا وَجٰهَدُوْا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ كررالموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء ﴿أُولٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَاللّٰهِ﴾ثوابه أثبت لهم الرجاء إشعاراً بأن العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم ﴿وَاللّٰهُ غَفُورٌ﴾لما فعلوا خطأ وقلة احتياط ﴿رَّحِيْمٌ[٢١٨]﴾بإجزال الأجر والثواب.

قوله:للتعليل: أي يقاتلونكم كي يردوكم .

قوله: وهو استبعاد لاستطاعتهم: يعني أن كلمة "إن" استعمل مع الجزم بعدم الوقوع إشارة الىٰ أن ذلك لايكون إلاعلى سبيل الفرض كما يفرض المحالات وهو معنى الاستبعاد .

قوله: كما هو مذهب الشافعي: وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلما وثمرة الخلاف تظهر فيما إذا صلى المسلم ثم ارتد ثم أسلم فعند أبي حنيفة رحمه اللّٰه تعالى يلزمه قضاء ما أدي وعند الشافعي رحمه اللّٰه تعالىٰ لا قضاء عليه .

﴿يَسْـئَلُـونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾روي "أنه نزل بمكة قوله تعالى ﴿ومن ثمرات النـخيـل والأعـنـاب تتـخـذون منه سكراً ورزقاً حسناً﴾[١٦ .النحل:٢٧]فأخذ المسلمون يشـربـونهـا، ثم إن عمر ومعاذاً ونفراً من الصحابة قالوا: أفتنا يا رسول الله في الخمر؛ فإنها مُـذهبة لـلـعـقـل مسـلبة للمال . فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون . ثم دعا عبد الـرحـمن بن عوف ناساً منهم فشربوا وسكروا، فأم أحدهم فقرأ "قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون"فنزلت﴿ لاتقربوا الصلوة وأنتم سكرى﴾[٤ .النساء :٣]فقلّ من يشربها . ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد سعد شعراً فيـه هـجـاء الأنصار فضربه أنصاري بلحى بعير فشجه فشكا إلى رسول الله ﷺ فقال عمر رضـي الله عـنـه : الـلهـم بيـن لـنـا في الخمر بياناً شا فياً فنزلت﴿إنما الخمر والميسر﴾إلى قـولـه﴿فهـل أنتـم مـنتهـون ﴾ فـقـال عمر رضي اللهعنه انتهينا يا رب . والخمر في الأصل مـصـدر خـمـره إذا سـتـره. سمى بها عصير العنب والتمر إذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل. كـمـا سـمـي سكراً ؛لأنه يسكره: أي يحجزه . وهي حرام مطلقا، وكذا كل ما أسكر عند أكثر العلماء . وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: نقيع الزبيب والتمر إذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه مادون السكر. والميسر أيضاً مصدر كالموعد. سمي به قمارًا ؛ لأنه أخذ مـال الـغيـر بيسر، أو سـلـب يسـاره . والـمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ فِيْهِـمَـآ ﴾أي فـي تـعـاطيهـمـا﴿إِثْمٌ كَبِيْرٌ﴾ من حيث إنه يؤدي إلى الانتكاب عن المأمور، وارتـكـاب الـمحظور. وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء﴿ وَّمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾من كسب المال والـطـرب والالتـذاذ ومـصادقة الفتيان. وفي الخمر خصوصاً تشجيع الجبان وتوقير المروءة وتقوية الطبيعة ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾أي المفاسد التي تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما. ولهذا قيل؛ إنها المحرمة للخمر؛ لأن المفسدة إذا ترجحت على المصلحة اقتضـت تـحـريـم الـفـعـل .والأظهـر أنـه ليـس كـذلك ما مر من إبطال مذهب المعتزلة. ﴿وَيَسْـئَلُـونَكَ مَـاذَا يُـنْـفِـقُـونَ﴾ قيل: سائله أيضاً عمرو بن الجموح سأل أولاً عن المنفق والـمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق ﴿قل العفو﴾العفو نقيض الجهد، ومنه يقال للأرض السهلة ، وهو أن ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد . قال:

قوله: لـمـا مـر: أنـه لـم يتـرك الـخمر بهذه الآية إلا قوم من أصحابه، وسأل عمر رضيالله تعالىٰ عنه البيان الشافي.

خُذِي الْعَفْوَ مِنّي تَسْتَدِيمي مَوَدَّتي   وَلَا تَنْطِقِي في سَورَتي حين أَغْضَبُ

وروي "أن رجلاً أتى النبي ﷺ بيضة من ذهب أصابها في بعض المغانم فقال: خذها مني صدقة. فأعرض عليه الصلاة والسلام عنه حتى كرر عليه مراراً فقال: هاتها مغضباً فأخذها فحذفها حذفاً لو أصابه لشجه ثم قال: يأتي أحدكم بما له كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس. إنما الصدقة عن ظهر غنى" وقرأ أبو عمرو برفع العفو ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيٰتِ﴾ أي مثل ما بين أن العفو أصلح من الجهد، أو ماذكر من الأحكام. والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف: أي تبييناً مثل هذا التبيين. وإنما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ[٢١٩]﴾ في الدلائل والأحكام ﴿فِى الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ﴾ في أمور الدارين فتأخذون بالأصلح والأنفع فيهما. وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم، أو يضركم أكثر مما ينفعكم ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتٰمٰى﴾ لما نزلت ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ [٤. النساء: ١٠] الآية اعتزلوا اليتامى ومخاطبهم والاهتمام بأمرهم فشق ذلك عليهم. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أي مداخلتهم لإصلاحهم، أو إصلاح أموالهم خير من مجانبتهم ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ حث على المخالطة: أي إنهم إخوانكم في الدين، ومن حق الأخ أن يخالط الأخ. وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ وعيد ووعد لمن خالطهم لإفساد وإصلاح: أي يعلم أمره فيجازيه عليه. ﴿وَلَوشَآءَ اللّٰهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ أي ولو شاء الله إعناتكم لأعنتكم: أي كلفكم ما يشق عليكم. من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ﴿إِنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ[٢٢٠]﴾ غالب يقدر على الاعنات ﴿حَكِيْمٌ﴾ يحكم ما تقضيه الحكمة وتتسع له الطاقة.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكٰتِ حَتّٰى يُؤْمِنّ﴾ أي ولا تتزوجوهن. وقرئ بالضم أي ولا تزوجوهن من المسلمين. والمشركات تعم الكتابيات؛ لأن أهل الكتاب مشركون لقوله تعالى ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ [التوبة: ٣٠] إلى

قوله: خذ العفو مني تستديمي مودتي: ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

قيل: لأبي الأسود الدئلي يخاطب زوجته ـ وقيل: لاسماء بن خازمة الفزاري أحد حكماء العرب: أي خذي ما سهل ولم يشق علي من الأموال لتستديمي محبتي.

قوله: فخذفها: والخذف بالخاء المعجمة رمي الحصى بالأصابع.

قوله تعالى﴿ سبحنه عما يشركون ﴾[٩.التوبة: ٣١]ولكنها خصت عنها بقوله ﴿والمحصنت من الذين أوتوا الكتب﴾[٥ .المائدة:٥]روي" أنه عليه الصلاة والسلام بعث مرثداً الغنوي إلى مكة ليخرج منها أناساً من المسلمين ، فأتته عناق وكان يهواها في الجاهلية، فقالت:ألا تخلوا؟ فقال: إن الإسلام حال بيننا فقالت: هل لك أن تزوج بي فقال نعم ولكن أستأمر رسول الله ﷺفاستأمره فنزلت﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾أي ولا امرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة. فإن الناس كلهم عبيد الله وإماؤه﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُم﴾بحسنها وشمائلها . والواو للحال و"لو" بمعنى" إن" وهو كثير ﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتّٰى يُؤمِنُوا﴾ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا. وهو على عمومه ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ تعليل للنهي عن مواصلتهم ، وترغيب في مواصلة المؤمنين ﴿ أُولٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين من المشركين والمشركات ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي الكفر المؤدي إلى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم ﴿وَاللّٰهُ﴾ أي وأولياؤه يعني المؤمنين، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه تفخيماً لشأنهم ﴿يَدْعُوا إِلَى الجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ ﴾ أي إلى الاعتقاد والعمل الموصلين إليهما فهم الأحقاء بالمواصلة. ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي بتوفيق الله تعالى وتيسيره، أو بقضائه وإرادته ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ[٢٢١]﴾ لكي يتذكروا، أوليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى .

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيْضِ﴾ روي "أن أهل الجاهلية كانوا لا يسكنون الحيَّض ولا يؤاكلونها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك إلى أن سأل أبو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت" والمحيض: مصدر كالمجيء والمبيت. ولعل سبحانه وتعالى إنما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثاً، ثم بها ثلاثاً ؛ لأن السّوالات الأوَل كانت في أوقات

قوله: ولعل سبحانه وتعالىٰ: إنما ذكر بغير واو ثلثا. وهو ﴿يسألونك ماذا ينفقون. يسألونك عن الشهر الحرام. يسألونك عن الخمر﴾ ثم ذكر بالواو ثلثا وهي ﴿ويسألونك ماذا ينفقون. ويسئلونك عن اليتمىٰ. ويسألونك عن المحيض﴾ لأن السوالات الأول الخ .
فإن قيل: كفى في العطف بالواو الذي هو للجمع المطلق اجتماع الجملتين مع وجود الجامع سواء كان في وقت واحد أولا، فوقوع السؤال عن الحوادث في أحوال متفرقة لا يوجب ترك العطف .قلنا: المراد أنه لما كان كل منها سوالا مبتدأ من غير تعلق بالآخر ولا مقارنة معه لم يقصد إلى جمعها بل أخبر عن كل منهما على حدة بخلاف السوالات

متفرقة والثلاثة الأخيرة كانت في واحد؛ فلذلك ذكرها بحرف الجمع ﴿قُلْ هُوَ أَذىً﴾ أي الحيض شيء مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه ﴿فَاعْتَزِلُواْ النِّسَآءَ فِي الْمَحِيْضِ﴾ فاجتنبوا مجامعتهن؛ لقوله عليه الصلاة والسلام "إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم". وهو الاقتصاد بين إفراط اليهود وتفريط النصارى؛ فإنهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض. وإنما وصفه بأنه أذى ورتب الحكم عليه بالفاء إشعاراً بأنه العلة﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتّٰى يَطْهُرْنَ﴾تأكيد للحكم وبيان لغايته. وهوأن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحاً قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عباس يطهرن: أي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاماً قوله﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ فإنه يقتضي تأخير جواز الإتيان عن الغسل. وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: إذا طهرت لأكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّٰهُ﴾أي المأتي الذي أمركم الله به وحلله لكم ﴿إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِيْنَ﴾من الذنوب﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِيْن[٢٢٢]﴾أي المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والإتيان في غير المأتي.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾مواضع حرث لكم. شبههن بها تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من النطف بالبذور﴿فَأْتُوا حَرْثَكُم﴾أي فائتوهن كما تأتون المحارث. وهو كالبيان لقوله تعالى ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾[٢.البقرة:٢٢٢]﴿أَنّٰى شِئْتُمْ﴾من أي جهة شئتم. روي "أن اليهود كانوا يقولون: من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها أحول.فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ما يدخرلكم من الثواب. وقيل:هو طلب الولد.وقيل:التسمية عند الوطء﴿وَاتَّقُواللّٰه﴾بالاجتناب عن معاصيه.

الأخر حيث وقعت في وقت واحد عرفا كشهر كذا ويوم كذا مثلاً فقصد إلى جمعها فأتي بالواو الذي للجمع ثلثا فالجامع فيها اتحاد المسند إليه وهو المسلمون واشتراك المسندات فيها في كونه كل منها إرشادا.

قوله: تأكيد للحكم: وهو حرمة القربان وعدمه حيث جعل غايته إلى كمال الطهارة وهو النقاء والاغتسال.

قوله: فإنه يقتضي تأخير جواز الإتيان عن الغسل: فلا يجوزالإتيان قبل الغسل فعلم أن غاية عدم الإتيان وحرمة القربان هو الغسل.

﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّكُم مُّلٰقُوهُ﴾ فتزودوا ما لا تفتضحون به ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ[٢٢٣]﴾ الكاملين في الإيمان بالكرامة والنعيم الدائم . أمر رسول الله ﷺ أن ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل أمره منهم﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوْا وَتَتَّقُوْا وَتُصْلِحُوْا بَيْنَ النَّاسِ﴾نزلت في الصديق رضي الله تعالى عنه لما حلف أن لا ينفق على مسطح لا فترائه على عائشة رضي الله تعالى عنهما، أو في عبد الله بن رواحة حلف أن لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته . والعرضة: فعلة بمعنى المفعول تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للأمر. ومعنى الآية على الأول ولا تجعلوا الله حاجزاً لما حلفتم عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالإيمان الأمور المحلوف عليها كقوله عليه الصلاة والسلام لا بن سمرة "إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها.فأت الذي هو خير وكفرعن يمينك". و"أن" مع صلتها عطف بيان لها. واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعراض. ويجوز أن تكون للتعليل ويتعلق "أن" بالفعل أو بعرضة: أي ولا تجعلوا لله عرضة لأن تبروا لأجل أيمانكم به . وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضاً لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به . ولذلك ذم الخلاف بقوله﴿ولا تطع كل حلاف مهين ﴾[٦٨.القلم:١٠] وأن تبروا علة للنهي أي أنهاكم عنه إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس؛ فإن الحلّاف مجترئ على الله تعالى. والمجترئ عليه لا يكون براً متقياً ولا موثوقاً به في إصلاح ذات البين ﴿ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ﴾لأيمانكم ﴿ عَلِيْم[٢٢٤]﴾بنياتكم .

قوله: الكاملين في الإيمان: إنما فسر به لأن المراد بالمؤمنين الذين إتقوا وقدموا لأنفسهم ما يدّخرلهم من الثواب ففعلوا الحسنات وتركوا القبائح .

قوله: تطلق لما يعرض دون الشيء: يعني أنها جاء ت اسما لما تعرض دون الشيء أي تجعله قدامه بحيث يصير حاجزا ومانعًا عنه من عرض العود على الإناء بعرض ويعرض بالضم والكسر. وأما تعرضه للأمر من التعريض للمبيع ونحوه، تقول: عرضت فلانا للحرب فتعرض لها. ومعنى الآية على الأول لا تجعلوا لله حاجزا لما حلفتم عليه من أنواع الخيرات أن لا يفعلوها كالبر والاتقاء والإصلاح أولا تجعلوا لله عرضة حاجزا لأن تبروا لأجل أيمانكم به لما فيها من الاعتراض بترك الخيرات فعلى هذا يكون الأيمان على حقيقته لا بمعنى المحلوف عليه وعلى الثاني لا تجعلوا الله معرضًا ثا بت الحلف منكم لأن تبروا فتجعله كالبذلة بكثرة الحلف.

﴿لايُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَانِكُمْ﴾اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام غيره. ولغو اليمين مالا عقد معه كما سبق به اللسان، أو تكلم به جاهلاً لمعناه كقول العرب: لا والله، وبلى والله، لمجرد التأكيد لقوله ﴿وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه. ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما بما قصدتم من الأيمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم . وقال أبو حنيفة : اللغو أن يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب . والمعنى لا يعاقبكم بما أخطأتم فيه من الأيمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيه ﴿ وَاللّٰهُ غَفُورٌ﴾حيث لم يؤاخذ باللغو ﴿حَلِيْمٌ[٢٢٥]﴾حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصاً للتوبة.

﴿لِلَّذِيْنَ يُؤْلُونَ مِنْ نِّسَآئِهِمْ﴾أي يحلفون على أن لا يجامعوهن . والإيلاء : الحلف. وتعديته بـ"على"و لكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بـ"من"﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾مبتدأ وما قبله خبره،أو فاعل الظرف على خلاف سبق. والتربص: الانتظار والتوقف أضيف إلى الظرف على الاتساع:أي للمولى حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء

قوله: ولغو اليمين مالاعقد معه: أي لاعقد القلب معه بأن لم يواطي القلب الألسنة كقول العرب لا والله لمجرد التأكيد حيث لم يقصد الحلف ولم يواطئ القلوب الألسنة بدليل قوله:﴿ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ والمعنى لا يواخذكم بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه كقول العرب ولكن يواخذكم بما قصدتم من الأيمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم أما بهما كما في يمين الغموس عند الشافعي رحمه الله تعالىٰ فإنه يجب عنه الكفارة والعقوبة، أو بأحدهما كما إذا حلف على الظن فإنه يجب الكفارة ولا عقوبة. ومبنٰى هذا المعنٰى على قول الشافعي بخلاف المعنى الثاني فإن مبناه على قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى لأن اللغومن اليمين أن يحلف الرجل على ظنه الكاذب. والمعنٰى لا يعاقبكم بما أخطأتم به من الأيمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم به الكذب ،أما بهما كما إذا تعمد الكذب في المستقبل أو بأحدهما كما إذا حلف على المستقبل ولم يتعمد الكذب فإنه يجب الكفارة فقط عنده أو تعمد الكذب في الماضي فإنه يجب العقوبة فقط.

قوله: وتعديته بعلٰى: يعني أن الحلف والقسم يتعديٰ بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نساء هم مؤلين أو مقسمين عدي بمن لأن البعد يستعمل بمن كما يستعمل بعن .

ولا طلاق؛ ولذلك قال الشافعي : لا إيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ويؤيده ﴿فَإِنْ فَآئُو﴾رجعوا في اليمين بالحنث﴿فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيْمٌ٢٢٦]﴾للمولى إثم حنثه إذاكفر، أو ما توخى بالإيلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ وإن صمموا قصده ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ ﴾ لطلاقهم ﴿عَلِيْمٌ[٢٢٧]﴾ بغرضهم فيه. وقال أبو حنيفة:الإيلاء في أربعة أشهر فما فوقها . وحكمه أن المولى إن فاء في المدة بالوطء إن قدر، وبالوعد إن عجز. صح الفيء ولزم الواطئ أن يكفر وإلا بانت بعدها بطلقة. وعندنا يطالب بعد المدة بأحد الأمرين فإن أبي عنهما طلق عليه الحاكم .

﴿وَالْمُطَلَّقٰتُ﴾ يريد بها المدخول بهن من ذوات الأقراء لما دلت عليه الآيات. والأخبار أن حكم غيرهن خلاف ما ذكر ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾خبر بمعنى الأمر . وتغيير العبارة لتأكيد والإشعار بأنه مما يجب أن يسارع إلى امتثاله . وكأن المخاطب قصد أن يمتثل الأمر فيخبر عنه كقولك في الدعاء:رحمك الله . وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد

قوله: ولذلك: أي لأجل أنه أضيف التربص إلى الظرف على الاتساع وجعله مفعولا به قال الشافعي رحمه الله تعالى: لا إيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ويؤيد قوله: "فإن فاء وا".فان الفاء ظاهر في أن ذلك بعد الأربعة الأشهر فيكون مدة الايلاء أكثر من أربعة أشهر حتى يكون الفيئة بالحنث بعد الأربعة الأشهر هذا. والظاهر أن الآية حجة للحنفية ولهذا احتجوا به أيضًا لأنه نص في أن مدة الإيلاء تربص أربعة أشهر لا أكثر.

قوله: وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالىٰ: الإيلاء في أربعة أشهر فما دونه. هذا مبني على قوله المرجوع عنه؛ فإنه قال أولاً لو حلف أن لا يقربها أقل من أربعة أشهر يكون موليًا فلما بلغه حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا إيلاء فما دون أربعة أشهر رجع عنه .

قوله: بأحد الأمرين: أي الفي أو الطلاق .

قوله: أن حكم غيرهن خلاف ما ذكر. وذلك أنه لاعدة على غير المدخول بها، وعدة غير ذوات الأقراء لحمل أو صغرأوكبر بوضع الحمل أو بالأشهر. ولا بدّ من قيد الحرية إذ عدة الأمة قرء ان لاقروء. قوله: خبر بمعنى الأمر:أي ليتربصن .

قوله: وبناؤه على المبتدإ يزيده فضل توكيد: إما لتكرير الإسناد، وإما لأنك لما ذكرت المبتدأ أشرت السامع بأن هناك حكماً عليه فإذا ذكرته كان أوقع عنده من أن يذكره ابتداءً ، وإما لان الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية .

﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ تهييج وبعث لهن على التربص؛ فإن نفوس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن بأن يقمعنها ويحملنها على التربص ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ نصب على الظرف، أو المفعول به. أي يتربصن مضيها. وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض كقوله عليه الصلاة والسلام "دعي الصلاة أيام أقرائك" وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الأعشى:

مُوَرَّثَةٌ مَالًا وَفِي الْحَي رَفْعَةٌ   لِمَا ضَاعَ فِيْهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

وأصله الانتقال من الطهر إلى الحيض. وهو المراد في الآية لأنه الدال على براءة الرحم لا الحيض. كما قاله الحنفية لقوله تعالى:

قوله: نصب على الظرف: أي يتربصن مدة ثلثة قروء.

قوله: لما ضاع: أوله:

أفي كل عام أنت جاشم غزوة   تشد لأقصاها عزيم عزائكا

ومعنى البيت أنه ينكر على نفسه طول غيبته عن الحي وركوبه كل عام مخاطرة الحروب والغارات لكن القصد إلى اثبات ذلك فهو استفهام تقرير يشوبه إنكار. وجشمت الأمر تكلفته مشقة والظرف متعلق بجاشم لكون التقرير راجعا إليه. والعزيم: العزيمة، والعزأ: الصبر ومورثة صفة غزوة أي تورث المال والجاه في القبيلة لأجل ما ضاع من بيان إظهاربسببها، فهو علة للتوريث: أي لأجل صرف الأوقات و ترك الشهوات قد ظفرت بالأمرين.

قوله: لأنه الدال على براءة الرحم: يعني أن أصل القرء الانتقال. وهو هٰهنا الانتقال من الطهر إلى الحيض. وأن الغرض الأصلي في العدة برأة الرحم وهي تحصل بالانتقال من الطهر إذ لو كان فيه العلوق لم ينتقل من الطهر بل يبقى عليه. وصاحب الشرع يراعي معنى اللغة فالقرء باعتبار أصل اللغة يدل على براءة الرحم بخلاف الانتقال من الحيض فإنه لايدل على براءة الرحم،بل إنما يدل عليها نفس الحيض فهو المراد في الآية. وللعدة بالطهر مدلول النص فهو المراد في الآية للحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى﴿فطلقوهن لعدتهن﴾لأن اللام في مثله تفيد التوقيت والتخصيص بالوقت قال الله تعالى﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة .أقم الصلوٰة لدلوك الشمس .ولما جاء موسى لميقاتنا﴾والطلاق الشرعي إنما هو في الطهر لا في الحيض، فيكون ابتداء العدة من الطهر فالعلة الأولى لإثبات مذهبه والثانية لإبطال مذهب الخصم فالمدعى مخلتف ولهذا لم يعطف التمسك بالآية على الدليل الأول، فلايرد ما قيل أن الأولىٰ أن يعطف على الدليل

﴿فطلقوهن لعدتهن﴾[طلاق:١.]أي وقت عدتهن . والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض . وأما قوله عليه الصلاة والسلام : وطلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان "فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر " مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر. ثم إن شاء أمسك بعد وإن شا ء طلق قبل أن يمس . فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء " وكان القياس أن يذكر بصيغة القلة التي هي الأقراء، ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البناء ين مكان الآخر. ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الأقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناوها﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَّكْتُمْنَ مَا

وأجيب عن التمسك بأن قوله لعدتهن مستقبلة "لعدتهن"كما في قولك لثلاث بقين ورد عليه بأن هذا لايدفع التمسك بل يقويه لأنه إنما يقال ذلك حيث يتصل الفعل بأول الثلث وإذا اتصل التطليق بأول العدة كان بقية الطهر الذى وقع فيه التطليق محسوبًا من العدة وفيه المطلوب .

قوله: ماروواه الشيخان في قصة ابن عمرمره فليراجعها: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكرعمر لرسول الله ﷺ فتغيظ ثم قال مره فليراجعها إلى آخر ما ذكره قوله:تغيظ أي غضب، ووجه تغيظه أن الطلاق في الحيض بدعة لأن الطلاق في الحيض يطول عدة المرأة لأنه ينقضي عدتها إذا دخلت في الحيضة الرابعة فلو طلقها في الطهر تنقضي عدتها إذا دخلت في الحيضة الثالثة. قوله:فليراجعها: أي ليقل راجعتها إلى نكاحي ليزول عنه إثم التطليق في حال الحيض. ثم إذا راجعها ليمسكها حتى يمضي عليها طهران أو أكثر. وإنما يشترط أن يمضى عليها بعد الرجعة طهران لأنه لو طلقها في الطهر الذي يأتي بعد الرجعة يكون رجعتها لأجل الطلاق، ولو لم يطلقها بعد الرجعة حتى يمضي عليها طهران لم تكن الرجعة لأجل الطلاق لأنه لو كان لأجل الطلاق لطلقها في الطهر الأول بعد الرجعة، وإنما اشترط أن يطلقها قبل أن يمسها أي قبل أن يجامعها في ذلك الطهر لأن التطليق في طهر جامعها فيه بدعة؛ لأنه يورث الندامة لأن الرجل ربما طلق على ظن أن المرأة لم تكن حاملًا فلما علم بعد الطلاق أنها حامل ندم. وطلاق البدعة ليس إلاالتطليق في الحيض أو في الطهر الذي جامعها .

قوله:فتلك العدة: إشارة إلى الحالة المذكورة وهي الطهر .

خَلَقَ اللّٰهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾من الولد، أو الحيض استعجالاً في العدة وإبطالاً لحق الرجاعة . وفيه دليل على أن قولها ينا في مقبول في ذلك .

﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ﴾ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن ، بل التنبية على أنه ينا في الإيمان ، وأن المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغى له أن يفعل ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أي أزواج المطلقات﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾إلى النكاح والرجعة إليهن ولكن إذا كان الطلاق رجعياً لـلآية التي تتلوها فالضمير أخص من المرجوع إليه، ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه . والبعولة: جمع بعل، والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤلة، أو مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به ، أو أقيم مقام المضاف المحذوف أي وأهل بعولتهن . و"أفعل" ههنا بمعنى الفاعل ﴿ فِى ذٰلِكَ﴾أي في زمان التربص﴿إِنْ أَرَادُوٓا إِصْلاَحًا﴾ بالرجعة لا لإضرار المرأة . وليس المراد منه شرطية قصد الإصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾أي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها . لا في الجنس﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾زيادة في الحق وفضل فيه ؛لأن حقوقهم في أنفسهم وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها ، أو شرف وفضيلة لأنهم قوام عليهن وحراص لهن يشاركوهن في غرض الزواج ويخصون بفضلية الرعاية والإنفاق ﴿وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ﴾يقدر على الانتقام ممن خالف الأحكام﴿حَكِيْمٌ[٢٢٨]﴾يشرعها لحكم ومصالح.

قوله:لـلآية التي تتلوها: وهي قوله:﴿الطلاق مرتان﴾ فان المراد به الطلاق الرجعي كما سيجيء.

قوله:فالضمير أخص من المرجوع إليه: يعني أن المرجوع إليه هي أزواج المطلقات مطلقا والمراد بالضمير أزواج المطلقات الرجعية.

قوله: في الوجوب واستحقاق المطالبة: يعني كما أن بعض الحقوق يجب لهم عليهن مثل الأمرو النهي وحسن العشرة كذلك بعض الحقوق يجب لهن عليهم مثل المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة، فيكون المراد المماثلة في الوجوب لا في الجنس لأن الأجناس فيهما مختلفة فلا يجب عليه إذا اغتسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال .

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ أي التطليق الرجعي اثنان لما روي (أنه ﷺ سُئِلَ أين الثالثة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أو تسريح باحسان. وقيل: معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق . ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾بالمراجعة وحسن المعاشره . وهو يؤيد المعنى الأول ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾بالطلقة الثالثة، أو بأن لا يراجعها حتى تبين . وعلى المعنى الأخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾أي من الصدقات . روي "أن جميلة بنت عبد الله ابن أبى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس . فأتت رسول الله ﷺ فقالت: لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء ، والله ما أعتبه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام وما أطيقه بغضاً إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة ، فإذا هو أشد هم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً " فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان أصدقها إياها . والخطاب مع الحكام وإسنا د الأخذ والإيتاء إليهم لأنهم الآمرون بهما عند الترافع. وقيل:

قوله: أي التطليق الرجعي: أي الطلاق المعقب للرجعة هو مخير في أن يراجعها ثنتان لأنه لارجعة بعد الثلث فبعد الطلاق المعقب للرجعة هو مخير في أنه يراجعها بحسن المعاشرة أو يسرح بالطلقة الثالثة فعلى هذا المعنى قوله: ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ مرتبط بقوله:﴿ الطلاق مرتان ﴾ ومتفرع عليه. فهو تخيير بينهما بعد الطلقتين. وأما على المعنى الأخير فهو كلام مبتدأ، وتخيير مطلق بين المراجعة وعدم المراجعة حتى تبين تعقيب تعليمهم كيفية التطليق وهو التفريق، فكأنه قيل إذا علمتم كيفية التطليق فالواجب أحد الأمرين، وفيه إشارة الى بيان معنى الفاء في إمساك بمعروف؛إذ الامساك بمعروف أو تسريح باحسان إنما يتصور قبل الطلقات يعني أنه يترتب على التعليم .

قوله: وهو يؤيد المعنى الأول: لأن الإمساك بمعروف بالمراجعة إنما يكون بعد الطلاق الرجعي لا بعد التفريق؛إذ قد يكون بالثلث.

قوله: لا أنا ولا ثابت: أي لا اجتمع أنا وثابت.

وقوله: لا يجمع رأسي ورأسه شيء:جملة مبينة أو مؤكدة للجملة الأولي. ومعنى "أكره الكفر في الإسلام" أخاف أن يفضي إلى ما هو كفر في الدين. وقيل:كفران العشير، في عدة: أي في جماعة .

إنه خطاب للأزواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَآ﴾أي الزوجتان. وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ﴿أَلَّا يُقِيْمَا حُدُودَ اللّٰهِ﴾بترك إقامة أحكامه من مواجب الزوجية . وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وإبدال أن بصلته من الضمير بدل الاشتمال . وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾أيها الحكام ﴿أَلَّا يُقِيْمَا حُدُودَاللّٰهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهٖ﴾على الرجل في أخذ ماا فتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في إعطائه ﴿تِلْكَ حُدُودُاللّٰهِ﴾إشارة إلى ما حد من الأحكام ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ فلا تتعدوها بالمخالفة ﴿وَمَنْ يَّتَعَدَّ حُدُودَاللّٰه فَأُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُون[٢٩٩]﴾تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد. واعلم أن ظاهر الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق . ولا بجميع ما ساق الزوج إليها فضلاً عن الزائد. ويؤيد ذلك قوله ﷺ " أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة " وما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لجميلة: "أتردين عليه حديقته؟ فقالت: أردها وأزيد عليها. فقال عليه الصلاة والسلام: أما الزائد فلا" والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه؛ فإن المنع عن العقد لا يدل على فساده، وأنه يصح بلفظ المفاداة ؛ فإنه تعالى سماه افتداء . واختلف في أنه إذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ أو طلاق. ومن جعله فسخاً احتج بقوله :

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾فإن تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي أن يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقاً. والأظهر أنه طلاق ل؛أنه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض .

قوله:وهو يشوش: أي الخطاب للأزواج يشوش النظم على القرأة المشهورة وهي أن يقرأ"يخافا" و"يقيما" بالغيبة بخلاف القرأة الغير المشهورة وهي بتاء الخطاب إذ لا يشوش النظم فيها لأنه على النهج المستقيم إذ المعنى لا يحل لكم أيها الزوجان إلا أن تخافا أيها الزوجان

قوله: بدل الاشتمال: والمعنى إلا أن يخافا الزوجان أي تركهما إقامة حدود اللّٰه كقوله خيف زيد تركه حدوداللّٰه .

قوله: ولا بجميع ما ساق الزوج إليها: لقوله تعالىٰ ﴿مما اٰتيتموهن﴾

قوله: وما روي أنه عليه الصلوٰة والسلام: تائيد باعتبار تجزُّء المدعى وهو الزائد وإلا فهو لا ينفي الخلع بجميع ماساق الزوج إليها.

وقوله: فإن طلقها متعلق بقوله ﴿الطلاق مرتان﴾ أو تفسير لقوله: ﴿أو تسريح بإحسان﴾ اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على أن الطلاق يقع مجاناًتارة وبعوض أخرى، والمعنى فإن طلقها بعد الثنتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾ من بعد ذلك الطلا ق ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ حتى تتزوج غيره. والنكاح يستند إلى كل منهما كالتزوج. وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على أنه لا بد من الإصابة لما روي "أن امرأة رفاعة قالت لرسول الله ﷺ: إن رفاعة طلقني فبت طلاقي. وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وإن ما معه مثل هدبة الثوب. فقال رسول الله ﷺ: "أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ قالت: نعم. قال: لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك" فالآية مطلقة قيدتها السنة. ويحتمل أن يفسر النكاح بالإصابة. ويكون العقد مستفاداً من لفظ الزوج. والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع إلى الطلاق والعود إلى المطلقة ثلاثاً والرغبة فيها. والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الأكثر. وجوزه أبو حنيفة مع الكراهة.

وقد لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ أن يرجع كل من المرأة والزوج الأول إلى الآخر بالزواج ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ إن كان في ظنهما أنهما يقيمان ماحدده الله وشرعه من حقوق الزوجية. وتفسير الظن بالعلم ههنا سديد؛ لأن عواقب الأمور غيب تظن ولا تعلم، ولأنه لا يقال: علمت أن يقوم زيد؛ لأن "أن" الناصبة للتوقع وهو ينا في العلم ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي الأحكام المذكورة ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[٢٣٠]﴾ يفهمون ويعلمون بمقتضي العلم.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي آخر عدتهن. والأجل: يطلق للمدة ولمنتهاها، فيقال لعمر الإنسان وللموت الذي به ينتهي قال:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ مُدَّةَالْعُمُرِ وَمَوتٌ إِذا انْتَهَى أَجَلُه

قوله: فبت طلاقي: أي طلقني ثلثا لأن البت مبالغة القطع فيحصل البينونة الكبرى.

قوله: حتى تذوقي عسيلته: شبه لذة الجماع بذوق العسل فاستعار لها ذوقا. وإنما أنث لأنه أراد قطعة من العسل، وإنما صغره لأنه أشار إلى القدر القليل الذي يحصل به الحل.

قوله: أي آخر: عدتهن. وإنما فسر به مع أنه يحتمل المدة ايضًا؛ لأن المقصود بلوغ آخر المدة كلها.

والبلوغ هو الوصول إلى الشيء . وقد يقال للدنو منه على الاتساع . وهو المراد في الآية ليصح أو يرتب عليه ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوسَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾إذ لا امساك بعد انقضاء الأجل . والمعنى: فراجعوهن من غير ضرار ، أو خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل. وهو إعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً﴾ولا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن ، كأن المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الأجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها. فنهي عنه بعد الأمر بضده مبالغة . ونصب ضراراً على العلة ،أو الحال بمعنى مضارين ﴿ لِّتَعْتَدُوا﴾لتظلموهن بالتطويل، أو الإلجاء إلى الافتداء . واللام متعلقة بـ"ضراراً "إذ المراد تقييده﴿وَمَنْ يّفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾بتعريضها للعقاب﴿وَلَا تَتّخذوٓا آيٰتِ اللّهِ هُزُواً﴾ بالإعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الأمر إنما أنت هازئ . كأنه نهي عن الهزؤ وأراد به الأمر بضده .وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول: كنت ألعب" فنزلت: وعنه عليه الصلاة والسلام:ثلاث جدهن جد وهزلهن جد.الطلاق والنكاح والعتاق"﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ﴾التي من جملتها الهداية. وبعثه محمد ﷺ بالشكر والقيام بحقوقها ﴿وَمَآ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتٰبِ وَالْحِكْمَةِ﴾القرآن والسنة. أفردهما بالذكر إظهاراً لشرفهما﴿ يَعِظُكُمْ بِهٖ﴾بماأنزل عليكم ﴿وَاتَّقُواْ اللّٰهَ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيْم[٢٣١]﴾تأكيد وتهديد.﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾أي انقضت عدتهن. عن الشافعي رحمه الله تعالى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين.

قوله: وهو إعادة للحكم: أي إيجاب الإمساك بالمعروف أو التسريح بالإحسان في صورة بلوغهن أجلهن للاهتمام لأن المطلق كان يترك المعتدة حتى تشارف الأجل ثم يراجعها ليطول العدة فنهي عنه وأمر بخلافه.

قوله: مبالغة: أي في ترك الإضرار لأن الأمر بالإمساك بالمعروف أو التسريح بالمعروف يستلزم ترك الإضرار وحرمته .

قوله: دل سياق الكلامين: فالكلام الأول مسوق لبيان الإمساك بالمعروف أو التسريح بالإحسان فالمراد بالأجل الدنو من الآخر، والكلام الثاني مسوق لبيان جواز نكاحهن أزواجهن، وذا إنما يكون بعد تمام العدة فالمراد تمام الأجل وهذا معنى دلالة سياق الكلام على افتراق البلوغين، فإنه إذا وجد تعليل لكون المعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر.

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾المخاطب به الأولياء؛ لما روي" أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته جميلاء أن ترجع إلى زوجها الأول بالاستيناف" فيكون دليلاً على أن المرأة لا تزوج نفسها؛ إذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى. ولا يعارض بإسناد النكاح إليهن ؛لأنه بسبب توقفه على إذنهن . وقيل: الأزواج الذين يعضلون نساء هم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدواناً وقسراً ؛لأن الآية جواب قوله:" وإذا طلقتم النساء". وقيل: الأوليا والأزواج.وقيل:الناس كلهم، والمعنى:لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر فإنه إذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كا لفاعلين له . والعضل: الحبس والتضييق منه، عضلت الدجاجةإذا نشب بيضها فلم يخرج .

﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم﴾أي الخطاب والنساء وهو ظرف لـ"أن ينكحن" أو" لا تعضلوهن"﴿بِالْمَعْرُوفِ ﴾بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروّة .حال من الضمير المرفوع، أو صفة لمصدر محذوف:أي تراضياً كائناً بالمعروف . وفيه دلالة على أن العضل عن التزوج من غير كفؤ غير منهي عنه ﴿ذلك﴾إشارة إلى ما مضي ذكره والخطاب للجميع على تأويل القبيل، أو كل واحد، أو أن الكاف لمجرد الخطاب. والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين،أو للرسول ﷺ على طريقة قوله:﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ﴾[٦٥.الطلاق:١]للدلالة على أن حقيقة المشار إليه أمر لا يكاد يتصوره كل أحد﴿ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ﴾لأنه المتعظ به والمنتفع ﴿ذٰلِكُمْ﴾ أي العمل بمقتضى ما ذكر ﴿ أَزْكَى لَكُمْ﴾أي أنفع﴿وَأَطْهَر﴾من دنس الآثام ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ما فيه النفع والصلاح ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[٢٣٢]﴾لقصور علمكم ﴿وَالْوَالِدٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب، أوالوجوب فيخص بماإذا لم يرتضع الصبي إلا من أمه، أو لم يوجد له ظئر، أو عجز الوالد عن الاستئجار. والوالدات يعم المطلقات وغيرهن. وقيل: يختص بهن؛ إذ الكلام فيهن ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾أكده بصفة

قوله: المروّة: أصلها المرؤة با لهمزة من المرء. ومعناها كمال الرجولية يريد بعض مايستحسن به في الرسوم والعادات .

قوله: والخطاب للجميع على تأويل القبيل أو لكل واحد: لقوله ﴿ذلكم أزكى لكم﴾ وأن الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون بعض المخاطب حتى يكون المخاطب فيه وفي ﴿ذلكم أزكى لكم﴾ مختلفا .

الكمال؛ لأنه مما يتسامح فيه ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾بيان للمتوجه إليه الحكم:أي ذلك لمن أراد إتمام الرضاعة، أو متعلق بـ"يرضعن" فإن الأب يجب عليه الإرضاع كالنفقة. والأم ترضع له . وهودليل على أن أقصى مدة الإرضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وأنه يجوز أن ينقص عنه ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾أي الذي يولد له يعني الوالد. فإن الولد يولد له وينسب إليه . وتغيير العبارة للإشارة إلى المعنى المقتضى لوجوب الإرضاع ومؤن المرضعة عليه ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾أجرة لهن . واختلف في استئجار الأم فجوزه الشافعي .ومنعه أبو حنيفة رحمهما الله تعالى ما دامت زوجة، أو معتدة نكاح ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه ﴿لَاتُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾تعليل لإيجاب المؤن والتقييد بالمعروف، ودليل على أنه سبحانه وتعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع إمكانه ﴿لَاتُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾تفصيل له وتقرير: أي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما ليس في وسعه ، ولا يضاره بسبب الولد. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لا تضار با لرفع بدلًا من قوله لا تكلف . وأصله على القراء تين تضارر بالكسر على البناء للفاعل ،أو الفتح على البناء للمفعول . وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون بمعنى تضر، والباء من صلته: أي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له . وقرئ

قوله: فإن الولد يولد له وينسب إليه: إذ الأولاد للآباء والنسب إليهم لا إليهن كذا في المدارك: فقوله: وينسب إليه تفسير لقوله فإن الولد يولد له.

قوله: وتغيير العبارة:حيث لم يقل وعلى الوالد .

قوله: تعليل لإيجاب المؤن: يعني إنما وجب المؤن على الوالد دون الوالدة لأنه إنما هو في وسعه لا في وسعها والتقييد بالمعروف للإشعار بأن التكليف بما لا يطاق غير واقع وإن كان جائزا وممكنا كما هو رأى الشيخ الأشعري .

قوله: تفصيل له :أي للتكليف بما في الوسع وتقرير له أي لا يكلف كل من الزوجين الآخر ما ليس في وسعه، ولا يضار بسبب الولد وذلك بأن تعتق الوالدة بالولد تطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل في قلبه بالتفريط في شان الولد وأن تقول بعد ما ألفها الصبيّ أطلب له ظئرا ويمنع الوالد منها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ويأخذ الولد منها وهي تريد إرضاعها، أويكرهها على الإرضاع .

لاتضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف، وبه مع التخفيف على أنه من ضاره يضيره . وإضافة الولد إليها تارة وإليه أخرى استعطاف لهما عليه ، وتنبيه على أنه حقيق بأن يتفقا على استصلاحه والإشفاق فلا ينبغي أن يضارا به ،أو أن يتضارا بسببه ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾عطف على قوله:" وعلى المولود رزقهن وكسوتهن". وما بينهما تعليل معترض. والمراد بالوارث وارث الأب وهو الصبي: أي مؤن المرضعة من ماله إذا مات الأب . وقيل: الباقي من الأبوين من قوله عليه الصلاة والسلام" واجعله الوارث منا" وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي رحمه الله تعالى؛إذ لا نفقة عنده فيما عدا الولادة . وقيل: وارث الطفل، وإليه ذهب ابن أبي ليلى. وقيل: وارثه المحرم منه. وهو مذهب أبي حنيفة. وقيل: عصباته، وبه قال أبو زيد. وذلك إشارة إلى ما وجب على الأب من الرزق والكسوة ﴿ فَإِنْ أَرَادَ فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾أي فصالاً صادراً عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين . والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأي من شُرْت العسل إذا استخرجته﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾في ذلك وإنما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل، وحذراً أن يقدم أحدهما على ما يضّرُّ به لغرض أو غيره ﴿وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾أي تسترضعوا المراضع لأولادكم . يقال: أرضعت المراة الطفل واسترضعتها إياه كقولك أنجح الله حاجتي واستنجحته إياها. فحذف المفعول الأول للاستغناء عنه.

قوله: على نية الوقف: بأن يكون الإسكات للوقف فيفتقرء الى التقاء الساكنين بخلاف الجزم ولعل ذلك إجراء للوصل مجرى الوقف لأنه ليس آخر الآية .

قوله: وقيل الباقي من الأبوين: يعني أن الوارث بمعنى الباقي كما في قوله عليه الصلاة والسلام: اجعله الوارث أي الباقي .قيل: الوارث بمعنى الباقي وإن كان صحيحا لغة لكن فيه قلق في هذا المقام إذ ليس لقولنا فالنفقة على الأب وعلى من بقي من الأب والأم معنى يعتد به .

قوله: يقال أرضعت المرأة الطفل. قاعدة التصريف أخذ "استفعل" وسائر أبواب المزيد من المجرد لكن المعنى ههنا على طلب أن ترضع الأم الصبي من أرضعت المرأة الصبي لا على طلب أن يرضع الصبي الأم من رضع الصبي الأم أو الثدي فجعل منقولا من أرضع لا من رضع وحذف أحد مفعولي أعطيت جائز لكن ههنا بمنزلة الواجب قلما يوجد في الاستعمال استرضعوا فلانة ولدهم .

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾فيه. وإطلاقه يدل على أن للزوج أن يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الإرضاع﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إلى المراضع ﴿مَآ آتَيْتُمْ﴾ ما أردتم إيتاء ه كقوله تعالى ﴿إذا قمتم إلى الصلوة﴾[٥. المائدة:٦] وقراء ة ابن كثير ماأتيتم من أتى إليه إحساناً إذا فعله . وقرئ أوتيتم: أي ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة ﴿ بِالْمَعْرُوفِ﴾صلة سلمتم:أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً. وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله . وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هوالأصلح، والأولى للطفل ﴿وَاتَّقُوااللّٰه﴾مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع ﴿ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيْر[٢٣٣]﴾حث وتهديد.

﴿وَالَّذِيْنَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَّتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرآ﴾ أي أزواج الذين، أو الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بعد هم . كقولهم السمن منوان بدرهم . وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون آجالهم . وتأنيث العشر باعتبار

قوله: أي بالوجه المتعارف :أي بالوجه المتعارف بين الناس السالكين طريق الإنسانية المستحسن شرعًا وأن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل:مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن .

قوله: وليس اشتراط التسليم لجواز الإرضاع جواب سوال وهو أن ظاهر الكلام كون التسليم شرطا لرفع الجناح حتى لو انتفى ثبت الجناح وانتفى الصحة والجواز وليس كذلك. وحاصل الجواب أن اشتراط التسليم دعاء إلى الأولىٰ ودلالة على أن الأكثر ثوابا أن يكون الاسترضاع مقرونا بتسليم ما تعطى إليه إرشاد إلى ما هو الأصلح للولد وهو أن يكون ما يراد إعطائه منجزا أنه يفضي إلىٰ اهتمامها بشأن الصبي .

قوله: أي وأزواج الذين يعني ﴿إن الذين يتوفون﴾ مبتدأ وخبره ﴿يتربصن﴾ ولا عائد فيه فقدر حذف المضاف الذي يرجع إليه ضمير ﴿يتربصن﴾ وهو الأزواج حذف الضمير المجرور العائد إلى ﴿الذين يتوفون﴾ كما في قولهم "البر الكربستين " والتقدير يتربصن بعدهم .

قوله: وتأنيث العشر: يعني أنث العشر حيث حذف الهاء اعتبارًا بالليالى لأنها غررالشهور نظرا إلى الهلال فيكون الأيام تبعا .

الليالي لأنها غرر الشهور والأيام. ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهاباً إلى الأيام حتى إنهم يقولون صمت عشراً ويشهد له قوله تعالى﴿إن لبثتم إلا عشراً ﴾[٢٠.طه:١٠٣] ثـم﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾[٢٠.طه:١٠٤] ولعل المقتضى لهذا التقدير أن الجنين في غالب الأمر يتحرك لثلاثة أشهر إن كان ذكراً . والأربعة إن كان أنثى فاعتبر أقصى الأجلين . وزيد عليه العشر استظهاراً إذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها . وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي، والحره والأمة كما قاله الأصم والحامل وغيرها . لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للأمة . والإجماع خص الحامل منه لقوله تعالى: ﴿وأُولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ [٦٥.الطلاق٦٥] وعن علي و ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إنها تعتد بأقصى الأجلين احتياطاً ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾أي انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾أيها الأئمة أو المسلمون جميعاً ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليهن للعدة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾بالوجه الذي لاينكره الشرع . ومفهومه أنهن لو فعلن ما ينكره فعليهم أن يكفوهن . فإن قصروا فعليهم الجناح ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ[٢٣٤]﴾فيجازيكم عليه .

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ﴾ التعريض والتلويح إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً. كقول السائل جئتك لأسلم عليك. والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروافده. كقولك الطويل النجاد للطويل . وكثير الرماد للمضياف. والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير أن المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة . والمراد بالنساء المعتدات للوفاة. وتعريض خطبتها أن يقول لها إنك جميلة، أونافعة ومن غرضي أن أتزوج ونحو ذلك .

قوله: لهذا التقدير: أي تقدير زمان عدة الوفاة أربعة أشهر و عشرا .

قوله: لقوله تعالى الخ: هذا سند للإجماع.

قوله: التعريض والتلويح إيهام المقصود:أي التعريض إيهام المقصود بلفظ لم يعين ذلك اللفظ لذلك المقصود لا حقيقة ولا مجازا كقول السائل: جئتكم لأسلم عليك فأوهم الإحسان الذي هو المقصود بلفظ التسليم ولا دلالة عليه لا حقيقة وهو ظاهر ولا مجازا لأنه إيهام وإمالة إلى عرض وجانب بخلاف المجاز ـ والكناية: ذكر اللازم وإرادة الملزوم ـ والمجاز: هو ذكر الملزوم وإرادة اللازم .

﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾أو أضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضاً ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع تو بيخ .

﴿وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾استدراك على محذوف دل عليه ستذكرونهن:أي فـاذكـروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحاً ، أو جماعاً . عبر بالسر عن الوطء لأنه مما يسر ثم عـن العقد لأنه سبب فيه. وقيل: معناه لا تواعدوهن في السر على أن المعنى بالمواعدة فـي السـر الـمواعدة بما يستهجن ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا والـمستثـنى منه محذوف أي: لا تـواعـدوهـن مواعدة إلا معروفة، أو إلا مـواعـدة بقول مـعـروف. وقيـل: إنـه استثناء منقطع من "سرًا" وهو ضعيف لأدائه إلى قولك: لا تواعدوهن إلامـواعـدة التعريض. وهو غير موعود . وفيه دليل على حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تـعـريـضهـا إن كـانـت مـعتـدة وفاة . واختلف في معتدة الفراق البائن والأظهر جوازه ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقدأي ولاتعزموا عقدعقدة النكاح.

قوله: ثـم عن العقد لأنه سبب فيه: لم يجعل السر من أول الأمر مجازا عند العقد وعـدم الـعـلاقة وإنـمـا العلاقة بينه وبين الجماع فجعل مجازا عنه أولا ثم من العقد لعلاقة السببية لأن العقد سبب للجماع .

قوله: وقيل: معناه لا تواعدو هن في السر:وعلى هذا يكون سرا مفعولا فيه كما هو ظـاهـر كـلام الـمـصـنف والـمـفعول الثاني محذوف ويجوز أن يكون تمييزا أوحالا بمعنى مسارين أو مصدرا أي وعدا سراً.

قوله: أي لا تـواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة الخ : يعني إن أجري قوله:﴿ إلا أن تـقـولـوا قولا معروفا﴾ علىٰ ظاهره ،ففي موقع المفعول المطلق أي لا تواعدوهن سرا مواعدة إلا مـواعدة هي قول معروف هو التعريض عن الكناية. وإن كان على حذف الباء ففي موقع المفعول به بواسطةٍ أي لا تواعدوهن بطريق إلابطريق القول المعروف الذي هو التعريض أوالكناية.

قوله: ذكـر الـعزم مبالغة في النهي: لأن العزم على الفعل يتقدمه فإذا نهي عنه كان عن الـفـعـل الـنهـي. وإنـمـا حذف المضاف لأن العزم إنما يكون على الفعل كالعقد لا على العقدة والمعنى لا تقصد وا قصد اجازما لا تردد معه عقد عقدة النكاح أي وثيقته. وقيل: معناه لا تقطعوا عـقـدة النكاح بمعنى لا تبرموه، ولا تلزموه، ولا تقدموا عليه. فيكون النهي عن نفس الفعل لا عن قصده. وبهذا يمتاز عن الوجه الأول وإلا ففي العزم بمعنى القصد أيضًا

وقيل: معناه ولاتقطعوا عقدةالنكاح؛ فإن أصل العزم القطع.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾حتى ينتهي ما كتب من العدة﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾من العزم على ما لا يجوز﴿ فَاحْذَرُوهُ﴾ولا تعزموا ﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾لمن عزم ولم يفعل خشية من الله سبحانه وتعالى ﴿حَلِيمٌ[٢٣٥]﴾لا يعاجلكم بالعقوبة.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾لاتبعة من مهر. وقيل: من وزر؛ لأنه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس . وقيل: كان النبي ﷺ يكثر النهي عن الطلاق فظن أن فيه حرجاً فنفي ﴿إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَالَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾أي تجامعوهن . وقرء حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن ﴿ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيْضَةً﴾إلا أن تفرضوا ، أو حتى تفرضوا، أو وتفرضوا . والفرض تسمية المهر . وفريضةً نصب على المفعول به، فعيلة بمعنى

معنى القطع كما يقال هذا أمر معزوم عليه ومقطوع به .

فان قيل:هل يمكن أن يراد القطع بمعنى الفك ويكون المعنى لا تقطعوا عقدة النكاح للزوج المتوفي بالكلية بحيث تعقدون عليها عقداً آخر.

قلنا: يأباه لفظ الحديث الذي استدل به هذا القائل وهوقوله عليه الصلاة والسلام :لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل لأنه بمعنى الإبرام لا بمعنى الفك .

قوله:ما كتب: أي فرض.

قوله: لأنه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس :أي في الطلاق حال الحيض إلا أن قوله :أو تفرضوا لايلائمه.

قوله: إلا أن تفرضوا أو حتى تفرضوا، أووتفرضوا، إشارة إلى أن "أو" بمعنى "إلا أن" أو"إلى أن" وعبر عنه بحتى أوللعطف ويكون المعنى ما لم يكن المسيس ولا فرض المهر لما تقررأن "أو" في سياق النفي يفيد العموم لكن مساق قوله: وان طلقتموهن الخ.أنسب بأن يكون بعد الحكم بأن لامهر إذا كان الطلاق قبل المسيس إلا أن يوجد أو إلى أن يوجد تسمية المهر أي إذا كان ذلك حين وجدت التسمية فالواجب نصف المسمى بخلاف مالو قيل لامهر مالم يوجد شيء من الأمرين فالمناسب حينئذ أن يقال فإن وجد هذا فالحكم كذا، أو وجد ذلك فكذا.

مفعول. والتاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية . ويحتمل المصدر. والمعنى أنه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهراً .إذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى ، أو مهر المثل . ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف المسمى. فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الأولى . ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الأخيرتين ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ عطف على مقدر أي فطلقوهن ومتعوهن . والحكمة في إيجاب المتعة جبراً إيحاش الطلاق . وتقديرها مفوض إلى رأي الحاكم ويؤيده قوله ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُه﴾أي على كل من الذي له سعة. والمقتر: الضيق الحال ما يطيقه ويليق به . ويدل عليه قوله عليه السلام لأنصاري: طلق امرأته المفوضة قبل أن يمسها."متعها بقلنسوتك" وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال إلا أن يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل . ومفهوم الآية يقتضي تخصيص إيجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج، وألحق بها الشافعي رحمه الله تعالى في أحد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياساً وهو مقدم على المفهوم . وقرأ حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال ﴿مَتَاعاً﴾تمتيعاً﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة﴿حقاً﴾صفة لـ"متاعاً" أو مصدر مؤكد أي حق ذلك حقاً﴿ عَلَى الْمُحْسِنِيْن[٢٣٦]﴾الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتثال، أو إلى المطلقات بالتمتيع، وسماهم محسنين قبل الفعل للمشارفة ترغيباً وتحريضاً.

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيْضَةً﴾لما ذكر حكم المفوضة أتبعه حكم قسيمها ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي فلهن ، أو فالواجب نصف ما

قوله: في الصورة الأولى: وهي كون المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر.

قوله: على الجملة: أي أعم من أن يكون نصفاً أو تماما.

قوله: إمرأته المفوضة: وهي التي نكحت بلا ذكر المهر أو على أن لا مهر لها .

قوله: ومفهوم الآية يقتضي تخصيص إيجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج :يعني أن منطوق الآية إيجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج ومفهومها تخصيصه بها معنى أنه لا يجب المتعة لغيرها وهي الممسوسة المفوضة وغير المفوضة .

قوله: أي فلهن أو فالواجب: إشارة إلى أن قوله: فنصف ما فرضتم إما مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف .

فرضتم لهن لما ذكر حكم المفوضة أتبعه حكم قسيمها. وهو دليل على أن الجناح المنفي ثم تبعة المهر وأن لا متعة مع التشطير لأنه قسيمها﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ أي المطلقات فلا يأخذن شيئاً. والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق أن الواوفي الأول ضمير والنون علامة الرفع والثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني؛ ولذلك لم يؤثر فيه أن ههنا ونصب المعطوف عليه ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ أي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود إليه بالتشطير فيسوق المهر إليها كاملاً . وهو مشعر بأن الطلاق قبل المسيس. مخير للزوج غير مشطر بنفسه. وإليه ذهب بعض أصحابنا والحنفية . وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك إذا كانت المرأة صغيرة . وهو قول قديم للشافعي رحمه الله تعالى ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ يؤيد الوجه الأول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق. وتسميتها عفواً إما على المشاكلة ، وإما لأنهم يسوقون المهر إلى النساء عند التزوج .

قوله: والصيغة يحتمل التذكير والتانيث: يعني يحتمل جمع المذكر وجمع المؤنث والمراد هنا المؤنث .

قوله: عما يعود إليه بالتشطير: أي يعفو الزوج عما يعود إليه بتشطير المهر وهو النصف وذلك بأن يسوق المهر إليها كاملا، فيسوق بيان أو يعفو.

قوله: مخير للزوج :أي يجعل الزوج مخيرا في أن يشطر المهر أو أكمل لها المهر

قوله: وقيل الولي: وهو قوله القديم. قلنا: هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه .

قوله: يؤيد الوجه الأول: وهو أن يكون المراد الزوج لأن عفوه أقرب للتقوى دون الولي لأنه لايملك التبرع بحق الغير.

قوله: وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر: وذلك الزوج إذا كان مخيرا في التشطير وعدم التشطير يكون الشطر الآخر حقه فإكمال للمهر يكون عفوا بخلاف ما إذا لم يكن مخيرا و كان الطلاق قبل المسيس مشطرا فإنه حينئذ لا يكون الشطر الآخر حقه بل زيادة على الحق فلا يكون الإكمال عفوا لأن العفو إسقاط شيء أو تركه لا إعطاء زيادةٍ وإنما هو فضل. والوجه في تسميتها عفوا إما على المشاكلة لو قوعه في صحبته عفو المرأة وإما أنهم يسوقون المهر إلى النساء الخ .

فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فإذا لم يسترده فقد عفا عنه . وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[٢٣٧]﴾ لا يضيع تفضلكم وإحسانكم .

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ بالأداء لوقتها والمداومة عليها. ولعل الأمر بها في تضاعيف أحكام الأولاد والأزواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ أي الوسطى بينها، أو الفضلى منها خصوصاً وهي صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب "شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأالله بيوتهم ناراً" وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها، واجتماع الملائكة . وقيل: صلاة الظهر؛ لأنها في وسط النهار، وكانت أشق الصلوات عليهم فكانت أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام :"أفضل العبادات أحمزها".وقيل :الفجر؛لأنها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولأنها مشهودة . وقيل: المغرب لأنها المتوسطة بالعدد ووتر النهار . وقيل: العشاء؛لأنها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل. وعن عائشة رضي الله عنها"أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ: والصلاة الوسطى صلاة العصر". فتكون صلاة من الأربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل . وقرئ بالنصب على الاختصاص والمدح ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾في الصلاة

قوله: يوم الأحزاب:هم طوائف من الكفار من قبائل شتى أحاطوا بالمدينة فاشتغل النبي ﷺ والمسلمون بحفر الخندق ففاتهم صلوة العصر .

قوله:لكثرة اشتغال الناس في وقتها: بتجاراتهم ومعايشهم .

قوله: والواقعة في الحد المشترك بينهما:أي بين الليل والنهار باعتبار الشروع لأن آن طلوع الفجر حد مشترك بين الليل والنهار منتهى لليل ومبدأ للنهار وليس جزأ لشيء منهما لأن الآن ليس جزأ من الزمان كما تقرر في الحكمة فليتأمل .

قوله: لأنها المتوسطة بالعدد ووترالنهار: يعني أن صلوٰة النهار شفع ركعتان كالفجر أو أربع كالظهر والعصر وهذا أعني المغرب ثلث متوسطة بينهما بحسب العدد لأن عدد الثلث بين عدد الاثنين وعدد الأربع فإنها وترصلوات النهار كالوتر وتر صلوة الليل. وللوتر فضيلة لقوله عليه الصلاة والسلام إجعلوا آخر صلواتكم الوتر.

قوله: فتكون: أي الصلوٰة الوسطى.

﴿قَـٰنِتِيْـنَ[٢٣٨]﴾ ذاكـريـن لـه في القيام والقنوت الذكر فيه. وقيل: خاشعين . وقال ابن المسيب: المرادبه القنوت في الصبح.

﴿فَـإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو أو غيره ﴿ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَاناً﴾فصلوا راجلين، أو راكبين. ورجـالًا جـمـع راجـل، أو رجـل بـمعناه كقائم وقيام . وفيه دليل على وجوب الصلاة حال الـمسـايـفة، وإليـه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه . وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يـصـلـى حـال الـمـشـي والـمسـايـفة مـا لـم يـمـكـن الوقوف﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾وزال خوفكم ﴿فَـاذْكُـرُواللَّهَ﴾ صلوا صلاة الأمن، أوا شكروه على الأمن ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ﴾ ذكراً مثل ما عـلمكم مـن الشـرائـع وكـيـفية الـصـلاـة حـالتي الخوف والأمن ، أو شكراً يوازيه. و"ما" مصدريه أو موصولة ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ[٢٣٩]﴾مفعول "علّمكم" .

﴿وَالَّـذِيْنَ يُتَوَفَّونَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ﴾قرأها بالنصب أبو عمرو وابـن عـامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير: والذين يتوفون منكم يوصون وصية ، أو ليـوصـوا وصية ، أو كتـب الله عليهم وصية ، أو ألزم الذين يتوفون وصية . ويؤيد ذلك قراء ة كتـب عـلـيـكـم الـوصية لأزواجـكـم متـاعـاً إلـى الـحـول مكانه . وقرأ الباقون بالرفع على تـقـديـر:ووصية الـذيـن يتـوفون ،أو وحكمهم وصية،أو والذين يتوفون أهل وصية ،أو كتب عليهم وصية،أو عليهم وصية. وقرئ متاع بدلها ﴿ مَتَـاعاً إِلَى الْحَوْلِ﴾ نصب بـ"يوصون" إن أضمرت وإلا فبالوصية. وبمتاع على قراء ة من قرأه؛ لأنه بمعنى التمتيع﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ بـدل مـنـه، أو مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول، أو حال من أزواجهم: أي غير مخرجات . والمعنى:أنه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل أن يحتضروا لأزواجهم

قوله: ذكرامثل ما علمكم الخ: يعني أن المراد فإذا أمنتم وزال اشتداد الخوف أي حـال الـمسـائـفة والـمشـي فاذكروا الله وادوا جميع الشرائع. وصلوة الخوف في غير حال الـمسـائـفة والـمشـي وصـلوة الأمن أعم من حال القيام وغيره من الأحوال كما علمكم أو شـكـرا يـوازي جـمـيـع ماذكر إلا أنه خصص بالتفسير صلوة الأمن وهو غير حال المسائفة والمشي أعني حال القيام أو الشكر عليه لمكان المناسبة باشتداد الخوف.

قوله: وقـرى متاع بدلها: أي "متاع لأزواجهم متاعا إلى الحول" بدل قوله:﴿والذين يتوفون منكم ويذ رون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول ﴾ كذا في الكشاف.

قوله: قبل أن يحتضروا: فيه دفع لما يتوهم أن في الكلام إثبات الوصية بعد الوفاة .

بأن يمتعن بعد هم حولاً بالسكنى والنفقة . وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله ﴿أربعة أشهر و عشراً﴾ وهو وان كان متقدماً في التلاوة فهو متأخر في النزول . وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن . والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله تعالى ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ عن منزل الأزواج ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأئمة﴿فِيْمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ كالتطيب وترك الحداد﴿مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ مما لم ينكره الشرع . وهذا يدل على أنه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وإنما كانت مخيرة بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركها ﴿ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ﴾ ينتقم ممن خالفه منهم ﴿حَكِيْمٌ[٢٤٠]﴾ يراعي مصالحهم .

﴿وَلِلْمُطَلَّقٰتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِيْنَ[٢٤١]﴾ أثبت المتعة للمطلقات جميعاً بعد ما أوجبها لواحدة منهن . وإفراد بعض العام بالحكم لايخصصه إلا إذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك أوجبها ابن جبير لكل مطلقة . وأوّلَ غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب . وقال قوم: المرادبالمتاع نفقة العدة . ويجوز أن تكون اللام للعهد، والتكرير للتأكيد، أو لتكرر القصة ﴿كَذٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من أحكام الطلاق والعدة ﴿ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيٰتِهٖ﴾ وعد بأنه سيبيّن لعباده من الدلائل والأحكام ما يحتاجون إليه معاشاً ومعاداً ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[٢٤٢]﴾ لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها .

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ . وقد يخاطب به من لم يرَ ومن لم يسمع؛ فإنه صار مثلاً في التعجيب ﴿إِلَى الَّذِيْنَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يريد أهل داوَرْدَانَ قرية قِبَل واسط وقع فيها طاعون فخرجوا هاربين ، فأماتهم

قوله: لواحدة منهن: وهي المطلقة المفوضة غير المدخول بها.

قوله: وإفراد بعض العام بالحكم لا يخصصه: والعام هنا" وللمطلقات" وقد خص منه المطلقة المفوضة الغير المدخول بحكم المتعة وأفرد به وهو لا يوجب تخصيصه إلا إذا قيل إن مفهومه غير المطلقة المفوضة غير المدخول بها ليس لها حكم المتعة والمفهوم يخصص المنطوق فحينئذ يخصص هذا المفهوم منطوق أوجب والمطلقات أي المفوضة المدخول بها وغير المدخول بها ولأجل أنه لا يخصصه أوجب ابن جبير المتعة كل مطلقة وأول غيره بما يعم التمتع الواجب والمستحب فمتعة الغير المدخول بها واجب ومتعة غيرها مستحب .

الله ثم أحياهم ليعتبروا ويتيقنوا أن لا مفر من قضاء الله تعالى وقدره، أو قوماً من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففروا حذر الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أي ألوف كثيرة . قيل: عشرة . وقيل: ثلاثون . وقيل: سبعون. وقيل: متألفون جمع إلف أو آلف كقاعد وقعود، والواو للحال﴿حَذَرَ الْمَوتِ﴾ مفعول له ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا﴾أي قال لهم موتوا فماتوا كقوله:﴿كن فيكون﴾[الأنعام:٧٣][١٦ .النحل:٤٠][١٩ .مريم:٣٥][٣٦ .يٰس:٧٢][غافر:٢٨]والمعنى أنهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة. بأمر الله تعالى ومشيئته . وقيل: ناداهم به ملك وإنما أسند إلى الله تعالى تخويفاً وتهويلاً ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ قيل مرّحزقيل عليه السلام على أهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم ، فتعجب من ذلك فاوحى الله تعالى إليه نادفيهم أن قوموا بإذن الله تعالى فنادى فقاموا يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت . وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعريض للشهادة ، وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء﴿ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ حيث أحياهم ليعتبرواويفوزوا وقص عليهم حالهم ليستبصروا ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُون[٢٤٣]﴾أي لا يشكرونه كما ينبغي . ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيْلِ اللهِ﴾ لما بين أن الفرار من الموت غير مخلص منه، وأن المقدر لا محالة واقع. أمرهم بالقتال إذ لو جاء أجلهم ففي سبيل الله وإلا فالنصر والثواب ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيْعٌ ﴾ لما يقوله المتخلف والسابق ﴿عَلِيْمٌ[٢٤٤]﴾ بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء .

قوله: أي ألوف كثيرة: وذلك أن ألوف جمع كثرة مع التنكير فيدل على الكثرة .

قوله: حز قيل: إسم نبي من الأنبياء.

قوله: تشجيع المسلمين على الجهاد: وذلك أن الموت إذا لم يكن منه بدٌ ولم ينفع منه مفرٌ فأولى أن يكون في سبيل الله والشهادة ، وأولى التوكل على الله والاستسلام لقضاء الله.

قوله: المتخلف والسابق: أي من أهل الجهاد فلأن من وراء الجزاء أي يسوقه حيث شاء ومتى شاء .

﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ "من" استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء، و"ذا" خبره . و"الذي" صفة "ذا" أو بدله ، وإقراض الله سبحانه وتعالى مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه ﴿ قَرْضًا حَسَنًا﴾ إقراضاً حسنًا مقروناً بالإخلاص وطيب النفس، أو مقرضاً حلالًا طيباً .وقيل: القرض الحسن بالمجاهدة والإنفاق في سبيل الله ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ فيضاعف جزاءه . أخرجه على صورة المغالبة للمبالغة . وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملاً على المعنى . فإن من ذا الذى يقرض الله في معنى:أيقرض الله أحد. وقرأ ابن كثير فيضعّفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب﴿أَضْعَافًا كَثِيْرَةً﴾ كثيرة لا يقدرها إلا الله سبحانه وتعالى. وقيل: الواحد بسبعمائة . وأضعافاً جمع ضعف، ونصبه على الحال من الضمير المنصوب ، أو المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير، أو المصدر على أن الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته.فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم . وقرأ نافع والكسائي والبزي وأبو بكر بالصاد ومثله في الأعراف في قوله تعالى﴿ وزادكم في الخلق بسطة﴾[٧.الأعراف:٦٩] ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[٢٤٥]﴾ فيجازيكم على حسب ما قدمتم .

قوله: مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه: تشبيهًا بإعطاء العين ليقضي ويطلب بدله وهو حقيقة الإقراض، والقرض قد يطلق بمعناه وبمعنى نفس المال .

قوله: وقيل القرض الحسن المجاهدة، فيكون مفعولا مطلقا كما في الوجه الأول دون مفعول به كما في الوجه الثاني. والمعنى من ذا الذي يجاهد في سبيل الله مجاهدة حسنة.

قوله: أخرجه على صورة المغالبة: وهو ما يذكر بعد المفاعلة لبيان الغلبة فيكون الضعف غالبًا وزائدًا وهذا معنى المغالبة. فيضاعف جزائه تقديرا ما يذكر بعد المفاعلة .

قوله: على جواب الاستفهام حملاً على المعنى: وذلك أن ظاهر الكلام الاستفهام عن الفاعل وهو المقرض، والمستفهم عنه يكون مسببا عن الجواب وهو هنا غير مستقيم، فوجب المعنى وهو الاستفهام عن الإقراض، وذلك أن المقصود من هذا الكلام الاستفهام من إقراض أحد .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِيٓ إِسْرَآئِيلَ﴾ الملأ جماعة يجتمعون للتشاور، ولاواحد له كالقوم، و"من" للتبعيض ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ أي من بعد وفاته و"من" للابتداء ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ هو يوشع، أو شمعون، أو شمويل عليهم السلام ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ﴾ أقم لنا أميراً ننهض معه للقتال يدبر أمره ونصدر فيه عن رأيه. وجزم "نقاتل" على الجواب. وقرئ بالرفع على أنه حال أي ابعثه لنا مقدرين القتال، ويقاتل بالياء مجزوماً ومرفوعاً على الجواب والوصف لـ"ملكا" ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ فصل بين "عسى" وخبره بالشرط. والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال إن كتب عليكم، فأدخل "هل" على فعل التوقع مستفهماً عما هو المتوقع عنده تقريراً وتثبيتاً. وقرأ نافع "عسيتم" بكسر السين ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ أي أيُّ غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الأوطان والإفراد عن الأولاد. وذلك أن جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، فظهروا على بني إسرائيل، فاخذوا ديارهم وسبوا أولادهم وأسروا من أبناء الملوك أربعمائة وأربعين ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر ﴿وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰلِمِينَ[٢٤٦]﴾ وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّٰهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾ طالوت علم عبري كداود، وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه. روي أن نبيهم ﷺ لما دعا الله أن

قوله: تقريرا أو تثبيتا: يعني أن الاستفهام هنا للتقرير والتثبيت أن المتوقع كائن واقع. والمعنى أن جبنكم وعدم قتالكم واقع وأنه صائب في توقعه.

فإن قيل: القياس أن يكون الاستفهام عما دخله حرف الاستفهام وهو هٰهنا التوقع والظن أعنى مضمون عسى لا مضمون خبره فكان ينبغي أن يجعل الاستفهام والتقرير عائدا إلى التوقع.

قيل: لما كان المقصود هنا مضمون الخبر كانت القيود من الاستفهام والتوقع ونحو ذلك كما في باقي الألفاظ المقاربة عائدة إليه كأنه حاول إثبات تركهم المقاتلة فقيده بكونه على سبيل التوقع دون الجزم ثم بكونه مستفهما عنه للتقرير.

قوله: وجعله "فعلوتًا" من الطول تعسف: لأن الظاهر أنه علم لا أن المراد به شخص طويل لأجل ما وصف به من البسطة فى الجسم. وأصله طولوت فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها.

يملكهم أتى بعصًا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ من أين يكون له ذلك ويستأهل ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ والحال أنا أحق بالملك منه وراثة ومكنة وإنه فقير لا مال له يعتضد به . وإنما قالوا ذلك؛ لأن طالوت كان فقيراً راعياً أو سقاء أو دباغاً من أولاد بنيامين ولم تكن فيهم النبوة والملك . وإنما كانت النبوة في أولاد لاوي بن يعقوب، والملك في أو لاد يهوذا، وكان فيهم من السبطين خلق كثير ﴿قَالَ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّٰهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَآءُ وَاللّٰهُ واسِعٌ عَلِيْمٌ[٢٤٧]﴾ لما استبعدوا تملكة لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك أولاً بأن العمدة فيه اصطفاه اللّٰه سبحانه وتعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ، وثانياً بأن الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية وجسامة البدن ليكون أعظم خطرًا في القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم . وقد زاده اللّٰه فيهما، وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه، وثالثاً بأن اللّٰه تعالى مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتيه من يشاء ، ورابعاً أنه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما طلبوا منه حجة على أنه سبحانه وتعالىٰ اصطفى طالوت وملكه عليهم ﴿إِنَّ اٰيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَّاتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الصندوق فعلوت من التوب وهو الرجوع فإنه لا يزال يرجع إلى ما يخرج منه ، وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق . ومن قرأه بالهاء فلعله أبد له منه كماأبدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة . ويريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموّهاً بالذهب نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين ﴿فِيْهِ سَكِيْنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ الضمير للإتيان أي في إتيانه سكون لكم وطمأنينة، أو للتابوت أي مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة . وكان موسى عليه الصلاة والسلام إذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون. وقيل: صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العد و وهم يتبعونه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر . وقيل: صور الأنبياء من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام. وقيل: التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والإخلاص وإتيانه مصير قلبه مقراً للعلم والوقار بعد أن

قوله: لقلة نحو سلس وقلق: أي ما فاؤه ولامه من جنس واحد فلا يكون "فاعولاً" من "تبت"بل "فعلوتا" من "تاب".

لـم يـكن ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ رضاض الألواح وعـصـا موسى وثيابه وعـمـامة هـرون وآلهـما أبناؤهما، أو أنفسهما . والآل مقحم لتفخيم شأنهما، أو أنبياء بني إسرائيل لأنهم أبناء عمهما ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قيل: رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون إليه . وقيل: كان بعده مع أنبيائهم يستفتحون به حتى أفسدوا فغلبهم الكفار عليه . وكان في أرض جالوت إلى أن ملك الله طالوت فأصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاء موا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة إلى طا لوت ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[٢٤٨]﴾يحتمل أن يكون من تمام كلام النبي عليه الصلاة والسلام وأن يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه وتعالى .

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة . وأصله فصل نفسه عنه، ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم . روي: أنه قال لهم لا يخرج معي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه ممن اختاره ثمانون ألفاً ، وكان الوقت قيظاً فسلكوا مفازة وسألوا أن يجري الله لهم نهراً ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فليس من أشياعي، أو ليس بمتحد معي .﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي من لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه مأكولاً أو مشروباً، قال الشاعر. : وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعِم نقاخاً وَلَا بردا

قوله: رضاض الألواح: أي التي ألقاها موسى فتكسرت وكانت من زبر جد وياقوت كذا قال بعض المفسرين، وقيل: المراد بالبقية التورٰة وكتاب آخر معها كذا فى تفسير اللباب. والرضاض: الفتات من "رضه" كسره

قوله: فتشأموا بالتابوت: فقالوا هذا بسبب التابوت بين أظهرنا .

قوله: صار كاللازم: بمعنى انفصل فاللازم أخذ من المتعدى بحذف المفعول. والقيظ: حرارة الصيف أي شدة حره.

قوله: فليس من أشياعي: يريد أن"من" للتبعيض، إما على حذف المضاف:أي ليس من أشياعي وإتباعي، وإما بمعنى الاتصال والاتحاد فكأنه بعضه ليس بمتصل ومتحد معي من قولهم: فلان مني. كانه بعضه لاختلا طهما واتحاد هما. والمعنى الاول هو الظاهر المناسب للسوق .

قوله: نقاخا: النقاخ الماء العذب والبرد النوم .

وإنـما علم ذلك بالوحي إن كـان نبيـاً كـمـا قيل، أو بإخبار النبي عليه الصلاة والسلام ﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ استثناء من قوله فمن شرب منه. وإنـمـا قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كـمـا قـدم الصائبون على الخبر في قوله ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾[٢.البقرة:٦٢] والمعنى: الرخصة في القليل دون الكثير. وقرأ ابن عامر والكوفيون غُرفة بضم الغين .

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُم﴾ أي فكرعوا فيه؛ إذ الأصل في الشرب منه أن لايكون بوسط. وتعميم الأول ليتصل الاستثناء، أو أفرطوا في الشرب منه إلا قليلاً منهم . وقرئ بالرفع حـملاً على المعنى، فإن قوله: فشربوا منه في معنى: فلم يطيعوه، والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشـر رجلاً . وقيـل ثـلاثة الآف. وقيـل: ألـفـاً. روي أن مـن اقتـصر على الغرفة كفته لشربه وإداوتـه . ومـن لـم يـقتصر غلب عليه واسودت شفته ولم يقدر أن يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾ أي القليل الذين لم يخالفوه .

قوله: وإنـمـا قـدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها: لأن بيان حال الأخذ بالعزيمة أهم من الأخذ بالرخصة .

قوله: أي فكرعوا فيه: يعني أن المراد من شربوا إما الكرع أ و الإفراط فى الشرب لا مـطـلق الشرب؛ لأن القليل منهم إما أن لايشربوا أصل،ا أو يشربوا غرفة، ولو أريد مطلق الشـرب لا يتـنـاول القسم الأخير وإنما عمم فشربوا على الوجه الأول مع أن المناسب على هـذا الوجه أن يخصص الكرع أيضا ليكون الاستثناء متصلا. ولو أريد به الكرع أيضا يكون مـنـقـطـعـاً لأنـه لا يتـناول من اغترف غرفة. كرع فى الماء يكرع إذا تناوله بفيه من غير أن يشرب بكف ولا إناءٍ كا لبهائم .

قوله: ﴿ فـلما جاوزه هو والذين أمنوا معه﴾: أي القليل الذين لم يخالفوه: أي ثبتوا مـعه ولم يتخذلوا عنه، قال؛ بعض ذلك القليل لبعض آخر من ذلك القليل ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ لكثرتهم وقوتهم. وقال الخالصون في طويّته لله منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتـوقـعـوا ثـوابـه أوعلموا أنهم يستشهدون عن قريب فيلقون الله عزوجل. وقيل: هم القليل الـذيـن هـم ثبتوا معه: أي قال جميع الذين ثبتوا معه. وقال المنخذلين عنه ﴿لاطاقة لنا اليوم بـجالوت وجنوده﴾ للاعتذار فى التخلف والتخذيل للقليل بأنهم أنّى لهم الحرب بجالوت وجـنـوده يستشهدون أي يقتلون فى سبيل الله اعتذارا فى التخلف أي قال الكثير لا طاقة لنا للاعتذار فى التخلف والتخذيل للتعليل .

﴿قَـالُـوْا﴾ أي بـعضهـم لبعض﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَومَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ لكثرتهم وقوتهم ﴿قَالَ الَّـذِيـنَ يَـظُنُّونَ أَنَّهُـمْ مُّلٰقُوا اللّٰهِ﴾ أي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه ، أو عـلـمـوا أنهـم يستشهـدون عما قريب فيلقون الله تعالى. وقيل: هم القليل الذين ثبتوا معه . والـضـمـيـر فـي قـالـوا لـلكثير المنخذلين عنه اعتذاراً في التخلف وتخذيلاً للقليل، وكأنهم تـقـاولـوا به والنهر بينهما ﴿ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيْرَةً بِإِذْنِ اللّٰهِ﴾ بحكمه وتيسيره . وكـم يحتمل الخبر والاستفهام .و"من" مبينة أو مزيدة . والفئة: الفرقة من الناس من فأوت رأسـه إذا شـقـقـتـه ،أو من فاء: رجع فوزنها فعة أو فلة ﴿وَاللّٰهُ مَعَ الصّٰبِرِين[٢٤٩]﴾ بالنصر والإثابة.

﴿وَلَـمَّا بَرَزُوْا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي ظهروا لهم ودنوا منهـم ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْـراً وَّثَبِّـتْ أَقْـدَامَـنَا وَانْصُرنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْن[٢٥٠]﴾ التجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى بـالـدعـاء . وفيـه تـرتيب بليغ إذ سألوا أولاً إفراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الأمر، ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه، ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالباً .

﴿فَهَـزَ مُـوهُمْ بِإِذْنِ اللّٰهِ﴾ فكسروهم بنصره، أو مـصـاحبيـن لنصره إياهم إجابة لـدعائهم ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ كان إيشا فـي عسـكـر طالوت معه ستة من بنيه ، وكان داوٗد سـابعهم وكان صغيراً يرعى الغنم، فأوحى الله إلى نبيهم أنه الذي يقتل جالوت فطلبه مـن أبيه فجاء وقد كلّمه في الطريق ثلاثة أحجار وقالت له: إنك بنا تقتل جالوت ، فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوّجه طالوت بنته ﴿وَاٰتَاهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ﴾ أي ملك بني إسرائيل ولـم يـجـتـمـعـوا قبـل داود عـلى ملك ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾أي النبوة﴿ وَعَلَّمَهٗ مِمَّا يَشَآءُ﴾ كالسرد وكـلام الـدواب والطير﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللّٰهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ ذُو فَـضْـلٍ عَـلَـى الْـعٰـلَـمِيْنَ[٢٥١]﴾ ولولا أنه سبحانه وتعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وأفسدوا في الأرض ، أو لفسدت الأرض بشؤمهم . وقرأ نافع هنا و في الحج دفاع الله.

قوله: بنصره: أي بسبب نصره إشارة إلى أن الباء للسببية أوللمصاحبة.

قوله: إيشاء :وهو أبو داؤد

قوله: إلـى نبيهـم وهـو شـمـويل واللام للاستغراق أي جماعة الرسل كلها وعلى الأول يكون اللام للعهد.

﴿تِلْكَ آيٰتُ اللّٰهِ﴾ إشارة إلى ما قص من حديث الألوف وتمليك طالوت وإتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داودُ جالوت﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِ﴾ بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه أهل الكتاب وأرباب التواريخ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ[٢٥٢]﴾ لما اخبترت بها من غير تعرف واستماع.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ إشارة إلى الجماعة المذكورة قصصها في السورة، أوالمعلومة للرسول ﷺ ، أو جماعة الرسل واللام للاستغراق ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلٰى بَعْضٍ﴾ بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره ﴿ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللّٰهُ ﴾ تفضيل له وهو موسى عليه الصلاة والسلام . وقيل: موسى و محمد عليهما الصلاة والسلام . كلم الله موسى ليلة الحيرة وفي الطور، ومحمداً عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى، وبينهما بون بعيد . وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب . فإنه كلم الله كما أن الله كلمه؛ ولذلك قيل: كليم الله بمعنى مكالمه ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجٰتٍ﴾ بأن فضله على غيره من وجوه متعددة أو بمراتب متباعده وهو محمد ﷺ فإنه خصه بالدعاوة العامة، والحجج المتكاثرة، والمعجزات المستمرة، والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر، والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر. والإبهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين . وقيل: إبراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي أعلى المراتب . وقيل: إدريس عليه السلام لقوله تعالى ﴿ورفعناه مكاناً عَلِيّاً﴾١٩ .مريم:٥٧] وقيل: أولى العزم من الرسل﴿وَآتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰتِ وَأَيَّدْنٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ خصه بالتعيين لإفراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه . وجعل معجزاته سبب تفضيله؛ لأنها آيات واضحة ومعجزات عظمية لم يستجمعها غيره ﴿ وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ﴾أي هدى الناس جميعاً ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِم﴾ من بعد الرسل ﴿مِّنْ بَعْدِ مَاجَآءَ تْهُمُ الْبَيِّنٰتُ﴾ أي المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين ، وتضليل بعضهم بعضاً ﴿ وَلٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ اٰمَنَ﴾ بتوفيقه التزام دين الأنبياء تفضلاً ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ﴾ لإعراضه عنه بخذلانه ﴿ وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ مَااقْتَتَلُوا﴾ كرره للتأكيد ﴿وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَايُرِيد[٢٥٣]﴾ فيوفق من يشاء فضلاً . ويخذل من يشاء عدلاً . والآية دليل على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتة الأقدار .

قوله: والإبهام لتفخيم شأنه: يعني في قوله: بعضهم حيث لم يعين باسمه .

قوله: والآية دليل على أن الأنبياء عليهم السلام متفاوتة الأقدار. وأن بعضهم يفضل على البعض بمعنى أن محمد ﷺ أفضل من الجميع لكن بقاطع؛ لأنها من

وأنه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع؛ لأن اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وأن الحوادث بيدالله سبحانه وتعالى تابعة لمشيئته خيراً كان أو شراً إيماناً أو كفراً .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم﴾ ما أوجبت عليكم إنفاقه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾ من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرطتم ، والخلاص من عذابه؛ إذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه، أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه أخلاؤكم، أو يسامحوكم به ولا شفاعة ﴿ إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ﴾[٢٠. طه:١٠٩] حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم . وإنما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لأنها في التقدير جواب . هل فيه بيع؟ أو خلة ؟ أو شفاعة ؟ وقد فتحها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب على الأصل ﴿ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ[٢٥٤]﴾يريد والتاركون للزكاة هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم ، أو وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه. فوضع الكافرون موضعه تغليظاً لهم، وتهديداً كقوله ﴿ ومن كفر﴾[٣ . آل عمران:٩٧]مكان من لم يحج وإيذاناًبأن ترك الزكاة من صفات الكفار كقوله تعالى ﴿وويل للمشركين لايؤتون الزكاة﴾[٣٢.فصلت: ٧٦]

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غيره . وللنحاة خلاف في أنه هل يضمر للأخير مثل في الوجود أويصح أن يو جد.

الاعتقادية بخلاف مطلق التفاوت بحيث يكون البعض أفضل أي بعض كان فإنها ليست من الاعتقادية، لكن الدليل على هذه يكون بقاطع لأنها من الاعتقادية اللتي يتعلق بالاعتقادلا باعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل. والآية ليست بقاطع على هذا المعنى.

قوله: ما أوجبت عليكم إنفاقه: يعني أن المراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به وهو قوله :والكافرون هم الظالمون .

قوله: تغليظا: حيث شبه فعلهم الذى هو ترك الزكوة بالكفر .

قوله: كقوله تعالى:﴿ ومن كفر﴾ مكان من لم يحج. أي في قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاـ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾

قوله :وللنحاة فيه خلاف: الظاهر المتبادرمن العبارةأن الخلاف في إضمارخصوصية الخبر فقيل: في الوجود، وقيل: يصح أن يوجد، وقد أوردالإشكال على كل منهما. أما على الأول فلأنه لا يلزم منه إلا نفي وجود ما سوى الله تعالى من الآلهة

﴿الحَيُّ﴾ الـذي يصح أن يعلم ويقدر وكـل مـا يصح له فهو واجب لا يزول لامتـناعه عن القوة والإمكان ﴿الْقَيُّومُ﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالأمر إذا حفظه. وقرئ القيام والقيم ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَّلَا نَوْمٌ﴾ السنة فتور يتقدم النوم .قال ابن الرقاع .

لانـفـي إمـكـانـه. و أمـا عـلـى الثـانـي فلأنه لا يلزم منه إلا إثبات إ مكان الوجود لله تعالىٰ لاإثبـات وجوده وعلى التقديرين لا يتم التوحيد لأنه إنما يتم بنفي إمكان الوجود عما سوى الله مـن الآلهة وإثبات ا لوجود له تعالى، وعلى الأول لم يلزم نفي الإمكان عن غيره، وعلى الثـانـي لـم يـلـزم إثبات الوجودله تعالى. و يمكن أن يقال على الثاني يلزم إثبات الوجودله تـعـالى لأن كل مايمكن حصوله له تعالى يجب حصوله كما سيصرح المصنف عن قريب. وقيل:إن كلمة الشهادة غير تام فى التوحيد با لنظر الى المعنى اللغوي ؛لأن التقدير عن أحد الأمـريـن. وقـد عـرفت مابه لا يتم وإنما تُعد كلمة الشهادة تامة فى أداء معنى التوحيد لأنها صـارت عـلـمـا عليه شرعا فتأمل. وقال المصنف: إن الخبر المضمر هو المستحق ولايلزم مـاذكـر من المحذور عليه. ويحتمل أن يكون المراد إما اختلاف فى إضمار تفسير الخبر فإن جـارالله صرح فى هذا أن بعد"إلا" خبر و"إلا" لغو. والأصل فى كلمة الشهادة "ألإلٰه اللّٰه" ثم أريد التصريح بإثبات الألوهية له تعالى ونفيه عما سواه فقدم حرف النفي ووسط" إلا" .

قوله: ألـذي يـصح أن يعلم و يقدر:" الحي" بحسب اللغة ذوالحيوة. ولا يفهم منه إلا قـوـة يـقـتـضى الحس والحركة ولما اتفقوا على أن البارى تعالى "حي" فسر المتكلمون الـحـي "بـالـذي‌يـصـح أن يـعـلـم ويقدر" ليصدق على البارى تعالى سواء جعل الحيوة صفة وجـودية كـمـا هـو مـذهب أهل الحق أولا كما هو مذهب أهل الاعتزال القائلين بالأحوال فإنها غير موجودة ولا معدومة عندهم.

قوله: لامتـنـاعـه عـن الـقـوة والإمكان: بل جميع ما يجب حصوله له تعالى وهو حـاصل با لفعل إلا أنه لم يحصل الأثر في الأزل لعدم تعلق إرادته تعالى فيه كما هو مذهب المتكلمين أو لعدم الاستعداد الأثر كما هو مذهب الحكماء.

قوله: السـنة. أصـلها" وسن" كعدة وعد:وسن بالكسر يوسن فهو وسنان أقصده، أصـابه من رماه فاقصده أي قتله مكانه، رنق النعاس أي‌خالط عينه من رنق الطائروقف فى الهواء صافا جناحيه يريد الوقوع، دل البيت على أن "الوسن" هو النعاس لاالنوم الخفيف

وَسَنَانٌ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً . وتقديم السنة عليه، وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود . والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حياً قيوماً ؛ فإن من أخذه نعاس أو نوم كان موؤف الحياة قاصراً في الحفظ والتدبير. ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تقرير لقيوميَّته واحتجاج به على تفرده في الألوهية . والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلاً في حقيقتهما أو خارجاً عنهما متمكنا فيهمافهو أبلغ من قوله"له مافي السمٰوات والأرض وما فيهن " ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾بيان لكبرياء شأنه سبحانه وتعالى وأنه لاأحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن أن يعاوقه عناداً أو مناصبة أي مخاصمة ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما قبلهم وما بعدهم، أو بالعكس لأنك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي، أو أمور الدنيا وأمور الآخرة ، أو عكسه، أو ما يحسونه وما يعقلونه، أو ما يدركونه وما لا يدركونه . والضمير لما في السمٰوات والأرض . لأن فيهما العقلاء ، أو لما دل عليه "من ذا" من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ووسنان صفة أعور فى البيت السابق:

لولاالحياء وأن رأسي قد عشى فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها وسط النساء أعارها عينيه أعور من جآزر جاشم

وأعارها من العارية وفاعلها أحور، وضمير"عينيه"عائد إلى الأحور. والحور: شدة بياض العين فى شد ة سوادها. والجاشم: قرية من قرى الشام.

قوله: تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده فى الأ لوهية: وذلك أنه إذاكان جميع ما سواه من أجزاء حقيقة السموات والأرض وما هو خارج عن حقيقتهما كلها لله تعالى مخلوقا له فلاجرم يكون قائما بنفسه ومقيما لهم لا يشاركونه فى الألوهية .

قوله: لأنك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي: يعني أنك تستقبل الزمان المستقبل وتستدبر الماضي. وكل الأزمنة بالنسبة إلى الله تعالىٰ حال والأمورالواقعة فيه حاضرة عنده تعالىٰ ليس بالنسبة إليه ما ضي ولا مستقبل كما تقرر في علم الكلام .

قوله: أو عكسه: أي المراد" بما بين أيديهم" أمور الآخرة لأنهم يقدمون عليها و"بما خلفهم" أمور الدنيا لأنهم تخلفونها وراء ظهورهم .

﴿وَلَا يُحِيْطُونَ بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ من معلوماته﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾أن يعلموه، وعطفه على ماقبله لأن مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته سبحانه وتعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى﴿ وما قدرواالله حق قدره﴾[٦.الأنعام:٩١] ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسمٰوٰت مطويات بيمينه﴾[٣٩.الزمر:٦٧] ولا كرسي في الحقيقة ، ولا قاعد. وقيل: كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك. وقيل: جسم بين يدي العرش؛ ولذلك سمي كرسياً محيط بالسموات السبع؛ لقوله عليه الصلاة والسلام "ما السموات السبع والأرضون السبع من الكرسي إلا كحلقة في فلاة . وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة " ولعله الفلك المشهور بفلك البروج . وهو في الأصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعدة القاعد. وكأنه منسوب إلى الكرسي وهو الملبد ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾ أي ولا يثقله مأخوذ من الأود: وهو الاعوجاج ﴿ حِفْظُهُمَا﴾ أي حفظ السموات والأرض ، فحذف الفاعل وأضاف المصدر إلى المفعول﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ المتعالي عن الأنداد والأشباه ﴿الْعَظِيْمُ[٢٥٥]﴾المستحقر بالإضافة إليه كل ماسواه .

قوله: بالعلم الذاتي: أي لا بمشية غيره وتعليمه الدال على أنه واحد في الألوهية منفرد بها؛ لأن الإله لا بد أن يكون عالماً بالذات حتى يخلق الخلق ويربيه ويعلم أعماله فيجزيه على حسبها؛ لأن العلم بالغير في الحقيقة علم للغير لا له وناقص لا يليق بمنصب الألوهية .

قوله: تصوير لعظمته وتمثيل مجرد: يعني أن هذا تمثيل مجرد لعظمته تعالىٰ تخييل فقط بعظمة من يكون له كرسي وقعد عليه وليس ههنا قاعد ولا قعود كما أن قوله تعالى:﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ تمثيل مجرد من غير تصوير قبضته وطي في يمين، ألا ترى إلى صدر الآية فإنه بيان لعظمته وأنه لم يعرفوا كنه عظمته.

قوله: مجاز عن علمه أو ملكه: تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والملك فيهما والملك والسلطنة فكانا مكانا للعلم والملك .

قوله: ﴿ ولا يؤده حفظهما﴾ إنما قال:حفظهما مع أنه لا يؤده ولا يثقله حفظ الكرسي أيضاً ؛لأن حفظ المظروف يستلزم حفظ الظرف؛ إذ لا يعقل الأمر المكاني بدون المكان، وأيضًا المراد: ولايؤده شاق كما سيصرح فيشمل الكرسي أيضًا.

وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلٰهية : فإنها دالة على أنه تعالى موجود واحد في الألوهية . متصف بالحياة . واجب الوجود لذاته موجد لغيره؛ إذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره . منزه عن التحيز والحلول . مبرأ عن التغير والفتور . لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعتري الأرواح . مالك الملك والملكوت . مبدع الأصول والفروع. ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له. عالم الأشياء كلها: جليها وخفيها . كلّيهَا وجزئيها . واسع الملك والقدرة كل مايصح أن يملك ويقدر عليه . لا يؤده شاق ولا يشغله شأن . متعال عما يدركه الوهم. عظيم لا يحيط به فهم ؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام "إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي. من قرأها بعث الله ملكاًيكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة " وقال" من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد. ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجارجاره والأبيات حوله "

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّيْنِ﴾ إذ الإكراه في الحقيقة إلزام الغيرفعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه ولكن ﴿قَدْتَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلت الدلائل على أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية ، والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية،والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلبًاللفوزبالسعادة

قوله: منزه عن التحيز:لأنه الموجد لجميع المخلوقات حتى الحيزمقيما لها فلا يكون متحيزا حتى يكون قائما بالحيز .

قوله: لا يناسب بالأشباح ولا يعتريه مايعترى الأرواح: بأن يعرض له الفتور فيزول إدراكه بعدم النوم كما للأرواح يدرك المحسوسات بواسطة الحواس ويزول إدراكه بالنوم

قوله: ومبدع الأصول والفروع. الأصول الأفلاك والعناصر الذي أشار إليها بقوله والأرض لأنه من البسائط والفروع المركبات .

قوله: إذ الإكراه الخ: يعني أنه دفع لما يتوهم أن الجهاد إكراه فكيف ينفي الإكراه في الدين. وذلك أن الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلا لا يرى فيه خير والجهاد يرى فيه خير. والخبر في معنى النهي وهو إما عام منسوخ أو خاص بأهل الكتاب والجهاد مع المشركين .

والنجاة ، ولم يحتج إلى الإكراه والإلجاء. وقيل: إخبار في معنى النهي:أي لا تكرهوا في الدين . وهو إما عام منسوخ بقوله ﴿جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾[٦٦. التحريم: ٩] أو خاص بأهل الكتاب لما روي "أن أنصارياً كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال الأنصاري يا رسول الله أيدخل بِعَقبَيَّ النار وأنا أنظر إليه فنزلت فخلاهما" ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾بالشيطان ،أو الأصنام ،أو كل ما عبد من دون الله ،أو صد عن عبادة لله تعالى ، فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه ﴿ وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ﴾ بالتوحيد وتصديق الرسل﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى﴾ طلب الإمساك عن نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق . وهي مستعارة لم تمسك الحق من النظر الصحيح والرأي القويم ﴿ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاع لها. يقال فصمته فانفصم إذا كسرته ﴿وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ﴾بالأقوال ﴿عَلِيْم[٢٥٦]﴾ بالنيات . ولعله تهديد على النفاق .

﴿أَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا﴾ محبهم، أو متولي أمورهم . والمراد بهم من أراد إيمانه وثبت في علمه أنه يؤمن ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ بهدايته وتوفيقه﴿مِّنَ الظُّلُمٰتِ﴾ ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية إلى الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ إلى الهدى الموصل إلى الإيمان. والجملة خبر بعد خبر، أو حال من المستكن في الخبر، أو من الموصول ، أو منهما، أو استئناف مبين ، أو مقرر للولاية ﴿ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوآ أَوْلِيَآءُ هُمُ الطَّاغُوتُ﴾ أي الشياطين ، أو المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمٰتِ﴾ من النور الذي منحوه بالفطرة. إلى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات، أومن نور البينات إلى ظلمات الشكوك والشبهات . وقيل: نزلت في قوم ارتدوا عن الإسلام . وإسناد الإخراج إلى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى وإرادته بها ﴿ أُولٰٓئِكَ أَصْحٰبُ النَّار هُمْ فِيْهَا خٰلِدُونَ[٢٥٧] ﴾ وعيد وتحذير . ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِىْ حَآجَّ إِبْرٰهِمَ فِى رَبِّهٖ﴾ تعجيب من محاجة نمرود وحماقته .

قوله: فعلوت من الطغيان: هذا باعتبار بيان الأصل وإلا فهو فلعوت لأنه مقلوب لأنه من الطغيان .

﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ لأن آتاه أي أبطره إيتاء الملك وحمله على المحاجة، أو حاج لأجله شكراً له على طريقة العكس كقولك عاديتني لأني أحسنت إليك، أو وقت أن آتاه الله الملك وهو حجة على من منع إيتاء الله الملك الكافر من المعتزلة ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ظرف لحاج، أو بدل من أن آتاه الله الملك على الوجه الثاني ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بخلق الحياة والموت في الأجساد. وقرأ حمزة رب بحذف الياء ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالعفو عن القتل وبالقتل. وقرأ نافع أن بلاألف ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ أعرض إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعاً

قوله: لأنه أتاه الخ: بحذف اللام أو الوقت وعلى الأول للعلية وللسببية إما حقيقة بمعنى أن إيتاء الملك صار سببا للتكبر والعتو وهو المحاجة واما إستعارة وتشبيها لاستعقاب الإيتاء المحاجة باستعقاب العلة للمعلول كما دخلت اللام فيقوله: ﴿فالتقته آل فرعون لهم عدوا و حزنا﴾ على ما ليس بغرض تشبيها له بالغرض في الترتب عليه يعني أن الله تعالى أتاه الملك لأجل أن يشكره فعكس وجعل شكره ضد ماكان ينبغي أن يكون حيث وضع المحاجة في ربه موضع الشكر شكراً له كقولك :عاديتنى لأنى أحسنت إليك تريد أنك عكست ماكان يجب عليك من الموالاة لأجل الإحسان.

قوله: أو بدل من آتاه الله على الوجه الثاني، أي على تقدير الوقت وهذا البدل بدل البعض من الكل .

قوله: أعرض إبراهيم عليه السلام عن الاعتراض. يعني أعرض عن الاعتراض على معارضة الفاسدة. وهو إن ما أتيت به ليس بإحياء وإماتة لأن الإحياء إعطاه الحيوة لمن لا حيوة له والإماتة إزالتهابلا مباشرة الأسباب الظاهرة كالقتل ابى الاحتجاج بما لا يعتبر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة والمجادلة كما قرره صاحب الكشاف. ولما ورد عليه أنه لا يجوز الانتقال من حجة بعد تمامها إلى حجة أخرى لإثبات الحكم الأول لأن الحجة الأولىٰ كانت لازمة، ألا يري أنه عارضه بأمر باطل كما مر. أجاب عنه صاحب الفرائد بأن هذا في الحقيقة ليس انتقال من حجة إلى حجة بل انتقال من مثال إلى مثال آخر للإيضاح. فقول إبراهيم عليه السلام ﴿ربي الذي يحي ويميت﴾ في المحاجة ينبغ أن يكون استدلالا على وجود الصانع بحدوث أشياء لا يقدر الخلق على إحداثها فجاء

لـلـمشـاغبة، وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الإتيان بها غيره لا عن حجة إلى أخرى. ولعل نمرود زعم أنه يقدر أن يفعل كل جنس يـفـعـل الـله فنقض إبراهيم بذلك. وإنما حمله إليه بطر الملك وحماقته، أو اعتقاده الحلول .وقيـل:لـمـا كسر ابراهيم عليه الصلاة والسلام الأصنام سجّنه أياماًثم أخرجه ليحرقه فقال لـه: من ربك الذي تدعو إليه؟ وحاجه فيه ﴿فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ﴾ فصارمبهوتاً . وقرئ فبهت أي فـغـلـب إبـراهيـم الـكـافر ﴿وَاللَّهُ لَايَهْدِىُ القوم الظّٰلِمِينَ[٢٥٨﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية . وقيل: لا يهديهم محجة الاحتجاج، أو سبيل النجاة ، أو طريق الجنة يوم القيامة.

﴿أَوْ كَـالَّذِى مَرَّ عَلٰى قَرْيَةٍ﴾ تقديره أوأ رأيت مثـل الذي، فحذف لدلالة "ألم تر الى الّـذي حاج عليه، وتخصيصه بحرف التشبيه؛ لأن المنكر للإحياء كثير والجاهل بكيفيته أكثر من أن تـحـصـى بخلاف مدعي الربوبية . وقيل: الكاف مزيدة و تقدير الكلام ألم تر إلى الذي حاج

بـالإحياء والإماتة، فنازع نمرود في المثال فانتقل إلى مالا يمكنه المنازعة فيه ولا بحث في الـنظير. وأجاب المصنف من عنده بأن هذا نقض للمعارضة لا إنتقال من حجة إلى حجة أخـرى، كـأنه زعـم أنه قادر على كل شيء منها الإحياء والإماتة فنقضه إبراهيم بقوله ﴿فإن اللّٰه يـأتـي بـالشـمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾. وقال فخر الإسلام البزدوي بأن هـذا ليس من قبيل الانتقال من علة إلى علة أخري لإثبات الحكم الأول،لأن الحجة الأولى كـانـت لازمة إلا أن إبـراهيـم عـليه السلام لما خاف الاشتباه واللبس على القوم انتقل دفعا لـلاشتبـاه إلـى ما هو خال عما يوجب لبسا وذلك حسن عند قيام الحجة وخوف الاشتباه. وقـال مـحي السنة: إنتقل إبراهيم عليه السلام إلى حجة أخري لا عجزا، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت فكأن له أن يقول فأحي الميت إن كنت صادقا فانتقل إلى حجة أو ضح من الأولي .

قوله: أو اعتقاده الحلول: أي حلول الألوهية فيه .

قوله: تـقـديره أو رأيت الخ : فإنما قدر ذلك لأن العطف على الذي حاج إبراهيم لايـجوز لإفضاء كلمة إلى على الكاف يعني لا يجوز أن يقال ألم تر إلى الذي فأولوه بوجوه سـاقـطة حيـطـانها على سقوفها يعني سقطت سقوفها أولاً ثم سقطت حيطانها عليها وقيل ساقطة مع سقوفها .

أو الـذي مرّ . وقيـل: إنـه عـطف مـحـمـول على المعنى كأنه قيل: ألم تر كالذي حاج ، أو كـالـذي مرّ . وقيل: إنه من كلام إبراهيم ذكره جواباً لمعارضته. وتقديره أو إن كنت تحي فـأحـي كـإحيـاء الله تـعـالى الذي مرّ على قرية . وهو عزير بن شرحيا، أو الخضر، أو كافر بـالبـعـث . ويـؤيـده نـظمه مع نمرود. والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر . وقيل: الـقـرية التـي خـرج مـنها الألوف . وقيل: غيرهما، واشتقاقها من القرى وهو الجمع ﴿وَهِيَ خَـاوِيَةٌ عَـلَىٰ عُـرُوشِهَـا﴾ خـالية ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَـوْتِهَـا﴾ اعترافاً بالقصور عن معرفة طريق الاحياء، واستعظاماً لقدرة المحي إن كان القائل مؤمناً، واستبعاداً إن كان كافراً. و"أنّى" في موضع نصب على الظرف بمعنى متى، أو على الـحـال بـمعنى كيف ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ فالبثه ميتاً مئة عام ،أو أماته الله فلبث ميتاً مائة عـام ﴿ثُـمَّ بَـعَثَـهُ﴾ بـالإحيـاء ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ القائل هو الله . وساغ أن يكلمه وإن كان كـافراً ؛لأنه آمن بعد البعث، أو شارف قبيل الغروب، فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً ، ثم التـفت فرأى بقية منها فقال: أو بعض يوم على الإضراب ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَـلْ لَّبِثْـتَ مِـائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير بمرور الزمان.واشتقاقه مـن السـنة.والهاء أصلية إن قدرت لام السنة هاء، وهاء السكت إن قدرت واواً. وقيل: أصله لـم يتسـنن من الحمأ المسنون، فأبدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي. وإنما أفرد الـضـمير لأن الطعام والشراب كالجنس الواحد . وقيل: كان طعامه تيناً وعنباً وشرابه عصيراً أو لبنـاً، وكـان الـكـل عـلـى حـالـه. وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل. ﴿وَانْـظُـرْ إِلَىٰ حِـمَـارِكَ﴾ كيف تـفـرقت عظامه، أو انظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته حـفـظـنـاه بـلا مـاء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير. والأول أدل على الحال وأوفق لما بعده ﴿وَلِنَـجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي وفعلناذلك لنجعلك آية. روي أنه أتى قومه عـلـى حـمـاره وقـال أنا عزيرفكذبوه . فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك ، وقـالوا هو ابن الله . وقيل: لما رجع إلى منزله كان شاباً ، وأولاده شيوخاً فإذا حدثهم بحديث قالوا: حديث مائة سنة ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ يعني عظام الحمار، أو الأموات الذين تعجب من إحياهم

قوله: وأوفق لما بعده: وهو النظر الى العظام.

قوله: يـعـني عظام الحمار أو ألأموات ،الأول على تقديرأن يراد أنظر إلى الحمار كيف تفرقت عظامه والثاني على تقدير أنظر إلى حمارك سالما.

﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ كيف نحييها، أو نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه. و"كيف" منصوب بـ"ننشرها" والجملة حال من العظام :أي أنظر إليها محياة . وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب ننشرها من أنشرالله الموتى . وقرئ ننشرها من نشر بمعنى أنشرهم ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَالَحْماًفَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ فاعل "تبين" مضمر يفسره ما بعده تقديره: فلما تبين له أن الله على كل شيئ قدير ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر[٢٥٩]﴾ فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، أو يفسره ماقبله: أي فلما تبين له ما أشكل عليه . وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم، على الأمر والآمر مخاطِبُه،أو هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيفَ تُحْيِ الْمَوْتٰى﴾إنما سأل ذلك ليصير علمه عياناً، وقيل: لما قال نمرود: أنا أحيي وأميت، قال له:إن إحياء الله تعالى برد الروح إلى بدنها. فقال نمرود: هل عاينته فلم يقدرأن يقول نعم، وانتقل إلى تقرير آخر، ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب إن سئل عنه مرة أخرى ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤمِنْ﴾ بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة . قال له ذلك. وقد علم أنه أعرق الناس في الإيمان ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلٰى وَلٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ أي بلى آمنت ولكن سألت ذلك لأزيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان إلى الوحي،أو الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَة مِنَ الطَّيْرِ﴾ قيل: طاوسا وديكاً وغراباً وحمامة. ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة. وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات

قوله: كيف نحييها أو نرفع بعضها علىٰ بعض: الأول على قراء ة الراء ، والثاني على قراء ة الزاء. قال الجوهري: نشرهم الله سبحانه بالراء أحياهم وقال:إنشاز عظام الميت رفعها إلى مواضعها وتركيب بعضها على بعض. ومنه قراء ة زيد بن ثابت كيف ننشزها.

قوله: فحذف الأول لدلالة الثاني عليه :كما في قولهم :ضربني وضربت زيداً،أو لدلالة ماقبله وهو إحياء الموتىٰ أي فلماتبين ماأشكل عليه من أمر إحياء الموتىٰ.

قوله: وانتقل إلى تقرير آخر :أي حجةأخرى، وهي ﴿فإن ياتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ . قوله: قال له ذلك وقد علم أنه اعرق الناس في الإيمان : ذلك ليعلم السامعون غرضه،وهو أن يحصل اطمينان لا يكون مع العلم الاستدلالى اليقينى لما فيه من الإحساس الذي هو العبد عن الشبهة وان كان الاجمالى كاف في أصل الإيمان.وهذامشعر بأن الإيما ن أعني الإعتقاد يزيد وينقص كما هو مذهب الشافعي.

والزخارف التي هي صفة الطاوس، والصولة المشهور بها الديك، وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بهما الغراب ، والترفع والمسارعة إلى الهوى الموسوم بهما الحمام. وإنما خص الطير؛ لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان .والطير: مصدر سمي به أو جمع كصحب ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ فأملهن واضممهن إليك لتتأملها وتعرف شياتها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء . وقرأ حمزه ويعقوب فصِرهن بالكسر وهما لغتان قال:

وَلَكِنْ أَطْرَافَ الرِّماحِ تَصُورُهَا

وقال: وَفَرعٌ يصِيْرُ الجِيْدَ وَحفٍ كأنهُ عَلَى اللَّيْتِ قِنْوَانُ الكُرُومِ الدَّوالح

قوله: لأنه أقرب إلى الإنسان: لأن سليمان عليه السلام كان يعلم منطق الطير دون غيره من الحيوانات، ولأن بعض الطيور يتعلم ويتكلم بلسان الإنسان كالببغاء، ولبعضها كإدراك الإنسان كالهد هد حيث أتى بخبر البلقيس كما هو مع الطول مثله يأتي بالخبر الرجل الآخر العاقل المتجسس. وأما أنه أجمع فلما فيه من قوة فضل الحيوان وهو المتحرك بالإرادة ، أوبجميع خواص النوع باعتبار ازدياد الفضل كالنطق لبعض الإنسان يجمع فيه من خواص الإنسان باعتبار إزدياد النطق وقوته ما ليس لغيره من تدبير أمور الدنيا والآخرة وقيل لأنه يسرع إلى مقاصده كالإنسان وأجمع لخواص الحيوان لأنه يشارك الحيوانات في أحوالها ويزيد عليها بالطيران. وقيل أما في الصورة فلأن للطير رجلين كما للإنسان وأما في السيرة فلكون بعض الطير أقوى إدراكا وحفظا حتى أن بعضهم يتكلم كالإنسان وأجمع لخواص الحيوان إذ من جملة خواصه الطيران وهو للطير دون سائر الحيوان وسائر خواصه من الأكل والشرب والمشيء حاصلة له أيضا. وقيل أقرب إلى الإنسان أي مشبها كتدوير الرأس والمشي على الرجلين وأجمع خواص الحيوان فيه ما في الحيوان مع زيادة كالطيران .

قوله: ولكن أطراف الرماح: أوله: وما صيد الأعناق فيهم جبلة .الصيد:الميل والاعوجاج، وتصورها من صار يصور أي أمالها. يعني أن إمالة الأعناق إنما هي من الرماح وثقلها لامن الجبلة .

قوله: وفرع :الفرع الشعر التام. وشعر وحف بالحاء المهملة أي كثير حسن، والليت: صفحة العنق. والقنوان: جمع قنو وهو العنقود، والدوالح: بالحاء المهملة من دلح إذا مشى بحمله غير مبسط الخطو لثقله عليه. شبه الفرع بالقنوات المثقلات بالحمل .

وقرئ فصُرهن بضم الصاد وكسرها وهما لغتان. مشددة الراء من صرّه يصرّه ويصِرّه إذا جمعه، وفصرهن من التصرية وهي الجمع أيضاً ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أي ثم جزئهن وفرِّق أجزاء هن على الجبال التي بحضرتك . قيل: كانت أربعة . وقيل: سبعة . وقرأ أبو بكر جزأ وجزوأ بضم الزاي حيث وقع ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ قل لهن تعالين بإذن الله تعالى ﴿يَأْتِيْنَكَ سَعْياً﴾ ساعيات مسرعات طيراناً أو مشياً . روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها، ويخلط سائر أجزائها ويوزعها على الجبال ، ثم يناديهن، ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضُممن إلى رؤوسهن . وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بدعاية العقل أو الشرع ، وكفى لك شاهداً على فضل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويُمْنُ الضراعة في الدعاء، وحسن الأدب في السؤال . إنه تعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر الوجوه ، وأراه عُزيراً بعد أن أماته مائة عام ﴿وَاعْلَم أَنَّ اللّٰه عَزِيْزٌ﴾ لا يعجز عما يريده ﴿حَكِيْمٌ[٢٦٠]﴾ ذوحكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره.

﴿مَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ أي مثل نفقتهم كمثل حبة ، أو مثلهم كمثل باذرحبة على حذف المضاف ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ﴾ أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب كما يسند إلى الأرض والماء. والمنبت على الحقيقة هوالله تعالى، والمعنى:أنه يخرج منها ساق يتشعب لكل منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة . وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه، وقد يكون في الذرة والدخن في البر في الأراضي المغلة ﴿وَاللّٰهُ يُضٰعِفُ﴾ تلك المضاعفة﴿لِمَنْ يَشَآءُ﴾ بفضله وعلى حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه . ومن أجل ذلك تفاوتت الأعمال

قوله: على حذف المضاف : أي اعتباره وتقديره إما في جانب المشبه أو فى جانب المشبه به ليحصل الملايمة بينهما.

قوله: وقد يكون: أي سبع مائة حبة في سنبلة .

قوله: ومن أجل ذلك تفاوت الأعمال فى مقا دير الثواب. فالعمل الأفضل يوجب الثواب الأكثر كالصلاة في الكعبة والجهاد في سبيل الله .

في مقادير الثواب﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة ﴿عَلِيْمٌ[٢٦١]﴾ بنية المنفق وقدر إنفاقه.

﴿الَّذِيْنَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ ثُمَّ لَايُتْبِعُونَ مَآ أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَآ أَذىً﴾ نزلت في عثمان رضي اللّٰه تعالى عنه فإنه جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابهاوأحلاسها، وعبد الرحمن بن عوف فإنه أتى النبي ﷺ بأربعة آلاف درهم صدقة. والمن أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه . والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم إليه . و"ثم" للتفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[٢٦٢]﴾ لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما أسند إليه معنى الشرط إيهاماً بأنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا ﴿قَولٌ مَّعْرُوف﴾ رد جميل﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ وتجاوز عن السائل والحاجة، أو نيل المغفرة من اللّٰه بالرد الجميل ، أو عفو من السائل بأن يعذر ويغتفر رده ﴿خَيْرٌمِّنْ صَدَقَةٍ يَّتْبَعُهَآ أَذىً﴾ خبرعنهما. وإنما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة ﴿وَاللّٰهُ غَنِىٌّ﴾ عن إنفاق بمنٍ وإيذاء ﴿حَلِيْمٌ[٢٦٣]﴾ عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة.

﴿يَـأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدقٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذىٰ﴾ لا تحبطوا أجرها بكل واحد منهما ﴿كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهٗ رِئَآءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ﴾ كإبطال المنافق الذي يرائي بإنفاقه ولا يريد به رضااللّٰه تعالى ولا ثواب الآخرة ، أو مماثلين الذي ينفق رئاء الناس . والكاف في محل النصب على المصدر أو الحال . ورئاءً نصب على

قوله: إيهاما بأنهم أهل لذلك: أي تنبيها على أنهم مستحقون للأجر بدون السبب وهو الإنفاق فكيف إذا تحقق السبب : أو عفو من السائل: أي تجاوز وعفو عن السائل ما يثقل على المسؤل عنه إذا وجد منه .

قوله: لاختصاصها بالصفة: أما في المبتدإ فظاهر وأما في المعطوف فلما أشار إليه من أن المعنى تجاوز عن السائل،أو مغفرة من الله تعالىٰ أو عفو من السائل .

قوله: ﴿والله غنى حليم﴾ هذا سخط منه ووعيد للمنفق الذي يمن ويؤذي .

قوله: بالعقوبة: متعلق بالمعاجلة.

قوله: والكاف فى محل النصب على المصدر: أي على التقدير الأول أي لا تبطل إبطالا كإبطال المنافق وعلى الحال على التقدير الثاني .

المفعول له، أو الحال بمعنى مرائيا، أو مصدر أي إنفاق رئاء﴿فَمَثَلُهُ﴾أي فمثل المرائي في إنفاقه ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ كمثل حجر أملس ﴿عَلَيهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾أملس نقياً من التراب ﴿لَّايَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ لا ينتفعون بما فعلوا رئاءً ولا يجدون له ثواباً . والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى ؛ لأن المراد به الجنس، أو الجمع كما في قوله .

إِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلجٍ   دِمَاؤُهُمْ هُمُ القَومُ يَا أُمَّ خَالِدٍ

﴿وَاللَّهُ لَايَهْدِى الْقَومِ الْكَـٰفِرِينَ[٢٦٤]﴾ إلى الخير والرشاد . وفيه تعريض بأن الرئاء والمن والأذى على الإنفاق من صفات الكفار ولا بد للمؤمن أن يتجنب عنها.

﴿وَمَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾وتثبيتاً بعض أنفسهم على الإيمان ، فإن المال شقيق الروح، فمن بذل ماله لوجه اللّٰه ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها، أو تصديقا للإسلام وتحقيقاً للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم . وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال.

قوله: لأن المراد به الجنس أ والجمع: أي الفريق الذي ينفق.

قوله: وتثبيتًا بعض أنفسهم على الإيمان: أي ينفقون أموالهم في مرضات اللّٰه ليجعلوا البعض من أنفسهم ثابت على الإيمان واليقين وكذا على سائر العبادات حيث جعلوها ببذل المال الذي هو أشق عليها مذللة خاضعة سهلة الانقياد للأوامر لأن النفس إذا ريضت بتكليفها مايصعب ويشق عليها ذلت لصاحبها وقل طمعها في اتباعه بشهواتها وإذا أهملت حتى اتبعت الشهوات كانت جامحة اٰبية عن الامتثال والإطاعة فلا يكون ثابتا على الإيمان بخلاف ما إذا جعلوها مذللة ببذل المال بالجهاد في سبيل اللّٰه، فيكون كل النفس ثابتا على الايمان ولإنقيادها بكليتها لحصول الانقياد بالكلية بحيث ينتفي الجموح بالكلية فالتثبيت على هذا المعنى جعل الشيء ذا ثبات ومن أنفسهم في موقع المفعول. وكلمة "من" للتبعيض أوتصديقا للإيمان والثواب وجعله صادقا ومحققا ناشيا من أصل أنفسهم ومن خلوصها؛ لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل اللّٰه علم أن تصديقه وتحقيقه للجزاء من أصل نفسه وإخلاص قلبه فالتثبيت على هذا الوجه بمعنى جعل الشيء محققا والمفعول محذوف وهو الإسلام والجزاء." ومن أنفسهم" اما ظرف لغو أي تحقيقا من عند أنفسهم أو مستقر أي كاين منها، وكلمة "من" للابتداء والشقيق: الأخ. وإذا انشق الشيء نصفين فكل واحد منهما شقيق للآخر .

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ أي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع .فإن شجره يكون أحسن منظراً وأزكى ثمراً. وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا﴾ ثمرتها. وقرأ ابن كثير و نافع وأبو عمرو بالسكون للتخفيف ﴿ضِعْفَيْنِ﴾مثلي ما كنت تثمر بسبب الوابل . والمراد بالضعف المثل كما أريد بالزوج الواحد في قوله تعالى ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[٢٣.المؤمنون:٢٧.]-[١١.هود:٤٠] وقيل: أربعة أمثاله ونصبه على الحال أي مضاعفاً ﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي فيصيبها، أو فالذي يصيبها طل، أو فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لا رتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر. والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وإن كانت تتفاوت باعتبارما ينضم إليها من أحواله . ويجوز أن يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة في الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[٢٦٥]﴾ تحذير عن الرياء وترغيب في الإخلاص .

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الهمزة فيه للإنكار ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ﴾ جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الأشجار تغلباً لهما لشرفهما وكثرة منافعهما . ثم ذكر أن فيها من كل الثمرات ليدل

قوله: أي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء :يعني تحمل أن يكون هذا تمثيلا مركبا بأن شبه مجموع حال نفقتهم وثمرتها بمجموع حال بستان كذا في زكاء ثمرتها أو تمثيلاً مفرقا بأن شبه حالهم وقربهم عند الله تعالىٰ ببستان كذا ونفقتهم القليل والكثيرة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل .

قوله: وقيل أربعة أمثاله: لأن ضعف الشيء مثلاه، فالضعفان أربعة أمثاله.

قوله: جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الأشجار تغليبا لهما. فيكون المعنى له جنة من كل الأشجار المثمرة فيصح أن له فيها من كل الثمرات.

سوال: أنه إذا كانت الجنة من النخيل والأعناب كيف يكون له فيها من كل الثمرات

وجواب أن ليس المراد با لثمرات ثمرات الأشجار ليمتنع كل الثمرات مع كون الجنة من النخيل والأعناب خاصة بل المنافع التي كانت تحصل له في تلك الجنة من أي جنس كان مثل الذهب والفضة وغيرهما .

على احتوائها على سائر أنواع الأشجار. ويجوز أن يكون المراد بالثمرات المنافع.

﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ أي كبر السن؛ فإن الفاقة والعالة في الشيخوخة أصعب. والواو للحال، أو للعطف حملاً على المعنى. فكأنه قيل: أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر﴿ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ صغار لا قدرة لهم على الكسب ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيْهِ نَارٌ فَاحتَرَقَتْ﴾ عطف على أصابه، أو تكون باعتبار المعنى. والإعصار ريح عاصفة تنعكس من الأرض إلى السماء مستديرة كعمود .والمعنى تمثيل حال من يفعل الأفعال الحسنة ويضم إليها ما يحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والأسف إذا كا ن يوم القيامة واشتدت حاجته إليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه ، وأشبههم به من حال بسره في عالم الملكوت، وترقى بفكره إلى جناب الجبروت. ثم نكص على عقيبيه إلى عالم الزور والتفت إلى ما سوى الخلق وجعل سعيه هباء منثوراً﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ لَكُمُ الْاٰيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ[٢٦٦]﴾أي تتفكرون فيها فتعتبرون بها .

﴿يَآأَيُّهَاالَّذِيْنَ آمَنُوآ أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ من حلاله أو جياده ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ ومن طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثمرات والمعادن.فحذف المضاف لتقدم ذكره ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيْثَ مِنْه﴾أي ولا تقصدوا الرديء منه أي من المال.أو مما أخرجنا لكم.وتخصيصه بذلك ؛لأن التفاوت فيه أكثر . وقرئ ولا

قوله: والواو للحال : يعني يحتمل أن يكون للحال بتقدير قد وهوظاهر. ويحتمل أن يكون للعطف حملا على المعنى وذلك أن أن المصدرية وإن كانت صالحة للدخول على الماضي نحو عجبت من أن قام لكنها إذا نصبت المضارع كانت الاستقبال قطعا فلم تصلح للماضي فلم يصح عطف "أصابه" على "تكون" إلا أنه يصح من حيث المعنى لأنه يقال وددت أن تكون كذا وودت لو كان كذا فكأنه قيل: يود أحد كم لو كان له جنة وأصابه الكبر .

قوله : من جال: أي من اتصف بصفة الملائكة واتصف بصفات الله تعالى .

قوله: وتخصيصه بذلك :يعني على تقدير أن يراد مما أخرجنا وجه التخصيص أن التفاوت في ما أخرجنا أكثرفلا ينبغي أن يقصد الردي بخلاف ما كسبتم فإن التفاوت أقل فلا بأس باختيار الرد ي.

تـأمموا ولا تيمموا بضم التاء ﴿تُنفِقُونَ﴾ حال مقدرة من فاعل تيمموا . ويجوز أن يتعلق به منـه ويكـون الـضـمير للخبيث والجملة حالاً منه ﴿ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾ أي وحالكم أنكم لا تـأخذونه في حقوقكم لردائته ﴿ إِلَّآ أَنْ تُغْمِضُواْ فِيْهِ﴾ إلا أن تتسامحوا فيه. مجاز من أغمض بصره إذا غضه. وقرئ تغمضوا أي تحملوا على الإحماض ، أو توجدوا مغمضين . وعن ابن عباس رضـي الله تـعـالى عنه : كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ غَنِيّ﴾ عن إنفاقكم إنمايأمركم به لا نتفاعكم ﴿حَمِيْد[٢٦٧]﴾ بقبوله وإثابته.

﴿الشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُم الْفَقْرَ﴾ في الإنفاق. والوعد في الأصل شائع في الخير والشر. وقـرئ الـفُـقـر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَآءِ﴾ ويغريكم على البـخـل. والـعـرب تسـمي البخيل فاحشاً . وقيل: المعاصي﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ أي يـعـدكم في الإنفاق مغفرة لذنوبكم ﴿وَفَضْلاً﴾ خلفاً أفضل مـما أنفقتم في الدنيا، أو في الآخرة﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ أي واسع الفضل لمن أنفق﴿ عَلِيْم[٢٦٨]﴾بإنفاقه.

﴿يُؤْتِى الْحِكْمَةَ﴾ تـحـقيـق الـعـلـم وإتقان العلم﴿مَنْ يَشَآءُ﴾ مفعول أول أخر للإهتمام بالمفعول الثاني﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ﴾ بناؤه للمفعول لأ نه المقصود. وقرأ يعقوب بـالـكسـر أي ومن يؤته الله الحكمة ﴿ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيْراً﴾ أي أيَّ خيرٍ كثير إذ حيز له خيرالـداريـن ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ ومـا يتـعـظ بـما قص من الآيات، أو ما يتفكر؛ فإن المتفكر كـالـمتـذكـر لما أودع الله في قلبه من العلوم بالقوة ﴿إِلَّآأُولُوا الْأَلْبَابِ[٢٦٩]﴾ ذووالعقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون إلى متابعة الهوى .

قوله: حال مقدرة :لأن الإنفاق ليس في زمان حال فلا يقارن زمان العامل ويجوز أن يتـعـلـق مـنـه بـ"تنفقون" فلا يكون حالا مقدرة والمعنى لا تقصدوا الردي حال الإنفاق ومقيدا به لا مطلقا فإنه غير منهي عنه.

قوله: وقـرئ تـغـمضوا: أي بالبناء للمفعول فيكون المعنى إلا أن تجعلوا مغمضين أي تحملوا على الإغماض أو توجدوا مغمضين كما يقال أخلفت الوعد إذا أو جدته مخلفا

قوله: ويغريكم: يعني أن يأمركم استعارة تبعية .

قوله: خـلـفًـا أفـضل: إنما فسر به لأنه وصف الخلف بالفضل كما في زيد عدل فيفيد المبالغة في الفضل .

قوله: أي أيّ خير كثير: أي كل خير كثير لأنه حيزله خير الدارين .

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ قليلة أو كثيرة. سراً أو علانية. في حق أو باطل ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ بشرط أو بغير شرط. في طاعة أو معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها، أو يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذر ﴿مِنْ أَنصَارٍ[٢٧٠]﴾ من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه.

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فنعم شيئاً إبداؤها . وقرأ ابن عا مر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الأصل . وقرأ أبو بكر وأبوعمرو وقالون بكسر النون وسكون العين . وروي عنهم بكسر النون وإخفاء حركة العين وهو أقيس﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ﴾ أي تعطوها مع الإخفاء ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فالإخفاء خير لكم . وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فإن إبداء الغرض لغيره أفضل لنفي التهمة عنه . عن ابن عباس رضي الله عنهما"صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً ، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً" ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ قرأ ابن عامر و عاصم في رواية حفص بالياء أي والله يكفر أو الإخفاء. وقرأ ابن كثيروأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعاً على أنه جملة فعلية مبتدأة،أو إسمية معطوفة على ما بعد الفاء:أي ونحن نكفر. وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجز وماً على محل الفاء وما بعده . وقرئ بالتاء مرفوعاً ومجزوماً والفعل للصدقات﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ[٢٧١]﴾ ترغيب في الإسرار ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ لايجب عليك أن تجعل الناس مهديين . وإنما عليك الإرشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والأذى و إنفاق الخبيث﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ صريح بأن الهداية من الله تعالى وبمشيئته

قوله: والله يكفر أو الإخفاء: أي الإخفاء يكفر يعني أن ضمير يكفر إما أن يعود إلى الله تعالى أو إلى الإخفاء .

قوله: جملة فعلية مبتدأة :أي غير داخلة في حيز الشرط بل هي بمنزلة الاستيناف.

قوله: أو اسمية: أي بحذف المبتدأ.

قوله: مجزوما على محل الفاء وما بعده :يعني أن مجموع الفاء وما بعده في محل الجزم فيكون ويكفر مجزوما معطوفا عليه، وهذا بناء على التسامح وإلا فلا دخل الفاء في محل الإعراب فالمحل إنما يكون لما بعد الفاء وهذا كما قالوا أن مجموع لا رجل في محل الرفع بناء على التسامح كذا في التعليق شرح التسهيل.

و إنها تخص بقوم دون قوم .

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾من نفقة معروفة ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّاابْتِغَآءَ وَجْهِ اللّٰهِ﴾ حال . وكأنه قال وما تنفقون من خير فلأنفسكم غير منفقين إلا لا بتغاء وجه الله وطلب ثوابه ،أو عطف على ما قبله أي وليست نفقتكم إلا لا بتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث. وقيل: نفي في معنى النهي﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُّوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه أضعافاً مضاعفة . فهو تأكيد للشرطية السابقة، أو ما يخلف للمنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام "اللهم اجعل لمنفق خلفاً، ولممسك تلفاً" روي أن نأساً من المسلمين كانت لهم أصهار و رضاع في اليهود، وكانوا ينفقون عليهم، فكرهوا لما أ سلموا أن ينفعوهم فنزلت. وهذا في غير الواجب.أما الواجب فلا يجوز صرفه إلى الكفار﴿ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ[٢٧٢]﴾ أي لا تنقصون ثواب نفقاتكم .

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء، أو اجعلو ا ما تنفقونه للفقراء، أو صدقاتكم للفقراء ﴿الَّذِيْنَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ أحصرهم الجهاد ﴿لَا يَسْتَطِيْعُونَ﴾ لاشتغالهم به ﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ ذهاباً فيها للكسب . وقيل هم أهل الصفه كانوا نحواً من أربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة .

قوله: والفعل للصدقات:يعني أن فاعل تكفر بالتاء الصدقات .

قوله: من نفقة معروفة: أي عند الشرع كصدقة للفقير وصلة للرحم وهدية للأجنبي

قوله: فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم: أي في الآخرة وإلا فالفقير ينتفع به لا محالة

قوله: فهو تاكيد للشرطية السابقة: لأن الشرطية السابقة تدل على أن ثواب الإنفاق يرجع إليهم ينتفعون به لا غيرهم والله تعالى عادل متفضل بعشر أمثالها فيرقي ثوابهم أضعافا مضاعفة وهو معنى قوله: يوف إليكم أي ثوابه أضعافا مضاعفة .

قوله: أو ما يخلف للمنفق: عطف على قوله: ثوابه.

قوله: استجابة لقوله عليه السلام: لعل على سبيل الحكاية عند الملك وإلا ففي كتب الحديث نسبة هذا الدعاء الى الملك .

قوله: نحواً من أربعة مأة: شاع هذه العبارة فيما إذا كان العدد على التقريب دون التحقيق .

وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله ﷺ ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم . وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ من أجل تعففهم عن السوال . ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ من الضعف ورثاثة الحال . والخطاب للرسول ﷺ. أو لكل أحد ﴿لَا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ إلحاحاً. وهو أن يلازم المسؤل حتى يعطيه من قولهم: لحفني من فضل لحافه: أي أعطاني من فضل ما عنده. والمعنى أنهم لا يسألون وإن سألوا عن ضرورة لم يلحوا. وقيل: هو نفي للأمرين كقوله: على لاحبٍ لا يُهتدىٰ بمناره

فنصبه على المصدر؛ فإنه كنوع من السؤال ، أو على الحال ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ بِهِ عَلِيْمٌ[٢٧٣]﴾ ترغيب في الإنفاق وخصوصاً على هؤلاء .

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾ أي يعمون الأوقات والأحوال بالخير. نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه تصدق بأربعين ألف دينار: عشرة بالليل وعشرة بالنهار. وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية. وقيل في أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلاً ودرهم نهاراً. ودرهم سراً ودرهم علانية. وقيل: في ربط الخيل في سبيل الله والإنفاق عليها ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[٢٧٤]﴾ خبر الذين ينفقون والفاء للسببية . وقيل: للعطف والخبر محذوف أي ومنهم الذين؛ ولذلك جوز الوقف على "وعلانية" .

﴿الَّذِيْنَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰوا﴾ أي الآخذون له. وإنما ذكر الأكل لأنه أعظم منافع المال، ولأن الربا شائع في المطعومات وهو زيادة في الأجل: بأن يباع مطعوم بمطعوم ، أو نقد بنقد إلى أجل ، أو في العوض بأن يباع أحدهما بأكثر منه من جنسه . وإنما كتب بالواو كالصلاة للتفخيم على لغة وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع ﴿لَا يَقُوْمُوْنَ﴾

قوله: حتى يعطيه :يعني أدخل في مفهوم الإلحاف الإعطاء لأنه اعتبر في مفهوم الثلاثي المجرد منه والافي اللغة لم يعتبر في مفهومه. قال في شمس العلوم: ألحف السائل ألح، وألح في المسألة بإلحاح أكثر السوال .

قوله: هو نفي للأمرين:أي السوال والإلحاف جميعاً .

قوله: علىٰ لاحب لايهتدي بمناره :يريد نفي المنار والاهتداء به. أوله: سدًا بيديه ثم أج بسيره." سدا بيديه" مدهما في السير.وأج: الظليم عدا . واللاحب: الطريق الواسع.

قوله: للتفخيم: وهو اشراب الألف صوت الواو، وهذا لغة في نحو الصلوٰة والزكوٰة والربوا.

إذا بعثوا من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطٰنُ﴾ إلا قياماً كقيام المصروع . وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع. والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ أي الجنون . وهذا أيضاً من زعماتهم أن الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل: جَنَّ الرجلُ . وهو متعلق بـ"لا يقومون" أي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب أكل الربا، أو بـ"يقوم" أو بـ"يتخبط" فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم ولكن لأن الله أربى في بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰوا﴾ أي ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه استحلاله. وكان الأصل إنما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربا أصلاً وقاسوا به البيع. والفرق بيّن؛ فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهماً، ومن اشترى سلعة تساوي درهماً بدرهمين فلعل مساس الحاجة إليها، أو توقع رواجها يجبر هذا الغبن ﴿ وَأَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا﴾ إنكار لتسويتهم . وإبطال القياس بمعارضة النص ﴿ فَمَنْ جَآءَهُ مَوعِظَةٌ مِّنْ رَبِّهِ﴾ فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر كالنهي عن الربا﴿فَانْتَهٰى﴾ فاتعظ وتبع النهي ﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ تقدم أخذه التحريم ولا يسترد منه . وما في موضع الرفع بالظرف إن جعلت من موصولة . وبالابتداء إن جعلت شرطية على رأي سيبويه؛إذ الظرف غير معتمد على ما قبله ﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّٰهِ﴾ يجازيه على انتهائه إن كان من قبول الموعظة وصدق النية . وقيل يحكم في

قوله: ضرب على غير: أي ضرب في الأرض.

قوله: وكان الأصل إنما الربوا مثل البيع. لأن الكلام في الربوا لا في البيع فوجب أن يقال شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه، لكن عكس للمبالغة حيث جعلوا الربوا من اعتقادهم الحل فيه بحيث يكون أصلا فيه، والفرق بيّن، فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهماً، ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس حاجته إليها أو توقع رواجها لاختلاف الأسواق والأوقات.

قوله:تقدم أخذه التحريم :أي على تحريمه تعالى إياه .

قوله: وما في موضع الرفع بالظرف :يعني إن جعلت" من" موصولة، فكلمة" ما" في محل الرفع على أنه فاعل الظرف لاعتماده على المبتدإ الذي هو الموصول. وإن جعلت شرطية فكلمة "ما" مبتدأ والظرف خبر مقدم لا فاعل لعدم اعتماده على المبتدإ .

شأنه ولا اعتراض لكم عليه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى تحليل الربا إذ الكلام فيه ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُونَ[٢٧٥]﴾ لأنهم كفروا به ﴿يَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبٰوا﴾ يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ﴿ وَيُرْبِي الصَّدَقٰتِ﴾ يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه . وعنه عليه الصلاة و السلام " إن الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي أحدكم مهره " وعنه عليه الصلاة والسلام " ما نقصت زكاة من مال قط" ﴿ وَاللّٰهُ لَايُحِبُّ﴾ لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين ﴿ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مصر على تحليل المحرمات ﴿ أَثِيْمٍ[٢٧٦]﴾ منهمك في ارتكابه .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا﴾ بالله ورسوله وبما جاء هم منه ﴿ وَعَمِلُوا الصّٰلِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلوٰةَ وَآتُوْا الزَّكوٰةَ﴾ عطفهماعلى ما يعمهما لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من آت ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُون[٢٧٧]﴾ على فائت.

﴿يٰأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواللّٰه وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوٓا﴾ واتركوا بقايا ما شرطهم على الناس من الربا﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ[٢٧٨]﴾ بقلوبكم فإن دليله امتثال ما أمرتم به . روي : أنه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال ولاربا. فنزلت.

﴿فَإِنْ تَفْعَلُوْا فَأْذَنُوْا بِحَرْبٍ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهٖ﴾ أي فاعلموا بها . من أذن بالشيء إذا علم به . وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا أي فأعلموا بها غيركم . من الاذن

قوله: إلى تحليل الربوا إذالكلام فيه: إشارة إلى الرد على صاحب الكشاف حيث استدل بالآية على تخليد الفساق في النار كما هو مذهب الاعتزال؛ لأن المراد ومن عاد إلى الربوا أي أكله وأكله فسق. ووجه الدفع أن المراد من عاد إلى تحليل الربوا على ماكان عليه لأن الكلام في تحليل الربوا و استحلاله على ما يفيده. قالوا إنما البيع مثل الربوا والاستحلال كفر والكافر خالد فيها فلا يكون في الآية دليل على تخليد الفساق.

قوله: مهرة: بضم الميم وسكون الهاء ولد الفرس.

قوله: فإن دليله: أي دليل إيمانكم بقلوبكم .

قوله: عند المحل: بالكسر وقت حلول الدين .

قوله: من الأذن وهو الاستماع: قال في الصحاح: أذن له أذنا بالفتح إذا استمع، وأذن علم .فإن قلت: لما لم يجعل قراءة "أذنوا" من أذن بمعنى علم مع أن الظاهر أن يكون منه .

قلنا: لما أن العلم الحاصل من الاستماع أبلغ ويمكن أن يقال إن إعلام المخاطب غيره بمعنى جعله عالما ليس في الحقيقة إلا جعله مستمعا وسامعا لاجعله عالما ومتصفا بالعلم.

وهو الاستماع فإنه من طرق العلم . وتنكير "حرب" للتعظيم. وذلك يقتضي أن يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفئ إلى أمر الله كالباغي ولا يقتضي كفره . روي: أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾ من الارتباء واعتقاد حله ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ[٢٧٩]﴾ بأخذ الزيادة﴿وَلَا تُظْلَمُون﴾ بالمطل ولانقصان . ويفهم منه أنهم إن لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه ؛إذ المصرّعلى التحليل مرتد وماله فيء:

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ وإن وقع غريم ذو عسرة . وقرئ ذا عسرة أي وإن كان الغريم ذا عسرة ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ فالحكم نظرة ،أو فعليكم نظرة ،أو فليكن نظرة وهي الإنظار . وقرئ فناظرة على الخبر: أي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره ، أو صاحب نظرته على طريق النسب وفناظره على الأمر أي فسامحه بالنظرة﴿إِلَى مَامَيْسَرَةٍ﴾ يسار . وقرأ نافع وحمزة بضم السين . وهما لغتان كمُشرَقة ومشرُقة . وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله: وَأَخْلَفُوكَ عَدَ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا

﴿وَأَنْ تَصَّدَّقُوا﴾ بالإبراء . وقرأ عاصم بتخفيف الصاد ﴿خَيْرًا لَكُم﴾ أكثر ثواباً من الإنظار، أو خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه . وقيل: المراد عاصم بالتصديق الإنظار لقوله عليه الصلاة والسلام "لايحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له يوم صدقة" ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ[٢٨٠]﴾ ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل.

﴿وَاتَّقُواللَّهِ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ يوم القيامة، أو يوم الموت لمصيركم إليه . وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَاكَسَبَتْ﴾ جزاء

قوله: لا يدي لنا:أي لا قدرة لنا من قبيل لا غلامي له بإقحام اللام لتأكيد الإضافة، وعند ابن الحاجب بحذف النون تشبيها له بالمضاف.

قوله: وهي الإنظار: بمعنى الانتظار أي التأخير والإمهال.

قوله:على طريق النسب: كتامر ولابن بمعنى ذو تمر وذو لبن.

قوله:عد الأمر:أي عدة الأمر فحذف التاء عند الإضافة .

قوله: فيؤخره: مرفوع معطوف على يحل والنفي متسحب على المجموع والاستثناء مفرغ في موقع صفة الرجل أوالحال والمعنى لا يكون حلول دين رجل يعقبه تأخير كان لذلك الرجل بكل يوم صدقة .

ماعملت من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ[٢٨١]﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما" أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال: ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة" وعاش رسول الله بعدها أحداً وعشرين يوماً وقيل: أحداً وثمانين يوماً. وقيل: سبعة أيام. وقيل: ثلاث ساعات.

﴿يٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِيْنٍ﴾ أي إذا داين بعضكم بعضاً. تقول: داينته إذا عاملته نسيئة معطياً أو آخذاً . وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه إلى المؤجل والحال وأنه الباعث على الكتبة. ويكون مرجع ضمير فاكتبوا ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معلوم الأيام والأشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ أوثق وأدفع للنزاع . والجمهور على أنه استحباب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما" أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلم" ﴿وَلْيَكْتُبْ بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالعَدْلِ﴾ من يكتب السوية لا يزيد ولا ينقص. وهو في الحقيقة أمر للمداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبة موثوقاً به معدلاً بالشرع ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾ ولا يمتنع أحد من الكتاب ﴿أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّٰهُ﴾ مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق، أو لا يأب ينفع الناس بكتابته

قوله: معطيا أو آخذا: أي معطيا إياه عينا وآخذا إياه عينا.

قوله: أن لا يتوهم من التداين المجازات: وهو ليس بمراد بقرينة ما بعده فيدفع ذلك التوهم.

قوله: و يعلم تنوعه إلى المؤجل والحال. يعني أنهم قسموا الدين إلى مؤجل وحال لا التداين، ولو لم يذكر الدين لتوهم أن التداين أي المعاملة نسيئة ويتفرع وينقسم إليهمالانفس الدين مع أن تنوع الدين هو الباعث على الكتبة إذ لو لم يتنوع وكان حالا لا يحتاج إلى الكتبة على أن التداين حال لا مؤجل .

قوله: ويكون مرجع ضمير فاكتبوه: يعني أن فائدة ذكر الدين أن يرجع ضمير" فاكتبوه" إليه؛ إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين لأن المستحب كتابة الدين أي القدر المعلوم الثابت في الذمة حتى لو كتب ذلك من غير ذكر للمعاملة لكفى.

فإن قيل: فليقل فاكتبوه أي الدين لدلالةتداينتم عليه لمامر أن المداينةالمعاملة بالدين

قلنا: لا نعلم عود الضمير إليه لأن عوده إلى التداين أو إلى أجل أظهر على أنه يوهم الأمر بكتابة ما هو باطل في نفسه أعني التداين بمعنى معاملة الدين بالدين ومقابلته به.

قوله: مثل ما علمه الله من كتبة الوثايق : بأن لا يزيد ولا ينقص في الدين.

كما نفعه الله بتعليمها كقوله﴿وأحسن كماأحسن الله إليك﴾[٢٨.القصص:٧٧] ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تلك الكتابة المعلمة أمر بها بعد النهي عن الإباء عنها تأكيداً . ويجوز أن يتعلق الكاف بالأمر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الأمر بها مقيدة ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقّ﴾ وليكن المملي من عليه الحق لأنه المقر المشهود عليه . والإملال والإملاء واحد﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ أي المملي ، أو الكاتب ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ ولا ينقص﴿ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي من الحق،أو مما أملى عليه ﴿فإِنْ كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيْهًا﴾ ناقص العقل مبذراً ﴿ أو ضَعِيْفًا﴾ صبياً أو شيخاً مختلاً ﴿أَو لَا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يُّمِلَّ هُوَ﴾ أو غير مستطيع لإملال بنفسه لخرس أو جهل باللغة ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ أي الذي يلي أمره ويقوم مقامه من قيم إن كان صبياً أو مختل العقل، أو وكيل، أو مترجم إن كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الإقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ﴾ واطلبوا أن يشهد على الذين شاهدان ﴿مِنْ رِّجَالِكُمْ﴾ من رجال المسلمين . وهو دليل اشتراط إسلام الشهود وإليه ذهب عامة العلماء. وقال أبو حنيفة : تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ فإن لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ فليشهد أو فليستشهد رجل وامرأتان . وهذا مخصوص بالأموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ﴾ لعلمكم بعدالتهم ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدٰهُمَا فَتذَكِّرَ إِحْدٰهُمَا الْأُخْرىٰ﴾ علة اعتبار العدد أي لأجل أن إحداهما إن ضلت الشهادة بأن نسيتها ذكرتها الأخرى. والعلة في الحقيقة التذكير

قوله: ثم الأمر بها مقيدة: أي فليكتب مثل ما علمه الله.

قوله: أو مختل العقل: هذا يشمل الشيخ المختل والسفيه أيضًا.

قوله:ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل: أي النيابة في الإقرار مخصوص بأمر باشره الوكيل أو القيم كالاستقراض فيعترفان بالاستقراض لأجله لا أنهما يمليان إقرار اليتيم والمؤكل.

قوله: والعلة في الحقيقة التذكير: يعني أن علة اعتبار العدد في الامرأة هو تذكير الأخرى لأحدهما، لا ضلالتها لكن لما كان الضلال هو السبب الذي وجب به التذكير نزل منزلته وجعل المجموع علة لاعتبار العدد. قال العلامة التفتازاني: ومما ينبغي أن يتعوض له وجه تكرار لفظ احدهما، ولا خفاء في أنه ليس من وضع المظهر موضع المضمر إذ ليست المذكرة

ولـكـن لما كان الضلال سبباً له نزل منزلته كقولهم: أعددت السلاح أن يجيء عدو فادفعه وكأنه قيل: إرادة أن تـذكـر إحـداهما الأخرى إن ضلت. وفيه إشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبـطهـن . وقـرأ حمزه أن تضل على الشرط فتذكر بالرفع. وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فتـذكـر مـن الإذكـار ﴿ وَلَا يَـأْبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَادُعُوا﴾ لأداء الشهادة أو التحمل . وسموا شهـداء قبـل التـحـمل تنزيلاً لما يشارف منزلة الواقع و"ما" مزيدة﴿ وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ ولا تملوا من كثرة مداياناتكم أن تكتبو الدين، أو الحق، أو الكتاب . وقيل كني بالسأم عن الكسل لأنـه صـفة الـمـنافق. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام " لا يقول المؤمن كسلت" ﴿صَـغِيْـراً أَوْ كَبِيْـراً﴾ صـغيراً كان الحق أو كبيراً، أو مختصراً كان الكتاب أو مشبعاً ﴿ إِلىٰ أَجَلِهِ﴾ إلى وقت حلوله الذي أقر به المديون .

﴿ ذَلِـكُم﴾ إشارة إلى أن تكتبوه ﴿أَقْسَطُ عِنْدَاللهِ﴾ أكثر قسطاً ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ وأثبت لها وأعون على إقامتها.

هـي الـنـاسية لا أن يـجـعل إحداهما الثانية في موقع المفعول ولا يجوز لتقدم المفعول على الـفـاعـل فـي موضع الالتباس. نعم يصح أن يقال فتذكرها الأخري فلا بد للعدول من نكتة. وحـاصلـه أن التـكرار ههنا ليس من وضع الظاهر موضع المضمر لا ضمير الفاعل ولا ضمير الـمـفـعول كما بينه فلا يصح، نعم يصح على تقدير المفعول الإتيان بالضمير فيقال فتذكرها الأخـرى فـلا بـد لـلـعـدول عنه من نكتة ولا تظهر. وقد يقال إنه لا يجوز تقديم المفعول في مـوضـع الالتبـاس ويـجب تقديم الفاعل إذا لم يكن هناك قرينة وههنا قرينة وهي التذكير إذ الـمـذكرة لا يكون ضالة فلا يكون إحداهما فاعلا بل الأخرى فاعل وإحداهما مفعول مقدم. ويـمـكـن أن يـقـال فـي تـوجيه التكرار أن العلة في الحقيقة هي التذكير. فأصل الكلام لأن تـذكـر إحداهـمـا الأخرى إن ضـلـت الأخـري لـكـن لـما كانت شهادة الأخرى بإحداهما وبتـذكـيـرهـا نزلت منزلتها فعبر عنها بلفظها فعلى هذا يكون إحداهما الثانية فاعلا والأخرى مفعولا به.

قوله: كـنـي بـالسام عن الكسل : يعني أن السامة والملالة إنما يكون بعد الشروع فيه والإكثار منه. والمراد ههنا النهي عند الكسل ابتداء فكني عنه بالسامة لكونها من لوازمه وروادفه ولم يجعله مجازا لعدم المانع من الحقيقة في الجملة .

وهـمـا مبـنيان من أقسط وأقام على غير قياس، أو مـن قـاسط بمعنى ذي قسط وقويم . وإنـمـا صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجموده ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا﴾ وأقرب فـي أن لا تشـكـوا في جنس الدين وقدره وأجله والشهود ونحو ذلك ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيْرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جَنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوْهَا﴾ استثناء من الأمر بالكتابة والتجارة الـحـاضـرة تـعـم الـمبـايعة بدين أو عين . وإدارتها بينهم تعاطيهم إياها يداً بيد أي: إلا أن تتبـايعوا يداً بيد فلا بأس أن لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان. ونصب عاصم تجارة على أنه الخبر والاسم مضمر تقديره إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله.

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلَاءَ نَا إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبُ أَشْنَعَا

ورفـعـهـا البـاقون على أنها الاسم والخبر تديرونها أو على كان التامة﴿وَأَشْهِدُوٓاإِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾هذا التبايع، أو مطلقاً لأنه أحوط . والأوامر التي في هذه الآية للاستحباب عندأكثر الائـمة. وقيـل: إنهـا لـلـوجـوب ثـم اختـلف فـي إحكامها ونسخها ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيْدٌ﴾ يـحتـمل البناء ين. ويدل عليه أنه قرئ ولا يضار بالكسر والفتح .وهو نهيهما عن ترك الإجابة والتـحـريف والتـغيـير فـي الكتبة والشهادة، أو النهي عن الضرار بهما مثل أن

قوله: وهـمـا مبـنيـان من أقسط وأقام على غير قياس: يعني أن المعني ههنا على العدل كـمـا فسره بـقوله" أكثر قسطا"لأن القسط بالكسر العدل. فهما إما مبنيان من أقسط واقام لامن قسـط يـقسـط قسـوطـالان معناه الجور والعدول عن الحق، وليس المعنى ههنا عليه ومعنى أقسط الـرجـل فهـو مقسط العدل، قال اللّٰه تعالى :﴿إن اللّٰه يجب المقسطين﴾ وكذا "أقوم" معناه أشد إقـامة لاقيـاما،أومن مقا سط بمعنى ذيقسط أي عدل كلا بن وتامر،فيكو ن أفعل لا فعل منه كأ حنك الشا تين ومن قويم أيمستقيم أيأشد استقا مه.

قوله: بـنـي أسـد: أي يا بني أسد وبلاء نا أي عناء نا ويجوز أن يراد به القتال ويوم اشنع عـلاشره فارتفع. وكونه ذا كواكب كناية عن شره وظلامه على الأعين بحيث يري الكواكب أو عـن كثـرة غبار الحرب بحيث يسترضوء الشم لأنه إذا أشتد الحرب يظلم النهار من شدة غبارها ويستر الشمس ويظهر الكواكب . قوله: لأنه: أي الإشهاد .

قوله: نهيهـما عن ترك الإجابة: أي ما يطلب منهما من الآية والشهادة على تقدير البناء للفاعل وأما النهي عن الضرار بهما فعلى تقدير البناء للمفعول، وجعل الكاتب هي أجرة المكاتب وهو مؤنة مجيئه كاجرة المركوب.

يؤجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما. ولا يعطى الكاتب جعله . والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ الضرار أو ما نهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ خروج عن الطاعة لا حق بكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أحكامه المتضمنة لمصالحكم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[٢٨٢]﴾ كرر لفظه الله في الجمل الثلاث لاستقلالها: فإن الأولى حث على التقوى، والثانية وعد بإنعامه، والثالثة تعظيم لشأنه، ولأنه أدخل في التعظيم من الكتابة.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ فالذي يستوثق به رهان ، أو فعليكم رهان، أو فليؤخذ رهان. وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الإرتهان كما ظنه مجاهد والضحاك رحمهما الله تعالى لأنه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي على عشرين صاعاً من شعير أخذه لأهله. بل لإقامة التواثق للإرتهان مقام التوثق بالكتابة في السفر الذي هو مظنة إعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون . وقرئ بإسكان الهاء على التخفيف ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ أى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بأمانته عن الا رتهان ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ أي دينه سماه أمانة لائتمانه عليه بترك الإرتهان به . وقرئ الذي أيتمن بقلب الهمزة ياء . والذي أتمن بإدغام

قوله: وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان: قال مجاهد والضحاك إنه لايجوز الرهن إلا في السفر واستدلا بظاهر الآية. فأجاب عنه صاحب الكشاف وتبعه المصنف . بأن ليس الغرض من التعليق اشتراط السفر في الارتهان، وأنه ينتفي بانتفاء السفر بل الغرض التوثيق بالرهن عند السفر الذي هو مظنة لإ عواز الكتب وعدم قدرته عليه والأغلب فيه عدم قدرة الكمية عليه فكأنه قال فإن لم تجدوا كاتبا فأقميوا مقامه الرهن، فالشرط يكون خارجا مخرج الأغلب فلا يدل على انتفاء الحكم عند انتفاء ه.

قوله: والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك: أي يتم الار تهان ويلزم ويترتب عليه الحكم بمجرد الإيجاب والقبول عند مالك وعند الجمهور لايتم إلا با لقبض دونه لايتمانه عليه أي لا يتمان الداين والمديون على الدين وأخذ أمينا عليه بترك أخذ الرهن منه

قوله: بقلب الهمزة ياء: لسكونها وانكسار ما قبلها كما في ذئب ومثل هذا الياء لا تدغم في تاء افتعل فلا يقال ايتزرواتزر بخلاف اتعد وقد بين ذلك في علم الصرف فلذا حكم المصنف

اليـاء في التاء وهو خطأ لأن المنقلبة عن الهمزه في حكمها فلا تدغم ﴿وَلْيَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهٗ﴾ في الـخيـانة وإنـكـار الـحـق وفيـه مبالغات﴿ وَلَا تَكْتُمُواالشَّهَادَةَ﴾ أيها الشهود، أو المديونون. والشهـادـة شهـادتهـم عـلـى أنفسهم ﴿وَمَنْ يَّكْتُمْهَا فَإِنَّهٗ اٰثِمٌ قَلْبُهٗ﴾ أي يأثـم قـلبه، أو قلبه يأثم. والجملة خبر" إن" وإسناد الإثم إلى القلب؛ لأن الكتمان مقترفه ونظيره : العين زانية، والأذن زانية ،أو لـلـمبـالـغة فـإنـه رئيس الأعضاء وأفعاله أعظم الأفعال . وكأنه قيل: تمكن الإثم في نفسه وأخذ أشرف أجزائه ، وفاق سائر ذنوبه . وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه ﴿وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيْمٌ[٢٨٣]﴾ تهديد.

﴿لِلّٰهِ مَـافـي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً﴿ وَ إِنْ تُبْدُوا مَا فِيٓ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يـعـني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه ﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ﴾يـوم الـقيامة. وهو حجة على من أنكر الحساب كالمعتزلة والروافض ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَـآءُ﴾ مـغـفـرتـه﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ﴾ تعذيبه . وهو صريح في نفي وجوب التعذيب . وقد رفـعهـمـا ابـن عـامروعاصم ويعقوب على الاستئناف، وجزمهما الباقون عطفاً على جواب الشرط. ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلاً منه بدل البعض من الكل أو الاشتمال كقوله:

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا

وإدغـام الـراء فـي الـلام لـحن ؛إذا لراء لا تدغم إلا في مثلها﴿وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ [٢٨٤]﴾ فيقدر على الإحياء والمحاسبة.

بأنه خطأ إلا أن قلب الهمزة ياء رواية ورش عن نافع والسوسى عن أبي عمرو .

قوله: أي يـأ ثـم قلبه أو قلبه يأ ثم: والأول على أن يكون قلبه فاعلا لآثم والثاني على أن يكون مبتدأ خبره آثم .

قوله: يـعـنـي مـا فيها من السوء والعزم عليه الخ: يعني أن المراد بما فيها السوء والعزم على السوء لا ماهو أعم من السوء والحسن لترتب المغفرة والعذاب عليه لا ما هو أعم منه ومن الثواب .

قوله: ومـن جـزم بـغيـر فـاء: قرأ الأعمش يغفر بغير فاء مجزوما على أنه بدل البعض أن يـجـعـل الـمغفرة والعذاب من جملة الحساب بناء على أنهما غايتان له مقصودان منه فجعلا من جملته أو بدل الاشتمال إن جعلا من لواحقه وثمراته وتفاريعه وهو الأظهر .

قوله: متى تأتنا تلمم: أي تنزل والجزل القوى الغليظ وتأجج أي اشتعل .

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهِ﴾ شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة إيمانه والاعتداد به ، وإنه جازم في أمره غير شاك فيه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ لا يخلو من أن يعطف المؤمنون على الرسول. فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعاً إلى الرسول والمؤمنين،أو يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين. وباعتبار يصح وقوع "كل" بخبره خبر المبتدأ . ويكون إفراد الرسول بالحكم إما لتعظيمه، أولأن إيمانه عن مشاهدة وعيان ، وإيمانهم عن نظر واستدلال. وقرأ حمزه والكسائي: وكتابه يعني القرآن، أو الجنس. والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل: الكتاب اكثر من الكتب﴿لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ أي يقولون لا نفرق. وقرأيعقوب لا يفرق بالياء على أن الفعل لكل . وقرئ لايفرقون حملاً على معناه كقوله﴿وكل أتوه داخرين﴾[٢٧.النمل:٨٧] واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله تعالى﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾[٦٩. الحاقة:٤٧]ولذلك دخل عليه بين . والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾ أجبنا. ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ اغفرلنا غفرانك ، أو نطلب غفرانك﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيْرُ[٢٨٥]﴾ المرجع بعد الموت وهو إقرار منهم بالبعث.

﴿لَايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلاما تسعه قدرتها فضلاً ورحمةً ،أو مادون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله تعالى﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[٢.البقرة:١٨٥] وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه﴿لَهَا مَاكَسَبَتْ﴾ من خير﴿ وَعَلَيْهَا مَااكْتَسَبَتْ﴾ من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها. وتخصيص الكسب والاكتساب بالشر؛ لأن الاكتساب فيه احتمال

قوله: أو يجعل مبتدأ: وإنما جاز وقوعه مبتدأ لكونه معرفة لكونه في تقدير كلهم فحذف المضاف إليه وعوض عنه التنوين .

قوله: والجمع في جموعه: أي جموع الجنس وهو ثلثة ثلثة .

قوله: إلا ما تسعه قدرتها: فالوسع بمعنى الطاقة:أي لا يكلف الله نفسا إلا قدر طاقتها لا يزيد عليها فضلا ورحمة، وعلى الثاني الوسع من السعة: أي لا يكلف الله نفسا الا ما يتسع فيه طاقتها ولا يضيق عنها. قال الجوهري: وسعه الشيء: أي بالكسر يسعه سعة .يقال: لا يسعني شيء ويضيق عنك. والوسع والسعة: الطاقة.

والشر تشتهيه النفس وتنجذب إليه فكانت أجد في تحصيله وأعمل بخلاف الخير ﴿رَبَّنَا لَاتُؤَاخِذْنَآإِنْ نَّسِيْنَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي لا تؤاخذنا بما أدى بنا إلى نسيان، أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة، أو بأنفسهما ؛إذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا؛ فإن الذنوب كالسموم فكما أن تناولها يؤدي إلى هلاك وان كان خطأ. فتعاطي الذنوب لايبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمةً وفضلاً فيجوز أن يدعو الإنسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه . ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان" ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً﴾عبأً ثقيلاً يأصر صاحبه: أي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة . وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة ﴿ كَمَا حَمَلْتَهٗ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ حملاً مثل حملك إياه على من قبلنا، أو مثل الذي حملته إياهم فيكون صفة لإصراً . والمراد به ماكلف به بنو إسرائيل من قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة . وخمسين صلاة في اليوم والليلة ، وصرف ربع المال للزكاة، أو ما أصابهم من الشدائد والمحن ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهٖ﴾ من ا لبلاء والعقوبة ، أو من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق و إلا لما سئل التخليص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل إلى المفعول الثاني﴿ وَاعْفُ عَنَّا﴾ وامح ذنوبنا﴿وَاغْفِرْلَنَا﴾ واسترعيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة﴿وَارْحَمْنَآ﴾وتعطف بنا وتفضل علينا ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ[٢٨٦]﴾ فإن من حق المولى أن ينصر.

قوله: أي لا تؤاخذنابما أدي بنا إلى النسيان: أشار بذلك إلى جواب إشكال بوجوه ثلثة. تقرير الإشكال أن النسيان والخطاء متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما. وتقرير الجواب أن المراد ما أدي إليهما وسبب لهما من تفريط وإغفال لا أنفسهما و هو ليس متجاوزا عنه. أو المراد أنفسهما لكن بالنظر إلى ذاتيهما إذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فا لدعاء بعدم المؤاخذة بهما باعتبار ذاتهما وتوهم المؤاخذة بهما وإن كان الله وعد التجاوز عنهما تفضلا، أو المراد استدامة التجاوز عنهما كأنه قال: ربنا دم على التجاوز عنهما .

قوله: عباءً :بكسر العين المهملة وسكون الموحدة ثم الهمزة الثقل .

قوله: والتشديد ههنا لتعدية الفعل:يعني أن فعّل يجيء للتكثير والمبالغة فههنا للتعدية وفيما سبق للتكثير والمبالغة .

مـواليـه عـلـى الأعـداء أوالـمرادبه عامة الكفرة.روي أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا بهذه الـدعـوات قيل له عند كل كلمة فعلت. وعنه عليه السلام " أنزل اللّٰه تعالى آيتين من كنوز الـجنة. كتبها الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة . من قرأهما بعد العشاء الأخيرة أجـزأتـاه عن قيام الليل" . وعنه عليه الصلاة والسلام" من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" وهو يرد قول من استكره أن يقال سورة البقرة. وقال: ينبغي أن يقال السورة التـي تـذكـر فيهـا البـقـرـة. كـمـا قال عليه الصلاة والسلام " السورة التي تذكر فيها البقرة فسـطـاط الـقـرآن فتـعلموها . فإن تعلمها بركة وتركها حسرة . ولن يستطيعها البطلة قيل: يارسول‌للّٰه وما البطلة ؟ قال : السحرة"

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

تفسير الآية(١):الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ........................٢٤
تفسير الآية(٢):الرَّحْمـنِ الرَّحِيم..................................٢٦
تفسير الآية(٣):مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ..................................٢٦
تفسير الآية(٤):إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.........................٢٩
تفسير الآية(٥):اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ.........................٣٢
تفسير الآية(٦):صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ...٣٨

سورة البقرة

۞تفسير الآية(١)الم	٤٣
۞تفسير الآية(٢)ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ	٥٨
۞تفسير الآية(٣)الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ .....الآية	٦٨
۞ تفسير الآية(٤)والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ ....الآية	٧١
۞تفسير الآية(٥)أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ....الآية	٧٤
۞تفسير الآية(٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ....الآية	٧٩
۞تفسير الآية(٧)خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ....الآية	٨٥
۞تفسير الآية(٨)وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ ....الآية	٨٨
۞تفسير الآية(٩)يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ....الآية	٩٢
۞تفسير الآية(١٠) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ ....الآية	٩٤
۞تفسير الآية(١١)وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ ....الآية	٩٥
۞تفسير الآية(١٢)أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ....الآية	٩٦
۞تفسير الآية(١٣)وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ ....الآية	٩٨
۞تفسير الآية(١٤) وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا ....الآية	٩٩
۞ تفسير الآية(١٥)اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي ....الآية	١٠١
۞ تفسير الآية(١٦)أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ ....الآية	١٠٤

❁تفسير الآية(١٧) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً ....الآية	١٠٨
❁ تفسير الآية(١٨)صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ	١١١
❁تفسير الآية(١٩)أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ...........الآيةَ	١١٥
❁تفسير الآية(٢٠)يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا ....الآيةٌ	١١٧
❁تفسير الآية(٢١)يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى ....الآية	١٢٣
❁تفسير الآية(٢٢)الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً ....الآية	١٢٨
❁تفسير الآية(٢٣)وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا ....الآية	١٣٣
❁تفسير الآية(٢٤)فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ........الآية	١٣٦
❁تفسير الآية(٢٥) وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ....الآيةَ	١٤٥
❁تفسير الآية(٢٦)إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِىُ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً ....الآية	١٥٤
❁تفسير الآية(٢٧)الَّذِيْنَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ........الآية	١٥٧
❁تفسير الآية(٢٨) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ ....الآية	١٥٨
❁تفسير الآية(٢٩)هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ....الآية	١٦٢
❁تفسير الآية(٣٠)وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ........الآية	١٦٨
❁تفسير الآية(٣١)وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ ....الآية	١٧٠
❁تفسير الآية(٣٢)قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا........الآية	١٧١
❁تفسير الآية(٣٣)قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا ....الآية	١٧١
❁تفسير الآية(٣٤)وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ ....الآية	١٧٤
❁تفسير الآية(٣٥)وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ....الآية	١٧٧
❁تفسير الآية(٣٦)فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا........الآية	١٧٨
❁تفسير الآية(٣٧)فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ....الآية	١٧٩

تفسير الآية(٣٨)قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن ...الآية ١٨٠
تفسير الآية(٣٩)وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبواْ بِآيَاتِنَا........الآية ١٨١
تفسير الآية(٤٠)يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ....الآية ١٨٥
تفسير الآية(٤١)وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا........الآية ١٨٧
تفسير الآية(٤١) وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ....الآية ١٨٨
تفسير الآية(٤٢)وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ........الآية ١٨٩
تفسير الآية(٤٤)أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ ....الآية ١٨٩
تفسير الآية(٤٥)وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ ....الآية ١٩٠
تفسير الآية(٤٦)الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا........الآية ١٩١
تفسير الآية(٤٧)يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ....الآية ١٩٢
تفسير الآية(٤٨)وَاتَّقُواْ يَوْماً لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ........الآية ١٩٣
تفسير الآية(٤٩) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ....الآية ١٩٥
تفسير الآية(٥٠)وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ ....الآية ١٩٥
تفسير الآية(٥١)وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ....الآية ١٩٦
تفسير الآية(٥٢)ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُمِ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ....الآية ١٩٦
تفسير الآية(٥٣)وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ....الآية ١٩٧
تفسير الآية(٥٤)وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ........الآية ١٩٨
تفسير الآية(٥٥)وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ....الآية ١٩٩
تفسير الآية(٥٦) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ....الآية ١٩٩
تفسير الآية(٥٧) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ........الآية ١٩٩
تفسير الآية(٥٨) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ ....الآية ٢٠٠

۞تفسير الآية(٥٩)فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ ....الآية ٢٠١

۞تفسير الآية(٦٠)وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا ....الآية ٢٠٢

۞تفسير الآية(٦١)وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ ....الآية ٢٠٤

۞تفسير الآية(٦٢)إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ ....الآية ٢٠٦

۞تفسير الآية(٦٣)وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا ....الآية ٢٠٦

۞تفسير الآية(٦٤)ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ ....الآية ٢٠٦

۞تفسير الآية(٦٥)وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ ....الآية ٢٠٧

۞تفسير الآية(٦٦) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ....الآية ٢٠٧

۞تفسير الآية(٦٧)وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ........الآية ٢٠٨

۞تفسير الآية(٦٨)قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ........الآية ٢٠٩

۞تفسير الآية(٦٩)قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ....الآية ٢١٠

۞تفسير الآية(٧٠) قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ........الآية ٢١١

۞تفسير الآية(٧١)قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ ....الآية ٢١١

۞تفسير الآية(٧٢)وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ........الآية ٢١٢

۞تفسير الآية(٧٣)فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ........الآية ٢١٢

۞تفسير الآية(٧٤)ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ........الآية ٢١٤

۞تفسير الآية(٧٥)أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ........الآية ٢١٥

۞تفسير الآية(٧٦)وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا ....الآية ٢١٦

۞تفسير الآية(٧٧) أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ........الآية ٢١٦

۞تفسير الآية(٧٨)وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ....الآية ٢١٧

۞تفسير الآية(٧٩)فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ........الآية ٢١٨

تفسير الآية(٨٠)وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً ....الاية ٢١٨
تفسير الآية(٨١)بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ ....الآية ٢١٩
تفسير الآية(٨٢)وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ....الاية ٢١٩
تفسير الآية(٨٣)وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ ....الاية ٢٢١
تفسير الآية(٨٤) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ........الاية ٢٢١
تفسير الآية(٨٥)ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ....الاية ٢٢٣
تفسير الآية(٨٦)أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ ....الاية ٢٢٣
تفسير الآية(٨٧)وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا ....الاية ٢٢٥
تفسير الآية(٨٨)وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه ....الاية ٢٢٥
تفسير الآية(٨٩) وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ........الاية ٢٢٦
تفسير الآية(٩٠)بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ ....الاية ٢٢٧
تفسير الآية(٩١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ ....الاية ٢٢٧
تفسير الآية(٩٢)وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ....الاية ٢٢٧
تفسير الآية(٩٣)وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُم ....الاية ٢٢٨
تفسير الآية(٩٤) قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ ....الاية ٢٢٨
تفسير الآية(٩٥)وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ....الاية ٢٢٩
تفسير الآية(٩٦)وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى ....الاية ٢٣٠
تفسير الآية(٩٧)قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى ....الاية ٢٣٢
تفسير الآية(٩٨)مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ ....الاية ٢٣٣
تفسير الآية(٩٩)وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ....الاية ٢٣٣
تفسير الآية(١٠٠)أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ ....الاية ٢٣٤

۞تفسير الآية(١٠١)وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ ....الاية	٢٣٤
۞تفسير الآية(١٠٢) وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ ....الاية	٢٣٧
۞تفسير الآية(١٠٣)وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ ....الاية	٢٣٨
۞تفسير الآية(١٠٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ ....الاية	٢٣٩
۞تفسير الآية(١٠٥)مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ....الاية	٢٣٩
۞تفسير الآية(١٠٦) مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ ....الاية	٢٤٠
۞تفسير الآية(١٠٧)أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ ....الاية	٢٤١
۞تفسير الآية(١٠٨)أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ ....الاية	٢٤٢
۞تفسير الآية(١٠٩)وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ ....الاية	٢٤٢
۞تفسير الآية(١١٠)وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ....الاية	٢٤٢
۞تفسير الآية(١١١)وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ ....الاية	٢٤٣
۞تفسير الآية(١١٢) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ ....الاية	٢٤٤
۞تفسير الآية(١١٣) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى ....الاية	٢٤٤
۞تفسير الآية(١١٤) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن ....الاية	٢٤٦
۞تفسير الآية(١١٥)وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ ....الاية	٢٤٦
۞تفسير الآية(١١٦)وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ ....الاية	٢٤٧
۞تفسير الآية(١١٧)بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا ....الاية	٢٤٨
۞تفسير الآية(١١٨)وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ ....الاية	٢٤٩
۞تفسير الآية(١١٩) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً ....الاية	٢٤٩
۞تفسير الآية(١٢٠) وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى ....الاية	٢٥٠
۞تفسير الآية(١٢١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ ....الاية	٢٥١

تفسير الآية(١٢٢)يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي ....الآية ٢٥١
تفسير الآية(١٢٣)وَاتَّقُواْ يَوماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن ....الآية ٢٥٢
تفسير الآية(١٢٤)وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ....الآية ٢٥٣
تفسير الآية(١٢٥)وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ....الآية ٢٥٥
تفسير الآية(١٢٦)وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ ....الآية ٢٥٦
تفسير الآية(١٢٧) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ....الآية ٢٥٧
تفسير الآية(١٢٨)رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ....الآية ٢٥٨
تفسير الآية(١٢٩)رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً ....الآية ٢٥٩
تفسير الآية(١٣٠)وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا ....الآية ٢٥٩
تفسير الآية(١٣١)إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ ....الآية ٢٥٩
تفسير الآية(١٣٢)وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ....الآية ٢٦٠
تفسير الآية(١٣٣)أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ....الآية ٢٦٢
تفسير الآية(١٣٤)تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ....الآية ٢٦٢
تفسير الآية(١٣٥) وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى ....الآية ٢٦٣
تفسير الآية(١٣٦)قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ....الآية ٢٦٣
تفسير الآية(١٣٧)فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ ....الآية ٢٦٤
تفسير الآية(١٣٨)صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ ....الآية ٢٦٥
تفسير الآية(١٣٩)قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ ....الآية ٢٦٦
تفسير الآية(١٤٠)أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ....الآية ٢٦٧
تفسير الآية(١٤١)تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ....الآية ٢٦٧
تفسير الآية(١٤٢) سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ ....الآية ٢٦٧